

سلسلة الرحلة إلى الثقلين

(١٨)

# شَاهِدَات

تأليف  
الدكتور محمد النجاني السماوي

تحقيق و تعليق

مركز الأبحاث العقائدية

مركز الأبحاث العقائدية

● إيران - قم المقدّسة - صفائية - ممتاز - رقم ٣٤

ص . ب : ٣٣٣١ / ٣٧١٨٥

الهاتف : ٧٧٤٢٠٨٨ (٢٥١) (٠٠٩٨)

الفاكس : ٧٧٤٢٠٥٦ (٢٥١) (٠٠٩٨)

● العراق - النجف الأشرف - شارع الرسول ﷺ

شارع السور جنب مكتبة الإمام الحسن عليه السلام

ص . ب : ٧٢٩

الهاتف : ٣٣٢٦٧٩ (٣٣) (٠٠٩٦٤)

● الموقع على الإنترنت : [www.aqaed.com](http://www.aqaed.com)

● البريد الإلكتروني : [info@aqaed.com](mailto:info@aqaed.com)

شابك (ردمك) : ٨ - ٢١ - ٨٦٢٩ - ٩٦٤

ثمّ اهتديت

تأليف: الدكتور السيد محمد السماوي التيجاني

طباعة وإخراج: ضياء الخفاف

الطبعة الأولى - ٢٠٠٠ نسخة

سنة الطبع : ١٤٣١ هـ

المطبعة : ستارة

**\* جميع الحقوق محفوظة للمركز \***

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



## مقدّمة المؤلّف لهذه الطبعة :

### بسم الله الرحمن الرحيم

وأفضل الصلّاة وأزكى التسليم على المبعوث رحمةً للعالمين، وعلى آله الطيبين  
الطاهرين المصومين.

ورضوان الله تعالى على أصحابه المنتجبين، الذين ثبتوا من بعده على الحقِّ  
ولم يغيروا ولم يبدّلوا وكانوا لله من المشاكرين، وعلى من تبعهم بإحسانٍ إلى يوم  
الدين.

أكتبُ هذه المقدّمة الجديدة وأنا بجوارِ ثامنِ الأئمةِ علي بن موسى الرضا عليه السلام،  
وقد رجعتُ لثوبي من زيارته، ولأزيتُ على طهارتي، وقد صلّيتُ صلاةَ المغرب  
والعشاء في حرمة، ولمستُ مبالغاً إذا قلتُ بأنّ مليونين من الصلّين رجالاً ونساءً  
شاركوني تلك الصلوات والابتهالات، وكان دعائي أن يهدي الله أمة الإيلام لما فيه  
عزّتهم وصلاحهم ووحدهم، إنّها ذكريات جميلة وأعمال روحية جليلة سوف لن  
أنساها ما حييتُ.

أكتبُ هذه المقدّمة، ويجول بخاطري ذلك الموقفُ الرهيبُ الذي اتّانني عندما  
قرّرتُ أن أكتبَ للنّس قصّة استنجاري لأوّل مرّة بعد الرّؤية التي رأيتهَا.  
كما أذكر أنّي بقيتُ أكثر من شهرين بعد تأليف الكلب، وأنا أتخيّر له اسماً،  
حتّى وقع بصري عندما استفتحتُ كلب الله على الآية الكريمة رقم ٨٢ من سورة  
طه والتي تقول: ﴿ وَإِنِّي لَعَفَّارٌ لَّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى ﴾، عند ذلك  
تفتّحتُ ذهني وأسّمتُ الكتاب « ثمّ اهتديتُ ».

وما كان يخطرُ ببالي أن كتابي على صغرِ حجمه سيلقى تلك الشهرةُ الفائقة، فيقبلُ عليه القراءُ والباحثون ويولوه من العناية ما لم تحض به أكثر الكتب لأغلب المؤلفين، فقد فاقت عدد طباعته الثلاثين، كما بلغت ترجماته ستّ وعشرون لغةً عالمية، وظنَّ بعضهم بأنَّ مؤلفه شخصيَّةٌ وهميَّةٌ لا وجودَ لها في عالم الأحياء، ونسبوه إلى علماء الشيعة؛ لأنَّه كان سبباً لاستبصار الملايين من المؤمنين.

وبحمد الله وفضله فإنَّ الطلبات عليه قد ازدادت وتكاثرت، بالخصوص بعد المناظرات التي أدارتها قناة «المستقلة الفضائية» تحت عنوان «الحوار الصريح بعد صلاة التراويح» والتي شاركتُ فيها بالحضور شخصياً في شهر رمضان المعظم، فعرفني النَّاس وتبدَّدت أسطورة الشخصية الوهميَّة، فانهالت عليَّ المكالمات التلفونية والرسائل والفاكسات مطالبة كلها بإعادة طبعه من جديد.

ففكرتُ في طبعه في حلَّة جديدة تشتملُ على كلِّ الاعتراضات والتساؤلات التي قد يُثيرها بعضهم في تشخيص الأحداث، أو استبعاد واستحالة ما حصل في أُمَّة الإسلام بعد فقد نبيِّها عليه وعلى آله أفضل الصلوة وأزكى التسليم.

كما لا بدَّ أن تشتمل هذه الطبعة على توثيق وتحقيق لكلِّ الروايات التي وردت في الكتاب لكي لا يقول أحدٌ في المستقبل بأنَّ التيجاني كذابٌ، وأنَّ الأحاديث التي يستدلُّ بها غير موجودة في مصادر أهل السنة والجماعة.

ولكنَّ كثرة أشغالي، والعديد من أسفاري، وكذلك قلَّة المصادر التي في حوزتي بالولايات المتحدة، حالتُ دون ذلك ومنعتني من الوصول إلى مُبتغاي.

إلى أن منَّ الله عليَّ بفضله ومنه - وهذا من كرامات أهل البيت عليهم السلام، الذين عودوني بانفراج الأزمات وتفريج الكربات - فسخرَّ الله لي من يقوم بهذا العمل الكبير، ويسهّل الأمر العسير، ولا يطمعُ من وراء ذلك بالقليل ولا بالكثير، وإنَّما يعمل ليلاً ونهاراً لإنارة السبيل وهداية المسلمين جميعاً إلى الصراط المستقيم، وهو

من وراء ذلك يعمل لوجه الله تعالى لا يريد جزاءً ولا شكوراً، وهمة الوحيد هو خدمة الدين وخدمة المسلمين لتكون كلمة الله هي العليا ويتوحد المسلمون. نعم، هذا العمل المُنْصني قام به مركز الأبحاث العقائدية بقم المقدسة، والذي يشرف على إدارته السيد الجليل جواد الشهرستاني، والشيخ الفاضل محمد الحسون الذي يقوم بإدارة المركز والإشراف على كل أعماله، فقام بمراجعة كتاب « ثم اهتديت » مراجعة علمية وفنية وهيأة للطباعة في حلته الجديدة المتميزة.

### وأذكر بالمناسبة تلك الحكمة القائلة :

« لا تحقرن صغيراً لعله يكبر، ولا تحقرن قليلاً لعله يكثر ».

فكتابي الذي بين يديك أيها القارئ العزيز كبر شأنه بعد صغر حجمه، وكثرت صفحاته بعد قلتها، ليعطيك الدليل القاطع والحجة البالغة، وليكون لك - بحول الله - نوراً تستضيء به كلما حجب الغيوم نور الشمس، أو حل الظلام مكان الضوء ليخفي الباطل وراء الحق.

وأنا بدوري أشكر باسمي وباسم كل القراء الكرام بل وباسم جميع المسلمين أشكر السيد الجليل جواد الشهرستاني والشيخ الفاضل محمد الحسون وكل معاونيهم والعاملين معهم وأقول لهم: بارك الله في جهودكم وفي جهادكم العلمي وجعلنا الله من الذّاكرين لأفضالكم، كما أتوسّل إليه سبحانه وتعالى بمحمد وآل محمد أن يعوّضكم أجراً وثواباً لا يعلم مداه إلا هو إنه سميع مجيب.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على محمد وآله الطيبين الطاهرين.

الفقير لرحمة ربه

محمد التيجاني السماوي

بتاريخ ١٣ جمادى الأولى ١٤٢٨ الموافق ٢٩/٥/٢٠٠٧





## مقدمة المركز

### بسم الله الرحمن الرحيم

المحمد لله رب العالمين، والحلادة والسلام على خير خلق الله أجمعين، حبيب  
قلوبنا، أبي القاسم محمد ﷺ، وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين، واللغة الدائمة  
الواعدة على أعدائهم أجمعين من الآن إلى قيام يوم الدين، فحمك اللهم وتشرك أن  
جعلتنا من أتباع مدرسة أهل البيت عليهم السلام، والمسائرين على نهجهم القويم، والمتبرئين  
من أعدائهم والنصيين لهم البص والعداء.

لم يكن من ضمن برنامجنا العلمي في «مركز الأبحاث العقائدية» إعادة طبع  
المكتب التي تمّ طبعا وتشرها لعدة مرات خصوصاً كتب الدكتور النيجاني، التي  
تتلف في طبعا وتشرها مراكز علمية كثيرة ومؤسست ثقافية عديدة، إذ طبع  
طبعت متعددة وترجمت إلى لغة لغات عالمية.

والتي جعلنا تقدم على إعادة طباعتها، وتصحيح الأخطاء الطبيعية التي  
وجدت في المطبعت السابقة منها، لي إصلاح بعض الهفوت العلمية التي وقع فيها  
الوؤف، واستخراج كافة الأقول الفقهيّة وغيرها والأحاديث الشريفة وبيان  
صفاتها الوثيقية وإن كان هذا العمل بحد ذاته يستحقّ التقدير هو الإجابة على  
التسهلت والردود التي أثارها بعض علماء السنة حول كتب الدكتور النيجاني، التي  
وصفوه بشخصية خيالية اختلقها بعض علماء الشيعة للتشيع على المذهب السنّي،  
فقد جمعنا كتبهم فكلت خمسة كتب هي :

١- «كتف المجاني محمد النيجاني» لعثمان بن محمد الخميس، والظاهر أنّه أوّل

من تصدّى للردّ على الدكتور التيجاني، إذ أنّ الطبعة الثانية لهذا الكتاب صدرت عن مؤسسة الفجر في لندن سنة ١٤١١هـ، والطبعة الثالثة صدرت عن دار الأمل في القاهرة وكتب عليها « طبعة مزيدة منقّحة ».

وبما أنّ الطبعتين الأولى والثانية كانتا عبارة عن كُتيب صغير، لذلك اضطرّ الخميس في طبعته الثالثة أن ينقل من كتاب « الانتصار » - الذي يأتي الحديث عنه برقم ٢ - ثلاث وأربعين صفحة، وذلك من أجل زيادة صفحات كتابه، علماً بأنّه في كتابه هذا الذي يقع في مائتين صفحة تقريباً يحاول الردّ على كتب الدكتور التيجاني الأربعة وهي: « ثمّ اهتديت » و « فاسألوا أهل الذكر » و « لأكون مع الصادقين » و « الشيعة هم أهل السنّة ».

٢ - « الانتصار للصحب والآل من افتراءات السماويّ الضالّ » للدكتور إبراهيم بن عامر الرحيلي، صدرت طبعته الأولى سنة ١٤١٨هـ عن مكتبة الغرباء الأثرية في المدينة المنورة، وكان المؤلف ينوي الردّ على كتب الدكتور التيجاني الأربعة التي ذكرناها سابقاً، إلا أنّ الذي صدر هو القسم الأوّل منه فقط، وهو ردّ على كتاب « ثمّ اهتديت ».

٣ - « منهج أهل البيت في مفهوم المذاهب الإسلامية، مع دراسة لبعض الكتب المذهبيّة وسبل التقريب » لأبي الحسن محيي الدين الحسيني، انتهى من تأليفه في الأوّل من رجب سنة ١٤١٧هـ، صدر عن مطبعة المدينة في بغداد، وهو ردّ على كتاب التيجاني « لأكون مع الصادقين » فقط.

٤ - « النشاط الشيعي الإمامي أو الاستنساخ العقدي، التيجاني السماوي نموذجاً » للزبير دحان، صدر سنة ١٤٢٣هـ ضمن سلسلة نقد المعتقد برقم ١، وهو ردّ على كتاب « المراجعات » للسيد عبد الحسين شرف الدين، وكتب الدكتور التيجاني.

٥ - « بل ضللت » لخالد العسقلاني، صدر سنة ١٤٢٤هـ عن دار المحدثين للطباعة والنشر، الطبعة الثانية، وهو ردُّ على كتاب الدكتور التيجاني « ثم اهتديت ».

## عملنا في هذا الكتاب :

- ١ - قراءة نص الكتاب بشكل دقيق، ثم تقطيع عباراته إلى عدّة فقرات متناسقة، واستعمال علامات الترتيم حسبما تقتضيه الطرق الفنيّة لتحقيق الكتب.
- ٢ - استخراج كلّ ما يحتاج إلى استخراج: من آيات قرآنيّة كريمة، وأقوال فقهية وكلامية وتاريخية وغيرها، وأحاديث شريفة، وأشعار وغيرها، كلّ ذلك من مصادرها الرئيسيّة.
- ٣ - بيان صفات الأحاديث الشريفة التي استدللّ بها المؤلّف، وتمييز الصحيح عن غيره، استناداً إلى آراء كبار علماء المسلمين من الفريقين؛ ليقف القارئ على صحّة كلام المؤلّف وزيف ادّعاء المخالف له.
- ٤ - إبقاء تعليقات المؤلّف التي كانت في الطبعة السابقة كما كانت، وتمييزها عن عملنا بإضافة كلمة « المؤلّف » في آخرها.
- ٥ - إذا ذكر المؤلّف مصدراً أو مصدرين لكلامه أو للقول أو الحديث الذي يستدلّ به، فإننا نضيف لها مصادر أخرى معتبرة عند عامّة المسلمين، ليقف القارئ على حقيقة الأمر.
- ٦ - قمنا بردّ الشبهات التي أثارها عثمان الخميس في كتابه « كشف الجاني محمّد التيجاني » على هذا الكتاب الذي بين أيدينا، وبيّنا زيف ادّعاء الخميس وقلة اطلاعه على التاريخ، وكيفية محاولته لإضلال الرأي العامّ بادّعاءات واهية لا أساس لها، بل محاولته بتر حديث الدكتور التيجاني، وهذه مغالطات يلجأ إليها الضعفاء.

كذلك قمنا برّد الإشكالات التي وجّهها خالد العسقلاني في كتابه « بل ضللت » على خصوص هذا الكتاب، وهي في الواقع إشكالات واهية تنمّ عن تعصبٍ أعمى بعيداً عن روح النقاش والتفاهم الحرّ الذي يسعى صاحبه للوصول إلى الحقيقة.

وكذلك قمنا برّد بقية الإشكالات التي وجّهها باقي العلماء الذين ألقوا رسائل وكتباً رداً على التيجاني.

ولم نكتف برّد إشكالاتهم بل شرحنا العبارات المغلقة التي أوردتها التيجاني، والتي تحتاج إلى شرح وتوضيح وإضافة مصادر أخرى لها غير ما ذكره المؤلف. وأشرنا أيضاً إلى المناظرة العقائدية التي جرت سنة ١٤٢٣هـ في قناة « المستقلة » بين بعض الوهابية وبعض أتباع مدرسة أهل البيت عليهم السلام، والذي كان للدكتور التيجاني دور مهمّ فيها.

### شكر وتقدير :

ختاماً فإننا نتقدّم بجزيل الشكر والتقدير لكافة الإخوة الأعراء في « مركز الأبحاث العقائدية » الذين ساهموا في إحياء هذا الأثر وإخراجه بهذه الحلة القشبية، وأخصّ بالذكر الأخ الفاضل المحقّق الشيخ لؤي المنصوري الذي أخذ على عاتقه عملية الاستخراج كاملةً وردّ الشبهات والإشكالات التي وجّهت لهذا الكتاب، فجزاهم الله جميعاً خير الجزاء، وجعله في ميزان أعمالهم يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

محمد الحسون

مركز الأبحاث العقائدية

١٩ جمادى الأولى ١٤٢٨هـ

البريد الإلكتروني: muhammad@aqaed.com

الصفحة على الإنترنت: www.aqaed.com/Muhammad

## الإهداء

كتابي متواضع لا تكلف فيه، هو قصة رحلة، قصة اكتشاف جديد، ليس اكتشافاً في عالم الاختراعات التقنية أو الطبيعية، ولكن في دنيا المعتقدات، في خضم المدارس المذهبية والفلسفات الدينية.

ولمّا كان الاكتشاف يعتمد أولاً على العقل المسليم والفهم القويم الذي ميّز الإنسان عن بقية المخلوقين؛ فأنتني أهدي كتابي إلى كلِّ عقل سليم، يمضّ المحقّ فيعرفه من بين ركام الباطل، ويزن الأقوال بميزان العدل فيرجح كفة المعقول، ويقارن الكلام والأحاديث فيتبين المطلق من المعسول، والقويّ من المهزول، قال تعالى: ﴿ فَبَشِّرْ عِبَادِ \* الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴾ (١).

إلى كلِّ هؤلاء أهدي كتابي هذا، راجياً منه سبحانه وتعالى أن يفتح بصيرتنا قبل بصرنا، وأن يهدينا، وينور قلوبنا، ويرينا الحقَّ حقاً لا غبار عليه فننّبهه، ويرينا الباطل باطلاً لا لبس فيه فنجتنبه، ويدخلنا في عباده الصالحين إنّه سميع مجيب.

محمد السماوي التيجاني



## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

### ديباجة

الحمد لله ربّ العالمين، خلق الإنسان من سلالة من طين، فجعله في أحسن تقويم، وفضّله على سائر المخلوقين، وأسجد له ملائكته المقرّبين، وكرّمه بالعقل الذي يبدّل شكّه باليقين، وجعل له عينين، ولساناً وشفقتين، وهداه النجدين، وأرسل له رسلاً مبشّرين ومنذرين لينبّهوه ويمنعوه من ضلالات إبليس اللعين، وعهد إليه أن لا يعبد الشيطان لأنّه له عدوّ مبين، وأن يعبد الله وحده ويتّبع صراطه المستقيم، على بصيرة وإيمان وعلم يقين، وأن لا يقلّد في عقيدته الأصحاب والأقربين والآباء الأولين، الذين اتّبعوا من قبلهم بلا أدلّة واضحة ولا براهين، ومن أحسن قولاً ممّن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال: إنّي من المسلمين.

وصلوات ربّي وسلامه وتحياته وبركاته على المبعوث رحمة للعالمين، ناصر المظلومين والمستضعفين، ومنقذ البشرية من ضلالة الجاهلين، إلى هداية المؤمنين الصالحين، سيّدنا ومولانا محمّداً بن عبد الله نبيّ المسلمين، وقائد الغر المحجلّين، وعلى آله الطيبين الطاهرين الذين اصطفاهم الله على سائر المخلوقين، ليكونوا قدوة المؤمنين، ومنار العارفين، وعلامة الصادقين المخلصين، وأوجب مودّتهم في القرآن الكريم، بعد أن أذهب عنهم الرّجس، وجعلهم من المعصومين، ووعد من ركب

سفينتهم بالنجاة ومن تخلف عنهم كان من الهالكين، وعلى أصحابه الكرام الميامين،  
الذين نصرّوه وعزّروه ووقّروه وباعوا أنفسهم لنصرة الدين، وعرفوا الحقّ فبايعوه  
بيقين، وثبتوا بعده على المنهاج القويم، ولم يغيروا ولم يبدّلوا وكانوا من الشاكرين،  
فجزاهم الله خيراً عن الإسلام والمسلمين، وعلى التابعين لهم والسائرين على هديهم  
إلى يوم الدّين.

رَبِّي تقبّل منِّي فأنت السميع العليم، واشرح لي صدري فأنت الهادي إلى حقّ  
اليقين، واحلل عقدة من لساني فأنت واهب الحكمة لمن تشاء من عبادك المؤمنين،  
رَبِّي زدني علماً وأحقني بالصالحين.



## لمحة وجيزة عن حياتي

لا زلت أذكر كيف أخذني والدي معه إلى مسجد الحي الذي تقام فيه صلاة التراويح في شهر رمضان، وكان عمري عشر سنوات، وقد مني إلى المصلين الذين لم يخفوا إعجابهم.

كنت أعلم منذ أيام أن المؤدب<sup>(١)</sup> رتب الأمور لكي أشفع<sup>(٢)</sup> بالجماعة ليلتين أو ثلاثة، وجرت العادة أن أصلي خلف الجماعة مع مجموعة من أطفال الحي وأنتظر وصول الإمام إلى النصف التالي من القرآن الكريم أي إلى سورة مريم، وبما أن والدي حرص على تعليمنا القرآن في الكتاب<sup>(٣)</sup> وفي البيت خلال حصص ليلية يقوم بها إمام الجامع، وهو من أقاربنا مكفوف البصر يحفظ القرآن الكريم، وبما أنني حفظت النصف في تلك السن المبكرة؛ أراد المؤدب أن يظهر فضله واجتهاده من خلالي، فعلمني مواقع الركوع من التلاوة، وراجعني عدة مرات ليتأكد من فهمي... بعد نجاحي في الامتحان وإنهاء الصلاة والتلاوة بالجماعة على أحسن ما كان يتوقع والدي والمؤدب، انهال علي جميع مقبلين ومعجبين وشاكرين المعلم الذي علمني،

---

(١) المؤدب: هو معلم القرآن (المؤلف).

(٢) أشفع: أصلي التراويح، سميت صلاة التراويح للاستراحة بين كل ركعتين، وسميت أيضاً صلاة الإشفاع لأنها تشفع يوم القيامة لمن يقيمها، كما يروي أهل السنة (المؤلف).

(٣) الكتاب: هي المدرسة القرآنية التي يتعلم فيها الأطفال حفظ القرآن الكريم (المؤلف).

ومهنتين والدي، والكلّ يحمد الله على نعمة الإسلام « وبركات الشيخ ».  
وعشت أياً ما سوف لن تمحى من مخيلتي لما لقيته بعد ذلك الحدث من إعجاب  
وشهرة تعدت حارتنا إلى كلّ المدينة، وطبعت تلك الليالي الرمضانية في حياتي  
طابعاً دينياً بقيت آثاره حتى اليوم، ذلك أنّي كلّما اختلّطت عليّ السبل أحسست  
بقوّة خارقة تشدني وترجعني إلى الجادة، وكلّما شعرت بضعف الشخصية وتفاهة  
الحياة رفعتني تلك الذكريات إلى أعلى الدرجات الروحية، وأوقدت في ضميري  
شعلة الإيمان لتحمل المسؤولية.

وكانت تلك المسؤولية التي حملتها والدي، أو بالأحرى مؤدبي لإمامة الجماعة  
في تلك السن المبكرة جعلتني أشعر دائماً بأنني مقصّر عن أن أكون في المستوى الذي  
أطمح إليه، أو على الأقل المستوى الذي طلب مني.

لذلك قضيت طفولتي وشبابي في استقامة نسبية لا تخلو من لهو وعبث  
يسودهما في معظم الأحيان البراءة وحب الاطلاع والتقليد، تحوطني العناية الإلهية  
لأكون متميزاً من بين إخوتي بالرصانة والهدوء وعدم الانزلاق في المعاصي  
والموبقات.

ولا يفوتني أن أذكر أنّ والدي -رحمها الله- كان لها الأثر الكبير في حياتي،  
فقد فتحت عيني وهي تعلمني قصار السور من القرآن الكريم، كما تعلمني الصلاة  
والطهارة، وقد اعتنت بي عناية فائقة لأنني ابنها الأول، وهي ترى إلى جانبها في  
نفس البيت ضررتها التي سبقتها منذ سنوات عديدة ولها من الأولاد من يقارب  
سنّها، فكانت تتسلّى بتربّيتي وتعليمي، وكأنّها تتبارى في سباق مع ضررتها وأبناء  
زوجها.

كما أنّ اسم التيجاني الذي سمّنتني به والدي له ميزة خاصّة لدى عائلة  
السمّاوي كلّها التي اعتنقت الطريقة التيجانية وتبنّتها، منذ أن زار أحد أبناء الشيخ  
سيدي أحمد التيجاني مدينة قفصة قادماً من الجزائر ونزل في دار السمّاوي، فاعتنق  
كثير من أهالي المدينة خصوصاً العائلات العلمية والثريّة هذه الطريقة الصوفية

ورؤجوالها، ومن أجل اسمي أصبحت محبوباً في دار السماوي التي يسكنها أكثر من عشرين عائلة، وكذلك خارجها ممن لهم صلة بالطريقة التيجانية، لذلك كان كثير من شيوخ المصلين الذين حضروا تلك الليالي الرمضانية التي ذكرتها يقبلون رأسي ويدي مهنيين والدي قائلين له: « هذا فيض من بركات سيّدنا الشيخ أحمد التيجاني ».

والجدير بالذكر أنّ الطريقة التيجانية انتشرت بكثرة في المغرب، والجزائر، وتونس، وليبيا، والسودان، ومصر، وأن معتنقي هذه الطريقة متعصبون نوعاً ما، فهم لا يزورون مقامات الأولياء الآخرين، ويعتقدون بأنّ كلّ الأولياء قد أخذوا عن بعضهم بالتسلسل ما عدا الشيخ أحمد التيجاني، فقد أخذ علمه مباشرة عن رسول الله ﷺ رغم تأخره عن زمن النبوة بثلاثة عشر قرناً، ويروون بأنّ الشيخ أحمد التيجاني كان يحدث بأن رسول الله ﷺ جاءه يقظة لا مناماً، كما يقولون بأنّ الصلاة الكاملة التي ألفها شيخهم أفضل من أربعين ختمة من القرآن الكريم.

وحتى لا نخرج عن الاختصار نقف عند هذا الحدّ من التعريف بالتيجانية، ولنا عودة معهم إن شاء الله في موضع آخر من هذا الكتاب.

ونشأت وترعرعت على هذا الاعتقاد كغيري من شباب البلد، فكُلنا مسلمون بحمد الله من أهل السنة والجماعة، وكُلنا على مذهب الإمام مالك بن أنس إمام دار الهجرة، غير أنّنا منقسمون في الطرق الصوفية التي كثر في شمال أفريقيا، ففي مدينة قفصة وحدها هناك التيجانية، والقادرية، والرحمانية، والسلامية، والعيساوية، ولكُل من هذه الطرق أنصار وأتباع يحفظون قصائدها وأذكارها وأورادها التي تقام في الحفلات والسهرات بمناسبة عقد القران أو الختان أو النجاح أو النذور، ورغم بعض السلبات فقد لعبت هذه الطرق دوراً كبيراً في الحفاظ على الشعائر الدينية واحترام الأولياء والصالحين.

## الحجّ إلى بيت الله الحرام

كان عمري ثمانية عشر عاماً عندما وافقت الجمعية القومية للكشافة التونسية على انتدابي للمشاركة في أول مؤتمر للكشافة العربية والإسلامية؛ الذي أقيم في مكة المكرمة ضمن مجموعة تتكوّن من ستة أشخاص من كامل الجمهورية التونسية، ووجدت نفسي أصغر أعضاء البعثة سنّاً، وأقلهم ثقافة، إذ كان اثنان منهما من مديري المدارس، والثالث أستاذاً بالعاصمة، والرابع يعمل في الصحافة، والخامس لم أعرف وظيفته غير أنني علمت بأنه أحد أقرباء وزير التربية القومية في ذلك العهد. كانت رحلتنا بطريق غير مباشر، فقد نزلنا في أثينا عاصمة اليونان حيث أمضينا فيها ثلاثة أيام، ومنها إلى عمّان عاصمة الأردن التي مكثنا فيها أربعة أيام، وصلنا بعدها إلى السعودية حيث شاركنا في المؤتمر، وأدينا مناسك الحجّ والعمرة. كان شعوري وأنا أدخل بيت الله الحرام لأول مرة لا يُتصوّر، وكان قلبي كأنه يحطّم الأضلاع - التي تحوطه - بدقّاته العنيفة يريد الخروج ليرى بعينه هذا البيت العتيق الذي طالما كان يحلم به، وفاضت الدموع حتى ظننت أنها لن تتوقّف، وخيل إليّ بأنّ الملائكة تحملني فوق الحجيج لأصل إلى سطح الكعبة المشرفة، وألبي نداء الله من هناك: «لبيك اللهم لبيك هذا عبدك جاء إليك».

وقد استنتجت وأنا أسمع تلبية الحجيج بأنّ هؤلاء قضوا أعمارهم وهم يتجهّزون ويعدّون العدة ويجمعون الأموال للمجيء، أمّا أنا فكان مجيئي مفاجئاً على

غير استعداد مني، وأذكر أن والدي عندما رأى تذاكر الطائرة وتيقن من سفري إلى الحج بكى وهو يقبلني مودعاً قائلاً: « هنيئاً لك يا بني لقد أراد الله لك أن تحج قبلي وأنت في هذه السن، فأنت ولد سيدي أحمد التيجاني، أدع الله لي في بيته أن يتوب عليّ، ويرزقني الحج إلى بيته الحرام ».

لذلك ظننت أن الله هو الذي ناداني وأحاطني بعنايته، وأوصلني إلى ذلك المقام الذي تموت الأنفس دون الوصول إليه حسرة ورجاء، فمن أحق بالتلبية مني، فكنت أبالغ في الطواف والصلاة والسعي وحتى في شرب ماء زمزم، والصعود إلى الجبال حيث تتسابق الوفود للوصول إلى غار حراء فوق جبل النور، فلم يسبقني إليه غير شاب سوداني فكنت « ثاني اثنين »، وتمرغت فيه وكأني أتمرغ في حجر الرسول الأكرم وأشتم أنفاسه.. يالها من صور وذكريات تركت في نفسي أثراً عميقاً سوف لن يمحي أبداً!

عناية ربانية أخرى جعلت كل من يراني من الوفود يحبني ويطلب عنواني للمراسلة، وقد أحببني رفاقي الذين احتقروني في أول لقاء جمعنا في تونس العاصمة لترتيب السفر، وأحسست ذلك منهم، وصبرت لعلمي مسبقاً بأن أهل الشمال يحتقرون أهل الجنوب ويعتبرونهم متخلفين، وسرعان ما تعيّرت نظرهم خلال السفر والمؤتمر والحج، وقد بيّضت وجوههم أمام الوفود بما كنت أحفظه من أشعار وقصائد، وبما أحرزته من جوائز في المسابقات التي أقيمت بالمناسبة، وقد عدت إلى بلادي ومعني أكثر من عشرين عنواناً لأصدقاء من مختلف الجنسيات.

كانت إقامتنا في السعودية خمسة وعشرين يوماً، كنا نلتقي فيها بعلماء ونستمع إليهم في محاضراتهم، وقد تأثرت ببعض المعتقدات الوهابية التي أعجبت بها، وتمنيت أن يكون المسلمون عليها، وظننت في تلك الفترة بأن الله اصطفاهم من بين العباد لحراسة بيته الحرام، فهم أطهر وأعلم خلق الله على وجه الأرض، وقد أغناهم الله

بالبترول ليتمكّنوا من خدمة الحجيج ضيوف الرحمن، والسهر على سلامتهم.  
وعند رجوعي من الحجّ إلى بلادي، كنت مرتدياً اللباس السعودي بالعقال،  
وفوجئت بالاستقبال الذي أعدّه لي والدي، فكانت جموع من الناس محتشدة في  
المحطة يتقدّمهم شيخ الطريقة العيساوية وشيخ التيجانية وشيخ القادرية بالطبول  
والبنادير<sup>(١)</sup>.

وطافوا بي شوارع المدينة مهلّلين ومكبرين، وكلّما مررنا بمسجد أوقفوني  
على عتبته بعض الوقت، والناس من حولي يتسابقون لتقبيلي وخصوصاً الشيوخ  
المسنّين كانوا يلثمونني وهم يبكون شوقاً لرؤية بيت الله، والوقوف على قبر رسوله،  
وهم لم يعتادوا رؤية حاج في مثل عمري، كما لم يروا هذا في قصة قبلي.

وعشت أسعد أيام حياتي في ذلك الوقت، وقد جاء إلى بيتنا أشراف المدينة  
وكبرائها يسلمون مهتئين وداعين، وكثيراً ما كان يطلب منّي قراءة الفاتحة مع  
الدعاء بحضرة والدي، فكنت أخجل حيناً وأتشجع أحياناً، وكانت والدتي في كلّ  
مرة تدخل بعد خروج الزّائرين لإطلاق البخور والتعاويد لحمايتي من شرّ  
الحاسدين، ودفع كيد الشياطين.

وأقام والدي ثلاث ليال متواليات للحضرة التيجانية يذبح في كلّ يوم كبشاً  
للوليمة، وكان الناس يسألونني عن كلّ كبيرة وصغيرة، وكانت أجوبتي كلّها تنطوي  
على الكثير من الإعجاب والإطراء على السعوديين، وما يقومون به لنشر الإسلام  
ونصرة المسلمين.

---

(١) البنادير: مفرده بندير، وهو طبل مثل الدفّ يستعمله الصوفية للمدائح والأذكار  
والشطح، ويقال: إنّ سيدي عبد السلام الأسمر أوّل من استعمله، وقد نزل بنديره  
من السماء؟! (المؤلف).

ولقّبني سكاّن المدينة « بالحاج » فإذا أطلق هذا الاسم لا ينصرف إلاّ إليّ، وأصبحت بعد ذلك معروفاً أكثر، وخصوصاً في الأوساط الدينية كجماعة الإخوان المسلمين، فكنت أطوف في المساجد، وأنهي الناس عن تقبيل الأضرحة والتمسّح بالأخشاب، وأحاول جهدي إقناعهم بأنّ ذلك شرك بالله.

وازداد نشاطي توسّعاً، فكنت ألقى الدروس الدينية في المساجد يوم الجمعة قبل خطبة الإمام، وأتنقل من جامع أبي يعقوب إلى الجامع الكبير، لأنّ صلاة الجمعة تقام فيهما في أوقات مختلفة، بينما تصلّى الأولى وقت الظهر تقام الثانية وقت العصر، وكثيراً ما كان يحضر تلك الحلقات التي أقيمها يوم الأحد أغلب تلاميذ المعهد الثانوي الذي أدّرس فيه مادّة التكنولوجيا والمبادئ التقنيّة، وكانوا يعجبون لهذا ويزدادون حبّاً وتقديراً لأنّي أعطيتهم من وقتي الكثير، لأزّيح عن أفكارهم تلك الغيوم التي لبّدها بعض أساتذة الفلسفة الملحدين والمادّيين والشيوعيين وما أكثرهم!

فكانوا ينتظرون بفارغ الصبر موعد تلك الحلقات الدّينيّة ومنهم من يأتي إلى البيت، فقد اشترت بعض الكتب الدّينيّة والتهمتها بالمطالعة حتّى أكون في مستوى الإجابة عن الأسئلة المختلفة.

وفي تلك السنّة التي حججت فيها ملكت أيضاً نصف ديني، فقد رغبت والدي - رحمها الله - في تزويجي قبل موتها، وهي التي ربّت كلّ أولاد زوجها وحضرت زواجهم، فكانت أمنيته أن تراني عريساً، وقد أعطها الله ما تتمنّى، وأطعت أمرها في الزواج من فتاة لم أرها من قبل، وحضرت ميلاد ابني الأوّل والثاني، وفارقت الحياة وهي عنّي راضية كما سبقها والدي - رحمه الله - قبل عامين، وقد حجّ بيت الله الحرام وتاب توبة نصوحاً قبل وفاته بعامين.

ونجحت الثورة الليبيّة في تلك الظروف التي يعاني فيها المسلمون والعرب من

هزيمة النكبة في حربهم ضد إسرائيل، وطلع علينا ذلك الشاب قائد الثورة وهو يتكلم باسم الإسلام، ويصلي بالناس في المسجد، وينادي بتحرير القدس.

وقد استهواني كما استهوى أغلب الشباب المسلم في البلاد العربية والإسلامية، ودفعنا حب الاطلاع إلى تنظيم رحلة ثقافية إلى ليبيا، وجمعنا أربعين رجلاً من رجال التعليم حيث قمنا بزيارة إلى القطر الشقيق في بداية الثورة، ورجعنا من هناك معجبين بما رأينا مستبشرين بالمستقبل الذي رجونا أن يكون في صالح الأمة العربية والإسلامية في كل المعمورة.

طوال السنوات المنصرمة كانت الرسائل مع بعض الأصدقاء متواصلة والأشواق متزايدة، وقد توطدت علاقتي مع نخبة منهم ألحوا عليّ أن أزورهم، فأعددت العدة ورتبت الأمور للقيام برحلة طويلة تستغرق عطلة الصيف التي تدوم ثلاثة أشهر، وكان التخطيط يمر بليبيا عن طريق البر، ثم إلى مصر، ومنها إلى لبنان عبر البحر، ثم إلى سوريا والأردن فالسعودية، وهي المقصودة لأداء العمرة وتجديد العهد مع الوهابية التي روّجت لها كثيراً في أوساط الشباب الطلابي، وفي المساجد التي يكثر فيها الإخوان المسلمون.

وتعدت شهرتي حدود مدينتي إلى مدن أخرى مجاورة، فقد يمرّ المسافر فيصلي الجمعة ويحضر تلك الدروس ويتحدث بها في مجتمعه، ووصل الحديث إلى الشيخ إسماعيل الهادفي صاحب الطريقة الصوفية المعروفة بمدينة توزر عاصمة الجريد، ومسقط رأس أبي القاسم الشابي الشاعر المعروف. وهذا الشيخ له أتباع ومريدون في كامل الجمهورية التونسية وخارجها في الأوساط العمالية بفرنسا وألمانيا.

وجاءتني منه دعوة لزيارته، عن طريق وكلائه في قفصة الذين كتبوا إليّ رسالة طويلة يشكرونني فيها على ما أقوم به لخدمة الإسلام والمسلمين، ويدعون



أن ذلك لا يقربني من الله قيد أنملة ما لم يكن عن طريق شيخ عارف، وعلى الحديث المشهور عندهم: « من لم يكن له شيخ فشيخه الشيطان »<sup>(١)</sup>، ويقولون أيضاً: « لا بد لك من شيخ يريك شخوصها وإلا فنصف العلم عندك ناقص »، وبشروني بأن « صاحب الزمان » ويقصدون به الشيخ إسماعيل قد اصطفاني من بين الناس لأكون من خاصة الخاصة.

وطار قلبي فرحاً لهذا الخبر، وبكيت تأثراً لهذه العناية الربانية التي ما زالت ترفعني من مقام سام إلى ما هو أسمى، ومن حسن إلى ما هو أحسن، لأنني اتبعت فيما مضى من حياتي سيدي الهادي الحفيان، وهو شيخ متصوف يحكي عنه عدة كرامات وخوارق، وصرت من أعز أحيائه، كما صاحبت سيدي صالح بالسائح، وسيدي

---

(١) عبارة مشهورة عند الصوفية، راجع العهود المحمدية للشعراني: ٨٧٤، وقد حاول بعضهم تفسير هذه العبارة فقال: «هي عبارة تنتقل عن واحد من كبار الصوفية، ونحب أن نكون واضحين ونحن تناقش هذا الأمر. إن علماء الأصول لم يعتبروا رأي الصحابي نفسه ملزماً للأمة، فكيف رأي غيره؟ وإنما يكسب قول أي إنسان قوة بقدر ما تؤيده النصوص، فعلينا أن نتذكر دائماً هذا الأصل، فإذا اتضح هذا الأصل نقول: إن هذه العبارة صحيحة في صورة واحدة وهي: أنه لو وجد إنسان جاهل وليس عنده قدرة على أن يتعلم لنفسه العلوم الشرعية فهذا إنسان يصير في عباداته ومعاملاته وتصرفاته على غير علم، فهذا لا شك شيخه الشيطان.

أمّا الإنسان القادر على أن يتعلم بنفسه، وهو يسير على ضوء العلم الصحيح، فهذا شيخه العلم الصحيح وشيخه الكتاب، أمّا الإنسان الذي يأخذ العلم عن أهله فهذا له شيوخه.

فإذا أدركنا هذا عرفنا محل هذه العبارة، وعرفنا الخطأ المتعمد أو الجاهل الذي به يحاول بعض الناس أن يحملوا هذه العبارة على من لا شيخ صوفياً له» تربيتنا الروحية: ٢٤٠.

الجيلاني وغيرهم من أهل الطرق المعاصرين، وانتظرت ذلك اللقاء بفارغ الصبر. ولما دخلت بيت الشيخ كنت أتفرّس الوجوه بلهفة، وكان المجلس مليئاً بالمرّيين وفيهم مشايخ، يرتدون لباساً ناصع البياض، وبعد مراسم التحيّة خرج علينا الشيخ إسماعيل وقام الجميع يقبلون يده باحترام فائق، وغمزني الوكيل بأنّ الشيخ هو ذا، فلم أبد حماساً؛ لأنّني كنت منتظراً غير الذي رأيت، وقد كنت رسمت له صورة خيالية حسب الكرامات والمعجزات التي رَسَّخها في ذهني وكيل الشيخ وأتباعه، ورأيت شيخاً عادياً ليس فيه وقار ولا هيبة، وخلال المجلس قدّمني الوكيل إليه فرحّب بي وأجلسني على يمينه وقدّم إلي الطعام، وبعد الأكل والشرب بدأت الحضرة، وقدّمني الوكيل من جديد لأخذ العهد والورد من الشيخ، وهنّأني الجميع بعد ذلك معانقين ومباركين.

وفهمت من خلال حديثهم بأنّهم يسمعون عني الكثير، وقد دفعني هذا الإعجاب إلى أن أعترض على بعض أجوبة الشيخ التي كان يلقيها على السائلين، وأعلل رأبي بالقرآن والسنة، واستاء بعض الحاضرين من هذا التطفّل واعتبروه سوء أدب في حضرة الشيخ، وقد اعتادوا أن لا يتكلّموا بحضرتهم إلاّ بإذنه، وأحسّ الشيخ بحرج الجالسين، فأزاح تلك السحابة بلباقة وأعلن قائلاً: « من كانت بدايته محرقة تكون نهايته مشرقة»، واعتبر الحاضرون أنّ هذا وساماً من حضرتهم، وسوف يكون أكبر ضمان لنهايتي المشرقة وهنّأوني بذلك.

ولكنّ شيخ الطريقة ذكي ومدرب لم يترك لي المجال مفتوحاً لمواصلة هذا التطفّل المزعج، وروى لنا قصة أحد العارفين بالله عندما جلس في حلقة بعض العلماء، قال له: قم فاغتسل، وذهب العالم واغتسل وجاء ليجلس في الحلقة، فقال له ثانية: قم فاغتسل، وذهب العالم وعاود الغسل كأحسن ما يكون ظنّاً منه بأنّ الغسل الأوّل لم يكن على الوجه الصحيح، وجاء ليجلس فاتتهه الشيخ العارف

وأمره بالاغتسال من جديد، فبكى العالم وقال له : يا سيدي لقد اغتسلت من علمي ومن عملي ولم يبق عندي إلا ما يفتح الله به علي يدك! عند ذلك قال له العارف : الآن اجلس.

وعرفت بأنني أنا المقصود من هذه القصة، كما عرف ذلك الحاضرون الذين لاموني بعد خروج الشيخ للاستراحة، وأقنعوني بالسكوت ولزوم الاحترام بحضرة الشيخ صاحب الزمان لثلاث تحبب أعمالي، مستدلين بالآية الكريمة : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴾<sup>(١)</sup> صدق الله العظيم.

وعرفت قدرتي، وامتثلت للأوامر والنصائح، وقربني الشيخ منه أكثر، وأقمت عنده ثلاثة أيام كنت أسأل خلالها أسئلة عديدة بعضها للاختبار - وكان الشيخ يعرف ذلك مني - فيجيبني قائلاً: بأن للقرآن ظاهراً وباطناً إلى سبعة أبطن، كما فتح لي خزانته وأطلعني على كراسه الخاص، والذي فيه سلسلة الصالحين والعارفين، مسندة ومتصلة منه إلى أبي الحسن الشاذلي مروراً بعدة أولياء مذكورين إلى أن يصل السند إلى الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ورضي الله عنه.

ولا يفوتني أن أذكر هنا بأن الحلقات التي يقيمونها كانت روحية، إذ يفتتحها الشيخ بقراءة ما تيسر من كتاب الله المجيد تلاوة وتجويداً، ثم بعد فراغه يبدأ بمطلع القصيدة ويتبعه المريدون الذين يحفظون المدائح والأذكار، وأكثرها ذمٌ للدنيا وترغيب في الآخرة، وفيها زهد وورع.

بعد ذلك يعيد المريد الأول الجالس علي يمين الشيخ قراءة ما تيسر من القرآن، وعندما يقول صدق الله العظيم يبدأ الشيخ مطلعاً من قصيدة جديدة

(١) سورة الحجرات: ٢.

ويشارك الجميع في إنشادها، وهكذا يتناوب الحاضرون ولو بآية واحدة يشاركون بها إلى أن يأخذ الحال الحاضرين، فيتمايلون يميناً وشمالاً على رنات تلك المدائح، إلى أن ينهض الشيخ وينهض معه المريدون، فتكون حلقة هو قطبها، ويبدوون بذكر اسم الصدر قائلين: آه. آه. آه. آه.

والشيخ يدور وسطهم متوجهاً في كل مرة إلى واحد منهم حتى يحمي الوطيس، وتصبح الحركات والشطحات شبيهة بدق الطبول، ويقفز البعض في حركات جنونية، وترتفع الأصوات في نغمة منسقة، ولكنها مزعجة إلى أن يعود الهدوء بعد عناء وتعب بقصيدة ختامية للشيخ، فيجلس الجميع بعد ما يكونوا قد قبلوا رأس الشيخ وأكتافه بالتداول.

وقد شاركتهم بعض هذه الشطحات محاكياً لهم في غير قناعة مني، ووجدت نفسي متناقضاً مع العقيدة التي تبنيتها، وهي عدم الإشارك أي عدم التوسل بغير الله، فسقطت على الأرض جاهشاً بالبكاء متحيراً مشتتاً بين تيارين متناقضين، تيار الصوفية وهي أجواء روحية يعيشها الإنسان فتملاً أعماقه بشعور الرهبة والزهد والتقرب إلى الله عن طريق أوليائه الصالحين وعباده العارفين، وتيار الوهابية الذي علمني أن ذلك كله شرك بالله، والشرك لا يغفره الله.

وإذا كان محمد رسول الله ﷺ لا ينفع ولا يتوسل به إليه سبحانه، فما قيمة هؤلاء الأولياء والصالحين بعده؟!

وبالرغم من المنصب الجديد الذي نصبني فيه الشيخ، إذ أصبحت وكيله في قصة، لم أكن مقتنعاً كلياً في داخلي، وإن كنت أميل أحياناً إلى الطرق الصوفية، وأشعر دائماً أنني أكن لها احتراماً ومهابة من أجل أولياء الله والصالحين من عباده، ولكنني أكابر وأجادل محتجاً بقوله تعالى: ﴿وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا إِلَهَ إِلَّا

هُوَ<sup>(١)</sup>.

وإذا قال لي قائل بأن الله تعالى يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ﴾<sup>(٢)</sup>؟

أردّ عليه بسرعة كما علمني علماء السعودية: «الوسيلة هي العمل الصالح»<sup>(٣)</sup>، والمهم أنني عشت تلك الفترة مضطرباً مشوش الفكر، وقد يتوافد عليّ

(١) سورة القصص: ٨٨.

(٢) سورة المائدة: ٣٥.

(٣) من الأمور التي اختلف فيها الوهابية (السلفية) مع غيرهم - سواء شيعة أم سنة أو غيرهم - مسألة التوسّل، فقد ذهب الوهابية إلى عدم جواز التوسّل بالذوات سواء كانت ذوات أنبياء أو صالحين أو غيرهم، فإنّ الذات ليس لها من الأمر شيء، ولا تختلف ذات عن ذات حتى يتوسل بأحدهما إلى الله دون الأخرى، فالنبي - صلّى الله عليه وآله وسلم - كما يقول ابن تيمية لا تختلف ذاته عن ذات الملحد - والعياذ بالله - وإتّما الاختلاف بالإيمان والتقوى، وعليه فلا يجوز التوسّل والتقرب بنفس الذات إلى الله سبحانه وتعالى ما دامت بهذه الحالة. فعلى ذلك لا يجوز التوسّل بذات النبي - صلّى الله عليه وآله وسلم - والتقرب بها إلى الله تعالى، سواء كان النبي حياً أو ميتاً، وسواء كان حاضراً أم غائباً، فضلاً عن التوسّل بذوات الأولياء والصالحين، الأحياء والأموات، الحاضرين والغائبين. هذا من جهة.

ومن جانب آخر فإنّ التوسّل إنّما يصحّ بدعاء الأنبياء والأولياء والصالحين لا بذاتهم، فكُلّ من أراد أن يتوسل بشخص غيره يتوسل بدعائه، بطلب الدعاء منه، سواء كان ذلك المتوسل به نبياً أو ولياً أو صالحاً وقاموا بتأويل كلّ الآيات والروايات التي تنصّ على توسل بعض الصحابة بالنبي - صلّى الله عليه وآله وسلم - وبيعض الصالحين في حياته وفي مماته على ضوء ما ينسجم والبيان

### ➤ المتقدّم لهم فى التوسّل.

وخلاصة كلامهم أنّ التوسّل بالذوات غير جائز مطلقاً، والتوسّل بالدعاء هو الجائز فقط، وينحصر التوسّل بالعمل وبدعاء الغير.

وعلى ضوء ما تقدّم أخذ السلفية بتقسيم التوسّل إلى عدّة أقسام والإطناب فيه، وخلصوا إلى النتيجة الآتية، وعطفوا عليها تبديع وتكفير غيرهم من عامّة المسلمين، ممن يتوسّلون بالنبيّ الأكرم - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ - حياً وميتاً، بذواتهم المكرّمة عند الله سبحانه وتعالى.

وارجع فيما تقدم إلى كتاب التوسّل لابن تيمية الحرّاني، فإنّه أطنب فى بيان مذهبه وخلص إلى ما تقدم ذكره.

والنظر فيما ذكره ابن تيمية وأتباعه يحكم علينا أن نرفض طرحه المتقدّم جملة وتفصيلاً، لأنّ ما ذكره مخالف للنصوص الشرعية ومخالف لسيرة الصحابة والسلف الصالح من الأئمة الإسلامية المتّبعة لنبيّها صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، وإن كان السلفية يكفّرون جميع أئمة محمّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ من صوفية وقدرية وشيعة، ويمدحون الخوارج الذين سمّاهم النبيّ الأكرم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وسلّم بكلاب النار؛ لأنّ الطيور على أشكالها تقع، وارجع إلى كتاب كشف الشبهات لمحمّد بن عبد الوهّاب لترى ذلك بأمّ عينيك.

وأما النصوص الشرعية فهي: ما أخرجه الطبراني في معجمه الكبير ٩: ٣١ عن عثمان ابن حنيف: «أنّ رجلاً كان يختلف إلى عثمان بن عفّان، فكان عثمان لا يلتفت إليه ولا ينظر إليه فى حاجته، فلقي عثمان بن حنيف فشكى إليه ذلك، فقال: أنت الميضأة فتوضّأ ثمّ صلّ ركعتين ثمّ قل: اللهمّ إني أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمّد نبي الرحمة.

يا محمّد، إني أتوجه بك إلى ربي فى حاجتي لتقضي لي، ثمّ رُح حتّى أروح معك. فانطلق الرجل ففعل ما قال، ثمّ أتى باب عثمان، فجاء البوّاب فأخذ بيده، فأدخله على

.....

❖ عثمان بن عفان فأجلسه على طنفته، فقال: ما حاجتك؟

فذكر له حاجته، فقصى له حاجته وقال: ما ذكرت حاجتك حتى كانت هذه الساعة. ثم خرج من عنده فلقى عثمان بن حنيف فقال: جزاك الله خيراً ما كان ينظر في حاجتي ولا يلتفت إلي حتى كلمته في.

فقال عثمان بن حنيف: والله ما كلمته، ولكن شهدت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقد أتاه ضرير فشكى إليه ذهاب بصره فقال: إن شئت صبرت وإن شئت دعوت لك!

قال: يا رسول الله، إنّه شقّ عليّ ذهاب بصري، وإنّه ليس لي قائد!

فقال: إئت الميضاة فتوضأ وصل ركعتين ثم قل: اللهم إني أسألك..

فقال عثمان بن حنيف: ففعل الرجل ما قال، فوالله ما تفرّقنا ولا طال بنا المجلس حتى دخل علينا الرجل وقد أبصر كأنّه لم يكن به ضرّ قط»  
وقال عقيبه: «والحديث صحيح».

وقال الحافظ تقي الدين السبكي في شفاء السقام ٦١: «إنّ التوسّل بالنبيّ صلى الله عليه وآله وسلم جائز في كلّ حال، قبل خلقه، وبعد خلقه في مدّة حياته في الدنيا، وبعد موته في مدّة البرزخ، وبعد البعث في عرصات القيامة والجنّة وهو على ثلاثة أنواع:

النوع الأول: أن يتوسّل به، بمعنى أنّ طالب الحاجة يسأل الله تعالى به أو بجاهه أو ببركته فيجوز ذلك في الأحوال الثلاثة، وقد ورد في كلّ منها خير صحيح.

أمّا الحالة الأولى قبل خلقه فيدلّ على ذلك آثار الأنبياء الماضين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين اقتصرنا منها على ما تبين لنا صحّته، وهو ما رواه الحاكم أبو عبد الله بن البيّح في المستدرک على الصحيحين أو أحدهما قال: أبو سعيد عمرو بن محمّد بن منصور المعدّل ثنا أبو الحسن محمّد بن إسحاق بن إبراهيم الحنظلي، ثنا أبو الحارث عبد الله بن مسلم الفهري، ثنا إسماعيل بن

❖

➤ مسلمة أنا عبد الرحمن بن زيد بن أسلم، عن أبيه، عن جدّه عن عمر بن الخطّاب رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: لمّا اعترف آدم عليه السلام بالخطيئة قال: يا ربّ، أسألك بحقّ محمّد لما غفرت لي، فقال الله يا آدم، وكيف عرفت محمّداً ولم أخلقه؟! قال: يا ربّ، لأنك لمّا خلقتني بيدك ونفخت فيّ من روحك رفعت رأسي فرأيت على قوائم العرش مكتوباً: لا إله إلاّ الله محمّد رسول الله، فعرفت أنك لم تضيف إليّ اسمك إلاّ أحبّ الخلق إليك، فقال الله: صدقت يا آدم، إنّه لأحبّ الخلق إليّ، إذ سألتني بحقه فقد غفرت لك، ولولا محمّد ما خلقتك.

قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد، وهو أوّل حديث ذكرته لعبد الرحمن بن زيد بن أسلم في هذا الكتاب.

ورواه البيهقي أيضاً في دلائل النبوة وقال: تفرد به عبد الرحمن، وذكره الطبراني وزاد فيه: «وهو آخر الأنبياء من ذريّتك».

وذكر الحاكم مع هذا الحديث أيضاً عن علي بن حمشاذ العدل، ثنا هارون بن العباس الهاشمي، ثنا جندل بن والقي، ثنا عمرو بن أوس الأنصاري، ثنا سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة، عن سعيد بن المسيب، عن ابن عبّاس قال: أوصى الله إليّ عيسى عليه السلام: يا عيسى، آمن بمحمّد وأمر من أدركته من أمّتك أن يؤمنوا به، فلولا محمّد ما خلقت آدم، ولولاه ما خلقت الجنّة والنار، ولقد خلقت العرش على الماء فاضطرب، فكتبت عليه: لا إله إلاّ الله فسكن.

قال الحاكم: هذا حديث حسن صحيح الإسناد ولم يخّرجاه، انتهى ما قاله الحاكم. والحديث المذكور لم يقف عليه ابن تيميّة بهذا الإسناد، ولا بلغه أنّ الحاكم صحّحه، فإنّه قال - أعنى ابن تيميّة - أمّا ما ذكروه في قصّة آدم من توّسّله فليس له أصل ولا نقله أحد عن النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم بإسناد يصلح للاعتماد عليه ولا للاعتبار ولا للاستشهاد ثمّ ادعى ابن تيميّة أنّه كذب. وأطال الكلام في ذلك جدّاً



بما لا حاصل تحته بالوهم والتخرّص، ولو بلغه أنّ الحاكم صحّحه لمأقال ذلك أو لتعرّض للجواب عن وكأنتي به إن بلغه بعد ذلك يطعن في عبد الرحمن بن زيد بن أسلم روي الحديث.

ونحن نقول: قد اعتمدنا في تصحيحه على الحاكم. وأيضاً عبد الرحمن بن زيد بن أسلم لا يبلغ في الضعف إلى الحد الذي ادّعاه، وكيف يحلّ لمسلم أن يتجاسر على منع هذا الأمر العظيم الذي لا يردّه عقل ولا شرع، وقد ورد فيه هذا الحديث...».

ثمّ يقول السبكي: «وأما ما ورد من توّسل نوح وإبراهيم وغيرهما من الأنبياء فذكره المفسّرون واكتفينا عنه بهذا الحديث، بجودته وتصحيح الحاكم له، لا فرق في هذا المعنى بين أن يعبّر عنه بلفظ التوسّل أو الاستغاثة أو التشفّع أو التجوّه والداعي بالدعاء المذكور وما في معناه متوسّل بالنبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم؛ لأنّه جعله وسيلة لإجابة، دعاءه ومستغيث به.. ومستشفع به ومتجوّه به ومتوجّه، فإنّ التّجوّه، والتوجّه راجعان إلى معنى واحد.»

ذكر طائفة من العلماء الذين صرّحوا بجواز التوسّل:

١ - الإمام أحمد بن حنبل: قال: «في الاستسقاء يتوسّل بالنبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم دفع شبه التشبيه ١: ١١٥.

٢ - الإمام مالك بن أنس: فقد ذكر في المناظرة التي جرت بينه وبين أبي جعفر المنصور: «ولم تصرف وجهك عنه وهو وسيلتك ووسيلة أبيك آدم عليه السلام إلى الله تعالى إلى يوم القيامة» الشفا للقاضي عياض ٢: ٤١.

٣ - الإمام الشافعي: فقد ذكروا عنه أنّه قال: «إني لأتبرك بأبي حنيفة وأجيء إلى قبره في كلّ يوم - يعني زائراً - فإذا عرضت في حاجة صليت ركعتين وجئت إلى قبره وسألت الله تعالى الحاجة عنده، فما تبعد عني حتّى تقضى» تاريخ بغداد ١: ١٣٥، حاشية رد المختار ١: ٥٩ وأضاف: «أنّ الشافعي صلّى الصبح عند قبره

❖ فلم يقنت، فقبل له: لم؟

قال: تأديباً مع صاحب هذا القبر».

٤ - ابن مفلح الحنبلي: فقد قال: «ويجوز التوسّل بصالح، وقيل: يستحب» الفروع ١: ٥٩٥.

٥ - البهوتي الحنبلي: فقد قال: «وقال السامري وصاحب التلخيص: لا بأس بالتوسّل في الاستسقاء بالشيوخ والعلماء والمنقّين وقال في المذهب: يجوز أن يستشفع إلى الله برجل صالح، وقيل: يستحب» كشف القناع ٢: ٧٨.

٦ - الشيخ علاء الدين المرادي الحنبلي: قال: «ومنها يجوز التوسّل بالرجل الصالح على الصحيح من المذهب، وقيل يستحب».

ونقل عن أحمد بن حنبل في منسك المروزي: يتوسل بالنبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم في دعائه، وجزم به في المستوعب وغيره..» الإنصاف ٢: ٤٥٦.

٧ - إبراهيم الحربي: قال: قبر معروف، الترياق المجرب» تاريخ بغداد ١: ١٣٤ وعلّق عليه الذهبي في السير ٩: ٣٤٣: «يريد إجابة دعاء المضطرّ عنده، لأن البقاع المباركة يستحب عندها الدعاء».

٨ - ابن حبان البستي: قال في ترجمة الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام: «وقبره بسناباذ خارج النوقان مشهور يزار بجانب قبر الرشيد، قد زرته مراراً كثيرة، وما حلّت بي شدّة في وقت مقامي بطوس فزرت قبر علي بن موسى الرضا صلوات الله على جدّه وعليه ودعوت الله إزالتها عني إلا استجيب لي وزالت عني تلك الشدّة».

وهذا شيء جرّبته مراراً فوجدته كذلك» الثقات ٨: ٤٥٧.

٩ - أبو علي الخلال قال: «ما همّني أمر فقصدت قبر موسى بن جعفر فتوسّلت به إلا سهّل الله تعالى لي ما أحبّ» تاريخ بغداد ١: ١٣٢.

١١ - الفقيه أبو الحسين عبد الله بن محمّد: قال: «ما وقعت في ورطة قط، ولا عرض

في بيتي بعض المرديدين، فنحبي سهراتٍ منتظمة ونقيم العمارة<sup>(١)</sup>.  
وبدأ الجيران يتذمرون من الأصوات المزعجة التي تُبعث من حناجرنا بذكر  
(آه)، ولكنهم لا يجاهرون لي بذلك غير أنهم يشكون لزوجتي عن طريق نساءهم،  
ولما علمت بذلك طلبت من المجموعة أن يقيموا الحلقات في أحد منازلهم، واعتذرت  
بأنني سوف أسافر إلى الخارج لمدة ثلاثة أشهر... وودّعت الأهل والأقارب  
وقصدت ربّي متوكلاً عليه، لا أشرك به شيئاً.

---

☞ لي أمر مهم فقصدت قبر أبي الوليد وتوسّلت به إلى الله عزّ وجلّ إلا استجاب  
لي «الأنساب للسمعاني ٤: ٤٧٨.

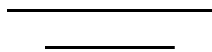
١٢ - السمعاني صاحب الأنساب: قال في ترجمة إسحاق بن إبراهيم الإسفراييني:  
«والناس يتبركون به ويزورونه، ويستجاب عنده الدعوة، زرت قبره،  
بإسفرايين..» الأنساب ١: ١٤٤.

إلى غير ذلك من الكلمات الكثيرة المصرّحة بالقول والفعل بجواز التوسّل بالنبيّ  
صلّى الله عليه وآله وسلّم وزيارة قبره والدعاء عنده، وأنّه باب الله الذي منه  
يؤتى، وبالتوجّه به يتقبل الله الأعمال والدعوات فرسول الله صلّى الله عليه وآله  
وأهل بيته والصالحين يجوز التوسّل بهم والتقرب إلى الله تعالى بحبهم.

(١) العمارة: هي الحلقة التي يذكر فيها اسم الصدر في شطحات منتظمة (المؤلف).



# الرحلة الموفقة





## في مصر

لم تطل إقامتي في طرابلس - عاصمة ليبيا - إلا بقدر ما حصلت على تأشيرة من السفارة المصرية للدخول إلى أرض الكنانة. وقد التقيت بعض أصدقائي هناك فأعانوني شكر الله سعيهم، وفي طريقي إلى القاهرة - وهو طريق طويل يدوم ثلاثة أيام بلياليها - كنت في سيارة أجرة جمعتني بأربعة مصريين عاملين في ليبيا وعائدين إلى وطنهم، وخلال السفر كنت أحدثهم وأقرأ لهم القرآن، فأحبوني ودعاني كل منهم للنزول عنده، وتخيّرت من بينهم من ارتاحت نفسي إليه لورعه وتقواه اسمه أحمد، وأولاني من الضيافة والقبول ما هو أهل له جزاه الله.

وأضيت عشرين يوماً بالقاهرة زرت خلالها الموسيقار فريد الأطرش في عمارته على النيل، فقد كنت معجباً به لما قرأته عن أخلاقه وتواضعه في مجلات مصرية تباع عندنا في تونس، ولم يكن حظّي منه سوى عشرين دقيقة، لأنه كان خارجاً للمطار ليسافر إلى لبنان.

وزرت الشيخ عبد الباسط محمد عبد الصمد المجوّد الشهير، وكنت معجباً به أشدّ الإعجاب، بقيت معه ثلاثة أيام كان النقاش خلالها مع أقاربه وأصدقائه في مواضيع متعددة.

وكانوا يعجبون لحماسي وصراحتي وكثرة اطلاعي، فإذا تحدّثوا عن الفن

غنيّة، وإذا تحدّثوا عن الزهد والتصوّف ذكرت لهم بأنّي من الطريقة التيجانيّة والمدنيّة أيضاً، وإذا تحدّثوا عن الغرب حكيت لهم عن باريس ولندن وبلجيكا وهولندا وإيطاليا وإسبانيا التي زرتها خلال العطل الصيفية، وإذا تحدّثوا عن الحجّ فاجأتهم بأنّي حججت، وإنّي ذاهب إلى العمرة، وحكيت لهم عن أماكن لا يعرفها حتّى الذي حجّ سبع مرّات، كغار حراء، وغار ثور، ومذبح إسماعيل، وإذا تحدّثوا عن العلوم والاختراعات أشفيت غليلهم بالأرقام والمصطلحات.

وإذا تحدّثوا عن السياسة أفحمتهم بما عندي من آراء قائلاً: «رحم الله الناصر صلاح الدّين الأيوبي الذي حرم على نفسه التّبسم فضلاً عن الضحك، وعندما لامه الناس المقربون إليه وقالوا له: كان رسول الله ﷺ لا يرى إلاّ باسم الثغر، أجابهم: كيف تريدون منّي أن أتبسم والمسجد الأقصى يحتله أعداء الله، لا والله لن أتبسم حتّى أحرّره أو أهلك دون ذلك».

وكان شيوخ من الأزهر يحضرون تلك الجلسات، ويعجبون لما أحفظ من أحاديث وآيات، وما أملكه من حجج دامغة، فكانوا يسألونني عن الجامعة التي تخرّجت منها، فأفخر بأنّي من خريجي جامعة الزيتونة، وهي تأسست قبل الأزهر الشريف، وأضيف بأنّ الفاطميين الذي أسسوا الأزهر انطلقوا من مدينة المهديّة بتونس.

كذلك تعرّفت في جامعة الأزهر الشريف على العديد من العلماء الأفاضل الذين أهدوني بعض الكتب، وكنت يوماً ما في مكتب أحد المسؤولين عن شؤون الأزهر، إذ أقبل أحد أعضاء مجلس قيادة الثورة المصرية، ودعاه لحضور تجمع المسلمين والأقباط في أكبر الشركات المصرية للسكك الحديدية بالقاهرة، على أثر أعمال تخريبية وقعت بعد حرب حزيران، فأبى أن يذهب إلاّ وأنا معه، وجلست في منصّة الشرف بين العالم الأزهري والأب شنودة، وطلبوا منّي إلقاء كلمة في



الحاضرين، ففعلت بكل سهولة لما تعودته من إلقاء المحاضرات في المساجد واللجان الثقافية في بلادي.

والمهم من كل ما حكيت في هذا الفصل هو أن شعوري بدأ يكبر، وركبني بعض الغرور، وظننت فعلاً بأنني أصبحت عالماً، كيف لا وقد شهد لي بذلك علماء الأزهر الشريف، ومنهم من قال لي: يجب أن يكون مكانك هنا في الأزهر.

ومما زادني فخراً واعتزازاً بالنفس أن رسول الله ﷺ أذن لي في الدخول لرؤية مخلصاته، حسب ما ادّعاه المسؤول عن مسجد سيدنا الحسين بالقاهرة، وقد أدخلني منفرداً إلى حجرة لا تفتح إلا إذا فتحها هو، وأغلق الباب خلفي، وفتح الخزانة، وأخرج لي قميص رسول الله ﷺ، فقبلته وأراني بعض المخلصات الأخرى، وخرجت من عنده باكباً متأثراً على عناية الرسول بي شخصياً، وخصوصاً أن هذا المسؤول لم يطلب مني نقوداً، بل امتنع وأخذ مني شيئاً بسيطاً بعد إلحاحي، وهنأني مبشراً بأنني من المقبولين عند حضرة الرسول الأكرم.

وربما أثر هذا الحادث في نفسي، وجعلني أفكر ملياً عدة ليال فيما يقوله الوهابيون: من أن الرسول مات وانتهى أمره كغيره من الأموات، فلم أرتح لهذه الفكرة، بل وتيقنت تفاهة هذا الاعتقاد.

فإذا كان الشهيد الذي يقتل في سبيل الله، ليس بميت بل هو حي يرزق عند ربه، فكيف بسيد الأولين والآخرين، وزاد هذا الشعور قوة ووضوحاً ما تلقينته في سابق حياتي من تعاليم الصوفية الذين يعطون لأوليائهم وشيوخهم صلاحية التصرف والتأثير في مجريات الأمور، ويعترفون بأن الله وحده هو الذي أعطاهم هذه الصلاحية، لأنهم أطاعوه سبحانه ورجبوا فيما عنده، ألم يقل في حديث قدسي: «عبدني أطعني تكن مثلي تقل للشيء كن فيكون»<sup>(١)</sup>.

(١) جواهر الكلام ٢٢: ٨٥، الفوائد الرجالية لبحر العلوم ١: ٣٩، الجواهر السننية للحر العاملي: ٣٦١، بالألفاظ متقاربة.

بدأ الصراع الداخلي يتجاذبني، وأنهيت إقامتي في مصر بعد أن قمتُ خلال الأيام الأخيرة بزيارة المساجد المتعددة، وصليت في جميعها من مالك لأبي حنيفة إلى مسجد الشافعي وأحمد بن حنبل، ثم إلى السيدة زينب وسيدنا الحسين، كما زرت زاوية التيجانية، ولي في ذلك حكايات طويلة يطول شرحها، وقد رمت الاختصار.

## لقاء في الباخرة

وسافرت إلى الاسكندرية في اليوم المقرّر حسب حجز المكان في الباخرة المصرية التي تسافر إلى بيروت، ووجدت نفسي مرهقاً متعباً جسدياً وفكرياً، وأنا ملقى على السرير المخصّص لي، فنمت قليلاً وكانت الباخرة قد أبحرت منذ ساعتين أو ثلاثة، واستيقظت على صوت مجاوري وهو يقول: « يبدو أن الأخ متعبٌ »؟ قلت: نعم، أتعبني السفر من القاهرة إلى الاسكندرية، وقد بكرت للوصول على الموعد، فلم أنم البارحة إلا قليلاً.

وفهمت من لهجته أنه غير مصري، ودفعتني فضولي كعادي إلى أن أتعرّف عليه، فعرفته نفسي وعرفت أنه عراقي، وهو أستاذ في جامعة بغداد اسمه (منعم)، وقد جاء إلى القاهرة لتقديم أطروحة الدكتوراه في الأزهر.

وبدأنا الحديث عن مصر، وعن العالم العربي والإسلامي، وعن هزيمة العرب وانتصار اليهود، والحديث ذو شجون، قلت في معرض كلامي: إن سبب الهزيمة هو انقسام العرب والمسلمين إلى دويلات وإلى طوائف ومذاهب متعدّدة، ورغم كثرة عددهم فلا وزن لهم ولا اعتبار في نظر أعدائهم.

وتكلّمنا كثيراً عن مصر والمصريين، وكنا متفقين على أسباب الهزيمة، وأضفت بأنني ضدّ هذه الانقسامات التي ركّزها الاستعمار فينا ليسهل عليه احتلالنا وإذلالنا، ونحن ما زلنا نفرّق بين المالكية والأحناف، ورويت له قصّة مؤسفة وقعت لي عندما دخلت إلى مسجد أبي حنيفة في القاهرة، وصليت معهم صلاة العصر

جماعة، فما راغني بعد الصلاة إلا والرجل الذي كان قائماً بجانبني يقول لي في غضب :  
« لماذا لا تكتف يدك في الصلاة »؟ فأجبت بأدب واحترام أن المالكية يقولون  
بالسدل وأنا مالكي، فقال لي : « إذهب إلى مسجد مالك وصل هناك »، فخرجت  
مستاءً ناقماً على هذا التصرف الذي زادني حيرة على حيرتي.

وإذا بالأستاذ العراقي يتسم ويقول لي إنه هو الآخر شيعي، فاضطربت لهذا  
النبا وقلت غير مبال : لو كنت أعلم أنك شيعي لما تكلمت معك!  
قال : ولماذا؟

قلت : لأنكم غير مسلمين، فأنتم تعبدون علي بن أبي طالب، والمعتدلون  
منكم يعبدون الله<sup>(١)</sup>، ولكنهم لا يؤمنون برسالة النبي محمد ﷺ، ويشتمون جبرائيل،

(١) أحمد أمين: فجر الإسلام: ٢٦٩، يذكر فيه تأليه الغلاة من الشيعة لعلي ﷺ،  
ويذكر أسباب ذلك.

وقد حاول عثمان الخميس في كتابه كشف الجاني: ٤٨ المغالطة فذكر أن أحمد أمين  
ذكر الشيعة الاثني عشرية ولم ينسب لها القول بالوهية علي!!  
وهذا الكلام من عثمان الخميس فيه تلبيس وتمويه على القارئ؛ لأن أحمد أمين ذكر  
الشيعة عموماً، ثم قسّمهم في كتابه إلى مغالين وغير مغالين، وذكر بأن المغالين  
يقولون بالوهية علي بن أبي طالب ﷺ.

وبعد أن ذكر أحمد أمين مفهوم كلمة الشيعة وكيفية نشأتها بين فرق الشيعة وأن  
منهم الاثني عشرية. فذكره الاثني عشرية وعدم اتهامهم لهم بعبادة علي بن أبي  
طالب لا ينافي ذكره لعموم الشيعة وأنّ منهم المغالي وغير المغالي، وهذه  
مغالطة من عثمان الخميس.

ومنعم ذكر للتيجاني أنه شيعي، ولم يقل له أنا شيعي واثنى عشري، ومجرد أن  
سمع التيجاني لفظ الشيعي اتهمه بأنّ بعضهم يعبدون علياً، وأن أحمد أمين ذكر

❦ ذلك في كتابه وإليك عبارة أحمد أمين قال: «ولم يكتفِ غلاة الشيعة بهذا القدر في علي، ولم يفتنوا بأنه أفضل الخلق بعد النبي، وأنه معصوم، بل ألوهه، فمنهم من قال...» فجر الإسلام: ٢٦٩.

فلا يوجد كذب في كلام المؤلف، وإنما التمويه والتلاعب بالألفاظ في كلام عثمان الخميس.

مضافاً إلى أن عموم أهل السنة يجهلون الشيعة جهلاً مطلقاً، ويجهلون فرق الشيعة وطوائفهم وعقائدهم التي يعتقدونها ويدينون بها، وهذا بين في علماء أهل السنة فضلاً عن عوامهم أو مثقفيهم الذين لم يطلعوا على المذاهب والفرق وكيفية نشأتها وفرقها ومعتقداتها، فهذا عثمان الخميس وهو يدعي أنه متخصص في دراسة المذاهب الإسلامية وخصوصاً الشيعة من يطالع أبحاثه أشرطته يراه شديد الجهل بالشيعة ومذاهبهم وطوائفهم فضلاً عن عقائدهم، فهاهو في كتابه كشف الجاني - بغض النظر عن التدليس والكذب الذي حواه أو استدعاه أسلوب الرد على أتباعه - تراه ينسب إلى الشيعة أشياء ما أنزل الله بها من سلطان، ولم تقلها الشيعة ولم تعتقد بها، ومثلاً على جهله ما ذكره حول منع تسليم أبي بكر فدك لفاطمة سلام الله عليها فقال عثمان الخميس: بأن الشيعة ترى أن المرأة لا تورث فكيف تطالب فاطمة بإرثها من أبيها!!

وهذا من المضحكات، لأن الشيعة لا تقول بأن المرأة لا ترث من العقار وإنما تقول بأن الزوجة لا ترث من العقار - على خلاف في ذلك -، واما البنت فهي ترث من كل ما ترك أبيها، وفاطمة سلام الله عليها هي بنت النبي الأكرم ﷺ فهي ترث من أبيها من كل ما ترك، ومن تركته فدك!!

فاذا كان هذا حال الباحث المتخصص فما بالك بعوام السنة ومثقفهم الذين ليس لهم باع في ذلك؟! فإن جهلهم كبير وعدم اطلاعهم واضح، والتيجاني لم يكن يعرف عن الشيعة شيئاً وإنما كان صاحب معلومات عامة أخذها من أحمد أمين

ويقولون بأنه خان الأمانة، فبدلاً من أداء الرسالة إلى عليّ أداها إلى محمّد<sup>(١)</sup>، واسترسلت في مثل هذه الأحاديث، بينما كان مرافقي يتسم حيناً ويحوقل<sup>(٢)</sup> أحياناً.

ولمّا أنهيت كلامي سألتني من جديد: أنت أستاذ تدرّس الطلاب؟

قلت: نعم.

قال: إذا كان تفكير الأساتذة بهذا الشكل، فلا لوم على عامّة الناس الذين لا

ثقافة لهم!

قلت: ماذا تقصد؟

أجاب: عفواً ولكن من أين لك هذه الادّعاءات الكاذبة؟

قلت: من كتب التاريخ، وممّا هو مشهور عند الناس كافّة.

قال: لنترك الناس كافّة، ولكن أيّ كتاب تاريخ قرأت؟ بدأت أعدّد بعض

الكتب، مثل كتاب فجر الإسلام، وضحي الإسلام، وظهر الإسلام لأحمد أمين وغيرها.

قال: ومتى كان أحمد أمين حجّة على الشيعة؟

وأضاف: إنّ مقتضى العدل والموضوعيّة أن تتبيّن الأمر من مصادرهم

➤ وغيره، فلذلك عندما سمع باسم الشيعة قال بأنّ الشيعة غلاة، وأنهم يؤمنون

بعبادة عليّ<sup>عليه السلام</sup> وخيانة جبرئيل وغير ذلك، فما حاول عثمان الخميس ذكره

أوقعه في متاهات ظلماء، وتخبّطات عمياء نسأل الله السلامة منها!

(١) أحمد أمين - ضحي الإسلام ١: ٣٣٥، يورد رواية عن العقد الفريد فيها كلام

للشعبي في ذمّ الرافضة، قال فيها: «... اليهود تنتقص جبريل وتقول هو عدوّنا

من الملائكة، وكذلك الرافضة تقول: غلط جبريل في الوحي إلى محمّد بترك علي

ابن أبي طالب» وتجده أيضاً في أعيان الشيعة ١: ٥٩.

(٢) حوقل، يحوقل: يكثر من قول: «لا حول ولا قوة إلا بالله العليّ العظيم» (المؤلف).

### الأصلية المعروفة.

قلت : وكيف لي أن أتبين في أمر معروف لدى الخاصّ والعام!  
قال : إنَّ أحمد أمين نفسه زار العراق، وكنت من بين الأساتذة الذين التقوا به  
في النجف، وعندما عاتبناه على كتاباته عن الشيعة اعتذر قائلاً : إني لا أعلم عنكم  
أي شيء، وأني لم أتصل بالشيعة من قبل، وهذه أول مرة ألتقي فيها بالشيعة<sup>(١)</sup>.  
قلنا له : ربّ عذر أقبح من ذنب، فكيف لا تعرف عنّا أيّ شيء ومع ذلك  
تكتب عنّا كلّ شيء قبيح؟!!

ثمّ أضاف قائلاً : يا أخي، نحن إذا حكمنا بخطأ اليهود والنصارى من خلال  
القرآن الكريم، وإن كان هو عندنا الحجّة البالغة بالنسبة لنا، فهم لا يعترفون به،  
وتكون الحجّة أقوى وأبلغ عندما نبين خطأهم من خلال كتبهم التي يعتقدونها،  
وذلك من باب : « وشهد شاهد من أهلها ».

نزل كلامه هذا على قلبي نزول الماء الزلال على قلب العطشان، ورأيتني

---

(١) زار أحمد أمين العراق عام ١٩٣١، ويذكر رحلته هذه في كتابه: «حياتي: ٢٢٧»،  
ويذكر أنّه زار قبر أبي حنيفة والإمام الكاظم والإمام الجواد عليهم السلام، وزار النجف  
وكربلاء، والتقى بعلماء الشيعة منهم الشيخ كاشف الغطاء، حيث اعترض عليه  
الشيخ بأنّه عند حديثه عن الشيعة ينقل عن خصومهم، وقال أيضاً في ص ٢٣٠:  
«والحقّ أنّي لا أحمل تعصباً لسنة ولا شيعة، ولقد نقدت من مذاهب أهل السنة ما  
لا يقل عن نقدي لمذهب الشيعة، وأعليت من شأن المعتزلة بعد أن وضعهم  
السنّيون في الدرك الأسفل»

وعلى كلّ حال أثّرت هذه السفارة في أحمد أمين، ولذا لا نرى ذلك الهجوم على  
الشيعة في كتابه «ضحى الإسلام» بل حاول البحث عن الشيعة بموضوعية  
أكثر، وإن لم يكن موفقاً في ذلك.

أتحول من ناقد حاقد إلى باحث فاقده، لأنني أحسست بمنطق سليم و حجّة قويّة، وما عليّ لو تواضعت قليلاً وأصغيت إليه!

قلت له : أنت إذا ممّن يعتقدون برسالة نبينا محمد ﷺ؟

أجاب : وكلّ الشيعة مثلي يعتقدون ذلك، وما عليك يا أخي إلا أن تتحقّق من ذلك بنفسك حتّى تكون على بينة من الأمر، ولا تظنّ بإخوانك الشيعة الظنونا لأن ﴿بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾<sup>(١)</sup>.

وأضاف قائلاً : وإذا كنت فعلاً تريد معرفة الحقيقة وتطلّع عليها بعينيك ويستيقن بها قلبك، فأنا أدعوك لزيارة العراق والاتّصال بعلماء الشيعة وعوامهم، وستعرف عند ذلك أكاذيب المغرضين والحاquدين.

قلت : إنّها أمنيّتي أن أزور العراق في يومٍ من الأيام، وأتعرّف على آثارها الإسلامية المشهورة التي خلفها العبّاسيون وعلى رأسهم هارون الرشيد، ولكن.

أولاً : إمكانيّاتي المادية محدودة وقد ربّبتها لأداء العمرة.

ثانياً : إنّ جواز السفر الذي أحمله لا يسمح لي بالدخول للعراق.

قال : أولاً : عندما قلت لك أدعوك لزيارة العراق فذلك يعني أنّي أتكفّل بتغطية نفقات سفرك من بيروت إلى بغداد ذهاباً وإياباً، وإقامتك بالعراق ستكون معي في بيتي فأنت ضيفي.

وثانياً : بالنسبة للجواز الذي لا يسمح لك بالدخول للعراق، فلنترك ذلك إلى الله سبحانه وتعالى، فإذا قدرّ لك أن تزور فسوف يكون ذلك حتّى بدون جواز سفر، سوف نحاول الحصول على تأشيرة للدخول فور وصولنا إلى بيروت.

(١) سورة الحجرات: ١٢.



فرحت كثيراً بهذا العرض، ووعدت صاحبي بأن أرد عليه الجواب غداً إن شاء الله تعالى.

خرجت من غرفة النوم وصعدت إلى سطح الباخرة أتنفس الهواء الجديد، وأنا أفكر تفكيراً جديداً، وعقلي شارده في البحر الذي ملاً الآفاق، وأسبح بحمد ربّي الذي خلق الأكوان، وأحمده وأشكره على أن أوصلني إلى هذا المكان، وأسأله سبحانه وتعالى أن يحميني من الشرّ وأهله، ويحفظني من الزلل والخطأ.

وسرح تفكيري وأنا أستعرض شريطاً أمام عينيّ للأحداث التي عشتها، والسعادة التي تذوقتها من طفولتي إلى ذلك اليوم، وأحلم بمستقبل أفضل، وأشعر كأنّ الله ورسوله يحيطانني بعناية خاصّة، فالتفت صوب مصر التي ما زالت بعض شواطئها تتراءى من حين لآخر، مودّعاً تلك الأرض التي فيها قبّلت قميص رسول الله ﷺ، وهي أعزّ ما بقي عندي من تلك الذكريات التي عشتها في مصر، وعدت أستعرض كلام الشيعي الجديد الذي أدخل عليّ فرحاً كبيراً لتحقيق حلم كان يراودني منذ صغري ألا وهو زيارة العراق، تلك البلاد التي رسمها في ذهني بلاط الرشيد والمأمون مؤسس دار الحكمة التي كان يقصدها طلاب العلوم المختلفة من الغرب أيام ازدهار الحضارة الإسلامية.

أضف إلى ذلك فهي بلاد القطب الربّاني والشيخ الصمداني سيدي عبد القادر الجيلاني، الذي ملاً صيته الأقطار كلّها، ودخلت طريقته كلّ قرية، وعلت همّته كلّ همّة، فها هي عناية جديدة من الله لتحقيق هذا الحلم.. وبدأت أتخيّل وأسبح في بحر الخيال والآمال حتّى أيقظني مذياع الباخرة وهو ينادي المسافرين إلى التوجّه للمطعم لتناول العشاء.

ذهبت صوب المكان المذكور فإذا الناس يتزاحمون كعادتهم في كلّ تجمّع،

وكلّ واحد يريد الدخول قبل غيره، وكثر الصياح والهرج، وإذا بالشيوعي يمسك بثوبي ليسحبني بلطف إلى الخلف وهو يقول: تعال يا أخي لا تتعب نفسك، فسوف نأكل فيما بعد بدون زحمة، وقد فتشت عنك في كل مكان، ثم سألني: هل صليت؟ قلت: لم أصل بعد.

فقال: إذا تعال نصلي ثم نأتي للأكل، وقد خلص هؤلاء من الزحام والصياح. استحسنت رأيه وصاحبته إلى مكان خال من الناس حيث توضّأت وقدمته ليصلي إماماً قصد اختباره كيف يصلي عليّ أن أعيد صلاتي فيما بعد، وما إن أقام الصلاة لأداء فريضة المغرب واسترسل في القراءة والدعاء حتّى غيرت رأبي، وتخيلت بأنّي مأموّمٌ بأحد الصحابة الكرام الذين أقرأ عنهم وعن ورعهم وتقواهم، وبعد فراغه من الصلاة، أطال الدعاء ولم أسمع قبلاً هذه الأدعية في بلادنا ولا في البلاد التي عرفتها، وكنت أطمئنّ وأرتاح كلّما سمعته يصلي عليّ محمّد وآله ويشني عليه بما هو أهله.

بعد الصلاة لاحظت في عينيه أثر البكاء كما سمعته يدعو الله أن يفتح بصيرتي ويهديني .

اتجهنا إلى المطعم وقد بدأ يخلو من الآكلين، ودخلنا فلم يجلس حتّى أجلسني وجيء لنا بصحنين من الأكل، فرأيتّه يغيّر صحنه بصحني لأنّ نصيبي من اللحم كان أقلّ من نصيبه، وأخذ يلحّ عليّ وكأني ضيفه، ويلاطفني ويروي لي روايات لم أسمعها من قبل تخصّ الأكل والشرب وآداب المائدة.

وأعجبت بأخلاقه، وصلى بنا صلاة العشاء<sup>(١)</sup> وأطالها بالدعاء حتّى أبكاني

---

(١) ذكر عثمان الخميس في كشف الجاني: ٥٠ أنّ الشيعة عندها أوقات الصلاة

☞ ثلاثة، وعليه فإمّا أن يكون التيجاني كاذباً في كلامه، أو أن منعماً استخدم التقية مع التيجاني ففصل بين صلاة المغرب والعشاء!!  
وهذا الكلام ينم عن جهل عثمان الخميس بالمذهب الشيعي؛ لأنّ الشيعة تجوّز الجمع بين الصلاتين والفصل بينهما، ولا توجب الجمع بين الصلاتين، وعلى هذا فمنعماً عندما فصل بين الصلاتين لم يستخدم التقية، وإنّما فعل فعلاً جائزاً، بل مستحبّاً؛ لأنّ الفصل بين الصلاتين مستحبّ في المذهب الشيعي، وإليك كلمات العلماء في ذلك:

قال الشيخ النائيني في كتابه الصلاة ٢: ٢٣: «ثُمَّ إِنَّ الْجَمْعَ بَيْنَ الصَّلَاتَيْنِ تَارَةً يَكُونُ أَفْضَلَ مِنَ التَّفْرِيقِ كَمَا فِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ وَعُرْفَةٌ بِالنِّسْبَةِ إِلَى الظُّهْرَيْنِ، وَالْمَزْدَلْفَةُ بِالنِّسْبَةِ إِلَى الْعِشَاءَيْنِ، غَايَتُهُ أَنَّ فِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ وَيَوْمِ عُرْفَةٍ يَسْتَحَبُّ فِعْلُ الثَّانِيَةِ فِي وَقْتِ الْأُولَى، وَفِي الْمَزْدَلْفَةِ يَسْتَحَبُّ فِعْلُ الْأُولَى وَهِيَ الْمَغْرَبُ فِي وَقْتِ الثَّانِيَةِ. وَأُخْرَى يَكُونُ التَّفْرِيقُ أَفْضَلَ كَمَا فِي سَائِرِ الْأَيَّامِ إِنْ يَسْتَحَبُّ تَفْرِيقَ الصَّلَوَاتِ عَلَى أَوْقَاتِهَا...».

وقال السيّد شرف الدين في كتابه مسائل فقهية: ٩: «الجمع بين الصلاتين: لا خلاف بين أهل القبلة من أهل المذاهب الإسلامية كلّها في جواز الجمع بعرفة وقت الظهرين الفريضتين الظهر والعصر. وهذا في اصطلاحهم جمع تقديم. كما لا خلاف بينهم في جواز الجمع في المزدلفة وقت العشاء بين الفريضتين المغرب والعشاء.»

ومحل النزاع هنا إنّما هو في جواز الجمع بين الفريضتين بأدائهما معاً في وقت أحدهما تقديماً على نحو الجمع بعرفة، أو تأخير على نحو الجمع بالمزدلفة. وقد صدع الأئمة من آل محمد ﷺ بجوازه مطلقاً، غير أنّ التفريق أفضل، وتبعهم في هذا شيعتهم في كلّ عصر ومصر.»

وقال السيد الحكيم في المستمسك ٥: ٩٦: «في الذكرى: إنّهُ كما من مذهب الإمامية

وسألت الله سبحانه أن يغيّر ظنّي فيه لأنّ بعض الظنّ إثمٌ، ولكن من يدري؟!  
ونمت أحلم بالعراق وألف ليلة وليلة، واستيقظت على نداءه يوقظني لصلاة  
الفجر، وصلينا وجلسنا نتحدث عن نعم الله.  
ورجعنا للنوم ثانية، ولما أفقت وجدته جالسا على سريره وفي يده مسبحة  
وهو يذكر الله، فارتاحت له نفسي، واطمأن له قلبي، واستغفرت ربّي.  
كنا نتغذى في المطعم عندما سمعنا المذيع يعلن عن اقتراب الباخرة من

---

➤ جواز الجمع بين الصلاتين مطلقاً، علم منه استحباب التفريق بينهما». وقال السيّد الخوئي في كتاب الصلاة ١: ٣٢١: «والمتحصل إلى هنا أنّه لم يدلنا أي دليل على المنع عن الجمع بين الصلاتين جمعاً تكوينياً خارجياً، أعني مجرد الاتصال بينهما، وإن كان استحباب التفارقة بين الصلاتين هو المشهور عند الأصحاب».

وقال السيّد كاظم اليزدي في العروة ٢: ٢٦١: «مسألة ٧: يستحبّ التفريق بين الصلاتين المشتركين في الوقت كالظهرين والعشائين...». وقال الشيخ كاشف الغطاء في كشف الغطاء ١: ٢٢٣: «يستحبّ التفريق بين الظهرين والعشائين...».

وقال الشيخ محمّد أمين زين الدين في كتابه كلمة التقوى ١: ٢٩٥: «المسألة ٢١: يستحبّ التفريق بين الظهر والعصر، وبين المغرب والعشاء...».

إلى غير ذلك من الكلمات المشهورة على السنة فقهاء الشيعة. ومن هذا وغيره تستغرب من عثمان الخميس وأمثاله عندما يأتي ويناقش مذهباً من المذاهب ويشوّه صورته، ويلقّق عليه التهم والأباطيل، وهو لا يفهم شيئاً من ذلك المذهب ولم يعرفه حقّ المعرفة كما رأيتُه هنا، فلم يفرق بين جواز الجمع بين الصلاتين وبين وجوب الجمع بينهما؛ فالمذهب الشيعي قائل بالأوّل، وهو جواز الجمع لا وجوب الجمع، فلا موطن للتقية ليستخدمها منعم مع التيجاني.

الشواطئ اللبنانية، وسوف نكون في ميناء بيروت بحول الله بعد ساعتين، سألني هل فكرت ملياً وماذا قررت؟

قلت : إذا سهّل الله سبحانه الحصول على تأشيرة الدخول فلا أرى مانعاً، وشكرته على دعوته.

نزلنا في بيروت حيث أمضينا تلك الليلة، ومن بيروت سافرنا إلى دمشق حيث اتجهنا فور وصولنا إليها إلى سفارة العراق، وحصلت على التأشيرة بسرعة مذهلة لم أتصوّرها، وخرجنا من هناك وهو يهنئني ويحمد الله على إعانتة.



زيارة

العراق لأول مرّة

---

---





## زيارة العراق لأول مرّة

سافرنا من دمشق إلى بغداد في إحدى سيارات شركة النجف العالميّة الضخمة المكيّفة، وكانت الحرارة تبلغ أربعين درجة مئويّة في بغداد، عندما وصلنا اتجهنا فوراً إلى بيته في حيّ جميلة بمنطقة العقال، دخلت البيت المكيّف واسترحت، ثمّ جاءني بقميص فضفاض يسمّونه « دسداشة ».

أحضر الفاكهة والأكل ودخل أهله يسلمون عليّ في أدب واحترام، وكان والده يعانقني وكأنّه يعرفني من قبل، أمّا والدته فوقفت بالباب في عباءة سوداء تسلّم وترحّب، واعتذر صديقي عن والدته بأنّ المصافحة عندهم محرّمة، وأعجبت أكثر وقلت في نفسي: هؤلاء الذين نتّهمهم نحن بالخروج عن الدّين يحافظون عليه أكثر ممّا.

وقد لمست خلال أيام السفر التي قضيتها معه نبل أخلاق، وعزّة نفس في كرامة وشهامة، وتواضع وورع لم أعهده من قبل، وشعرت بأنّي لست غريباً وكأنّي في بيتي.

صعدنا في الليل إلى سطح الدار حيث فرشت لنا أماكن للنوم، وبقيت حتّى ساعة متأخرة أهذي أفي حلم أنا أم في يقظة، أحقّ أنّي في بغداد بجوار سيدي عبد القادر الجيلاني.

ضحك صديقي متسائلاً: ماذا يقول التونسيون عن عبد القادر الجيلاني؟ وبدأت أحكي له عن الكرامات التي تروى عندنا، وعن المقامات التي تشيّد في

ربوعنا باسمه، وأنه قطب الدائرة، وكما أن محمّد رسول الله هو سيّد الأنبياء، فعبد القادر هو سيّد الأولياء، وقدمه على رقة كلّ الأولياء، وهو القائل: «كلّ الناس يطوف بالبيت سبعاً، وأنا البيت طائف بخيامي».

وحاولت إقناعه بأن الشيخ عبد القادر يأتي إليّ بعض مرّيه ومحبيه جهرة، ويعالج أمراضهم، ويفرّج كربتهم، ونسيت أو تناسيت العقيدة الوهابية التي تأثرت بها من أن ذلك كلّه شرك بالله، ولما شعرت بعدم حماس صديقي حاولت أقناع نفسي بأن ما قلته لا يصحّ، وسألته عن رأيه.

قال صديقي وهو يضحك: نم الليلة واسترح من التعب الذي لقيته في السفر، وغداً إن شاء الله سنزور الشيخ عبد القادر، وطرت فرحاً لهذا الخبر ووددت لو طلع الفجر وقتئذٍ، ولكنّ التعب أخذ مني مأخذه، فنمت نوماً عميقاً حتّى طلعت عليّ الشمس وفاتتني الصلاة، وأعلمني صديقي بأنّه حاول إيقاظي مرّات عديدة دون جدوى، فتركتني حتّى أرتاح.

## عبد القادر الجيلاني<sup>(١)</sup> وموسى الكاظم<sup>(٢)</sup>

(١) الشيخ عبد القادر الجيلاني: ترجمه غير واحد، قال الذهبي في سير أعلام النبلاء ٣٠: ٤٣٩: «الشيخ عبد القادر: الشيخ الإمام العالم الزاهد العارف القدوة، شيخ الإسلام، علم الأولياء محيي الدين، أبو محمد، عبد القادر بن أبي صالح بن عبد الله بن جنكي دوست الجيلي الحنبلي، شيخ بغداد. مولده بجيلان في سنة إحدى وسبعين وأربعمائة.

وقدم بغداد شاباً، فتفقه على أبي سعيد المخرمي، وسمع من: أبي غالب الباقلاني، وأحمد بن المظفر بن سوس، وأبي القاسم بن بيان، وجعفر بن أحمد السراج، وأبي سعد بن خشيش وأبي طالب اليوسفي، وطائفة. حدّث عنه: السمعاني، وعمر بن علي القرشي، والحافظ عبد الغني، والشيخ موفق الدين بن قدامة.

قال السمعاني: كان عبد القادر من أهل جيلان، إمام الحنابلة وشيخهم في عصره، فقيه صالح دين خير، كثير الذكر، دائم الفكر، سريع الدمعة، تفقه على المخرمي، وصحب الشيخ حماد الدباس، وكان يسكن بباب الأزج في مدرسة بنيت له، مضيئاً لزيارته، فخرج وقعد بين أصحابه، وختموا القرآن، فالقى درساً ما فهمت منه شيئاً.

وأعجب من ذا أن أصحابه قاموا وأعادوا الدرس، فلعلهم فهموا لا لفهم بكلامه وعبارته.

قال ابن الجوزي: كان أبو سعيد المخرمي قد بنى مدرسة لطيفة بباب الأزج، ففوّضت إلى عبد القادر، وكان له سمت وصمت، وضافت المدرسة بالناس، فكان يجلس عند سور بغداد مستنداً إلى الرباط ويتوب عنده في المجلس خلق كثير،

☞ فعمرت المدرسة، ووسّعت، وتعصّب في ذلك العوام، وأقام فيها يدرّس ويعظ إلى أن توفي...».

ثمّ أخذ ينقل كرامات عبد القادر الجيلاني فقال: «... سمعت أبا البقاء النحوي قال: حضرت مجلس الشيخ عبد القادر، فقرأوا بين يديه بالألحان، فقلت في نفسي:

ترى لأي شيء ما ينكر الشيخ هذا؟

فقال: يجيء واحد قد قرأ أبواباً من الفقه ينكر.

فقلت في نفسي: لعل أنّه قصد غيري!

فقال: إياك نعني بالقول، فتبت في نفسي من اعتراضي.

فقال: قد قبل الله توبتك!

وسمعت الإمام أبا العباس أحمد بن عبد الحلیم، سمعت الشيخ عز الدين الفاروثي،

سمعت شيخنا شهاب الدين السهروردي يقول: عزمت على الاشتغال بأصول

الدين، فقلت في نفسي: استشير الشيخ عبد القادر، فأتيته، فقال قبل أن أنطق: يا

عمر، ما هو من عدّة القبر، يا عمر، ما هو من عدّة القبر.

قال شيخنا الحافظ أبو الحسين علي بن محمّد: سمعت الشيخ عبد العزيز بن عبد

السّلام الفقيه الشافعي يقول: ما نقلت إلينا كرامات أحد بالتواتر إلاّ للشيخ عبد

القادر.

فقبل له: هذا مع اعتقاده، فكيف هذا؟

فقال: لازم المذهب ليس بمذهب.

قال ابن النجار: كتب إليّ عبد الله بن أبي الحسن الجبائي قال: قال لي الشيخ عبد

القادر: كنت في الصحراء أكرر في الفقه وأنا في فاقة، فقال لي قائل لم أر

شخصه: اقترض ما تستعين به على طلب الفقه.

فقلت: كيف اقترض وأنا فقير ولا وفاء لي؟

قال: اقترض وعلينا الوفاء.

﴿ فَأْتَيْتَ بِقَالٍ فَقُلْتَ: تَعَامَلَنِي بِشَرِّطِ إِذَا سَهَلَ اللَّهُ أُعْطَيْتَكَ وَإِنْ مَتَّ تَجْعَلَنِي فِي حَلٍّ، تَعْطِينِي كُلَّ يَوْمٍ رَغِيْفًا وَرَشَادًا. فَبَكَى وَقَالَ: أَنَا بِحَكْمِكَ. فَأَخَذْتَ مِنْهُ مَدَّةً، فَضَاقَ صَدْرِي، فَأَظُنُّ أَنَّهُ قَالَ: فَقِيلَ لِي: امْضِ إِلَى مَوْضِعِ كَذَا، فَأَيُّ شَيْءٍ رَأَيْتَ عَلَى الدِّكَةِ فَخِذْهُ وَادْفَعْهُ لِلْبِقَالِ، فَلَمَّا جِئْتُ رَأَيْتُ قِطْعَةً زَهَبٍ كَبِيرَةً، فَأَعْطَيْتَهَا الْبِقَالِي.

ولحقني الجنون مرّة، وحملت إلى المارستان، فطرقنتي الأحوال حتّى حسبوا أنني ميّت، وجاءوا بالكفن، وجعلوني على المغتسل، ثمّ سرى عني، وقمت، ثمّ وقع في نفسي أن أخرج من بغداد لكثرة الفتن، فخرجت إلى باب الحلة، فقال لي قائل: إلى أين تمشي؟ ودفعتني دفعة خررت منها. وقال: ارجع فإنّ للناس فيك منفعة.

قلت: أريد سلامة ديني. قال: لك ذاك - ولم أر شخصه - ثمّ بعد ذلك طرقنتي الأحوال فكنت أتمنى من يكشفها لي، فاجتزت بالظرفية، ففتح رجل داره، وقال: يا عبد القادر، أيش طلبت البارحة، فنسيت، فسكت فاغتاظ، ودفعت الباب في وجهي دفعة عظيمة، فلما مشينا ذكرت، فرجعت أطلب الباب، فلم أجده، قال: وكان حماداً الدّباس، ثمّ عرفته بعد، وكشف لي جميع ما كان يشكل عليّ.

ثمّ بعد مدّة قدم رجل من همذان يقال له: يوسف الهمذاني، وكان يقال: إنّهُ القطب، ونزل في رباط، فمشيت إليه، فلم أره.

وقيل لي: هو في السرداب، فنزلت إليه، فلما رأيته قام واجلسني، ففرشني، وذكر لي جميع أحوالي، وحل لي المشكل عليّ...».

وارجع إلى ترجمته في ذيل طبقات الحنابلة ٣: ٢٩٠.

والملاحظ أنّ الحنابلة المتأخرين يتّهمون غيرهم بالغلو في أوليائه وصالحية، بينما إذا رجعنا إليهم نجدهم أشدّ مغلاة في شيوخهم وصالحيتهم من غيرهم، فهم

✪ يغالون في أبي بكر وعمر وعثمان وعائشة، وكذلك يغالون في علمائهم كعبد القادر وابن تيمية وغيرهم لأنهم من الحنابلة، ويطرونهم أيما إطراً، ويسمونهم بهالة عظيمة تعجب إذا رأيتها، لأنهم محسوبين على الحنابلة، ومع ذلك كُله ينكرون على غيرهم إذا ذكر مناقب أئمتته أو صالحية ويتهموهم بالغلو والإفراط.. وهذه سمتهم دائماً، يكيلون بمكيالين، ويزنون الأمور بميزانين، ولا تعجب من مغالاتهم، فقد ذكر علماءهم أن الذي ليس بحنبلي فليس بمسلم - تذكرة الحفاظ ٣: ١١٨٦، تاريخ الإسلام للذهبي ٢٩: ٣٠٤ وغيرها من المصادر - وعليه يجوز لهم الكلام على غيرهم لأنهم خارجين عن ملّة الإسلام، فإذا فسقوهم ورموهم بالغلو فهذا نعمة كبرى؛ لأنهم يكفرون غيرهم، فهم كفره بنظرهم.

(٢) هو الإمام موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين

العابدين بن الحسين الشهيد بن علي بن أبي طالب عليه السلام.

أمه حميدة البربرية، ويقال لها حميدة المصفاة (إعلام الوري للطبرسي ٢: ٦)، كانت من خيار النساء، وقد مدحها الإمام الصادق عليه السلام بكلمات تكشف عن عظمتها وسموّ قدرها فقال: «حميدة مُصفاة من الأنداس كسبيكة الذهب، مازالت الأملاك تحرسها حتى أدّيت إليّ كرامة من الله لي والحجة من بعدي» أصول الكافي للكليني ١: ٥٥٠.

ولد عليه السلام بالأبواء (الأبواء: بلدة بين مكة والمدينة قُبها توفيت ودفنت آمنة بنت وهب أم الرسول الكريم صلى الله عليه وآله وسلم) لسبع خلون من صفر سنة ثمان وعشرين ومائة (إعلام الوري للطبرسي ٢: ٦).

كنيته أبو الحسن، وهو أبو الحسن الثاني، وأبو إبراهيم، وأبو علي، ويعرف بالعبد الصالح والكاظم عليه السلام المصدر السابق.

تسلّم إمامة المسلمين بعد وفاة أبيه الصادق عليه السلام في سنة ١٤٨ هـ وكان له من العمر عشرون سنة.

عاصر في أيام إمامته أربعة من الخلفاء العباسيين وهم: أبو جعفر المنصور، ثم ابنه محمد المعروف بالمهدي، ثم ابنه موسى المعروف بالهادي، ثم أخوه هارون بن المهدي المُلقَّب بالرشيد.

عاش الإمام عليه السلام مدةً مديدةً من حياته في ظلمات السجون، فقد سجنه المهدي العباسي ثم أطلقه، ولما آلت النوبة إلى حكم هارون الرشيد عاد معتقلاً الإمام، وأخذاً ينقله من سجن إلى سجن حتى استشهد عليه السلام في سجن السندي بن شاهك في بغداد.

كانت شهادته عليه السلام في الخامس والعشرين من شهر رجب لسنة مائة وثلاث وثمانين للهجرة (١٨٣ هـ) (المصدر السابق).

دفن عليه السلام في المقبرة المعروفة بمقابر قريش (المصدر السابق) والمعروفة اليوم بالكاظمية.

الإمام في كلمات علماء وأعلام أهل السنة:  
إليك قارئني الكريم جانباً من كلمات علماء وأعلام أهل السنة وهي تشيد بمقام الإمام موسى بن جعفر عليه السلام:

١ - الإمام الشافعي (ت: ٢٠٤ هـ):

قال في تحفة العالم: «قبر موسى الكاظم الترياق المجرب» (أئمتنا لمحمد علي دخيل ٢: ٦٥). يريد إجابة الدعاء عنده.

٢ - الإمام أحمد بن حنبل (ت: ٢٤١ هـ):

علق الإمام أحمد بن حنبل على سندٍ فيه الإمام علي الرضا عن أبيه موسى الكاظم عن أبيه جعفر الصادق عن أبيه محمد الباقر عن أبيه علي زين العابدين عن أبيه الحسين بن علي عن أبيه علي بن أبي طالب عن الرسول الأكرم صلوات الله عليهم أجمعين قائلاً: «لو قرأت هذا الإسناد على مجنون لبرئ من جنته» (الصواعق المحرقة: ٣١٠).

٣ - الحسن بن إبراهيم، أبو علي الخلال شيخ الحنابلة (من علماء القرن الثالث الهجري)، قال: «ما همّني أمرٌ، فقصدت قبر موسى بن جعفر فتوسّلت به إلا سهّل الله تعالى لي ما أُحِبُّ» نقل قوله الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد: ١٢٠:٩، المنتظم ٩: ٨٩.

٤ - أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (ت: ٢٥٠ هـ):

ذكر الإمام الكاظم عليه السلام في رسائله عند مدحه لعشرة من الأئمّة في كلام واحد عند ذكره الرّدّ على ما فخرت به بنو أمية على بني هاشم فقال: «ومن الذي يُعدُّ من قريش ما يُعدّه الطالبيون عشرة في نسق، كلّ واحد منهم عالم زاهد ناسك شجاع جواد طاهر زاك، فمنهم خلفاء، ومنهم مُرشّحون: ابن ابن... هكذا إلى عشرة، وهم الحسن [العسكري] بن علي بن محمّد بن علي بن موسى بن جعفر ابن محمّد بن علي بن الحسين بن علي عليه السلام، وهذا لم يتّفق لبيت من بيوت العرب ولا من بُيوت العجم». رسائل الجاحظ: ١٠٦.

٥ - محمّد بن إدريس بن المنذر، أبو حاتم الرازي (ت: ٢٧٧ هـ):

قال في حق الإمام أنّه «ثقةٌ صدوق، إمامٌ من أئمّة المسلمين» الجرح والتعديل: ٨: ١٣٨، سير اعلام النبلاء: ٦: ٢٨٠، تهذيب التهذيب: ٨: ٣٩٣.

٦ - ابن أبي حاتم الرازي (ت: ٣٢٧ هـ):

قال: «صدوقٌ إمام» ميزان الاعتدال: ٤: ٢٠١ كما نقل الخطيب البغدادي نصّ قول أبيه المتقدّم مقرّراً به الجرح والتعديل ٨: ١٣٩.

٧ - الخطيب البغدادي (ت: ٤٦٣ هـ):

قال في تاريخ بغداد: «أخبرنا الحسن بن أبي بكر، أخبرنا الحسن بن محمّد بن يحيى العلوي، حدثني جدي قال: كان موسى بن جعفر يدعى العبد الصالح من عبادته واجتهاده، روى أصحابنا أنّه دخل مسجد رسول الله فسجد سجدة في أوّل الليل، وسمع وهو يقول في سجوده: عظم الذنب عندي فليحسن العفو عندك، يا أهل



﴿التقوى ويا أهل المغفرة، فجعل يرددها حتى أصبح، وكان سخياً كريماً، وكان يبلغه عن الرجل أنه يؤذيه فيبعث إليه بصرة فيها ألف دينار، وكان يصرّ الصرر ثلاثمائة دينار، وأربعمائة دينار ومائتي دينار، ثم يقسمها بالمدينة، وكان مثل صرر موسى بن جعفر إذا جاءت الإنسان الصرة فقد استغنى﴾ ثم ذكر أخباراً في مدحه والثناء عليه. تاريخ بغداد: ١٣: ٢٧.

٨ - عبد الكريم بن محمد السمعاني (ت: ٥٦٢ هـ):

قال في الأنساب: «وهو موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب... ومشهده ببغداد مشهور بيزار... زرتة غير مرّة مع ابنه محمد ابن الرضا علي بن موسى». (أنساب السمعاني ٥: ٤٠٥).

٩ - أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي (ت: ٥٩٧ هـ):

قال في كتابه صفوة الصفوة: «كان يُدعى العبد الصالح لأجل عبادته واجتهاده وقيامه بالليل، وكان كريماً حليماً إذا بلغه عن رجل يؤذيه بعث إليه بمال» ثم إنّه ذكر ابن الجوزي منقبة ظاهرة من مناقبه وفضيلة رائعة من جميل فضائله، وهو ما جرى مع شقيق البلخي في طريقه إلى الحجّ، وما شاهده من الإمام عليه السلام، حيث أنّ الإمام نطق بما في نفسه مرتين، كما أنّه شاهد كيف أنّ البئر قد ارتفع ماؤها بدعاء الإمام، وارتفعت على إثر ذلك ركوته التي سقطت من يده في أعماق البئر، ثمّ إنّ شقيقاً طلب من الإمام أن يطعمه فناوله الركوة فشرب منها وإذا سويق وسكر ما شرب قط الدّ منه ولا أطيب ريحاً منه، فشبع وروي، وأقام أياماً لا يشتهي طعاماً ولا شراباً... والقصة مفصلة في الكتاب المذكور فَمَنْ شاء فليراجع.

كما أنّ ابن الجوزي ترجم الإمام في كتابه المنتظم ٩: ٨٧ ومدحه بكلمات قريبة من النصّ المتقدّم.

١٠ - الفخر الرازي (ت: ٦٠٤ هـ):

☞ قال عند تفسيره لمعنى الكوثر: «والقول الثالث: الكوثر أولاده... فالمعنى أنه يعطيه نسلًا يبقون على مرّ الزمان، فانظر كم قُتل من أهل البيت ثم العالم ممتلئ منهم، ولم يبق من بني أمية في الدنيا أحد يعبأ به، ثم انظر كم كان فيهم من الأكابر من العلماء كالباقر والصادق والكاظم والرضا عليهم السلام...» تفسير الفخر الرازي: مجلد ١٦، ج ٣٢/١٢٥.

١١ - ابن الأثير الجزري (ت: ٦٣٠ هـ):

قال في كتابه الكامل في التاريخ: ٦: ١٤ «وكان يلقب بالكاظم لأنه كان يحسن إلى من يُسيء إليه، كان هذا عادته أبدًا».

١٢ - العارف الشيخ محيي الدين محمد بن علي المعروف بابن عربي (ت: ٦٣٨ هـ):  
قال في «المناقب» المطبوع بآخر «وسيلة الخادم إلى المخدم» للشيخ فضل الله الأصبهاني: ٢٩٦ «وعلى شجرة الطور، والكتاب المسطور، والبيت المعمور، والسقف المرفوع، والسر المستور، والرق المنشور، والبحر المسجور، وآية النور، كلیم أيمن الإمامة، منشأ الشرف والكرامة، نور مصباح الأرواح، جلاء زجاجة الأشباح، ماء التخمير الأربعيني، غاية معارج اليقيني، اكسير فلزات العرفاء، معيار نقود الأصفياء، مركز الأئمة العلوية، محور فلك المصطفوية، الأمر للصور والأشكال بقبول الاضطراب والانتقال، النور الأنور أبي إبراهيم، موسى ابن جعفر عليه صلوات الله الملك الأكبر» شرح إحقاق الحق ٢٨: ٥٧٠.

١٣ - محمد بن طلحة الشافعي (ت: ٦٥٢ هـ):

قال في كتابه مطالب السؤول في مناقب آل الرسول: ٢: ١٢٠ «هو الإمام الكبير القدر، العظيم الشأن، الكبير المجتهد الجاد في الاجتهاد، المشهور بالعبادة، المواظب على الطاعات، المشهود له بالكرامات، يبني الليل ساجداً وقائماً، ويقطع النهار متصدّقاً وصائماً، وفرط حلمه وتجاوزه عن المعتدين عليه دعي كاظماً، كان يُجازي المسيء بإحسانه إليه، ويقابل الجاني بعفوه عنه، ولكثرة عبادته كان

❦ يُسَمَّى بالعبد الصالح، ويعرف بالعراق بباب الحوائج إلى الله لنجح مطالب المتوسّلين إلى الله تعالى به، كرامته تحار منها العقول، وتقضي بأن له عند الله تعالى قدم صدق لا تزل ولا تزول... وأمّا مناقبه فكثيرة ولو لم يكن منها إلاّ العناية الربانية لكفاه ذلك منقبة»، ثمّ ذكر بعض مناقبه ومنها قصّة شقيق البلخي المتقدّمة الذكر.

١٤ - سبط ابن الجوزي (ت: ٦٥٤ هـ):

قال في كتابه تذكرة الخواص: ٣١٢ «وكان موسى جواداً حليماً وإتّما سمّي الكاظم لأنّه كان إذا بلغه عن أحد شيء بعث إليه بمال»، وذكر بإسناده إلى شقيق البلخي القصّة المشار إليها فيما سبق.

١٥ - ابن أبي الحديد المعتزلي (ت: ٦٥٥ هـ):

نقل ما تقدّم من كلام الجاحظ في شرح نهج البلاغة ١٥: ٢٧٨ مقرّراً له عليه بدلالة قوله في أوّل البحث «ونحن نذكر ما أجاب به أبو عثمان عن كلامهم ونضيف إليه من قبلنا أموراً لم يذكرها فنقول...».

كما أنّه قال عن الإمام في نفس الفصل: «ومن رجالنا موسى بن جعفر بن محمّد - وهو العبد الصالح - جمع من الفقه والدين والنسك والحلم والصبر».

١٦ - ابن الساعي (ت: ٦٧٤ هـ):

قال في مختصر الخلفاء: ٣٩ «أما الإمام الكاظم فهو صاحب الشأن العظيم، والفخر الجسيم، كثير التهجّد، الجاد في الاجتهاد، المشهود له بالكرامات، المشهور بالعبادات، المواظب على الطاعات، يبني الليل ساجداً وقائماً، ويقطع النهار متصدّقاً وصائماً، وفرط حلمه وتجاوزه عن المعتدين عليه كان كاظماً، يجازي المسيء بإحسانه إليه، ويقابل الجاني بعفوه عنه، ولكثرة عبادته يسَمَّى بالعبد الصالح، ويعرف بالعراق بباب الحوائج إلى الله لنجح المتوسّلين إلى الله تعالى به، كراماته تحار منها العقول، وتقضي بأن له قدم صدق عند الله لا تزول»، نقلاً عن

☞ حياة الإمام موسى بن جعفر لباقر شريف القرشي ١: ١٦٦.

١٧ - ابن خلّكان (ت: ٦٨١ هـ):

قال في كتابه وفيات الأعيان ٤: ٤٣ [هو]: أحد الأئمّة الاثني عشر رضي الله عنهم أجمعين نقل ما تقدم ذكره من قول الخطيب البغدادي من دون تعليق عليه.

١٨ - أبو الحجاج يوسف المزّي (ت: ٧٤٢ هـ):

ذكر في كتابه تهذيب الكمال ٢٩: ٤٣ نصّ قول أبي حاتم المتقدّم، كما أنّه اقتصر على ذكر أخبار عديدة في مدح الإمام والثناء عليه.

١٩ - شمس الدين محمّد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت: ٧٤٨):

قال في سير أعلام النبلاء ٦: ٢٧٠ «الإمام القدوة، السيّد أبو الحسن العلوي، والد الإمام علي بن موسى الرضا، مدني، نزل بغداد».

وقد نقل قول أبي حاتم المتقدّم في أنّ الإمام: «ثقة صدوق إمام من أئمّة المسلمين» من دون أي تعليق عليه.

وقد ترجم له أيضاً في تاريخ الإسلام حوادث ووفيات ١٨١ - ١٩٠ هـ: ٤١٧ وقال عنه: «وكان صالحاً، عالماً عابداً، متألّهاً...».

٢٠ - اليافعي اليميني المكي (ت: ٧٦٨ هـ):

قال في كتابه مرآة الجنان: ١: ٣٠٥ «وفيها [أي سنة ١٨٣ هـ] توفي السيّد أبو الحسن موسى الكاظم ولد جعفر الصادق، كان صالحاً عابداً جواداً حليماً كبير القدر، وهو أحد الأئمّة الاثني عشر على اعتقاد الإماميّة، وكان يُدعى بالعبد الصالح من عبادته واجتهاده، وكان سخياً كريماً. كان يبلغه عن الرجل أنه يؤذيه فيبعث إليه بضرة فيها ألف دينار...».

٢١ - أبو الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي (ت: ٧٧٤ هـ):

قال في البداية والنهاية ١٠: ١٩٧ «وكان كثير العبادة والمروءة، إذا بلغه عن أحد أنّه يؤذيه أرسل إليه بالذهب والتّحف... وأهدى له مرّة عبد عسيبة فاشتراه

❦ واشترى المزرعة التي هو فيها بألف دينار وأعتقه ووهب المزرعة له...».

٢٢ - محمد خواجه البخاري (ت: ٨٢٢ هـ):

قال في كتابه فصل الخطاب: «ومن أئمة أهل البيت أبو الحسن موسى الكاظم ابن جعفر الصادق - رضي الله عنهما -... وكان ﷺ صالحاً عابداً جواداً حليماً كبير القدر كثير العلم كان يُدعى بالعبد الصالح، وفي كلِّ يوم يسجد لله سجدة طويلة بعد ارتفاع الشمس إلى الزوال...» نقلاً عن ينابيع المودة: ٤٥٩.

٢٣ - ابن حجر العسقلاني (ت: ٨٥٢ هـ):

نقل في كتابه تهذيب التهذيب ٨: ٣٩٣ نصّ قول أبي حاتم المتقدّم، كما ذكر قول يحيى بن الحسن بن جعفر النسابة: «كان موسى بن جعفر يُدعى العبد الصالح من عبادته واجتهاده».

وبعد أن نقل تاريخ وفاته قال: «ومناقبه كثيرة».

٢٤ - ابن الصبّاح المالكي (ت: ٨٥٥ هـ):

نقل في كتابه الفصول المهمة: ٢٢١ قول بعض أهل العلم قائلًا: «قال بعض أهل العلم: الكاظم هو الإمام الكبير القدر، والأوحد الحجّة الحبر، الساهر ليله قائماً القاطع نهاره صائماً، المسمّى لفرط حلمه وتجاوزه عن المعتدين كاظماً، وهو المعروف عند أهل العراق بباب الحوائج إلى الله وذلك لنجح قضاء حوائج المتوسّلين» وقال في موضع آخر: «وأما مناقبه وكراماته الظاهرة وفضائله وصفاته الباهرة فتشهد له بأنّه قبة الشرف وعلاها وسما إلى أوج المزايا فبلغ أعلاها وذلّت له كواهل السيادة وامتطأها، وحكم في غنائم المجد فاختر صفاياها فاصطفاها...».

٢٥ - جمال الدين يوسف بن تغري بردي الأتابكي (ت: ٨٧٤ هـ):

قال في كتابه النجوم الزاهرة: ٢: ١١٢ «وفيها [سنة ١٨٣] توقّي موسى الكاظم ابن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن السيّد الحسين بن علي ابن أبي طالب (رضي الله عنهم أجمعين). كان موسى المذكور يدعى بالعبد

➤ الصالح لعبادته وبالكاظم لعلمه. ولد بالمدينة سنة ثمان أو تسع وعشرين ومائة وكان سيِّداً عالماً فاضلاً سَنِيّاً جواداً، ممدوحاً مجاب الدعوة».

٢٦ - أحمد بن عبد الله الخزرجي (ت بعد ٩٢٣ هـ):

نقل في كتابه خلاصة تذهيب تذهيب الكمال: ٣: ٦٣ نص قول أبي حاتم المتقدم من دون أي تعليق عليه مما يدل على قبوله وإمضائه له.

٢٧ - عبد الوهاب الشعراني (ت: ٩٧٣ هـ):

قال في طبقاته: ١: ٥٥ «أحد الأئمة الاثني عشر، وهو ابن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب - رضي الله عنهم أجمعين -... كان يكتب بـ (العبد الصالح) لكثرة عبادته واجتهاده وقيامه بالليل، وكان إذا بلغه عن أحد يؤذيه يبعث إليه بمال».

٢٨ - ابن حجر الهيتمي (ت: ٩٧٤ هـ):

قال في الصواعق المحرقة: ٣٠٧ «موسى الكاظم: وهو وارثه [أي جعفر الصادق] عالماً ومعرفةً وكمالاً وفضلاً، سُمِّي الكاظم لكثرة تجاوزه وحلمه، وكان معروفاً عند أهل العراق بباب قضاء الحوائج عند الله، وكان أعبد أهل زمانه وأعلمهم وأسأخهم... ومن بديع كراماته: ما حكاه ابن الجوزي والرامهرمزي وغيرهما عن شقيق البلخي...».

٢٩ - أحمد بن يوسف القرماني (ت: ١٠١٩ هـ):

قال في كتابه أخبار الدول: ١: ٣٣٧ «هو الإمام الكبير القدر، الأوحد، الحجّة، الساهر ليله قائماً، القاطع نهاره صائماً، المُسمّى لفرط حلمه وتجاوزه عن المعتدين كاظماً، وهو المعروف عند أهل العراق بباب الحوائج، لأنّه ما خاب المتوسّل به في قضاء حاجة قط... وكان له كرامات ظاهرة ومناقب باهرة، افترع قمّة الشرف وعلاها، وسما إلى أوج المزايا فبلغ عُلاها فمن ذلك ما ذكره ابن الجوزي في كتابه «مثير الغرام الساكن إلى أشرف الأماكن» عن شقيق البلخي قال: ...» وذكر

☞ قصة شقيق التي تقدّمت الإشارة إليها.

٣٠ - ابن العماد الحنبلي (ت: ١٠٨٩ هـ):

قال في شذرات الذهب: ٤٨٦:١ «وفيها [سنة ١٨٣ هـ توفي] السيّد الجليل أبو الحسن موسى الكاظم بن جعفر الصادق ووالد علي بن موسى الرضا. ولد سنة ثمان وعشرين ومائة. روى عن أبيه، قال أبو حاتم: ثقة إمام من أئمّة المسلمين وقال غيره: كان صالحاً عابداً، جواداً حليماً، كبير القدر. بلغه عن رجُل الأذى له فبعث إليه بألف دينار...».

٣١ - عبد الله الشبراوي (ت: ١١٧١ هـ):

قال في الإتحاف بحب الأشراف: ١٤٨ «كان من العظماء الأسخياء، وكان والده جعفر يحبه حباً شديداً...» ثمّ تحدث عن الإمام ونقل بعض كلامه.

٣٢ - الحسن بن عبد الله البخشي (ت: ١١٩٠ هـ):

قال في كتابه النور الجلي في نسب النبي: «وهو الإمام الكبير القدر، والكثير الخير، كان ﷺ يسهر ليله ويصوم نهاره، وسمي كاظماً لفرط تجاوزه عن المعتدين، وهو المعروف عند أهل العراق بباب الحوائج، لأنه ما خاب المتوسّل به في قضاء حاجته قط، وكانت له كرامات ظاهرة ومناقب باهرة، تستمّ ذروة الشرف وعلاها وسما أوج المزايا فبلغ أعلاها...» نقلاً عن حياة الإمام موسى بن جعفر للشيخ القرشي ١: ١٦٧.

٣٣ - الشيخ محمد بن علي الصبّان (ت: ١٢٠٦ هـ):

قال في كتابه إسعاف الراغبين: «أمّا موسى الكاظم فكان معروفاً عند أهل العراق بباب قضاء الحوائج عند الله وكان من أعيد أهل زمانه ومن أكابر العلماء الأسخياء... ولقّب بالكاظم لكثرة تجاوزه وحلمه» إسعاف الراغبين المطبوع بهامش «نور الأبصار»: ٢٤٦.

٣٤ - محمد أمين السويدي (ت: ١٢٤٦ هـ):

☞ قال في كتابه سبائك الذهب: ٧٥ «موسى الكاظم هو الإمام الكبير القدر الكثير الخير، كان يقوم ليله ويصوم نهاره، وسمي الكاظم لفرط تجاوزه عن المعتدين».

٣٥ - الشيخ مؤمن الشبلنجي (ت: بعد ١٣٠٨ هـ):

قال في كتابه نور الأبصار: ١٦٤ تحت عنوان (فصل في ذكر مناقب سيّدنا موسى الكاظم...): «قال بعض أهل العلم: الكاظم هو الإمام الكبير القدر، الأوحّد، الحجّة، الحبر، الساهر ليله قائماً، القاطع نهاره صائماً المسمّى لفرط حلمه وتجاوزه عن المعتدين كاظماً وهو المعروف عند أهل العراق بباب الحوائج إلى الله؛ وذلك لنجح قضاء حوائج المتوسّلين به. (ومناقبه) ﷺ كثيرة شهيرة...».

٣٦ - يوسف بن إسماعيل النبهاني (ت: ١٣٥٠ هـ):

قال في كتابه جامع كرامات الأولياء: ٢: ٤٩٥ «موسى الكاظم أحد أعيان أكابر الأئمّة من سادات آل البيت الكرام هداة الإسلام رضي الله عنهم أجمعين ونفعنا ببركاتهم، وأمانتنا على حبّهم وحبّ جدّهم الأعظم ﷺ» (جامع كرامات الأولياء: ٢: ٤٩٥).

٣٧ - علي جلال الحسيني المصري (ت: ١٣٥١ هـ):

قال: «جمع من الفقه والدين والنسك والحلم والصبر، ما لا مزيد عليه...» أئمتنا لمحمّد علي دخيل ٢: ٦٩.

٣٨ - الدكتور زكي مبارك (ت: ١٣٧١ هـ):

قال في شرح زهر الآداب: «كان موسى بن جعفر سيّداً من سادات بني هاشم وإماماً مقدّماً في العلم والدين» أئمتنا لمحمّد علي دخيل ٢: ٦٩.

٣٩ - خير الدين الزركلي (ت: ١٣٩٦ هـ):

قال في كتابه الأعلام: ٧: ٣٢١ «كان من سادات بني هاشم، ومن أعبد أهل زمانه، وأحد كبار العلماء الأجواد».



ذهبنا بعد الفطور إلى باب الشيخ، ورأيت المقام الذي طالما تمنيت زيارته، وهرولت كأني مشتاق لرؤيته، ودخلت أتلهّف كأني سوف أرتمي في أحضانه، وصديقي يتبعني أينما رحت.

واختلطت بالزوّار الذين يتراكمون على المقام تراكم الحجّاج على بيت الله الحرام، ومنهم من يلقي قبضات من الحلوى والزوّار يتسابقون لالتقاطها، وأسرعت لأخذ منها أكلت إحداها على الفور للبركة، وخبأت الأخرى في جيبي للذكرى. صليت هناك ودعوت بما تيسّر لي وشربت الماء وكأني أشرب من ماء زمزم، ورجوت صديقي أن ينتظرنني ريثما أكتب إلى أصدقائي في تونس بعض البطاقات البريدية التي اشتريتها من هناك، وتمثّل كلّها صورة مقام الشيخ عبد القادر بالقبة الخضراء، وأردت بذلك أن أبرهن لأصدقائي وأقاربي في تونس عن علوّ همّتي التي أوصلتني لذلك المقام الذي لم يصلوا إليه.

بعد ذلك تناولنا طعام الغداء في مطعم شعبي وسط العاصمة، ثمّ أخذني صديقي في سيارة أجرة إلى الكاظمية، عرفت هذا الاسم من خلال ما ذكره صديقي لسائق السيارة، وصلنا إليها وما أن نزلنا من السيارة نتمشّي حتّى اختلطنا بمجموعات كبيرة من الناس، يمشون في نفس الاتجاه نساء ورجالاً وأطفالاً ويحملون بعض الأغراض، ذكرني ذلك بموسم الحجّ، ولم أكن بعد أعرف وجهة

❦ ٤٠ - محمود بن وهيب القراغولي الحنفي:

قال في جوهرة الكلام: «هو الوارث لأبيه رضي الله عنهما علماً ومعرفةً وكمالاً وفضلاً سمّي بـ(الكاظم) لكظمه الغيظ، وكثرة تجاوزه وحلمه. وكان معروفاً عند أهل العراق بـ(باب قضاء الحوائج عند الله)، وكان أعبد أهل زمانه، وأعلمهم وأسخاهم...» أئمّتنا ٢: ٦٨.

المكان المقصود، حتّى تراءت لي قباب ومآذن ذهبية يأخذ إشعاعها بالأبصار، وفهمت أنه مسجد من مساجد الشيعة لسابق علمي بأنهم يزخرفون مساجدهم بالذهب والفضّة التي حرّمها الإسلام، وشعرت بحرج في الدّخول إليها، غير أنّي - مراعاة لعواطف صديقي - اتّبعت من غير اختيار.

دخلنا من الباب الأوّل، وبدأت ألاحظ تمسّح الشيوخ بالأبواب وتقبيلها، وسلّيت نفسي بقراءة لوحة كبيرة كتب عليها: « ممنوع دخول النساء السافرات » مع حديث للإمام علي يقول فيه: « يأتي على الناس زمان يخرج فيه النساء كاسيات عاريات... »<sup>(١)</sup> إلى آخره.

وصلنا إلى المقام، وبينما كان صديقي يقرأ إذن الدخول كنت أنظر إلى الباب وأعجب من هذا الذهب والنقوش التي تملأ صفحاته وكلّها آيات قرآنية.

دخل صديقي ودخلت خلفه وأنا على حذر، تجول بخاطري عدّة أساطير قرأتها في بعض الكتب التي تكفّر الشيعة، ورأيت داخل المقام نقوشاً وزخرفة لم تخطر على بالي، ودهشت لما رأيت وتصوّرت نفسي في عالم غير مألوف ولا معروف، ومن حين إلى آخر أنظر باشمئزاز إلى هؤلاء الذين يطوفون حول الضريح باكين مقبلين أركانه وقضبانه، بينما يصلّي البعض الآخر قرب الضريح، واستحضرت في خاطري حديث الرسول ﷺ وهو يقول: « لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا

(١) يوجد بلفظ: «سيكون في آخر أمتي رجال يركبون على السروج كأشباه الرجال، ينزلون على أبواب المسجد، نساؤهم كاسيات عاريات..» في مسند أحمد ٢: ٢٢٣، المستدرک للحاكم النيسابوري ٤: ٤٣٦، السنن الكبرى للبيهقي ٢: ٢٣٤، شرح مسلم للنووي ١٤: ١١٠، مجمع الزوائد ٥: ١٣٧، صحيح ابن حبان ١٣: ٦٤ وغيرها من المصادر.

قبور انبيائهم مساجد»<sup>(١)</sup>.

(١) صحيح البخاري ١: ١١٠، كتاب الصلاة، باب هل تنبش قبور مشركي الجاهلية. وهذا الحديث ليس على ظاهره الذي فهمه التيجاني وغيره من أهل السنة، لأن علماء السنة أوضحوا المراد من الحديث فقال في تحفة الأحوذني ٢: ٢٢٦: «تنبيه: قال في مجمع البخاري: وحديث «لعن اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد» كانوا يجعلونها قبلة يسجدون إليها في الصلاة، قالوا وأما اتخذوا مسجداً في جوار صالح أو صلى في حضيرة قاصداً بها الاستظهار بروحه أو وصول أثر من آثار عبادته إليه، لا التوجه نحوه والتعظيم له، فلا حرج فيه، ألا يرى مرقد إسماعيل في الحجر في المسجد الحرام والصلاة فيه أفضل. وقال الشيخ عبد الحق الدهلوي في اللمعات في شرح هذا الحديث: لما أعلمه الله بقرب أجله فخشي أن يفعل بعض أمته بقبوره الشريف ما فعلته اليهود والنصارى بقبور أنبيائهم، فنهى عن ذلك.

قال التوريشتي: هو مخرَج على الوجهين:

أحدهما: كانوا يسجدون لقبور أنبيائهم، تعظيماً لهم، وقصد العبادة في ذلك. وثانيهما: إنهم كانوا يتحرّون الصلاة في مدافن الأنبياء والتوجه إلى قبورهم في حالة الصلاة والعبادة لله، نظراً منهم أن ذلك الصنيع أعظم موقعاً عند الله لاشتماله على الأمرين: عبادة ومبالغة في تعظيم الأنبياء، وكلا الطريقتين غير مرضية...». وقال البكري في إعانة الطالبين: ٢: ١٥١: «اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد. أي: بصلاتهم إليها.

قال البجيرمي: ودلالة هذا على المدعى إنما هي بطريق القياس، لأن اليهود والنصارى كانوا يصلّون المكتوبة لقبور الأنبياء...». وفي تنوير الحوالك للسيوطي: ١٨٩: «قال ابن عبد البر قيل معناه: النهي عن السجود على قبور الأنبياء.

وقيل: النهي عن اتخاذها قبلة يصلّي إليها».

وابتعدت عن صديقي الذي ما أن دخل حتّى أجهش بالبكاء، ثمّ تركته يصلّي واقتربت من اللوحة المكتوبة للزيارة، وهي معلقة على الضريح، وقرأتها ولم أفهم الكثير منها بما حوته من أسماء غريبة عنيّ أجهلها، ابتعدت في زاوية وقرأت الفاتحة ترحمًا على صاحب الضريح قائلاً: اللهم إن كان هذا الميت من المسلمين فأرحمه فأنت أعلم به منّي.

واقترب منّي صديقي وهمس في أذني قائلاً: إن كانت لديك حاجة فاسأل الله في هذا المكان، لأننا نسّميه باب الحوائج، وما أعطيت أهميّة لقوله سامحني الله، بل كنت أنظر للشيوخ الطاعنين في السنّ وعلى رؤوسهم عمام بيض وسود وفي جباههم آثار السجود، وزاد في هيبتهم تلك اللحى التي أعفوها، وتنطلق منها روائح طيبة، ولهم نظرات حادّة مهيبة. وما أن يدخل الواحد منهم حتّى يجهش بالبكاء، وتساءلت في داخلي: أيمن أن تكون هذه الدموع كاذبة؟!

أيمن أن يكون هؤلاء الطاعنون في السن مخطئين؟

خرجت متحيراً مندهشاً ممّا شاهدته، بينما كان صديقي يرجع أدراجه احتراماً لئلا يعطي المقام ظهره.

❖ وفي سبل السلام ١: ١٥٣: «قال البيضاوي: لما كانت اليهود والنصارى يسجدون لقبور أنبيائهم، تعظيماً لشأنهم، ويجعلونها قبلة يتوجّهون في الصلاة نحوها، اتخذوها أوثاناً، لعنهم، ومنع المسلمين من ذلك. قال: وأمّا من اتخذ مسجداً في جوار صالح، وقصد التبرك بالقرب منه، لا لتعظيم له، ولا لتوجه نحوه؛ فلا يدخل في ذلك الوعيد...». ومن الواضح أنّ الشيعة لا تصلّي إلى قبور الأنبياء والصالحين ولا تتوجه إليهم في الصلاة، وإنّما تصلّي قرب مراقدهم كصلاة الحاج في المسجد الحرام مع أنّه فيه مرقد إسماعيل عليه السلام.

سألته : من هو صاحب هذا المقام؟

قال : الإمام موسى الكاظم.

قلت : ومن هو الإمام موسى الكاظم؟

قال : سبحان الله ! أنتم إخواننا أهل السنة والجماعة تركتم اللبّ وتمسّكتم

بالقشور.

قلت غاضباً منقبضاً : كيف تمسّكنا بالقشور وتركنا اللب؟

فهدّأني وقال : يا أخي، أنت منذ دخلت العراق لا تفتأ تذكر عبد القادر

الجيلاني، فمن هو عبد القادر الجيلاني الذي استوجب كلّ اهتمامك؟!

أجبت على الفور وبكلّ فخر : هو من ذرية الرسول، ولو كان نبيّ بعد محمّد

لكان عبد القادر الجيلاني رضي الله تعالى عنه.

قال : يا أخ السّماوي، هل تعرف التاريخ الإسلامي؟

وأجبت في غير تردد بنعم، وفي الحقيقة ما عرفت من التاريخ الإسلامي قليلاً

ولا كثيراً، لأنّ أساتذتنا ومعلّمينا كانوا يمنعونا من ذلك، مدّعين بأنّه تاريخ أسود

مظلم لا فائدة من قراءته<sup>(١)</sup>.

---

(١) لا شكّ في أنّ الدين الإسلامي دين متكامل من جميع الجوانب والجهات، يحمل

في جوانبه جميع حاجات البشرية من خير، وجاء مخرّجاً لها من الظلمات إلى

النور وأخذاً بيدها إلى أسمى درجات الكمال التي تدركه وما لم تدركه إلى غير

ذلك ممّا هو معروف ومسطور في كتابات المسلمين.

وأما التاريخ الإسلامي أو بعبارة أدق التمثيل العملي لهذا الدين العظيم على المسرح

الخارجي ففيه هنات كبيرة، وصفحات سوداء غير قليلة، فباستثناء فترة وجود

النبي ﷺ الذي أشرق الأرض بنوره، والعدل والمساواة تحت سلطانه،

⦿ وظهرت الإنسانية بأجلى معناها ببركة تعاليمه وحضوره، وضرب أروع مثال في قيادة الأمة قيادة حكيمة ومتقنة أحكمت الكيان الفردي والاجتماعي للناس.. فباستثناء هذه الفترة الزمنية المشرقة من التاريخ الإسلامي، وبمجرد رحيله منها ﷺ نجد أنّ الأمر تغير تماماً، وأخذ هذا النمو والنضوج والصفحات المشرقة في التاريخ الإسلامي بالانحسار، وبدأت الظلمة ترد عليه شيئاً فشيئاً، بعد أن نحى أهل البيت ﷺ عن قيادة الأمة والأخذ بيدها في تكميل المشروع النبوي الشريف، فأخذ الإنسان الحرّ يقتل من دون ذنب، وأخذت المسلمة تسبى بعدما كانت معرّزة مكرّمة، وأخذت الأموال تنتهب والحقوق تبتز بعدما كانت مصونة، وما سبب ذلك إلا لأن صاحبها محبباً لأهل البيت ﷺ، بل وتعدى الأمر إلى أبعد من ذلك فعومل أهل البيت معاملة المعارض الذي يجب القضاء عليه وعلى كلّ من يحنو عليه، ووقعت على أثر ذلك واقعة كربلاء وقتل الحسين صلوات الله عليه، ثمّ وقعة الحرة... وهكذا استمر القتل والتشريد وهتك الأعراض وغير ذلك في ربوع دولة المسلمين وعلى رأسها حكام بني أمية الطلقاء، والذي أوريه النبي ﷺ في المنام، وأنهم نزوا على منبره الشريف نزو القردة كما ذكره الحاكم في مستدركه ٤: ٤٨٠ مصححاً له وتعقبه الذهبي وحكم بصحّته، مسند أبي يعلى ١١: ٣٤٨ وصحّحه محققه الشيخ سليم أسد.

ثمّ جاء بعدهم بنو العباس فأسرفوا في القتل وابتزاز حقوق الآخرين وإقصاء أهل البيت عن مكانتهم، بل وأولعوا فيهم سجنًا وقتلاً وتشريدًا.. وهكذا استمر تاريخ المسلمين إلى يومنا هذا الذي لم يبق فيه من الإسلام إلا اسمه، ومن معالمه إلا الرسوم، وأمّا تعاليمه فاصبحت في خير كان بالنسبة للحاكم وأغلب المحكومين.

وهذا الكلام يقرّ به كلّ إنسان مسلم يقرأ بتبصّر وتمعّن تاريخ المسلمين وما جرت فيه من أحداث، وإن حاول الوهابية إخفاء ذلك وإظهار التاريخ الإسلامي بمظهر

➤ الجوهرة المضيئة التي كل من لمسها ازدادت توهجاً، ولكن الحقيقة غير ذلك فهم يقولون ذلك خوفاً من أن يراجع الإنسان تاريخه، ويكتشف وهن القواعد التي بنوا عليها دينهم، وأسسوا عليها بنيانهم، فيهدم البنيان بعد انهدام الأساس؛ وسبب ذلك أن أول مأساة، وأول نقطة سودت صفحات التاريخ هي أفعال بعض الصحابة الشنيعة كعمر بن الخطاب، وأبي بكر، وعثمان بن عفان، وعمرو بن العاص وعبد الرحمن بن عوف، وخالد بن الوليد، ومعاوية بن أبي سفيان، ومعاوية بن حديج، وغيرهم الكثير، فإذا عرف المسلم ذلك انهدمت قاعدتهم التي أسسوها من عدالة عموم الصحابة، بل وسيعرف قبله حديث الثقلين الذي بيّنه النبي ﷺ للأمة، ورسم فيه معالم طريقها حينما جعل هداية الأمة مرتبطة بالرجوع إلى القرآن وأهل البيت عليهم السلام

فإذا عرفه بعد ذلك أن الطريق من غير أهل البيت عليهم السلام غير صحيح وغير موصل إلى الله سبحانه وتعالى، وبالتالي تبطل المذاهب والقواعد والصورح التي بنوها واتبعوها؛ فلأجل ذلك وغيره لا يقبلون مطالعة التاريخ أو الكلام حوله أو ذكر صفحاته السوداء.

ويتضح ذلك جلياً للقارئ إذا رجع إلى كتاب كشف الجاني: ٥٢ حيث سعى فيه جاهداً إلى إبراز أن صفحات التاريخ مشرقة، وأن الشيعة هم الذين يسعون إلى تشويهها!! لأنهم دائماً يتآمرون ضد المسلمين - حسب زعمه - وذكر تأييداً لكلامه حادثة قتل الخليفة العباسي على يد التتر وكيف أن بعض الشيعة كنصير الدين الطوسي وابن العلقمي كان لهما اليد الطولى في التآمر على المسلمين وخليفتهم وبالتالي معاونة المشركين على المسلمين!!

ونحن نعذر عثمان الخميس في فزيته هذه، إذ لاحظنا كثرة تخبّطه في علم الحديث مع ادعائه التخصص به فكيف لا يكون متخبّطاً في غيره في مسألة تاريخية كهذه!!

➤ وهذه التهمة الشنيعة ضد الشيعة أول من قال بها ابن تيمية الحرّاني الذي ولد بعد الحادثة بخمس سنين، إذ كانت الحادثة سنة ٦٥٦، وابن تيمية ولد سنة ٦٦١ في حرّان، فلم يشهد الواقعة، ولم يكن من أهل بغداد، والذين عاصروا الواقعة في بغداد من علماء السنة لم يذكروا لنصير الدين الطوسي أي دور له في احتلال التتر لبغداد، فهذا ابن الفوطي الحنبلي صاحب كتاب (الحوادث الجامعة)، وهو ممن أُسر في واقعة بغداد، وقد ترجمه الذهبي وابن كثير وأطروا عليه كثيراً، فهذا العالم المعاصر للواقعة والمعاصر لنصير الدين الطوسي لم يذكر شيئاً عن تواطىء نصير الدين مع التتر في غزو بغداد.

وكذلك مؤرّخ آخر وهو ابن الطقطقي المولود سنة ٦٦٠ يروي حوادث الواقعة ولا يذكر نصير الدين الطوسي فيها، وكذلك أبو الفداء في تاريخه يذكر الحادثة ولا يذكر لنصير الدين الطوسي دوراً فيها، وكذلك الذهبي في كتابه العبر ٣: ٢٧٧ لم يذكر لنصير الدين أي دور في الواقعة.

فهذه التهمة لنصير الدين لفقها ابن تيمية من عنده بدون أي مستند ولا دليل، وما ذنبه إلا لأنه شيعي أقام أدلة عقلية على ثبوت النصّ لأمر المؤمنين علي ابن أبي طالب عليه السلام، وقد نقلها عنه العلامة الحلّي في كتابه منهاج الكرامة والذي ردّ عليه ابن تيمية في كتاب سمّاه منهاج السنة، فلذلك نقم عليه ابن تيمية ولفق عليه هذه التهمة.

والذي يدلّ على أن التاريخ الإسلامي فيه صفحات سوداء كثيرة خلافة هذا الخليفة العباسي الذي يدافع عنه عثمان الخميس، فقد كانت الشيعة تذبج في زمنه على يد ابنه ووزيره الدوادار بلا ذنب سوى أنّهم شيعة لعلي بن أبي طالب عليه السلام، قال أبي الفداء في تاريخه ٢: ٣٠٢: «في أول هذه السنة (سنة ٦٥٦) قصد هولاءكو ملك التتر بغداد وملكها في العشرين من المحرم، وقتل الخليفة المستعصم بالله، وسبب ذلك أنّ وزير الخليفة مؤيد الدين كان رافضياً، وكان أهل الكرخ أيضاً روافض،



❖ فجرت فتنة بين السنة والشيعة ببغداد على جاري عادتهم فامر أبو بكر بن الخليفة، وركن الدين الدوادر العسكر، فنهبوا الكرخ وهتكوا النساء، وركبوا منهن الفواحش...».

فهذه نساء شيعيات يقتل رجالهن ثم تُهتك أعراضهن بأمر ابن الخليفة المسمى (المعتصم بالله)، فهل هذه صفحة مشرقة من صفحات تاريخ الإسلام!!؟  
ولنلاحظ صورة مقتضبة للتاريخ الاسلامي بعد رحيل الرسول محمد صَلَّى اللهُ عليه وآله، وما جرى فيها:

أول ما فوجيء به المسلمون إبان مرض النبي صَلَّى اللهُ عليه وآله الذي ارتحل فيه إلى الرفيق الأعلى أنّ وجهه بالافتراء عليه والقول بأنّه يهجر، أو غلبه الوجع، والقائل بذلك هو عمر بن الخطاب كما في مسند أحمد ١: ٣٢٥، صحيح البخاري ٥: ١٣٨، فبدأت حركة التغيير في المسيرة النبوية والتاريخ الإسلامي يومئذٍ، لأنّ هذه الكلمة أوجدت الاختلاف بين المسلمين وكادوا أن يتقاتلوا، واختلاف المهاجرون والأنصار، ثمّ اختلاف الأنصار فيما بينهم، وبرزت الإحن والنزعات القومية حتّى كاد أن ينسى الإسلام بتاتاً، وقد وقف من السقيفة موقف المعارض بنو هاشم عموماً وعلى رأسهم وعميدهم علي ابن أبي طالب ؑ وجماعة كبيرة من الأنصار ومن المهاجرين، متمسكين بوصية النبي الأكرم ﷺ في بيعة علي ابن أبي طالب ؑ كما أخرج ذلك الطبري ٣: ٤٤٣، وابن الاثير في الكامل في التاريخ ٢: ٣٢٥.

ثمّ قام أصحاب السقيفة بالانقضاض على معارضيتهم، فقاموا بالهجوم عليهم وضربهم، وكان لبيت علي بن أبي طالب ؑ الحصّة الكبرى من ذلك حينما جاؤوا إليه وهددوا فاطمة سلام الله عليها بإنزال أقصى العقوبات إن لم يتفرّق المعارضون عن بيتها كما أخرج ذلك ابن أبي شيبة في المصنّف ٨: ٥٧٣ وأبو الفداء ١: ٨٥ وغيرها من المصادر، وقاموا بقتل سعد بن عبادة المعارض الأوّل

➤ للسقيفة زاعمين أن الجن قتلته كما في مصنف الصنعاني ٣: ٥٩٧ وغيرها.  
وما إن قام أبو بكر حتى أطلق قوله المدويّة ليومنا ذا فقال: «وليتكم ولست  
بخيركم...»

وإن لي شيطاناً يعتريني، فإذا غضبت فاجتنبوني» المصنّف للصنعاني ١١: ٣٣٦،  
تخريج الأحاديث والآثار ١: ٤٨١، فقاد الأمة بضعفه وشيطانه قيادة ضعيفة  
هزيلة وبعيدة عن تعاليم الرسالة الإسلامية، أمّا الضعف فقد كان عمر بن  
الخطّاب هو المدير للأمور في زمنه كما نصّ على ذلك ابن حجر العسقلاني في  
المقطع الذي نقله، إذ جاء فيه: «جاء الأقرع بن حابس وعيينة ابن حصين إلى أبي  
بكر الصديق رضي الله عنه، فقال: يا خليفة رسول الله، إن عندنا أرضاً سبخة ليس فيها كلاً  
ولا منفعة، فإن رأيت أن تقطعناها! فأجابهما وكتب لهما، وأشهد القوم، وعمر  
ليس فيهم، فانطلقا إلى عمر ليشهداه فيه فتناول الكتاب وتفل فيه ومحاه، فتذمّرا  
له وقالوا له مقالة سيئة، فقال: إن رسول الله صلى الله عليه وآله كان يتألفكما والإسلام يومئذٍ  
قليل، إن الله قد أعزّ الإسلام إذهباً فاجهدا علي جهدكما لا رعى الله عليكما إن  
رعيتما، فأقبلا إلى أبي بكر وهما يتذمّران، فقالا: ما ندري والله أنت الخليفة أو  
عمر؟!»

فقال: لا بل هو لو شاء كان، فجاء عمر وهو مغضب حتى وقف على أبي بكر فقال:  
أخبرني عن هذا الذي أقطعتهما أرضاً هي لك خاصّة او للمسلمين عامّة؟

قال: بل للمسلمين عامّة؟

قال: فما حملك على أن تخصّ بها هذين؟

قال: استشرت الذين حولي فأشاروا عليّ بذلك، وقد قلت لك إنك أقوى عليها منّي  
فغلبتني» الإصابة ٤: ٦٤٠.

فأبو بكر كان ضعيف الجانب بإقراره وكلامه، وكان المسيّس للدولة هو عمر بن  
الخطّاب، بحيث حتى إقطاع قطعة أرض لم يكن أبو بكر يستطيع بتّها إلا بموافقة

➤ عمر، فضلاً عن المسائل الأكبر من ذلك.

ثمّ ولي الخلافة عمر بن الخطّاب وكان كما يصفه ابن أبي الحديد بقوله: «كان عمر شديد الغلظة، وعر الجانب، خشن الملمس، دائم العبوس..» شرح نهج البلاغة ٦: ٣٢٧، وقال في موطن آخر: «وكان سريعاً إلى المساءة، كثير الجبة والشم والسهب لكلّ أحد، وقلّ أن يكون في الصحابة من سلم من معرّة لسانه أو يده، ولذلك أبغضوه وملّوا أيامه..» شرح نهج البلاغة ٢٠: ٢١ فاستخدم العنف في حياته مع الصحابة فضلاً عن غيرهم، وقام بمنع تدوين الحديث النبوي الشريف، إيداناً منه بالحرب على الله ورسوله، وحرماناً للأمة من المفسّر العظيم للقرآن وهو البيان النبوي الشريف..

فعاش المسلمون تحت وطأته وأحداثه المميّزة التي أدخلها على الدين الاسلامي من صلاة التراويح، ومنع متعة الحجّ، ومتعة النساء... إلخ ممّا يطول الكلام حوله. وقد أعرب عنه الإمام عليّ عليه السلام وأوجز لنا رأيه فيه فقال في وصفه له على لسان عمر ابن الخطّاب: «فرأيتماني كاذباً آثماً غادراً خائناً» صحيح مسلم ٥: ١٥٢ وفي مكان آخر يصفه بقوله: «اتينا ولاياتنا معك أحد كراهية محضر عمر بن الخطّاب» صحيح مسلم ٥: ١٥٤.

وبينما كان عمر بن الخطّاب يقول: «إنّ كانت بيعة أبي بكر فلتة وتمت.. ولكن وقى الله شرّها.. من بايع رجلاً عن غير مشورة من المسلمين فلا يبايع هو ولا الذي يبايعه تغرة أن يقتل» صحيح البخاري ٨: ٢٦، وإذا به يدلّها إلى ستة أنفار، ورجح كفة عبد الرحمن بن عوف، وعبد الرحمن يميل إلى عثمان، فكانت النتيجة خلافة عثمان التي أوقعت الأمة في مآهات وطمات مازلنا ندفع ثمنها حتّى الآن.

فعقد عبد الرحمن بن عوف الخلافة العثمانية، فقام عثمان بمخالفة السنن والقوانين، فاصدر مرسوماً بمنع الحديث، وضرب الصحابة كعمّار بن ياسر وعبد الله بن مسعود وغيرهم، وحمل آل معيط على رقاب الناس، وأرجع الحكم بن أبي

➤ العاص طريد رسول الله ﷺ إلى المدينة بعد ما طرده النبي الأكرم ولعنه ومن في صلبه وسماه وزغاً، وأغدق عليه بالأموال قال الذهبي في تاريخ الإسلام ٣: ٣٦٥ في معرض كلامه عنه: «أسلم يوم الفتح وقدم المدينة، فكان يفشي سرّ رسول الله ﷺ فطرده وسبّه وأرسله إلى بطن وج، فلم يزل طريداً إلى أن وليّ عثمان، فأدخله المدينة ووصل رحمه وأعطاه مائة ألف درهم». وأعطى مروان خمس أفريقيا، وأعطى عبد الله بن خالد زوج ابنته ثلاثمائة قنطار ذهب.

وولّى الامصار الفسّاق الفجّار، فولّى عبد الله بن أبي سرح أخاه لأمه من الرضاعة وأعطاه ولاية مصر، وعبد الله بن أبي سرح أسلم ثم ارتدّ وأباح النبي ﷺ دمه، لكن عثمان استأمنه، ولمّا استخلف ولّاه مصر. سير أعلام النبلاء ٣: ٣٤. واستعمل الوليد بن عقبة على الكوفة قال الذهبي في ترجمته في السير ٣: ٤١٣: «ولى الكوفة لعثمان.. وكان سخياً ممدوحاً شاعراً، وكان يشرب الخمر..» وهو الذي نزل قرآن بفسقه قال ابن عبد البر في الاستيعاب ٤: ١٥٥٣: «ولا خلاف بين أهل العلم بتأويل القرآن فيما علمت أن قوله عز وجل: ﴿إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ﴾ نزلت في الوليد بن عقبة وحمى الحمى وفعل الأفاعيل، ومن ثمّ أولى بأموره إلى مروان بن الحكم حتّى أوقعه في الهاوية قال ابن كثير في البداية والنهاية ٨: ٢٨٢: «ومن تحت رأسه جرت قضية الدار، وبسببه حصر عثمان بن عفّان فيها».

ثمّ ثار الصحابة ثورتهم المعروفة بقيادة عبد الرحمن بن عديس البلوي الصحابي الرضواني، والجهجا الغفاري الصحابي الرضواني، وطلحة بن عبيد من العشرة المبشّرين بالجنّة، وجبلة بن عمرو الساعدي، وعمرو بن الحمق الخزاعي.. وغيرهم من الصحابة الأجلّاء قادوا الثورة ضده إلى أن قتلوه في داره. ومن بعد مقتله قام باغية آل بني سفيان، رافعاً قميص عثمان ومطالباً بالخلافة، وقام معه أهل الشام، فخرج على إمام زمانه الشرعي علي بن أبي طالب عليه السلام،

🔸 وحاربه وأثبت بغيه الذي أخبر عنه النبي الأكرم بقوله: «ويح عمّار تقتله الفئة الباغية يدعوهم إلى الله ويدعونه إلى النار» صحيح البخاري ٣: ٢٠٧ فأثبت بغيه ودعوته إلى النار بحربه التي طحنت الأخضر واليابس.

ولمّا استولى على الحكم بعد مقتل الإمام علي عليه السلام أخذ بقتل الأبرياء العزلّ وسبى النساء المسلمات، يقول المزي في تهذيب الكمال ٤: ٦٤: «أنّ معاوية ابن أبي سفيان أرسل بسر بن أبي ارطاة القرشي ثمّ العامري في جيش من الشام حتّى قدم المدينة، وعليها يومئذ أبو أيوب خالد بن زيد الأنصاري صاحب النبي صلى الله عليه وآله، فهرب منه أبو أيوب إلى علي بالكوفة، فصعد بسر منبر المدينة، ولم يقاتله بها أحد، فجعل ينادي: يا زريق، يا نجار، شيخ سمح عهدته هاهنا بالأمس - يعني عثمان... وجعل يقول: يا أهل المدينة، والله لولا ما عهد إلي أمير المؤمنين - يقصد معاوية - ما تركت بها محتلاً إلا قتلته.. وهدم بسر دوراً بالمدينة.. ثمّ مضى إلى اليمن وعليها يومئذ عبيد الله بن العباس بن عبد المطلب، عاملاً لعلي بن أبي طالب.. وكانت عائشة بنت عبد الله بن عبد المطلب قد ولدت من عبيد الله غلامين من أحسن صبيان الناس أوضئه وأنظفه، فذبجها ذبحاً..».

وجاء في الاستيعاب ١: ١٦١: «أغار بسر بن ارطاة على همدان وسبى نساءهم، فكّن أوّل مسلمات سبين في الإسلام، وقتل أحياء من بني سعد. حدّث أبو سلامة عن أبي الرباب وصاحب لهما أنّهما سمعا ابا ذر يدعو ويتعوّذ في صلاة صلاًها أطلّ قيامها وركوعها وسجودها.

قال: فسألنا، ممّ تعوذت، وفيه دعوت؟

فقال: تعوذت بالله من يوم العورة.

فقلنا: وما ذاك؟

قال: أمّا يوم البلاء فتلتقي فتیان من المسلمين فيقتل بعضهم بعضاً. وأما يوم العورة فإنّ نساء من المسلمات ليسبين فيكشف عن سوقهن، فأيتهن كانت

➤ أعظم ساقاً اشترت على عظم ساقها، فدعوت الله ألا يدركني هذا الزمان،  
ولعلكما تدركانه.

قالا: فقتل عثمان، ثم أرسل معاوية بسر بن أحمد بن اوطاة إلى اليمن فسبى نساء  
مسلمات فأقمن في السوق».

هذا فضلاً عما فعله بالمسلمين من الصحابة وغيرهم، فقام بقتل عبد الرحمن بن  
عديس البلوي الرضواني الذي تزعم الحملة العسكرية ضد عثمان، وبعدهما  
استولى معاوية على الأمور هرب إلى فلسطين، فقتلوه هناك. راجع الإصابة ٤:  
٢٨٢.

وقتل عمرو بن الحمق الخزاعي الذي شارك في الهجوم على عثمان وهو صحابي  
معروف مشهور، وقطع رأسه وحمل ليكون أول رأس يحمل في الإسلام. راجع  
الإصابة ٤: ٥١٤.

وقام بحصار الأنصار، وهم الصحابة الأجلاء، اقتصادياً وسياسياً، وقطع عنهم  
جميع الأشياء. راجع الإصابة ١: ٣٩٤ وإليك صورة مختصرة أخرى ينقلها ابن  
حجر في الإصابة ٢: ٢٩٧ فيقول: «كان حميداً بليغاً اجتمعت عليه ربيعة بعد موت  
علي لما حلف معاوية أن يسبي ربيعة، ويبيع ذراريهم لمسارعتهم إلى علي.  
فقال خالد:

تمنى ابن حرب حلفة في نسائنا      ودون الذي ينوي سيوف قواضب  
سيوف نطاق والقناة فنستقي      سوء بعلمها بعلاً وتبكي القرائب  
فهذا معاوية وهذه سيرته الموجزة في الدولة الإسلامية، فأَيُّ صفحة بيضاء فيها؟  
وأَيُّ صورة ناصعة تحكيها؟!

ولمّا دق الموت اسفينه في معاوية بن أبي سفيان أدلى بالأمر إلى ابنه يزيد، شارب  
الخمير، اللاعب بالقروء، المنتزي على الملك من غير حق شرعي، ويحدّثنا الذهبي  
بصورة موجزة عن يزيد فيقول: «كان ناصبياً، فظاً غليظاً، جلفاً، يتناول المسكر،

### ❖ ويفعل المنكر.

افتتح دولته بمقتل الشهيد الحسين، واختتمها بواقعة الحرّة، فمقتته الناس، ولم يبارك في عمره..» سير أعلام النبلاء ٤: ٣٧.  
ويقول البلاذري في أنساب الأشراف ٤: ٢: «كان ليزيد بن معاوية قرد يجعله بين يديه ويكنيه أبا قيس ويقول: هذا شيخ من بني إسرائيل أصاب خطيئة فمسخ. وكان ليسقيه النبيذ ويضحك مما يصنع، وكان يحمله على أتان وحشية ويرسلها مع الخيل...».

هذا يزيد وهذا حاله فما هي الصفحة البيضاء في تاريخه؟  
ثمّ ولي الخلافة مروان بن الحكم بن أبي العاص الذي طُرد أبيه من المدينة بأمر من النبي ﷺ، وسمّاه الوزغ بن الوزغ، وقال في حقه وبنيه: «إذا بلغ بنو العاص ثلاثين رجلاً اتخذوا دين الله دغلاً، ومال الله دولاً، وعباد الله خولاً». المعجم الصغير ٢: ١٣٥، وجاء في الاستيعاب ٣: ١٣٨٧ أن عليّاً نظر إلى مروان يوماً فقال: «ويلك وويل أمّة محمّد منك ومن بنيك».  
ولمّا ولي الخلافة أخذ بسب علي بن أبي طالب في كلّ خطبة يخطبها. قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري ٢: ٣٧٦: «في زمن مروان يتعمّدون ترك سماع الخطبة لما فيها من سبّ من لا يستحقّ السبّ - وهو علي - والإفراط في مدح بعض الناس - يعني معاوية...».

وقد حرّض الناس في معركة الجمل، ثمّ قام بقتل طلحة بن عبيد قال ابن عبد البرّ في الاستيعاب ٢: ٧٦٨: «رمى مروان طلحة بسهم، ثمّ التفت إلى أبان بن عثمان فقال: قد كفيتك بعض قتلة أبيك».

علّق الذهبي على ذلك في السير ١: ٣٦ بقوله: «قاتل طلحة في الوزر بمنزلة قاتل علي»، أي مروان بمنزلة عبد الرحمن بن ملجم.

فهذا مروان وهذا تاريخه فأيّ صفحة بيّض بها وجه التاريخ!؟

ثم ولي الخلافة ابنه عبد الملك بن مروان، وكان من ولاته الحجاج بن يوسف الثقفي الذي ضرب الكعبة بالمنجنيق، وقتل الأبرياء، واستأصل شأفة الناس العزل، حتى قال في حقّه عمر بن عبد العزيز: لو جاءت كل أمة بخبيثها وجئنا بالحجاج لغلبناهم. تهذيب التهذيب ٢: ١٨٥.

هذا الحجاج أوصى به عبد الملك ابنه فقال: «وانظر الحجاج فإكرمه، فإنّه هو الذي وطأ لكم المنابر، وهو سيفك يا وليد، ويدك على من ناواك» تاريخ الإسلام ٦: ١٤٣.

فأين الصفحة البيضاء في تاريخ شخص يولي الحجاج بن يوسف؟! ثم ولي الخلافة الوليد بن عبد الملك بن مروان الذي وصفه الذهبي بقوله في تاريخ الإسلام ٦: ٥٠٠: «وكان الوليد جباراً ظالماً».

وقال العبسي: «كان مولده سنة خمسين، وكان أبواه يترفانه، فشبّ بلا أدب، وكان لا يحسن العربية، وكان إذ مشى يتوكّف في المشية - أي يتبختر...» البداية والنهاية ٩: ١٨٢.

وتولّى الخلافة يزيد بن عبد الملك بن مروان، ويكفي في تاريخه أن حريز بن عثمان الحربي الناصبي الموثق لدى علماء السنة قال: «هذا الذي يرويه الناس عن النبي ﷺ أنّه قال لعلي: أنت منّي بمنزلة هارون من موسى حق، ولكن أخطأ السامع! قلت: فما هو؟

فقال: إنّما هو أنت منّي بمنزلة قارون من موسى.

قلت: عمّن تروييه؟

قال: سمعت الوليد بن عبد الملك يقوله وهو على المنبر» تهذيب التهذيب ٢: ٢٠٩.

وفي سير أعلام النبلاء ٢: ١٦٠ عن الزهري قال: «قال: كنت عند الوليد فقال: الذي تولّى كبره علي.

فقلت: لا، حدّثني سعيد وعروة وعلقمة وعبيد الله كلّهم سمع عائشة تقول: إنّ الذي



﴿ تولّى كبره عبد الله بن أبي... ﴾.

وفي سير أعلام النبلاء ٤: ٩ عن الزهري قال: «كنت عند الوليد بن عبد الملك، فكان يتناول عائشة رضي الله عنها».

وبعد هذا وذاك يرجعون ويقولون بأن الشيعة هم الذين يطعنون بعائشة ويرمونها بالإفك، وهذه الروايات تشهد بأن الصحابة هم الذين رموا عائشة بالإفك، وأن هذا الخليفة يطعن بأمة عائشة.

وولي الخلافة هشام بن عبد الملك وقام في دولته بذبح زيد بن علي عليه السلام وشيعته، وأخذ بتتبع المسلمين الشيعة تحت كل حجر ومدن.

ثم ولي الخلافة الوليد بن يزيد بن عبد الملك، قال عنه العيني في عمدة القاريء: «كان مشهوراً بالإلحاد مبارزاً بالعناد» عمدة القاريء ٢٢: ٢١٢.

وقد أخبر عنه النبي ﷺ فقال: «سمّيتوه بأسماء فراعنتكم، ليكونن في هذه الأمة رجل يقال له الوليد، لهو شرّ على هذه الأمة من فرعون لقومه» مسند أحمد ١: ١٨٠. قال الأوزاعي: «فكانوا يرونه الوليد بن عبد الملك، ثم رأينا إته الوليد بن يزيد لفتنة الناس به حين خرجوا عليه فقتلوه، وانفتحت الفتن على الأمة بسبب ذلك، وكثر فيهم القتل» فتح الباري ١٠: ٤٧٨.

وولي بعده يزيد بن الوليد بن عبد الملك بعد أن ثار على الوليد وقتله، قال اليعقوبي: «وكانت ولايته خمسة أشهر، والفتنة في جميع الدنيا عامة، حتى قتل أهل مصر أميرهم حفص بن الوليد الحضرمي، وقتل أهل حمص عاملهم عبد الله بن شجرة الكندي، وأخرج أهل المدينة عاملهم عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز.

وغلب على أمره يزيد بن خالد القسري، وكان على شرطة يزيد بن الشماخ اللخمي.. وكان قدرياً..» تاريخ اليعقوبي ٢: ٣٣٥.

ثم ملك إبراهيم بن الوليد بن عبد الملك، قال الزركلي في الأعلام ١: ٧٨: «وكان ضعيفاً مغلوباً على أمره، تارة يسلم عليه بالإمارة، وتارة بالخلافة، فمكث

وأذكر على سبيل المثال أنّ الأستاذ المختص في تدريسنا مادة البلاغة كان يدرّسنا الخطبة الشقشقيّة من كتاب نهج البلاغة للإمام عليّ، واحترت كما احتار عدد من التلاميذ عند قراءتها، وتجرّأت وسألته: إن كان هذا من كلام الإمام علي حقّاً؟!

فأجاب: قطعاً ومن لمثل هذه البلاغة سواه؟! ولو لم يكن كلامه كرم الله

---

سبعين يوماً، فثار عليه مروان بن محمّد بن مروان، وكان والي آذربيجان، ودعا لنفسه بالخلافة، وقدم الشام، فاختمى إبراهيم واستولى مروان، فأمن إبراهيم فظهر وقد ضاعت خلافته، وقتل مع من قتل من بني أمية حين زالت دولتهم».

ثمّ ملك مروان بن محمّد بن مروان، قال ابن حبان في الثقات ٢: ٣٢٢: «وكان يقال له الحمار، وإيّا عرف بالحمار لقلة عقله».

وقال الزركلي في الأعلام ٧: ٢٠٨: «فافتتح فتوحات وخاض حروباً كثيرة، ولمّا قتل الوليد بن يزيد وظهر ضعف الدولة في الشام دعا الناس وهو بأرمينية إلى البيعة فبايعوه فيها..».

إلى هنا تنتهي الدولة الأموية، ورأينا فيها بشكل مقتضب المحن والفتن والاضطرابات، فأين الصفحة المشرقة في الدولة الاموية؟!

تترك الجواب لأموي العصر، لعلمهم يجدون حلّاً لهذه الصفحات السوداء. ثمّ شرعت دولة بني العبّاس وكان أوّل حاكم فيها أبي العبّاس السفاح قال الزركلي في الأعلام ٤: ١١٦: «أوّل خلفاء الدولة العباسية، وأحد الجبارين الدهاة من ملوك العرب.. وكان شديد العقوبة، عظيم الانتقام، تتبّع بقايا الأمويين بالقتل والصلب والإحراق حتّى لم يبق منهم غير الأطفال والجالين إلى الأندلس. ولقب بالسفاح لكثرة ما سفح من دمائهم..».

ثمّ ولي الخلافة من بعده أبو جعفر المنصور قال الذهبي في سير أعلام النبلاء ٧: ٨٣: «أباد جماعة كباراً حتّى توطد له الملك، ودانت له الأمم على ظلم فيه، وقوة نفس».

وجهه لم يكن علماء المسلمين أمثال الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية ليهمّ بشرحه.

عند ذلك قلت: إن الإمام علي يتهم أبا بكر وعمر بأنهم اغتصبوا حقّه في الخلافة.

فثارت ثائرة الأستاذ واتهرني بشدّة، وهدّدي بالطرد إن عدت لمثل هذا السؤال، وأضاف قائلاً: نحن ندرّس بلاغة ولا ندرّس التاريخ، وما يهمنا شيء من أمر التاريخ الذي سوّدت صفحاته الفتن والحروب الدّامية بين المسلمين، وكما طهّر الله سيوفنا من دمائهم فلنطهّر ألسنتنا من شتمهم.

ولم أقنع بهذا التعليل، وبقيت ناقماً على ذلك الأستاذ الذي يدرّسنا بلاغة بدون معان، وحاولت مراراً عديدة دراسة التاريخ الإسلامي، ولكن لم تتوفّر عندي المصادر والإمكانات لتوفير الكتب، وما وجدت أحداً من شيوخنا وعلمائنا يهتمّ بها، وكأنهم تصافقوا على طيها وعدم النظر فيها، فلا تجد أحداً يملك كتاباً تاريخياً كاملاً.

فلما سألتني صديقي عن معرفة التاريخ أحببت معاندته فأجبت به (نعم) ولسان حالي يقول: أعرف أنّه تاريخ مظلم مسود لا فائدة فيه إلاّ الفتن والأحقاد والتناقضات.

قال: هل تعرف متى ولد عبد القادر الجيلاني، في أي عصر؟

قلت: حسب التقريب في القرن السادس أو القرن السابع.

قال: فكم بينه وبين رسول الله ﷺ؟

قلت: ستة قرون.

قال: فإذا كان القرن فيه جيلان على أقل تقدير، فيكون نسبة عبد القادر

الجيلاني للرسول بعد اثني عشر جدياً.

قلت : نعم

قال : فهذا موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن فاطمة الزهراء يصل نسبه إلى جدّه رسول الله بعد أربعة أجداد فقط. أو بالأحرى فهو من مواليد القرن الثاني للهجرة، فأيهما أقرب إلى رسول الله موسى أم عبد القادر<sup>(١)</sup>؟

(١) إنَّ المطالع لكتب الوهابية أدنى مطالعة يلحظ فيها عقدة (القبور)، (التوسّل) بالأنبياء والصالحين، وكأنّ أمهاتهم ولدنهم في مقبرة بحيث أصبح الكلام عن القبر (العقدة المستعصية) ديدنهم، وتصوروا أنّ التوحيد كاملاً ينحصر في القبور والابتعاد عنها، وأنّ الرسالة الإسلامية التي جاءت للبشرية جمعاء، ولتظهر دقائق العقول وتنير للإنسان طريقه.. هذه الرسالة العظيمة منحصرة بقبر، وأن من ابتعد عن القبر فهمها ودخل في زمرة المؤمنين ومن دنا من قبرٍ فهو خارج عن الدين جاهل بتعاليم الإسلام العظيم!!

فاصبح القبر عندهم عنواناً عاماً يطلقونه على غيرهم فيسمونهم (القبورية)، وألقوا الكتب والمقالات تحت عناوين الردّ على القبورية وبيان عقائدهم وما إلى ذلك مما يفهمه القارىء.. وضاعت رسالة السماء العظيمة النيرة والتي تحمل تعاليم جهة من ناحية الفكر وبيان صفات الله سبحانه وتعالى والكون والعوالم التي تحيط به.. وما هنالك من أخلاق وتعاليم لاستخلاص النفس الإنسانية والرقى بها إلى الأعلى، من نظم اقتصادية وسياسية واجتماعية ومدنيّة يحملها الإسلام وبيّنها للأمم بأوجز بيان وبأجلّ برهان، وما إلى هنالك الكثير من غيرها الذي لا تسعه بيان عناوينه هذه الأسطر.. كلّ ذلك أغفلوه عن حياة المسلم وشطبوه من قاموسه الذي يعيش فيه وذهبوا به إلى المقبرة التي تحكم إسلامه من كفره، أو قل كما يقولون (إسلامه) من (قبوريته)!! فصار القبر عنواناً بدل كلمة التوحيد وبدل التصديق بالرسول الأكرم ﷺ، وبتعاليم الإسلام الرصينة، وصارت

➤ المقبرة شعاراً بدل التنقيب عن تعاليم الإسلام وبتّها بين الشعوب والأمم.. فالقبر أخذ الجزء الأكبر من تعاليم محمّد بن عبد الوهاب، فتجد القبر أمامك في كلّ كتبه من كتاب التوحيد إلى كشف الشبهات إلى سيرة الرسول إلى التفسير وإلى بقية كتبه، والقارئ لها يشهد وجود أزمة نفسية عند هذا الإنسان مع القبر. جاءوا إلى التوحيد فقسّموه إلى توحيد إلهيه وربوبية وعبودية، ثمّ حصروا توحيد العبودية بالقبر والتوسّل بالأنبياء والصالحين، فمن فعل ذلك فهو عارٍ عن التوحيد عموماً ومن لم يفعله داخل في زمرة الموحدين الأبرار الأتقياء!! ولأجل كلّ ذلك وغيره تجدهم دائماً يفسّقون الطوائف الأخرى ويخرجونها عن الملة والإسلام ولا يرون مسلماً إلا من كان على عقيدتهم، واعتقد بما سطرّوا، مما سمّوه عقيدة حتّى قال قائل منهم: «إنّ سلفنا من الحنابلة كانوا أشدّ من غيرهم من المذاهب السنيّة في التكفير والتبديع والإفتاء بقتل الخصوم» قراءة في كتب العقائد: ٢٢.

وهكذا انطلقت الوهابيّة من القبر - وإن زعمت أنّها انطلقت من التوحيد وسمّته توحيد العبوديّة لكن في الحقيقية حصرت بالقبور - لتبني عليه بنيانها المتلاحق من رسم صورة الإسلام وتعاليمه العظيمة بقبرٍ لا يتجاوز طوله المتر وعرضه نصف المتر، فلذلك لا يستغرب من بُعد الناس عن الإسلام وعدم إيمانهم به، بل والإعراض عنه بالكلية إذا كانت الصورة التي يأخذونها عن الإسلام هي صورة التوحيد القبوري، وربط فكر الإسلام بقبرٍ محدود، وعلى أساسه بُنيت التعاليم وأسس الاجتماع وما إلى ذلك..

والخلاصة: أنّ الرسالة السماوية التي جاء بها النبي ﷺ والتي لخصها ذلك الصحابي الجليل عندما سئل عن خلاصة رسالته وما هدفها؟ فقال: «جنّنا لنخرج الناس من عبودية العباد إلى عبودية الله سبحانه وتعالى»، هذه المقولة العظيمة التي تلخص أهداف الإسلام والقرآن العظيم، وهو الانطلاق

➤ بالإنسان إلى ذروة الكمال والتمام، واستخراج مكنون العقل ودفائنه، ورسم صورة للحياة يفهم الإنسان من خلالها موقعه في هذا الكون، ويفهم موقعه بالقياس إلى ما حوله، وكيف يتعامل مع من سواه على المستوى الفردي والجماعي.. أقول هذه المقولة العظيمة اختزلها محمد بن عبد الوهاب وأنزلها من تلك المنزلة الرفيعة والمقام السامي ليدفنها في قبر وأحجار محدودة المكان والزمان، ويوسدها بداخله ويقرأ عليها تراويل العزاء، ثمَّ يقول: إنه هو التوحيد الراسخ والإيمان الخالص، من عرفه أصبح من زمرة المسلمين ومن جهله أو جرده فعليه اللعنة إلى يوم الدين!!

فعلى الدين الإسلامي لتذرف الدموع، ولتبكي البواكي، وتندبه النوائح إذ أصبح بيد محمد بن عبد الوهاب وأتباعه، الذين حصره بجر ضيق لا يغني ولا يسمن، ولا مدخل له في دين الله سبحانه وتعالى...

وأما كلام المؤلف حول هذا الموضوع، وأنَّ الوهابية ينكرون كرامات الأولياء فالكلام فيه واضح من أوَّله إلى آخره، حيث إنَّ الوهابية تعادي القبر وتجعله الشرك الأكبر الذي ليس بعده حيلة، وأنَّ من دخل إلى قبرٍ من قبور الأولياء وتوسَّل به ودعا الله بحضرته فهو مشرك بشرك كبير يخرجُه عن الملة. وهذا ما عناه المؤلف بكلامه، وإليك شذر من كلمات محمد بن عبد الوهاب وهو يكفر من يدعو عند الأولياء ويزور قبورهم:

١ - قال: «... فنحن نعلم بالضرورة أنَّ النبي ﷺ لم يشرع لأُمَّته أن يدعو أحداً من الأموات، لا الأنبياء ولا الصالحين ولا غيرهم، بل نعلم أنَّه نهى عن هذه الأمور كلّها وأنَّ ذلك من الشرك الأكبر..» مجموع مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب، الرسائل الشخصية: ١٠٥.

٢ - قال: «... فأخبر سبحانه أنَّه لا يرضى من الدين إلا ما كان خالصاً لوجهه، وأخبر أنَّ المشركين يدعون الملائكة والأنبياء والصالحين ليقربوهم إلى الله زلفى

❦ ويشفعوا لهم عنده، وأخبر أنه لا يهدي من هو كاذب كفّار...  
وأما ما صدر من سؤال الأنبياء والأولياء الشفاعة بعد موتهم وتعظيم قبورهم ببناء القباب عليها والسراج والصلاة عندها واتخاذها أعياداً، وجعل السدنة والندور لها، فكل ذلك من حوادث الأمور التي أخبر بوقوعها النبي ﷺ وحذر منها كما في الحديث عنه ﷺ أنه قال: «لا تقوم الساعة حتى يلحق حيي من أمتي بالمشركين وحتى تعبد فئام من أمتي الأوثان...» المصدر السابق: ١١٢ - ١١٣.  
٣- وقال: «وصار ناس من الضالين يدعون أناساً من الصالحين في الشدة والرخاء مثل عبد القادر الجيلاني وأحمد البدوي، وعدي بن مسافر وأمثالهم من أهل العبادة والصلاح؛ صاح عليهم أهل العلم من جميع الطوائف.. وبين أهل العلم أنّ هذا هو الشرك الأكيد..» المصدر السابق: ١٥١ - ١٥٢.

٤- قال في كتابه كشف الشبهات: ٤٩: «اعلم - رحمك الله - أن التوحيد هو أفراد الله سبحانه وتعالى بالعبادة.

وهو دين الرسل الذي أرسلهم الله به إلى عباده، فأولهم نوح ﷺ أرسله الله إلى قومه لما غلوا في الصالحين، ودأ، وسواعاً، ويعقوث، ويعوق، ونسراً. وآخر الرسل محمد ﷺ، وهو الذي كسر صور هؤلاء الصالحين، أرسله الله إلى أناس يتعبدون، ويحجّون، ويتصدّقون، ويذكرون الله ولكنهم يجعلون بعض المخلوقين وسائط بينهم وبين الله عزّ وجلّ يقولون: نريد منهم التقرب إلى الله تعالى، ونريد شفاعتهم عنده، مثل الملائكة وعيسى، ومريم، وأناس غيرهم من الصالحين.

فبعث الله تعالى محمداً ﷺ يجدد لهم دينهم، دين أبيهم إبراهيم، ويخبرهم أنّ هذا التقرب والاعتقاد محض حقّ الله تعالى لا يصلح منه شيء لغيره، لا لملك مقرب ولا نبي مرسل، فضلاً عن غيرهما.

والآ فهؤلاء المشركون يشهدون أنّ الله هو الخالق وحده لا شريك له، وأنه لا يرزق

وبدون تفكير قلت : هذا أقرب طبعاً، ولكن لماذا نحن لا نعرفه ولا نسمع  
بذكره؟

قال : هذا هو بيت القصيد، ولذلك قلت : بأنكم - واسمح لي أن أعيدها -  
تركتم اللب وتمسكنم بالقشور، فلا تواخذني وأرجوك المعذرة.

كنا نتحدث ونمشي ونتوقف من حين لآخر حتى وصلنا إلى منتدى علمي  
يجلس فيه الطلبة والأساتذة ويتبادلون الآراء والنظريات، هناك جلسنا وكان  
يبحث بعينه في الجالسين وكأنه على موعد مع أحدهم.

جاء أحد الوافدين وسلم علينا، وفهمت أنه زميله في الجامعة، وسأله عن  
شخص علمت من الأجوبة أنه دكتور وسيأتي عمّا قريب، في الأثناء. قال لي

❦ إلا هو، ولا يحيي ولا يميت إلا هو، ولا يدبر الأمر إلا هو..

إذا تحققت أنهم مقرّون بهذا، وأنه لم يدخلهم في التوحيد الذي دعت إليه الرسل  
ودعاهم إليه رسول الله ﷺ وعرفت أنّ التوحيد الذي جحدوه هو توحيد العبادة  
الذي يسمّيه المشركون في زماننا الاعتقاد...».

إلى غير ذلك من الكلمات الكثيرة التي لا تخلو منها رسالة من رسائله الشخصية من  
تكفير وتبديع من يزور القبور ويصلي فيها ويدعو الله عندها، ويتبرك بأثار  
الأنبياء والصالحين.

فلا داعي للتهويل على المؤلف ومحاولة الإغماض عمّا ذكره سابقاً ولاحقاً على هذه  
الكلمة من أنّ محمّد بن عبد الوهاب وأنصاره يكفّرون من يدعو الله عند الأولياء  
ويزور قبورهم ويتبرك بهم لما لهم من المقام القربي من الله سبحانه وتعالى.  
وأما أنّ الزائر لقبر النبي ﷺ أو الولي يعتقد فيه أنّه شريك لله سبحانه وتعالى وأنه  
واسطته بينه وبين الله تعالى فهذا كلام عارٍ عن الصحّة تماماً وخالٍ عن أيّ  
مستندٍ إلا ما يوجد في ذهن محمّد بن عبد الوهاب وأنصاره، وله بحث في  
موضعه المخصوص فلا نطيل الكلام حوله.



صديقي : أنا جئت بك إلى هذا المكان قاصداً أن أعرفك بالدكتور المتخصص في الأبحاث التاريخية، وهو أستاذ التاريخ في جامعة بغداد، وقد حصل على الدكتوراه في أطروحته التي كتبها عن عبد القادر الجيلاني، وسوف ينفعك بحول الله، لأنني لست مختصاً في التاريخ.

شربنا بعض العصير البارد حتى وصل الدكتور، ونهض إليه صديقي مسلماً عليه، وقدمني إليه وطلب منه أن يقدم إلي لمحة عن تاريخ عبد القادر الجيلاني، واستأذنا في الانصراف لبعض شؤوننا.

طلب لي الدكتور مشروباً بارداً، وبدأ يسألني عن اسمي وبلادي ومهنتي، كما طلب مني أن أحدثه عن شهرة عبد القادر الجيلاني في تونس.

ورويت له الكثير في هذا المجال حتى قلت : والناس عندنا يعتقدون بأن الشيخ عبد القادر كان يحمل رسول الله على رقبته ليلة المعراج عندما تأخر جبريل خوفاً من الاحتراق، وقال له رسول الله ﷺ : قدمي على رقبتك، وقدمك على رقاب كل الأولياء إلى يوم القيامة.

وضحك الدكتور كثيراً عند سماعه كلامي، وما دريت أكان ضحكه علي هذه الروايات أم كان علي الأستاذ التونسي الذي بين يديه !

بعد مناقشة قصيرة حول الأولياء والصالحين قال : إنه بحث طوال سبع سنين سافر خلالها إلى لاهور في باكستان، وإلى تركيا، وإلى مصر، وبريطانيا، وكل الأماكن التي بها مخطوطات تنسب إلى عبد القادر الجيلاني وأطلع عليها وصورها، وليس فيها أي إثبات بأن عبد القادر الجيلاني هو من سلالة الرسول، وغاية ما هنالك بيت من الشعر ينسب إلى أحد أحفاده يقول فيه : « وجدِّي رسول الله »، وقد يحمل ذلك - كما قال بعض العلماء - علي تأويل حديث النبي ﷺ : « أنا جد كل »

تقي» (١).

وزادني بأن التاريخ الصحيح يثبت أن عبد القادر أصله فارسي وليس عربياً أصلاً، وقد ولد في بلدة بايران تسمى (جيلان)، وإليها ينسب عبد القادر، وقد نرح إلى بغداد حيث تعلم هناك وجلس يدرّس في وقت كان في انحلال خلقي. وكان الرجل زاهداً فأحبّه الناس، وبعد وفاته أسسوا الطريقة القادرية نسبة إليه كما يفعل دائماً أتباع كل متصوّف.

وأضاف قائلاً: حقاً إن حالة العرب مؤسفة من هذه الناحية.

وثارت في رأسي حمية الوهابية، فقلت للدكتور: «إذا أنت وهابي الفكر - يا حضرة الدكتور - فهم يقولون كما تقول ليس هناك أولياء».

فقال: لا أنا لست على رأي الوهابية، والمؤسف عند المسلمين هو إمّا الإفراط وإمّا التفريط، فإمّا أن يؤمنوا ويصدّقوا بكل الخرافات التي لا تستند إلى دليل ولا عقل ولا شرع، وإمّا أن يكذبوا بكلّ شيء حتى بمعجزات نبيّنا محمّد وأحاديثه، لأنّها لا تتماشى وأهواءهم وعقائدهم التي يعتقدونها، وقد شرّقت طائفة وغرّبت أخرى؛ فالصوفية يقولون بإمكانية حضور الشيخ عبد القادر الجيلاني - مثلاً - في بغداد وفي نفس الوقت في تونس، وقد يشفي مريضاً في تونس وينقذ غريقاً في نهر دجلة في نفس اللحظة، فهذا إفراط.

والوهابية - كرد فعل على الصوفية - كذبوا بكلّ شيء حتى قالوا بشرك من توّسل بالنبي! وهذا تفريط، لا يا أخي نحن كما قال الله تعالى في كتابه العزيز: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ (٢).

(١) كشف الخفاء ومزيل الالتباس ١: ٢٠٣.

(٢) سورة البقرة: ١٤٣.

أعجبني كلامه كثيراً وشكرته مبدئياً، وأبديت قناعتني بما قال. فتح محفظته وأخرج كتابه عن عبد القادر الجيلاني وأهدانيه، كما دعاني للضيافة فاعتذرت، وبقينا نتحدّث عن تونس وعن شمال إفريقيا حتّى جاء صديقي، ورجعنا إلى البيت ليلاً بعد أن أمضينا كامل اليوم في الزيارات والمناقشات، وشعرت بالتعب والإرهاق فاستسلمت للنوم.

استيقظت باكراً وصلّيت وجلست أقرأ الكتاب الذي يبحث في حياة عبد القادر، فما أفاق صديقي حتّى كنت قد أتممت نصفه، وكان يتردّد عليّ من حين لآخر داعياً إياي لتناول الفطور، فلم أوافق حتّى أنهيت الكتاب، وقد شدّني إليه وأدخل عليّ شكاً لم يلبث طويلاً حتّى زال قبل خروجي من العراق.

## الشك والتساؤل

بقيت في بيت صديقي ثلاثة أيام، استرحت خلالها وفكرت ملياً فيما سمعته من هؤلاء الذين اكتشفتهم وكأنهم كانوا يعيشون على سطح القمر، فلماذا لم يحدثنا أحدٌ عنهم إلا بما هو مزرٍ ومشين.

لماذا أنا أكرههم وأحقد عليهم دون أن أعرفهم، لعل ذلك ناتج من الإشاعات التي نسمعها عنهم من أنهم يعبدون علياً، وأنهم ينزلون أمّتهم منزلة الآلهة، وأنهم يقولون بالحلول، وأنهم يسجدون للحجر من دون الله، وأنهم - كما حدثنا أبي بعد رجوعه من الحج - يأتون إلى قبر الرسول ليلقون فيه القذارات والنجاسات، وقد مسكهم السعوديون وحكموا عليهم بالإعدام وأنهم.. وأنهم.. حدث ولا حرج.

كيف يسمع المسلمون بهذا ولا يحقدون على هؤلاء الشيعة ولا يبغضونهم، بل كيف لا يقاتلونهم؟!

ولكن كيف أصدّق هذه الاشاعات، وقد رأيت بعيني ما رأيت، وسمعت بأذني ما سمعت، وها قد مضى على وجودي بينهم أكثر من أسبوع، ولم أر منهم ولم أسمع إلا الكلام المنطقي الذي يدخل العقول بدون استئذان.

بل قد استهوتني عباداتهم وصلاتهم ودعاؤهم وأخلاقهم واحترامهم لعلمائهم حتى تمنيت أن أكون مثلهم، وبقيت أتسأل: هل حقاً أنهم يكرهون رسول الله! وكلما ذكرته وكثيراً ما أذكره لاختبارهم فيصيحون بكُلِّ جوارحهم «اللهم

صلّ على محمّد وعلى آل محمّد»، وظننت أنّهم ينافقون، ولكن زال هذا الظن بعد ما تصفّحت كتبهم التي قرأت شيئاً منها، فوجدت احتراماً وتقديساً وتنزيهاً لشخص الرسول لم أعده في كتبنا.

فهم يقولون بعصمته ﷺ في كلّ شيء قبل البعثة وبعدها، بينما نقول نحن أهل السنّة والجماعة بأنّه معصوم في تبليغ القرآن فقط، وما عدا ذلك فهو بشر يخطئ كغيره، وكثيراً ما نستدلّ على ذلك بخطئه ﷺ وتصويب بعض الصحابة رأيه، ولنا في ذلك أمثلة متعدّدة، بينما يرفض الشيعة أن يكون رسول الله يخطئ ويصيب غيره، فكيف أصدق بعد هذا أنّهم يكرهون رسول الله.. كيف؟!

وتحدّثت يوماً مع صديقي ورجوته وأقسمت عليه أن يجيبني بصراحة، وكان الحوار التالي :

أنتم تنزلون عليّاً رضي الله عنه وكرّم الله وجهه منزلة الأنبياء، لأنّي ما سمعت أحداً منكم يذكره إلاّ ويقول: ﷺ.

- فعلاً نحن عندما نذكر أمير المؤمنين أو أحد الأئمّة من بنيه نقول: ﷺ، فهذا لا يعني أنّهم أنبياء، ولكنهم ذريّة الرسول وعترته الذين أمرنا الله بالصلاة عليهم في محكم تنزيله، وعلى هذا يجوز أن نقول: عليهم الصلاة والسلام أيضاً.

- لا يا أخي نحن لا نعتز بالصلاة والسلام إلاّ على رسول الله والأنبياء الذين سبقوه، ولا دخل لعلي وأولاده في ذلك رضي الله عنهم.

- أنا أطلب منك وأرجوك أن تقرأ كثيراً حتّى تعرف الحقيقة.

- أيّ الكتب أقرأ يا أخي؟ ألسنت أنت الذي قلت لي بأنّ كتب أحمد أمين ليست حجّة على الشيعة، كذلك كتب الشيعة ليست حجّة علينا ولا نعتمد عليها، ألا ترى أن كتب النصارى التي يعتمدونها تذكر أنّ عيسى ﷺ قال: «إني ابن الله»! في حين أن القرآن الكريم - وهو أصدق القائلين - يقول على لسان عيسى بن مريم:

﴿ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ ﴾ (١)؟!

- حسناً قلت : لقد قلت ذلك، والذي أريده منك هو هذا، أعني استعمال العقل والمنطق والاستدلال بالقرآن الكريم والسنة الصحيحة ما دنا مسلمين، ولو كان الحديث مع يهودي أو نصراني لكان الاستدلال بغير هذا.

- إذاً، في أي كتاب سأعرف الحقيقة، وكل مؤلف وكل فرقة وكل مذهب يدعي أنه على الحق؟!

- سأعطيك الآن دليلاً ملموساً، لا يختلف فيه المسلمون بشئى مذاهبهم وفرقهم ومع ذلك فأنت لا تعرفه !

- وقل ربّي زدني علماً.

هل قرأت تفسير الآية الكريمة : ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ (٢).

فقد أجمع المفسرون سنة وشيعة على أن الصحابة الذين نزلت فيهم هذه الآية، جاؤوا إلى رسول الله فقالوا : يا رسول الله، عرفنا كيف نسلم عليك ولم نعرف كيف نصلي عليك؟

فقال : قولوا : « اللهم صل على محمد وآل محمد، كما صليت على إبراهيم وآل إبراهيم في العالمين، إنك حميد مجيد » (٣)، ولا تصلوا علي الصلاة البتراء، قالوا : وما

(١) سورة المائدة: ١١٧.

(٢) سورة الأحزاب: ٥٦.

(٣) هذا الحديث مجمع عليه، ورد بألفاظ وأسانيد مختلفة في كتب الحديث والتفسير، انظر على سبيل المثال، صحيح البخاري: ٤: ١١٨، كتاب الدعوات، باب الصلاة على النبي ﷺ، صحيح مسلم: ٢: ١٦، كتاب الصلاة، باب الصلاة على النبي ﷺ بعد التشهد، السنن الكبرى للبيهقي ٢: ٢٠٩، كتاب الصلاة، سنن

➤ الدارقطني ١: ٣٥٤، باب وجوب الصلاة على النبي ﷺ، القول البديع للسخاوي: ٣٤، الباب الأول، أخبار أصفهان لأبي نعيم الأصفهاني ١: ١٣١، الشفا للقاضي عياض ٢: ٦٠، مجمع الزوائد ٢: ١٤٤، ١٠: ١٦٣، الدر المنثور للسيوطي ٥: ٤٠٦، ذيل الآية روح المعاني للألوسي ١١: ٢٥٤، تفسير القرطبي ١٤: ١٥٠، ذيل الآية. قال الباحث السلفي حسن فرحان المالكي في كتابه (قراءة لمذهب الشيخ محمد بن عبد الوهاب في التكفير مع نقد تفصيلي لكتاب كشف الشبهات) في هامش: ٣٨: «قد يلاحظ بعض الإخوة أنني غالباً اقتصر في الصلاة على النبي والآل دون الصحابة، ليس إنكاراً لفضلهم، ولا ملتزماً بذلك، وإنما محاولاً التذكير بالنص الذي نردده في كل تشهد (اللهم صلّ على محمد وعلى آل محمد)، فليس في الأحاديث التزام الصلاة على الصحابة كما نفع اليوم، اتباعاً لمحدثات بعض السلفية الأولى!!»

ولم نكتفِ بالصلاة على الصحب حتى أدخلنا فيها كلمة (أجمعين) حتى يدخل معاوية والوليد وقاتل عمّار! فالتزام هذا والإنكار على من اقتصر على الآل للأسف إنّها من البدع المشتهرة عند غلاتنا، تلك البدع التي ابتدعناها لمعارضة الشيعة، وهي دليل على رغبة الغلاة هنا من قديم ألا يختص أهل البيت بشيء من الخصائص!!

ولولا أنّ الصلاة على الآل يرددها المسلمون في كل تشهد لنسوها مثلما نسوا المنزلة الهارونية وبغي معاوية».

وهذا الكلام يصدق عليه قوله تعالى: ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا﴾ سورة يوسف: ٢٦، وعلى بطلان ما يفعلونه من الاقتصار على الصلاة على النبي فقط أو إدخال الصحابة أجمعين عند الصلاة على النبي والآل، وهي بدعة أحدثوها بدون دليل وبرهان.

وقال العلامة الشيخ عبد الله بن الصديق الغماري في كتابه (القول المقنع في الرد على

الصلاة البتراء يا رسول الله؟

قال: أن تقولوا اللهم صل على محمد وتصمتوا، وأن الله كامل ولا يقبل إلا الكامل<sup>(١)</sup>، ولكل ذلك عرف الصحابة ومن بعدهم التابعون أمر رسول الله فكانوا يصلون عليه الصلاة الكاملة، حتى قال الإمام الشافعي في حقهم:

يا آل بيت رسول الله حُبُّكُمْ      فَرَضُ مَنْ اللهُ فِي الْقُرْآنِ أَنْزَلَهُ  
كَفَاكُمْ مَنْ عَظِيمِ الشَّانِ أَنْكُمْ      مَنْ لَمْ يُصَلِّ عَلَيْكُمْ لَا صَلَاةَ لَهُ<sup>(٢)</sup>

⊖ الألباني المبتدع): ٩ - ١٠: «وننبه هنا على خطأ وقع من جماهير المسلمين، قلّد فيه بعضهم بعضاً، ولم يتفطن له إلا الشيعة: ذلك أنّ الناس حين يصلّون على النبي ﷺ يذكرون معه أصحابه، مع أنّ النبي ﷺ حين سأله الصحابة فقالوا: كيف نصلي عليك؟ أجابهم بقوله: «قولوا اللهم صل على محمد وآل محمد»، وفي رواية: «اللهم صل على محمد وأزواجه وذريته»، ولم يأت في شيء من طرق الحديث ذكر أصحابه، مع كثرة الطرق وبلوغها حدّ التواتر، فذكر الصحابة في الصلاة على النبي ﷺ زيادة على ما علّمه الشارع، واستدراك عليه، وهو لا يجوز.

وأيضاً فإنّ الصلاة حقّ للنبي ﷺ ولآله، لا دخل للصحابة فيها، لكن يترضى عنهم. وروى مالك حديث أبي حميد الساعدي أنّهم قالوا: يا رسول الله كيف نصلي عليك؟ فقال: «قولوا اللهم صل على محمد وأزواجه وذريته كما صليت على آل إبراهيم».

(١) قوله ﷺ: «لا تصلّوا عليّ الصلاة البتراء» ورد مرسلأ في عدّة مصادر وبألفاظ مختلفة، انظر: الصواعق المحرقة لابن حجر الهيتمي ٢: ٤٣٠، باب ١١ في الآيات الواردة فيهم الآية الثانية، ينابيع المودة للقندوزي ١: ٣٧، ٢: ٤٣٤، رشفة الصادي للحضرمي: ٦٨، القول البديع للسخاوي: ٤٥ الباب الأول وقال: «أخرجه أبو سعيد في شرف المصطفى» جواهر العقدين للسهمودي ٢: ٤٩، الغدير للأميني ٢: ٤٢٦.

(٢) نظم درر السمطين: ١٨، سبل الهدى والرشاد ١١: ١١، ينابيع المودة للقندوزي



كان كلامه يطرق سمعي وينفذ إلى قلبي، ويجد في نفسي صدقاً إيجابياً، وبالفعل فقد سبق لي أن قرأت مثل هذا في بعض الكتب، ولكن لا أذكر في أي كتاب بالضبط، واعترفت له بأننا عندما نصلي على النبي نصلي على آله وصحبه أجمعين، ولكن لا نفردهم علياً بالسلام كما يقول الشيعة.

قال: فما رأيك في البخاري، أهو من الشيعة؟

قلت: إمام جليل من أئمة أهل السنة والجماعة، وكتابه أصح الكتب بعد كتاب الله.

عند ذلك قام وأخرج من مكتبته صحيح البخاري وفتحه وبحث عن الصفحة التي يريد، وأعطاني لأقرأ فيه: حدثنا فلان عن فلان عن علي عليه السلام، ولم أصدق عيني واستغربت حتى أنني شككت أن يكون ذلك هو صحيح البخاري، واضطرت وأعدت النظر في الصفحة وفي الغلاف، ولما أحسّ صديقي بشكّي أخذ مني الكتاب وأخرج لي صفحة أخرى فيها: «حدثنا علي بن الحسين عليه السلام» فما كان جوابي بعدها إلا أن قلت: سبحان الله! واقتنع مني بهذا الجواب وتركتني وخرج. وبقيت أفكر وأراجع قراءة تلك الصفحات وأثبتت في طبعة الكتاب، فوجدتها من طبع ونشر شركة الحلبي وأولاده بمصر.

يا إلهي! لماذا أكابر وأعاند وقد أعطاني حجة ملموسة من أصح الكتب عندنا، والبخاري ليس شيعياً قطعاً، وهو من أئمة أهل السنة ومحدثيهم، أسلم لهم بهذه الحقيقة وهي قولهم علي عليه السلام، ولكن أخاف من هذه الحقيقة فلعلها تتبعها حقائق أخرى لا أحب الاعتراف بها؟!!

وقد انهزمت أمام صديقي مرتين، فقد تنازلت عن قداسة عبد القادر

الجيلاني، وسلّمت بأنّ موسى الكاظم أولى منه، وسلّمت أيضاً بأنّ عليّاً عليه السلام هو أهل لذلك، ولكنّي لا أريد هزيمة أُخرى، وأنا الذي كنت منذ أيام قلائل عالماً في مصر، أفخر بنفسي ويمجّدني علماء الأزهر الشريف، أجد نفسي اليوم مهزوماً مغلوباً ومع من؟ مع الذين كنت ولا أزال أعتقد أنّهم على خطأ، فقد تعودت على أن كلمة (شيعة) هي مسبّة.

إنّه الكبرياء وحبّ الذات..

إنّها الأنانيّة واللجاج والعصبيّة..

إلهي ألهمني رشدي، وأعني على تقبّل الحقيقة ولو كانت مرّة..

اللّهم افتح بصري وبصيرتي، واهدني إلى صراطك المستقيم، واجعلني من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه..

اللّهم أرنا الحقّ حقّاً وارزقنا اتّباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه.

رجع بي صديقي إلى البيت وأنا أردّد هذه الدعوات، فقال مبتسماً: هداانا الله وإياكم وجميع المسلمين، وقد قال في محكم كتابه: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾<sup>(١)</sup>. والجهاد في هذه الآية يحمل معنى البحث العلمي للوصول إلى الحقيقة، والله سبحانه يهدي إلى الحقّ كلّ من بحث عن الحقّ.

## السفر إلى النجف

أعلمني صديقي ذات ليلة بأننا سنسافر غداً إن شاء الله إلى النجف، وسألته  
وما النجف؟

قال: إنها مدينة علمية فيها مرقد الإمام عليّ بن أبي طالب، فتعجبت كيف  
يكون للإمام عليّ قبر معروف؛ لأنّ شيوخنا يقولون إنّه لا وجود لقبر معروف  
لسيدنا عليّ.

وسافرنا في سيارة عمومية حتّى وصلنا إلى الكوفة، وهناك نزلنا لزيارة  
جامع الكوفة، وهو من الآثار الإسلامية الخالدة، وكان صديقي يريني الأماكن  
الأثرية ويزورني جامع مسلم بن عقيل وهاني بن عروة، ويحكي لي بإيجاز كيف  
استشهدا، كما أدخلني المحراب الذي استشهد فيه الإمام علي، وبعدها زرنا البيت  
الذي كان يسكنه الإمام مع ابنه سيدنا الحسن وسيدنا الحسين، وفي البيت البئر التي  
كانوا يشربون منها ويتوضّؤون بمائها، وعشت لحظات روحية نسيت خلالها الدنيا  
وما فيها لأسبح في زهد الإمام وبساطة عيشه، وهو أمير المؤمنين ورابع الخلفاء  
الراشدين.

ولا يفوتني أن أذكر الحفاوة والتواضع اللذين شاهدتهما هناك في الكوفة، فما  
مررنا بمجموعة إلا وقاموا إلينا وسلّموا علينا، وكان صديقي يعرف الكثير منهم،  
ودعانا أحدهم - وهو مدير المعهد بالكوفة - إلى بيته حيث التقينا بأولاده، وبتنا  
عندهم ليلة سعيدة، وشعرت وكأنني بين أهلي وعشيرتي، وكانوا إذا تكلموا عن أهل

السنة والجماعة يقولون : « إخواننا من السنة »، فأنست بحدِيثهم وسألتهم بعض الأسئلة الاختبارية لا تيقن من صدق كلامهم.

تحوّلنا إلى النجف - وهي تبعد عن الكوفة حوالي عشرة كيلومترات - وما أن وصلنا حتّى تذكرت مسجد الكاظمية في بغداد، فبدت المآذن الذهبية تحيط بقبة من الذهب الخالص، ودخلنا إلى حرم الإمام بعد قراءة الإذن بالدخول، كما هي عادة الزوّار من الشيعة، ورأيت هنا أعجب ممّا رأيت هناك في جامع موسى الكاظم، وكالعادة وقفت أقرأ الفاتحة، وأنا أشكّ في أنّ هذا القبر يحوي جثمان الإمام عليّ. وكأنّي اقتنعت ببساطة ذلك البيت الذي كان يسكنه في الكوفة، وقلت في نفسي : حاشى للإمام عليّ أن يرضى بهذه الزخرفة من الذهب والفضّة، بينما يموت المسلمون جوعاً في شتّى بقاع الدنيا، وخصوصاً لما رأيت فقراء في الطريق يمدّون أيديهم للمارّة طلباً للصدقة، فكان لسان حالي يقول : أيّها الشيعة أنتم مخطئون، اعترفوا على الأقلّ بهذا الخطأ، فالإمام عليّ هو الذي بعثه رسول الله لتسوية القبور، فما لهذه القبور المشيّدّة بالذهب والفضّة!! إنّها وإن لم تكن شركاً بالله فهي على الأقلّ خطأ فادح لا يغفره الإسلام.

وسألني صديقي وهو يمدّ إليّ قطعة من الطين اليابس : هل أريد أن أصليّ، وأجبتّه في حدّة : نحن لا نصلي حول القبور! قال : إذاً انتظرنّي قليلاً حتّى أصليّ ركعتين.

وفي انتظاره كنت أقرأ اللوحة المعلّقة على الضريح، وأنظر إلى داخله من خلال القضبان الذهبية المنقوشة، وإذا به مليء بالأوراق النقدية من كلّ الألوان من الدرهم والريال إلى الدينار والليرة، وكلّها يلقيها الزوار تبرّكاً للمساهمة في المشاريع الخيرية التابعة للمقام، وظننت لكثرتها أنّ لها شهوراً، ولكنّ صديقي أعلمني فيما بعد أنّ المسؤولين عن تنظيف المقام يأخذون كلّ ذلك في كلّ ليلة بعد

### صلاة العشاء.

خرجت وراءه مدهوشاً، وكأني تمّيت أن يعطوني منها نصيباً، أو يوزّعوها على الفقراء والمساكين وما أكثرهم هناك. كنت ألتفت في كل اتجاه داخل السور الكبير المحيط بالمقام حيث يصلي جماعات من الناس هنا وهناك، وينصت آخرون إلى بعض الخطباء الذين اعتلوا منبراً، وكأني سمعت نواح بعضهم في صوت متهدج. ورأيت جموعاً من الناس يبكون ويلطمون على صدورهم، وأردت أن أسأل صديقي: ما بال هؤلاء يبكون ويلطمون؟ ومررت بقربنا جنازة وشاهدت بعضهم يرفع الرّخام في وسط الصحن وينزل الميت هناك، فظننت أن بكاء هؤلاء لأجل الميت العزيز عليهم.

## لقاء العلماء

أدخلني صديقي إلى مسجد في جانب الحرم مفروش كُله بالسجّاد، وفي محرابه آيات قرآنية منقوشة بخط جميل، ولفت انتباهي مجموعة من الصبيان المعممين جالسين قرب المحراب يتدارسون وكلّ واحد في يده كتاب، فأعجبت لهذا المنظر الجميل ولم يسبق لي أن رأيت شيوخاً بهذا السنّ أعمارهم تتراوح ما بين الثالثة عشر والسادسة عشر وقد زادهم جمالاً ذلك الزي فأصبحوا كالأقمار.

سألهم صديقي عن «السيد» وأخبروه بأنّه يصلي بالناس جماعة، ولم أفهم من هو السيد الذي سألهم عنه، غير أنّي توقّعت أنّه أحد العلماء. وعرفت فيما بعد أنّه السيد الخوئي زعيم الحوزة العلمية للطائفة الشيعيّة، مع العلم بأنّ لقب «السيد» عند الشيعة هو لقب لكلّ منحدرٍ عن سلالة النبي ﷺ، ويرتدي «السيد» العالم أو طالب العلوم الدينية عمامة سوداء، وأما العلماء الآخرون فيرتدون عمامة بيضاء ويلقّبون بـ«الشيخ»، وهناك نوع من الأشراف الذين ليسوا بعلماء فلهم عمامة خضراء.

طلب إليهم صديقي أن أجلس معهم ريثما يذهب للقاء «السيد»، ورحّبوا بي وأحاطوني بنصف دائرة، وأنا أنظر في وجوههم وأستشعر براءتهم ونقاوة سريرتهم، وأستحضر في ذهني حديث النبي ﷺ حيث قال: «يولد المرء على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه»<sup>(١)</sup>، وقلت في نفسي: أو يشيعانه.

---

(١) صحيح مسلم ٨: ٥٢، كتاب القدر، باب معنى كلّ مولود يولد على الفطرة.

سألوني من أيّ البلاد أنا؟

قلت : من تونس،

قالوا : هل يوجد عندكم حوزات علمية؟

أجبتهم : عندنا جامعات ومدارس، وأنهالت عليّ الأسئلة من كلّ جانب، وكلّها أسئلة مركّزة ومحرجة، فماذا أقول لهؤلاء الأبرياء الذين يعتقدون أنّ في العالم الإسلاميّ كلّهُ حوزات علمية تدرّس الفقه وأصول الدين والشريعة والتفسير، وما يدرون أنّ في عالمنا الإسلاميّ وفي بلداننا التي تقدّمت وتطوّرت، أبدلنا المدارس القرآنية بروضات للأطفال يشرف عليها راهبات نصرانيات، فهل أقول لهم إنّهم ما زالوا « متخلّفين » بالنسبة إلينا؟

وسألني أحدهم : ما هو المذهب المتبع في تونس؟

قلت : المذهب المالكي، ولا حظت بعضهم يضحك، فلم أهتمّ لذلك،

قال : ألا تعرفون المذهب الجعفري؟

فقلت : خير إن شاء الله، ما هذا الاسم الجديد؟ لا، نحن لا نعرف غير المذاهب

الأربعة، وما عداها فليس من الإسلام في شيء<sup>(١)</sup>.

---

(١) لا يجوزُ أبناء السنة إتباع غير المذاهب الأربعة، ويرونها هي الممثلة للإسلام وغيرها باطل لا يعتمد عليه وهذه جملة من أقوالهم:

١ - قال المناوي في فيض القدير ١: ٢٧٢: «لا يجوز تقليد الصحابة وكذا تقليد التابعين غير الأربعة في القضاء والإفتاء؛ لأنّ المذاهب الأربعة انتشرت وتحرّرت حتّى ظهر تقييد مطلقها وتخصيص عامّها، بخلاف غيرهم لانقراض اتباعهم».

٢ - وقال ابن نجيم الحنفي كما في الاجتهاد في الشريعة: ٢٥٧ «إن الإجماع انعقد على عدم العمل بمذهب مخالف للأربعة لانضباط مذاهبهم واشتهارها وكثرة

➤ اتباعها.

٣- وقال صاحب كتاب الأشباه: «الخامس مما لا ينفذ القضاء به ما إذا قضى بشيء مخالف للإجماع وهو ظاهر، وما خالف الأئمة الأربعة مخالف للإجماع، وإن كان منه خلاف لغيره فقد صرح في التحرير أنّ الإجماع انعقد على عدم العمل بمذهب مخالف للأربعة، لانضباط مذهبهم وكثرة أتباعهم» الاجتهاد في الشريعة للمراغي: ٣٥٧.

٤- وقال المقرئ في كتابه الخطط والآثار ٢: ٣٣٤: «أولى بمصر القاهرة أربع قضاة وهم شافعي ومالكي وحنفي وحنبلي فاستمر ذلك من ستة وخمسين وستمئة حتى لم يبق في مجموع أمصار الإسلام مذهب يعرف من مذاهب أهل الإسلام سوى هذه المذاهب الأربعة وعقيدة الأشعري.

وعملت لأهلها المدارس والخوانك والزوايا والربط في سائر ممالك الإسلام، وعودي من تمذهب بغيرها وأنكر عليه، ولم يول قاص ولا قبلت شهادة أحد ولا قدّم للخطابة والإمامة والتدريس أحد ما لم يكن مقلداً لأحد هذه المذاهب، وأفتى فقهاء هذه الأمصار في طول هذه المدّة بوجوب إتباع هذه المذاهب وتحريم ما عداها والعمل على هذا إلى اليوم».

٥- وقال ابن الصلاح في كتابه نهاية السؤل في شرح منهاج الأصول ٤: ٦٣٢ «إنّه يتعين تقليد الأئمة الأربعة دون غيرهم؛ لأنّ المذاهب الأربعة قد انتشرت، وعلم تقيد مطلقها وتخصيص عامها، ونشرت فروعها، بخلاف مذاهب غيرها».

٦- وقال عبد الغني النابلسي في كتابه (خلاصة التحقيق في بيان حكم التقليد والتلفيق ص ٤): «فاعلم أنّ المذاهب الآن التي يجوز تقليدها هي هذه المذاهب الأربعة لا غير، فقد انحصر الآن العمل بشريعة محمد ﷺ في العمل بما ذهب إليه أحد الأربعة فقط».

٧- وقال أحمد الصاوي: «ولا يجوز تقليد ما عدا المذاهب الأربعة، ولو وافق قول



➤ الصحابة، والحديث الصحيح والآية، فالخارج عن المذاهب الأربعة ضالّ مضلّ، وربما أذاه ذلك إلى الكفر؛ لأنّ الأخذ بظواهر الكتاب والسنة من أصول الكفر» الحاشية على الجالين تفسير سورة الكهف ٣: ١٠.

٨ - وفي حاشية ردّ المختار لابن عابدين ١: ٥٢: «لا يجوز إحداث قول خارج عن المذاهب الأربعة..».

٩ - قال في الإنصاف ١١: ١٧٨: «الإجماع انعقد على تقليد كلّ من المذاهب الأربعة، وأنّ الحقّ لا يخرج عنهم..».

١٠ - وقال ابن خلدون في تاريخه ١: ٥٧٣: «فاعلم أنّ هذا الفقه المستنبط من الأدلّة الشرعية كثر فيه الخلاف بين المجتهدين باختلاف مداركهم وانظارهم خلافاً لا بدّ من وقوعه، ولما قدمناه واتسع ذلك في الملة اتساعاً عظيماً، وكان للمقلّدين أن يقلّدوا من شاؤوا منهم، ثمّ لمّا انتهت ذلك إلى الأئمة الأربعة من علماء الأمصار، وكانوا بمكان من حسن الظنّ بهم اقتصر الناس على تقليدهم ومنعوا من تقليد سواهم..».

وألف الحافظ عبد الرحمن بن رجب الحنبلي كتاباً بعنوان (الردّ على من اتّبع غير المذاهب الأربعة) قال فيه: «فقد بلغني إنكار بعض الناس على انكاري على بعض من ينتسب إلى مذهب الإمام أحمد وغيره من مذاهب الأئمة المشهورين في هذا الزمان الخروج عن مذاهبهم في مسائل، وزعم أنّ ذلك لا ينكر على من فعله، وأنّ من فعله قد يكون مجتهداً متّبِعاً للحقّ الذي ظهر له أو مقلّداً لمجتهدٍ آخر فلا ينكر ذلك عليه.».

ثمّ أخذ بالردّ على هذه المقولة وأنّ اللازم اتّباع مذهب معيّن من هذه المذاهب الأربعة لانضباطها وانتشار أصحابها، ولئلا يؤدي الخروج عنها إلى الهرج وضياع الدين.

وكذلك ألف الشيخ محمّد الحامد كتاباً بعنوان (لزوم اتّباع مذاهب الأئمة حسماً

➤ للفوضى الدينية) وأخذ بالردّ على من جوّز الرجوع إلى الكتاب والسنة مباشرة من دون العمل بقول إمام من أئمة المذاهب الأربعة، ثم قال: ١٣: «وبعد فنحن ملتزمون مذاهبنا فيما عدا الحوادث الفاتئة ولسنا مجتهدين حتّى نفتي من الأحاديث الشريفة ابتداءً، فإنّ انظار الأئمة أبعد وأعمق من أنظارنا القاصرة، قد أسرجوا لنا الفقه وأجموه، فما علينا أن نتبع إلا ما أقرّوه، كما لو أفتونا به وهم أحياء...».

هذا المعنى هو الذي قصده المؤلف في كلامه من لزوم اتّباع مذهب معيّن من هذه المذاهب الأربعة، وأن غيرها لا يصح التبعّد به والسير خلفه لأنّها اندثرت ولم يبق لها أثر أو لم تضبط وتحدّد بشكل واضح حتّى يصح الرجوع إليها والاعتماد عليها، فلذلك قال العلماء: «إنّ الإجماع انعقد على عدم العمل بمذهب يخالف الأربعة»، فعلى هذا نشأ المؤلف كما ينشأ غيره من أبناء أهل السنة، فلا يعرفون مذهباً لأهل البيت عليهم السلام يعرف بالمذهب الجعفري والذي شيّد كيانه بشكل تام الإمام جعفر الصادق سلام الله عليه؛ لأنّهم بعد أن انحرفوا عن أهل البيت وتركوا الثقل الثاني الذي هو عدل القرآن وهم أهل البيت عليهم السلام، انقطعت العلاقة بينهم وبين مذهب أهل البيت عليهم السلام وعقيدتهم وفقههم، فلذلك يستغرب السنيّ عندما يسمع بوجود مذهب خامس وهو مذهب أهل البيت عليهم السلام، كما رأيت استغراب المؤلف عند سماعه بالمذهب الجعفري.

نعم، دعاة المذهب الوهابي يدعون إلى نبذ التقليد، وعدم الأخذ بأقوال أئمة المذاهب في المسائل الفقهية، ويوجبون الرجوع إلى الكتاب والسنة مباشرة وفهم الأحكام من خلالها، وقد وقع خصام شديد بينهم وبين علماء أهل السنة حول هذه المسألة وألّفت كتب من الطرفين، فهذا الشيخ محمّد ناصر الدين الألباني يتحامل على مسألة تقليد أحد الأئمة فيقول: «هذا الحديث من أعلام نبوته ﷺ فقد تحقّق كلّ ما فيه من الأنباء وبخاصة منها ما يتعلّق بـ (المثناة) وهي كلّ ما كتب سوى

﴿ كتاب الله كما فسره الراوي، وما يتعلّق به من الأحاديث النبويّة والآثار السلفيّة، فكأنّ المقصود بـ (المثناة) الكتب المذهبيّة المفروضة على المقلّدين التي صرفتهم مع تطاول الزمن عن كتاب الله وسنة رسوله ﷺ كما هو مشاهد اليوم مع الأسف من جماهير المتمذهبين، وفيهم كثير من الدكاترة والمتخرّجين من كليّات الشريعة، فإنّهم جميعاً يدينون بالتمذهب ويوجّبونه على الناس حتّى العلماء منهم...» الصحيحة ٦: ٧٧٥ - ٧٧٦.

وألّف الخجندي السلفي كتاباً بعنوان (هل المسلم ملزم باتّباع مذهب معيّن من المذاهب الاربعة) وقد ذكر فيه انتقادات لاذعة لمن قلّد مذهباً معيّنًا فقال في: ٥٥: «وأما اتّباع مذهب من المذاهب الأربعة او غيرها فليس بواجب ولا مندوب!! وليس على المسلم أن يلتزم واحداً منها بعينه، بل من التزم واحداً منها بعينه فهو متعصّب مخطيء مقلّداً تقليداً أعمى، وهو ممن فرّقوا دينهم وصاروا شيعاً». وقال في: ٦٣: «وهذه المذاهب أمور مبتدعة حدثت بعد القرون الثلاثة، وهذا لا شكّ فيه ولا شبهة، وكلّ بدعة تعتقد ديناً وثواباً فهي ضلال، والسلف الصالحون كانوا يتمسّكون بالكتاب والسنة وما دلّ عليه، وما أجمعت عليه الأمّة، وكانوا مسلمين رحمهم الله تعالى، ورضي الله عنهم وأرضاهم، وجعلنا منهم وحشرنا معهم في زميرتهم، ولكن لما شاعت المذاهب نشأ عنها افتراق الكلمة، وتضليل البعض البعض، حتّى أفتوا بعدم جواز اقتداء الحنفي وراء الإمام الشافعي مثلاً...».

وقال في: ٦٩: «إنّ القول يلزم التزام مذهب معيّن مبني على مقتضيات السياسيّة والتطورات الزمانيّة، والأغراض النفسانيّة - إلى أن قال - إعلم أنّ المذهب الحقّ الواجب الذهاب إليه والاتباع له إنّما هو مذهب سيّدنا محمد ﷺ وهو الإمام الأعظم الواجب الاتّباع».

وفي: ٨٩ أخذ يتهجّم على المقلّدين لإمام معين فقال: «والمقلّدون الجامدون اتّخذوا

☞ ذلك ديناً ومذهباً بحيث لو أقمت عليه ألف دليل من النصوص لا يصغي إليه، بل ينفر عنه كلّ النفور كحمر مستنفرة فرّت من قسورة»،  
ثم يدعو المؤلف كلّ مسلم إلى العكوف على الكتاب والسنة لفهم أحكام الإسلام فيقول في: ١١٤: «ثم أيها المسلم إذا سمت همّتك في العلم وقويت عزيمتك في التقوى فاحرص على فهم صريح الكتاب وظاهر السنة وفعل أكثر أهل العلم من السلف، وأجمع بين الأحاديث المختلفة وتتبع الأخبار الصحيحة والحسنة المروية في كتب المحدثين وخذ بالأقوى والأقيس والأحوط. وتحصيل هذه الطريقة سهل لا يحتاج أكثر من (الموطأ) و(الصحيحين) و(سنن أبي داود) و(جامع الترمذي) و(النسائي). وهذه الكتب معروفة مشهورة يمكن تحصيلها في أقرب مدّة...».

ومن أراد المزيد فعليه بمراجعة الكتاب والكتب السلفية الأخرى التي تتعامل على التقليد وتلزم الناس بالاجتهاد.

ومما عرفناه يتضح أنّ علماء السنّة يوجبون التمسك بالمذاهب الأربعة، وعدم صحّة الخروج عنها لأدلّتهم التي ذكروها والتي نقلنا بعضها، وأمّا الوهابيّة فهي ترفض فكرة الرجوع إلى المذاهب الأربعة وتدعو الناس إلى الاجتهاد تحت مظلة الكتاب والسنة.

فما ذكره صاحب كتاب كشف الجاني: ٦٠ ما هو إلا قصر باع في الاطلاع أو محاولة إخفاء الحقيقة عن أعين القراء.

بقيت دعوى أخرى ذكرها عثمان الخميس في كتابه وهي: إنّ أئمة المذاهب منعوا تقليدهم من دون علم واستشهد بكلام أبي حنيفة حينما قال: «لا يحلّ لأحد أن يقول بقولنا ما لم يعرف من أين أخذناه»، وقول الشافعي: «إذا صحّ الحديث فهو مذهبي»، فهذه أقوال الأئمة وهي تنهى عن التقليد والاتباع، فلا يجوز نسبة لزوم اتباع إمام من أئمة المذاهب الأربعة إلى أهل السنّة؟

➤ وللجواب على هذا الكلام نكتفي بما ذكره الشيخ محمد الحامد في كتابه (لزوم اتباع مذاهب الأئمة حسماً للفوضى الدينية: ٢٠) عندما أجاب عن الإشكال فقال: «إنه كان من الجدارة العلمية أن يتبع الناشر هذا الذي نقله عن الإمام بتوضيح العلماء له وتفسيره إياه؛ بأنه بالنسبة لقوم دون قوم، ولفريق دون آخر، فإن المفتين درجات، فبعضهم ناقل فقط، وبعضهم مرجح، والذي يشترط في هذا لا يشترط في ذلك كما سترى إن شاء الله تعالى، فالمرجح مشروط في افتائه أن يكون عارفاً بالدلائل، وأهلاً للنظر فيها، بالمقارنة بينها والموازنة فحصاً دقيقاً وغوصاً عميقاً، فإذا صدر بعد هذا صدر عن عرفان، وأفتى على بيّنة وبرهان وإذا لم يول الأمر هذا الاهتمام وله من الأهلية ماله كان مفترطاً أثماً لتضييعه نعمة الله عليه، ولإغلاقه على نفسه باب تحقيق أنه إمامه في فتحه وقد كان من الواجب الديني عليه أن يسبر الحقائق سبراً صحيحاً، هو فوق القناعة من العلم بمحض التقليد، بلا معرفة للدليل وذا شأن القاصرين المأذون لهم في حكاية أقوال الأئمة من غير استدلال لها كالذي عليه عامة العلماء والمتفقهة في سائر الأعصار والأمصار ومن أجل هذا الذي قاله الإمام رحمه الله تعالى، وللحرية الدينية الممنوحة شرعاً في العلم أيضاً شمر أقوىاء العلماء عن سواعد الجد، فنظروا في المآخذ والمصادر للأحكام وقارنوا بينها فرجح لديهم قول الإمام تارة، وقول صاحبيه تارة أخرى، ولكن هؤلاء لا يدعون الاجتهاد المطلق، فإن بحوثهم تدور في فلك المذهب وتسير في خطه وقواعده، فهم مرجحون فقط، ولا يعدو اجتهادهم حدود الترجيح».

ونقل في: ٢٣ كلام الشيخ ابن عابدين في رسالته (رسم المفتي) حيث قال: «ثم اعلم أن قول الإمام: لا يحل لأحد أن يفتي بقولنا... الخ يحتمل معنيين» فذكر الاحتمال الأول واستبعده ثم قال: «الثاني: من الاحتمالين أن يكون المراد الإفتاء بقول الإمام تخريجاً واستنباطاً من أصوله.. إلى أن قال: فقد تحرّر مما ذكرناه أن قول

❖ الإمام وأصحابه (لا يحلُّ لأحد أن يفتي بقولنا حتَّى يعلم من أين قلنا) محمول على فتوى المجتهد في المذهب بطريق الاستنباط والتخريج كما علمت من كلام التحرير وشرح البديع.. وإن علينا اتِّباع ما نقلوه لنا عنهم من استنباطاتهم غير المنصوصة عن المتقدمين ومن ترجيحاتهم ولو كانت لغير قول الإمام كما قررناه في صدر هذا البحث، لأنهم لم يرجِّحوا ما رجَّحوه جزافاً، وإنَّما رجَّحوا بعد اطلاعهم على المأخذ كما شهدت مصنِّفاتهم بذلك. انتهى كلام الشيخ ابن عابدين، وراجع كتاب الشيخ محمَّد الحامد من: ٢٠ - ٢٥ حيث تجد بغيتك هناك في شرح المقولة المتقدِّمة».

وأما الجواب عن المقولة الثانية وهي: (إذا صحَّ الحديث فهو مذهبي) فقد أجاب عنها الشيخ محمَّد الحامد في الكتاب المذكور: ١٥ فقال: «إننا لا ننازع في صحَّة ذلك عن الإمام، لكنه ليس على إطلاقه، إذ ليس كلُّ أحد يقوى على الاجتهاد والاستنباط فالمراد به من بلغ هذا المبلغ، وأدرك هذا المدرك، أما صغار المحصِّلين فإن اقتداءهم بأئمَّتهم أحمد عاقبة، وأسلم غائلة، وإن تعدَّوا طورهم اغتراراً بأنفسهم، هلكوا وأهلكوا وكان من أمانة النقل العلمي على ناشرها وقد عزاها إلى (رسم المفتي) و(ردِّ المختار) لابن عابدين كان عليه أن يذكر التعقيب عليها لئلا يوضع ناظرها السانج موضع الحيرة، فيجني عليه في دينه، إذ لم يبق له اطمئناناً إلى مذهب إمامه.

وإليك التعقيب الذي ذكره ابن عابدين فقد قال في (رسم المفتي) بالحرف الواحد: قلت: ولا يخفى أنَّ ذلك لمن كان أهلاً للنظر في النصوص ومعرفة محكمها من منسوخها، فإذا نظر أهل المذهب في الدليل وعملوا به، صحَّ نسبته إلى المذهب، إذ لاشكَّ أنَّه لو علم بضعف دليله رجع عنه واتَّبع الدليل الأقوى. ولذا ردَّ المحقق ابن همام على المشايخ حيث افتوا بقول الإمامين (أي أبي يوسف ومحمَّد) بأنَّه لا يعدل عن قول الإمام إلا لضعف دليله.

❦ وأقول أيضاً: ينبغي تقييد ذلك بما إذا وافق قولاً في المذهب ان لم يأذنوا بالاجتهاد فيما خرج عن المذهب بالكلية مما اتفقوا عليه أئمتنا لأن اجتهادهم أقوى، فالظاهر أنهم رأوا دليلاً أرجح مما رآه حتى لم يعملوا به ولهذا قال العلامة قائم في حق شيخه خاتمة المحققين الكمال بن الهمام: لا يعمل بأبحاث شيخنا التي تخالف المذهب.

وقال في تصحيحه على القدوري: قال الإمام العلامة الحسن بن منصور بن محمود الأوزجندی المعروف بقاضيخان في كتاب الفتاوى: رسم المفتي في زماننا من أصحابنا إذ استفتى عن مسألة إن كانت مروية عن أصحابنا الحنفية في الروايات الظاهرة بلا خلاف بينهم، فإنه يميل إليهم ويفتي بقولهم ولا يخالفهم برأيه، وإن كان مجتهداً؛ لأن الظاهر أن يكون الحق مع أصحابنا ولا يعدوهم، واجتهاده لا يبلغ اجتهادهم ولا ينظر إلى قول من خالفهم، ولا تقبل حجته أيضاً؛ لأنهم عرفوا الأدلة وميزوا بين ما صح وثبت وبين ضده.

والحاصل: إن ما خالف فيه الأصحاب إمامهم الأعظم لا يخرج عن مذهبه إذا رجّحه المشايخ المعتبرون، وكذا ما بناه المشايخ على العرف الحادث لتغيير الزمان أو للضرورة ونحو ذلك، ولا يخرج عن مذهبه أيضاً؛ لأن ما رجّحه لترجيح دليله عندهم مأذون به من جهة الإمام، وكذا ما بنوه على تغيير الزمان والضرورة باعتبار أنه لو كان حياً لقال بما قالوه؛ لأن ما قالوه إنما هو مبني على قواعده أيضاً فهو مقتضى مذهبه (انتهى المقصود من كلام العلامة ابن عابدين رحمه الله تعالى).

ومن العلماء الذين حذروا من الفتنة الوهابية النابذة للتقليد والمتبعة للأهواء العلامة سلمان العودة في كتابه الغرباء حيث قال في ص ١٢١: «وعلى سبيل المثال فإن المؤلف لدى الحريصين على اتباع السنة في هذا الزمان أن يعتنوا بالجوانب العلمية - والحديثية خاصة - ويحرصوا على تجنب التقليد ومحاربة المحرّم منه،

### ☞ ويهتّموا بسلامة المعتقد.

وهذه الجوانب الإيجابية قد يسيء بعضهم أخذها، فيتحوّل جانب العناية بالحديث ونبذ التقليد إلى فوضى تشريعية لا أوّل لها ولا آخر، ويصبح من لا يحسن قراءة الآيّة، ولا نطق الحديث، ممّن يستظل بظل القوم - مجتهدا لا يعبأ بقول أحمد ولا مالك ولا الشافعي ولا أبي حنيفة - ويزعم أنّه سيأخذ من حيث أخذوا. وقد يتطوّر الأمر إلى الاجتهاد في أمور العقائد، بناءً على تصحيح حديث أو تضعيف آخر أو فهم لظاهر نصّ أو نحو ذلك... وهنا يقع الخطر الكبير، حيث تتحول الفوضى إلى الأصول بعد الفروع.

ثمّ تجد هذا المحارب للتقليد، النايز لأهله، مقلّداً من حيث لا يشعر لفلان وفلان من العلماء وطلاب العلم الذين يحسن الظن بهم، ويرى أنّهم على الجادة، وأنّهم لا يخرجون على الدليل الصحيح، ولا يقولون إلاّ بيّنة، أو تراه مقلّداً لهم في تصحيح الأحاديث وتضعيفها وتوثيق الرجال وتوهينهم، ومقلّداً لهم في آرائهم الفقهية والاجتهادية الذين يعذرون - هم - فيها لو أخطأوا، لكنه - هو - لا يعذر حين ينازع في تقليد الأئمّة الأربعة وغيرهم ويقلّد من دونهم بمراحل، ويترتب على هذا الاختلاف الواسع العريض والتفرّق الممقوت المناقبي للإخوة والجماعة، وهذا الاختلاف من سمات أهل البدع الذين فرّقوا دينهم وكانوا شيعاً. وقد تتحول العناية بسلامة المعتقد إلى رمي الآخرين بالضلال أو الكفر أو النفاق أو الفسق أو البدعة بلا بيّنة، مع ظن اختصاص النفس بالكمال، والسلامة مما وقع فيه الآخرين».

وخلاصة الكلام: أنّ علماء أهل السنة يرون لزوم التقيد بمذهب من المذاهب الأربعة، ولا يجوز الخروج عنها، إلاّ لمن بلغ رتبة الاجتهاد وحاز على درجة رفيعة من العلم، أما من لم يحصل على ذلك فعليه تقليد إمام من أئمّة المذاهب الأربعة. ولكن الوهابيّة لا يرون لها ذلك وتلزم الإنسان بالرجوع إلى الكتاب والسنة مباشرة



وابتسم قائلاً: عفواً إنَّ المذهب الجعفري هو محض الإسلام، ألم تعرف بأنَّ الإمام أبا حنيفة تتلمذ على يد الإمام جعفر الصادق؟ وفي ذلك يقول أبو حنيفة: «لولا الستتان لهلك النعمان»<sup>(١)</sup>.

➤ لمعرفة أحكام دينه من حلال وحرام وواجب ومكروه وندب، وألّفوا كتاباً في التشخيص على من ألزم الإنسان بتقليد إمام معين كما رأينا كتاب الخجندي المتقدم ومن أراد مزيداً من الاطلاع فليراجع:

- ١ - خلاصة التحقيق في بيان حكم التقليد والتلفيق - الشيخ عبد الغني النابلسي.
- ٢ - اللا مذهبية أخطر بدعة تهدد الشريعة الإسلامية - الشيخ رمضان البوطي.
- ٣ - الرد على من اتّبع غير المذاهب الأربعة - الشيخ عبد الرحمن بن رجب الحنبلي.
- ٤ - لزوم اتباع مذاهب الأئمة - الشيخ محمّد الحامد.
- ٥ - مقالات الشيخ زاهد الكوثري.

ويرجع إلى كتب الوهابية المتحاملة على التقليد ككتاب (هل المسلم ملزم باتباع مذهب معيّن من المذاهب الأربعة)، وكتاب (صفة صلاة النبيّ للألباني) وغيرها من الكتب.

وبعد هذا لا يحقّ لعثمان الخميس وهو من اتّباع محمّد بن عبد الوهاب، وهم يزرون بالتقليد وبالرجوع للأئمة الأربعة؛ بعد هذا لا يحقّ له أن ينكّم بلسان أهل السنة عامّة وينكر على المؤلف كلامه في لزوم اتّباع مذهب معين من المذاهب الأربعة، ما دام عثمان الخميس ليس من هؤلاء ولا يؤمن بذلك، مع أنّ علماء السنة حكموا بلزوم اتباع المذاهب الأربعة والرجوع إليها.

...وبذا يتّضح المراد من قول الإمام رحمه الله تعالى، ويبطل ما يطلبه الباعثون للفتنة الدينية من رقادها والحمد لله تعالى».

(١) جاء في مختصر التحفة الاثني عشرية للدهلوي تلخيص الألووسي: «وهذا أبو حنيفة... كان يفتخر ويقول بأفصح لسان: «لولا الستتان لهلك النعمان» يريد

سكت ولم أبد جواباً، فقد أدخل عليّ اسماً جديداً ما سمعت به قبل ذلك اليوم،

➤ السنن اللتين صحب فيهما لأخذ العلم الإمام جعفر الصادق، وقال غير واحد أنه أخذ العلم والطريقة من هذا ومن أبيه الإمام محمد الباقر... مختصر التحفة: ٨، والتحفه الاثني عشرية للدهلوي: ١٤٢.

واعترف الدهلوي بأن علماء أهل السنة ورؤساءهم كالزهري وأبي حنيفة ومالك تتلمذوا على أئمة أهل البيت عليهم السلام. التحفه الاثني عشرية للدهلوي: ٩٣، ٤٦٧، ومختصرها للألوسي: ٣٤، ١٩٣.

وقال الإمام محمد أبو زهرة في كتابه (الإمام الصادق: ٥٣): «ما أجمع علماء الإسلام على اختلاف طوائفهم في أمر، كما أجمعوا على فضل الإمام الصادق وعلمه؛ فأئمة السنة الذين عاصروه تلقوا عنه وأخذوا؛ أخذ عنه مالك عليه السلام، وأخذ عنه طيبة مالك كسفيان بن عيينة وسفيان الثوري، وغيرهم كثير، وأخذ عنه أبو حنيفة مع تقاربهما في السن، واعتبره أعلم أهل الناس؛ لأنه أعلم الناس باختلاف الناس، وقد تلقى عليه رواية الحديث طائفة كبيرة من التابعين، منهم: يحيى بن سعيد الأنصاري، وأيوب السختياني، وأبان بن تغلب، وأبو عمرو بن العلاء، وغيرهم من أئمة التابعين في الفقه والحديث».

وقال العلامة عبد الحلیم الجنیدی في كتابه (الإمام جعفر الصادق: ١٦٢): «انقطع أبو حنيفة إلى مجالس الإمام [يعني الصادق] طوال عامين قضاهما بالمدينة، وفيهما يقول: (لولا العامان لهلك النعمان). وكان لا يخاطب صاحب المجلس إلا بقوله: جعلت فداك يا بن بنت رسول الله».

وقال في ص ١٦٣: «ولئن كان مجداً لمالك أن يكون أكبر أشياخ الشافعي، أو أن يكون الشافعي أكبر اساتذة ابن حنبل، أو مجداً للتلميذ أن يتلمذ لشيخيهما هذين؛ إن التلمذة للإمام الصادق قد سربلت بالمجد فقه المذاهب الأربعة لأهل السنة».

أمّا الإمام الصادق فمجده لا يقبل الزيادة ولا النقصان، فالإمام مبلغ للناس كافة علم جدّه عليه الصلاة والسلام...».

ولكنّي حمدت الله أنّه - أي إمامهم جعفر الصادق - لم يكن أستاذاً للإمام مالك  
وقلت : نحن مالكية ولسنا أحنافاً!

فقال : إنّ المذاهب الأربعة أخذوا عن بعضهم البعض، فأحمد بن حنبل أخذ  
عن الشافعي، والشافعي أخذ عن مالك، وأخذ مالك عن أبي حنيفة، وأبو حنيفة  
أخذ عن جعفر الصادق، وعلى هذا فكلّهم تلاميذ لجعفر بن محمّد، وهو أوّل من فتح  
جامعة إسلامية في مسجد جدّه رسول الله، وقد تتلمذ على يديه أكثر من أربعة  
آلاف محدّث وفقية.

وعجبت لهذا الصبيّ الذكيّ الذي يحفظ ما يقول مثل ما يحفظ أحدنا سورة من  
القرآن، وقد أدهشني أكثر عندما كان يسرد عليّ بعض المصادر التاريخية التي يحفظ  
عدد أجزاءها وأبوابها، وقد استرسل معي في الحديث وكأنّه أستاذ يعلم تلميذه.  
وشعرت بالضعف أمامه، وتمنّيت لو أنّي خرجت مع صديقي ولم أبق مع  
الصبيان، فما سألتني أحدهم عن شيء يخصّ الفقه أو التاريخ إلّا وعجزت عن  
الجواب.

سألني : من أقلّد من الأئمة؟

قلت : الإمام مالك!

قال : كيف تقلّد ميّناً بينك وبينه أربعة عشر قرناً، فإذا أردت أن تسأله الآن

عن مسألة مستحدثة فهل يجيبك؟

فكرت قليلاً وقلت : وأنت جعفر ك مات أيضاً منذ أربعة عشر قرناً فمن تقلّد؟

أجاب بسرعة هو والباقون من الصبية : نحن نقلّد السيّد الخوئي فهو إمامنا.

ولم أفهم أكان الخوئي أعلم أم جعفر الصادق، وبقيت معهم أحاول تغيير

الموضوع، فكنت أسألهم عن أيّ شيء يلهيهم عن مسألتي، فسألتهم عن عدد سكّان

النجف؟ وكم تبعد النجف عن بغداد؟ وهل يعرفون بلداناً أخرى غير العراق؟ وكلّما

أجابوا أعددت لهم سؤالاً غيره حتى أشغلهم عن سؤالي لأنني عجزت وشعرت بالفصور، ولكن هيهات أن أعترف لهم وإن كنت في داخلي معترفاً، إذ إن ذلك المجد والعز والعلم الذي ركبني في مصر تبخر هنا وذاب، خصوصاً بعد لقاء هؤلاء الصبيان، وعرفت الحكمة القائلة :

فقل لمن يدعي في العلم فلسفةً عرفت شيئاً وغابت عنك أشياء  
وتصورت أن عقول هؤلاء الصبيان أكبر من عقول أولئك المشايخ الذين قابلتهم في الأزهر، وأكبر من عقول علمائنا الذين عرفتهم في تونس.

ودخل السيد الخوئي ومعه كوكبة من العلماء عليهم هيبة ووقار، وقام الصبيان وقمت معهم، وتقدموا من (السيد) يقبلون يده، وبقيت مسرماً في مكاني، لم يجلس (السيد) حتى جلس الجميع وبدأ يحييهم بقوله : (مساكم الله بالخير) يقولها لكل واحد منهم، فيجيبه بالمثل، حتى وصل دوري فأجبت كما سمعت، بعدها أشار عليّ صديقي الذي تكلم مع (السيد) همساً بأن أدنو من (السيد) وأجلسني على يمينه، وبعد التحية قال لي صديقي : أحك للسيد ماذا تسمعون عن الشيعة في تونس. فقلت : يا أخي، كفانا من الحكايات التي نسمعها من هنا وهناك، والمهم هو أن أعرف بنفسني ماذا يقول الشيعة، وعندني بعض الأسئلة أريد الجواب عنها بصراحة.

فألح عليّ صديقي وأصرّ عليّ أن أروي (للسيد) ما هو اعتقادنا في الشيعة. قلت : الشيعة عندنا هم أشد على الإسلام من اليهود والنصارى، لأن هؤلاء يعبدون الله ويؤمنون برسالة موسى ﷺ، بينما نسمع عن الشيعة أنهم يعبدون علياً ويفدّسونه، ومنهم فرقة يعبدون الله ولكنهم ينزلون علياً بمنزلة رسول الله، ورويت قصة جبريل كيف أنه خان الأمانة حسب ما يقولون، وبدلاً من أداء الرسالة إلى عليّ أداها إلى محمد ﷺ.

أطرق (السيد) رأسه هنيئة ثم نظر إلي وقال : نحن نشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله صلى الله عليه وعلى آله الطيبين الطاهرين، وما علي إلا عبد من عبيد الله، والتفت إلي بقية الجالسين قائلاً ومشيراً إلي : أنظروا إلي هؤلاء الأبرياء كيف تغلظهم الإشاعات الكاذبة، وهذا ليس بغريب فقد سمعت أكثر من ذلك من أشخاص آخرين، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

ثم التفت إلي وقال : هل قرأت القرآن؟

قلت : حفظت نصفه، ولم أتخط العاشرة من عمري.

قال : هل تعرف أن كل الفرق الإسلامية على اختلاف مذاهبها متفقة على

القرآن الكريم<sup>(١)</sup>، فالقرآن الموجود عندنا هو نفسه موجود عندكم.

قلت : نعم، هذا أعرفه.

قال : إذا ألمت بقول الله سبحانه وتعالى : ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ

مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ ﴾<sup>(٢)</sup>، وقوله أيضاً : ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى

الْكُفَّارِ ﴾<sup>(٣)</sup>، وقوله : ﴿ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ

النَّبِيِّينَ ﴾<sup>(٤)</sup>؟

قلت : بلى أعرف هذه الآيات،

قال : فأين هو علي؟ إذا كان قرآننا يقول بأن محمداً هو رسول الله، فمن أين

جاءت هذه الفرية؟

سكت ولم أجد جواباً.

---

(١) على هذا أجمع المسلمون كافة سوى من شذ منهم من الحشوية من أهل السنة والشيعة.

(٢) سورة آل عمران: ١٤٤.

(٣) سورة الفتح: ٢٩.

(٤) سورة الأحزاب: ٤٠.

وأضاف يقول : وأما خيانة جبريل - حاشاه - فهذه أقبح من الأولى، لأن جبريل ﷺ عندما أرسله الله سبحانه إلى محمد كان عمر محمد أربعين سنة، ولم يكن عليّ إلا صبياً صغيراً عمره ستّ أو سبع سنوات، فكيف يا ترى يخطئ جبريل، ولا يفرق بين محمد الرجل وعليّ الصبي؟!

ثم سكت طويلاً بينما بقيت أفكر في أقواله وأنا مطرق أحلل وأتذوق هذا الحديث المنطقي الذي نفذ إلى أعماقي وأزال غشاوة عن بصري، وتساءلت في داخلي كيف لم نحلل نحن بهذا المنطق؟!

أضاف (السيد الخوئي) يقول : وأزيدك بأن الشيعة هي الفرقة الوحيدة من بين كل الفرق الإسلامية الأخرى التي تقول بعصمة الأنبياء والأئمة، فإذا كان أئمتنا سلام الله عليهم معصومين عن الخطأ وهم بشر مثلنا، فكيف بجبريل وهو ملك مقرب سمّاه ربّ العزّة بـ (الروح الأمين).

قلت : فمن أين جاءت هذه الدعايات؟

قال : من أعداء الإسلام الذين يريدون تفريق المسلمين وتمزيقهم وضرب بعضهم ببعض، وإلا فالمسلمون إخوة سواء كانوا شيعة أم سنة، فهم يعبدون الله وحده لا يشركون به شيئاً، وقرآنهم واحد، ونبيّهم واحد، وقبلتهم واحدة، ولا يختلف الشيعة عن السنة إلا في الأمور الفقهية كما يختلف أئمة المذاهب السنية أنفسهم فيما بينهم، فمالك يخالف أبا حنيفة، وهذا يخالف الشافعي، وهكذا.

قلت : إذاً كل ما يحكى عنكم هو محض افتراء؟

قال : أنت بحمد الله عاقل وتفهم الأمور، وقد رأيت بلاد الشيعة وتجوّلت في أوساطهم، فهل رأيت أو سمعت شيئاً من تلك الأكاذيب؟

قلت : لا لم أسمع ولم أر إلا الخير، وإني أحمد الله سبحانه أن عرفني بالأستاذ منعم في الباخرة، فهو السبب في مجيئي إلى العراق، وقد عرفت أشياء كثيرة كنت أجهلها، فضحك صديقي منعم قائلاً : ومنها وجود قبر للإمام علي، فغمزته

واستدركت قائلاً: بل تعلّمت أشياء جديدة حتّى من هؤلاء الصبيان، وتمنيت لو أتاحت لي الفرصة وتعلّمت مثلهم في الحوزة العلمية هنا.  
قال (السيد): أهلاً وسهلاً، إن كنت تريد طلب العلم فالحوزة على ذمتك، ونحن في خدمتك، ورحب الحاضرون بهذا الاقتراح، وخصوصاً صديقي منعم الذي تهلّل وجهه.

قلت: أنا متزوّج وعندي ولدان،  
قال: نحن نتكفّل بكلّ مستلزماتكم من سكن ومعاش وكُلّ ما تحتاجون إليه، والمهمّ هو طلب العلم.

فكرت قليلاً وقلت في نفسي: ليس من المعقول أن أصبح تلميذاً بعد ما قضيت خمس سنوات وأنا أستاذ أمارس التعليم وتربية النشأ، وليس من السهولة أن أتخذ قراراً بمثل هذه السرعة.

شكرت السيّد الخوئي على هذا العرض وقلت: سوف أفكر في الموضوع بجدّ بعد رجوعي من العمرة بحول الله، ولكنّي في حاجة إلى بعض الكتب، فقال السيّد: أعطوه الكتب.

ونهض جمع من العلماء وفتحوا عدّة خزانات وما هي إلاّ لحظات حتّى وجدت أمامي أكثر من سبعين مجلداً، فكلّ واحد جاءني بدورة من الكتب وقال: هذه هديّتي، ورأيت أنّه لا يمكنني حمل هذا العدد الكبير معي، خصوصاً وأنّي متوجّه إلى السعودية الذين يمنعون دخول أيّ كتاب إلى بلادهم، خوفاً من تفشّي بعض العقائد التي تخالف مذهبهم، ولكنّي ما أردت التفريط بهذه الكتب التي لم تر عيني مثلها في سابق حياتي.

فقلت لصديقي وللحاضرين بأنّ طريقي طويل يمرّ بدمشق والأردن إلى السعودية، وفي العودة سيكون أطول، فسأمرّ بمصر وليبيا حتّى الوصول إلى تونس، وزيادة على ثقل الحمل فإنّ أغلب الدول تمنع دخول الكتب.

فقال السيّد: أترك لنا عنوانك ونحن نتكفل بإرسالها إليك، واستحسنت هذا الرأي وأعطيته بطاقة شخصيّة بها عنواني في تونس، وشكرت فضله.

ولما ودّعته ونهضت للخروج، نهض معي قائلاً: أسأل الله لك السّلامة، وإذا وقفت على قبر جدّي رسول الله فبلّغه منّي السلام، وتأثّر الحاضرون وتأثّرت كثيراً وأنا أنظر إلى عينيه تدمعان، وقلت في نفسي: حاشى لله أن يكون هذا من المخطئين، حاشى لله أن يكون هذا من الكاذبين.. إنّ هيبته وعظّمته وتواضعه تنبئ حقاً أنّه من سلالة الشرف، فما كان منّي إلا أن أخذت يده وقبّلته رغم ممانعته.

وقام الجميع لقيامي وسلّموا عليّ، وتبعني بعض الصبية من الذين كانوا يجادلونني، وطلبوا منّي عنواني للمراسلة، فأعطيتهم إيّاه.

اتجهنا من جديد إلى الكوفة بدعوة أحد الذين كانوا في مجلس السيّد الخوئي، وهو صديق منعم اسمه (أبو شبّر)، نزلنا في بيته وسهرنا ليلة كاملة مع مجموعة من الشباب المثقّفين، وكان من بينهم بعض طلبة السيّد محمّد باقر الصدر، فأشاروا عليّ بمقابلته وتعهدوا بأنهم سيرتبون لقاءً مع حضرته في اليوم التالي.

واستحسن صديقي منعم هذا الاقتراح ولكنّه تأسّف لعدم إمكانية حضوره، لأنّ له شغل في بغداد يستلزم حضوره، واتفقنا على أن أبقى في بيت السيّد أبو شبّر ثلاثة أو أربعة أيّام ريثما يعود منعم، الذي غادرنا بعد صلاة الفجر، وقمنا نحن للنوم. وقد استفدت كثيراً من طلبة العلوم الذين سهرت معهم، وتعجّبت من تنوّع العلوم التي يتلقونها في الحوزة، فهم زيادة على العلوم الإسلامية من فقه، وشريعة، وتوحيد يدرسون العلوم الاقتصادية، والعلوم الاجتماعية والسياسية، والتاريخ، واللغات، وعلوم الفلك وغير ذلك...



## لقاء مع السيّد محمّد باقر الصدر

اتجهت بصحبة السيّد أبي شبر إلى بيت السيّد محمّد باقر الصدر، وفي الطريق كان يلاطفني ويعطيني بسطة عن العلماء المشهورين وعن التقليد وغير ذلك، ودخلنا على السيّد محمّد باقر الصدر في بيته، وكان مليئاً بطلبة العلوم، وأغلبهم من الشباب المعمّمين، وقام السيّد يسلم علينا، وقدّموني إليه فرحّب بي كثيراً، وأجلسني بجانبه وأخذ يسألني عن تونس والجزائر وعن بعض العلماء المشهورين أمثال الخضر حسين، والطاهر بن عاشور وغيرهم، وأنست بحديثه. ورغم الهيبة التي تملوه والاحترام الذي يحوطه به جلساؤه وجدت نفسي غير محرج، وكأني أعرّفه من قبل.

واستفدت من تلك الجلسة إذ كنت أسمع أسئلة الطلبة وأجوبة السيّد عليها، وعرفت وقتها قيمة تقليد العلماء الأحياء الذين يجيبون عن كل الإشكالات مباشرة وبكلّ وضوح.

وتيقّنت - أيضاً - من أنّ الشيعة مسلمون يعبدون الله وحده، ويؤمنون برسالة نبينا محمّد ﷺ، إذ كان بعض الشكّ يرادني، والشيطان يوسوس لي بأنّ ما شاهدته من قبل هو تمثيل، وربما يكون ما يسمّونه بالتقية، أي إنّهم يُظهرون ما لا يعتقدون، ولكن سرعان ما يزول الشكّ وتضمحلّ تلك الوسواس إذ لا يمكن بأيّ حال من الأحوال أن يتفق كلّ من رأيتهم وسمعتهم - وهم مئات - على هذا التمثيل، ثمّ لماذا هذا التمثيل؟ ومن هو أنا، وما يهمهم من أمري حتّى يستعملوا معي هذه التقية؟!

ثم هذه كتبهم القديمة التي كتبت منذ قرون، والحديثة التي طبعت منذ شهور، وكلها توحّد الله وتثني على رسوله محمّد كما قرأت ذلك في مقدماتها، وها أنا الآن في بيت السيّد محمّد باقر الصدر المرجع المشهور في العراق وفي خارج العراق، وكلّما ذكر اسم محمّد صاح الجميع في صوت واحد: اللهم صلّ على محمّد وآل محمّد. وجاء وقت الصّلاة وخرجنا إلى المسجد، وكان بجوار البيت، وصلى بنا السيّد محمّد باقر الصدر صلاة الظهر والعصر، وأحسست بأنّي أعيش وسط الصحابة الكرام، فقد تخلّل الصلاتين دعاء رهيب من أحد المصلّين، وكان له صوت شجي ساهر، وبعدهما أنهى الدعاء صاح الجميع: اللهم صلّ على محمّد وآل محمّد، وكان الدعاء كلّهُ ثناءً وتمجيداً على الله جلّ جلاله، ثمّ على محمّد وآله الطيبين الطاهرين. وجلس السيّد في المحراب بعد الصلاة، وأخذ بعضهم يسلمون عليه ويسألونه سرّاً وعلانية، وكان يجيب سرّاً عن بعض الأسئلة التي تتطلّب الكتمان، فهمت بأنّها تتعلّق بشؤون خاصّة، وكان السائل إذا حصل على الجواب يقبل يده وينصرف.

هنيئاً لهم بهذا العالم الجليل الذي يحلّ مشاكلهم ويعيش همومهم.

رجعنا بصحبة السيّد الذي أولاني من الرعاية والعناية وحسن الضيافة ما أنساني أهلي وعشيرتي، وأحسست بأنّي لو بقيت معه شهراً واحداً لتشيّعت لحسن أخلاقه وتواضعه وكرمه معاملته، فلم أنظر إليه إلاّ وابتسم في وجهي وابتدرني بالكلام، وسألني هل ينقصني شيء.

فكنت لا أغادره طيلة الأيام الأربعة إلاّ للتّوم، رغم كثرة زوّاره والعلماء الوافدين عليه من كلّ الأقطار، فقد رأيت السعوديين هناك ولم أكن أتصور بأنّ في الحجاز شيعة، وكذلك علماء من البحرين، ومن قطر، ومن الإمارات، ومن لبنان، وسوريا، وإيران، وأفغانستان، ومن تركيا، ومن إفريقيا السوداء. وكان السيّد يتكلّم معهم، ويقضي حوائجهم، ولا يخرجون من عنده إلاّ وهم فرحون

مسرورون.

ولا يفوتني أن أذكر هنا قضية حضرتها وأعجبت في كيفية فصلها، وأذكرها للتاريخ، لما لها من أهمية بالغة حتى يعرف المسلمون ماذا خسروا بتركهم حكم الله. جاء إلى السيد محمد باقر الصدر أربعة رجال أظنهم عراقيين، عرفت ذلك من لهجتهم، كان أحدهم ورث مسكناً من جدّه الذي توفي منذ سنوات، وباع ذلك المسكن إلى شخص ثانٍ كان هو الآخر حاضراً، وبعد سنة من تاريخ البيع جاء أخوان، وأثبتا أنّهما وارثان شرعيان للميت، وجلس أربعتهم أمام السيد وأخرج كلّ واحدٍ منهم أوراقه وما عنده من حجج، وبعدما قرأ السيد كلّ أوراقهم وتحدّث معهم بضع دقائق حكم بينهم بالعدل، فأعطى الشاري حقه في التصرف بالمسكن، وطلب من البائع أن يدفع للأخوين نصيبهما من الثمن المقبوض، وقام الجميع يقبلون يده، ويتعانقون.

ودهشت لهذا ولم أصدّق، وسألت أبا شبر: هل انتهت القضية؟  
قال: خلاص كلّ أخذ حقه.

سبحان الله! بهذه السهولة، وبهذا الوقت الوجيز، بضع دقائق فقط كافية لحسم النزاع؟ إنّ مثل هذه القضية في بلادنا تستغرق عشر سنوات على أقل تقدير ويموت بعضهم، ويواصل أولاده بعده تتبّع القضية، ويصرفون رسوم المحكمة والمحامين ما يكلفهم في أغلب الأحيان ثمن المسكن نفسه، ومن المحكمة الابتدائية إلى محكمة الاستئناف، ثمّ إلى التعقيب، وفي النهاية يكون الجميع غير راضين، بعد ما يكونون قد أنهكوا بالتعب والمصاريف والرشوة، والعداوة والبغضاء بين عشائريهم وذويهم.

أجابني أبو شبر: وعندنا - أيضاً - نفس الشيء أو أكثر.

فقلت : كيف؟

قال : إذا رفع الناس شكواهم إلى المحاكم الحكومية فيكون مثل ما حكيت، أما إذا كانوا يقلّدون المرجع الديني، ويلتزمون بالأحكام الإسلامية فلا يرفعون قضاياهم إلا إليه، فيفصلها في بضع دقائق كما رأيت، ومن أحسن من الله حكماً لقوم يعقلون؟ والسيد الصدر لم يأخذ منهم فلساً واحداً، ولو ذهبوا إلى المحاكم الرسمية لتعرت رؤوسهم.

ضحكت لهذا التعبير الذي هو سارٍ عندنا - أيضاً - وقلت : سبحان الله! أنا لا زلت مكذباً ما رأيت، ولو لا ما شاهدته بعيني ما كنت لأصدق أبداً.

فقال أبو شبر : لا تكذب يا أخي فهذه بسيطة بالنسبة إلى غيرها من القضايا التي هي أشدّ تعقيداً وفيها دماء، ومع ذلك يحكم فيها المراجع ويفصلونها في سويعات.

فقلت متعجباً : إذاً عندكم في العراق حكومتان، حكومة الدولة وحكومة رجال الدين؟

فقال : كلا عندنا حكومة الدولة فقط، ولكنّ المسلمين من الشيعة الذين يقلّدون مراجع الدين، لا علاقة لهم بالحكومة، لأنّها حكومة البعث وليست حكومة إسلامية، فهم خاضعون لها بحكم المواطنة والضرائب والحقوق المدنية والأحوال الشخصية، فلو تخاصم مسلم ملتزم مع أحد المسلمين غير الملتزم فسوف يضطرّ حتماً لرفع قضيته إلى محاكم الدولة، لأنّ هذا الأخير لا يرضى بتحكيم رجال الدين، أمّا إذا كان المتخاصمان متلزمين فلا إشكال هناك، وما يحكم به المرجع الديني نافذ على الجميع، وعلى هذا الأساس تحلّ القضايا التي يحكم فيها المرجع في يومها، بينما تظلّ القضايا الأخرى شهوراً بل أعواماً.

إنها حادثة حركت في نفسي شعور الرضى بأحكام الله سبحانه وتعالى، وفهمت معنى قوله تعالى في كتابه المجيد: ﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ \* وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ... وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ... ﴿<sup>(١)</sup> صدق الله العظيم.

كما حركت في نفسي شعور النعمة والثورة على هؤلاء الظلمة الذين يبذلون أحكام الله العادلة بأحكام وضعية بشرية جائرة، ولا يكفهم كل ذلك بل ينتقدون بكل وقاحة وسخرية الأحكام الإلهية، ويقولون بأنها بربرية ووحشية، لأنها تقيم الحدود، فتقطع يد السارق، وترجم الزاني، وتقتل القاتل، فمن أين يا ترى جاء تنا هذه النظريات الغريبة عتاً وعن تراثنا؟! لا شك أنها من الغرب ومن أعداء الإسلام الذين يدركون أن تطبيق أحكام الله يعني القضاء عليهم نهائياً، لأنهم سراق، خونة، زناة، مجرمون وقتلة، ولو طبقت أحكام الله عليهم لاسترحنا من هؤلاء جميعاً.

وقد دارت بيني وبين السيد محمد باقر الصدر في تلك الأيام حوارات عديدة، وكنت أسأله عن كل صغيرة وكبيرة من خلال ما عرفته من الأصدقاء الذين حدثوني عن كثير من عقائدهم، وما يقولونه في الصحابة رضي الله عنهم، وما يعتقدونه في الأئمة الاثني عشر علي وبنيه، وغير ذلك من الأشياء التي نخالفهم فيها.

## [ الشهادة الثالثة في الأذان ]

سألت السيّد الصدر عن الإمام علي، ولماذا يشهدون له في الأذان بأنه وليّ الله؟! أجاب قائلاً: إنّ أمير المؤمنين علياً - سلام الله عليه - وهو عبد من عبيد الله الذين اصطفاهم الله وشرفهم ليواصلوا حمل أعباء الرسالة بعد أنبيائه وهؤلاء هم أوصياء الأنبياء.

فلكلّ نبي وصيّ وعلّي بن أبي طالب هو وصيّ محمّد، ونحن نفضّله على سائر الصحابة بما فضّله الله ورسوله، ولنا في ذلك أدلّة عقلية ونقلية من القرآن والسنة، وهذه الأدلّة لا يمكن أن يتطرّق إليها الشك لأنّها متواترة وصحيحة من طرفنا وحتى من طرق أهل السنة والجماعة، وقد ألف في ذلك علماؤنا العديد من الكتب. ولما كان الحكم الأموي يقوم على طمس هذه الحقيقة ومحاربة أمير المؤمنين عليّ وأبنائه وقتلهم، ووصل بهم الأمر إلى سبّه ولعنه على منابر المسلمين وحمل الناس على ذلك بالفهر والقوة؛ فكان شيعته وأتباعه - رضي الله عنهم - يشهدون أنّه وليّ الله، ولا يمكن للمسلم أن يسبّ وليّ الله، وذلك تحدياً منهم للسلطة العاشمة حتى تكون العزة لله ولرسوله وللمؤمنين، وحتى تكون حافزاً تاريخياً لكلّ المسلمين عبر الأجيال، فيعرفون حقيقة عليّ وباطل أعدائه.

ودأب فقهاؤنا على الشهادة لعلي بالولاية في الأذان والإقامة استحباباً، لا بنية أنّها جزء من الأذان أو الإقامة، فإذا نوى المؤذّن أو المقيم أنّها جزء بطل أذانه وإقامته. والمستحبات في العبادات والمعاملات لا تحصى لكثرتها، والمسلم يثاب

علی فعلها ولا يعاقب علی تركها، وقد ورد علی سبیل المثال أنه يذكر استحباً بعد شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، بأن يقول المسلم : وأشهد أن الجنة حق، والنار حق، وأن الله يبعث من في القبور.

## [ التفضيل بين الخلفاء ]

قلت : إنَّ علماءنا علّمونا أنَّ أفضل الخلفاء على التحقيق سيّدنا أبو بكر الصديق، ثُمَّ سيّدنا عمر الفاروق، ثُمَّ سيّدنا عثمان، ثُمَّ سيّدنا علي رضي الله تعالى عنهم أجمعين؟

سكت السيّد قليلاً، ثُمَّ أجابني : لهم أن يقولوا ما يشاءون، ولكن هيهات أن يثبتوا ذلك بالأدلة الشرعيّة. ثُمَّ إنَّ هذا القول يخالف صريح ما ورد في كتبهم الصحيحة المعتمدة، فقد جاء فيها : إنَّ أفضل الناس أبو بكر، ثُمَّ عمر، ثُمَّ عثمان، ولا وجود لعلي بل جعلوه من سوقة الناس، وإيما ذكره المتأخرون استحباباً لذكر الخلفاء الراشدين<sup>(١)</sup>.

---

(١) بعد تغلب المروانيين على دقّة الحكم وما صنعه من الجرائم، تحقّق عياناً السبب في عدم رؤية النبي ﷺ ضاحكاً إلى أن قبض لما رأى في الرؤيا بني مروان ينزون على منبره نزو القردة. (المستدرك للحاكم ٤: ٤٨٠ وصححه وكذلك الذهبي).

وكان عليّ بن أبي طالب عليه السلام هو المظلوم الحقيقي في تلك الفترة حيث سبّ ولعن علي المنابر، قال ابن تيميّة في منهاج السنة ٦: ٢٠١ «وقد كان من شيعة عثمان من سبّ عليّاً ويجهر بذلك على المنابر وغيرها؛ لأجل القتال الذي كان بينهم وبينه». وحتّى كانوا لا يعدّونه من الخلفاء وكانوا يرمون من ساوى بينه وبين عثمان بالتشيع (السنة للخلال: ٣٩٤ ح ٥٦٤) واستمر هذا إلى زمن أحمد ابن حنبل، وهو



➤ الذي حاول كسر هذا الطوق - فله الشكر من هذه الجهة -  
كان أحمد بن حنبل يتكلم وينظر ويستدل لاثبات خلافة أمير المؤمنين بعد عثمان،  
قال: عليّ عندي خليفة، يقيم الحدود، ويقال له أمير المؤمنين ولا ينكر، ثمّ قال  
للراوي: اكتب هذا فاتّه يقوّي من ذهب إلى أنّ علياً خليفة (السنة للخلال: ٤١٥  
ح ٦١٩).

وطبعاً كان يرى الاستنكار والاعتراض، يقول عبد الملك بن عبد الحميد الميموني:  
قلت لأبي عبد الله (أحمد بن حنبل): فأنا وبعض إخوتي هو ذا، نعجب منك في  
إدخالك علياً في الخلافة.

قال: فأيش أصنع، وأيش أقول بقول عليّ رحمه الله: أنا أمير المؤمنين، ويقال له: يا  
أمير المؤمنين، ويحجّ بالناس والموسم وتلك الأحكام والصلاة بالناس.  
قلت: فما تصنع وما تقول في قتال طلحة والزبير إياه وتلك الدماء؟ قال: ما لنا وما  
طلحة والزبير وذكرنا...» (السنة للخلال: ٤٢٦ ح ٦٤٦).

وقال ابن تيمية الحرّاني في معرض كلامه عن قتال علي بن أبي طالب عليه السلام للبيعة قال:  
«... وبهذا احتجّوا على الإمام أحمد في ترك التبريع بخلافته فإنّه لما أظهر ذلك  
قال له بعضهم: اذا قلت كان إماماً واجب الطاعة ففي ذلك طعن على طلحة والزبير  
حيث لم يطيعاه بل قاتلاه!»

فقال لهم أحمد: إني لست من حربهم في شيء... ولكن اعتقاد خلافته وإمامته ثابت  
بالنصّ، وما ثبت بالنصّ وجب اتّباعه وان كان بعض الأكابر تركه..» مجموعة  
الفتاوى الكبرى ٤: ٢٧٠.

وبلغ الإنكار على أحمد في ذلك حتّى إنّه كان يفحّش على من لم يقل أنّ علياً خليفة  
ويبدّعه قال ابن تيمية: «المنصوص عن أحمد تبديع من توقّف في خلافة علي،  
وقال: هو أضل من حمار أهله، وأمر بهجرانه، ونهى عن مناكحته..» مجموعة  
الفتاوى الكبرى ٤: ٢٦٩ (السنة للخلال: ٤١٩ ح ٦٢٦)، وكذلك كان عمّه يقول

## [ السجود على التربة ]

سألته بعد ذلك عن التربة التي يسجدون عليها والتي يسمونها « بالتربة الحسينية » أجاب قائلاً :

يجب أن نعرف قبل كل شيء أننا نسجد على التراب ولا نسجد للتراب، كما يتوهم البعض الذين يشهرون بالشيعة، فالسجود هو لله سبحانه وتعالى وحده. والثابت عندنا وعند أهل السنة أيضاً أن أفضل السجود على الأرض<sup>(١)</sup>، أو

---

بحضرتة: « هؤلاء الفساق الفجار الذين لا يثبتون إمامة عليّ... وأحمد ساكت بيتسم » (السنة للخلال: ٤٢٧ ح ٦٤٨).

وسئل مرة: يا أبا عبدالله من قال: أبو بكر وعمر وعثمان وعليّ أليس هو عندك صاحب سنة؟ قال: بلى لقد روي في عليّ رحمه الله ما تقشعر - أظنة الجلود - قال عليه السلام: «أنت مني بمنزلة هارون من موسى...» (السنة للخلال: ٤٠٧ ح ٦٠٢).

طبعاً لم يعترض عليّ أحمد حينما أثبت خلافة عليّ بعد عثمان فحسب، بل اعترض عليه أيضاً بعد ما اظهر التبريع في التفضيل بين الخلفاء، يقول الراوي: «دخلت عليّ أبي عبدالله أحمد بن حنبل حين أظهر التبريع بعليّ، فقلت: يا أبا عبد الله، إنّ هذه اللفظة توجب الطعن عليّ طلحة والزبير...» (شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي ٨: ١٤٧٥ ح ٢٦٧٠).

(١) الأصل في السجود أن يضع الإنسان وجهه على الأرض، على ترابها ورمليها وحصاها وحجرها ومدرها ونباتها غير مأكول ولا ملبوس إلا عند الضرورة،

☞ قال ابن حجر في فتح الباري ١: ٤١٤ في شرح قوله ﷺ: «كُنَّا إِذَا صَلَّيْنَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فَيُضَعُ أَحَدُنَا طَرَفَ الثَّوْبِ مِنْ شِدَّةِ الْحَرِّ مَكَانَ السُّجُودِ» قال: وفيه إشارة إلى أنّ مباشرة الأرض عند السجود هو الأصل لأنّه علّق بعدم الاستطاعة. ومثله الشوكاني في نيل الأوطار ٢: ٢٨٩.

ويدل على ذلك أمور:

١ - قوله ﷺ: «جعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً» (البخاري: كتاب الصلاة، مسلم كتاب المساجد) قال ابن حجر في الفتح ١: ٣٧٠: «أي موضع سجود لا يختصّ السجود منها بموضع دون غيره».

٢ - حديث تبريد الحصى حيث كان الصحابة يقبضون الحصى بأيديهم لتبريد ثمّ يسجدوا عليها، قال البيهقي في سننه ٢: ١٠٥ معلقاً على الحديث: «قال الشيخ: ولو جاز السجود على ثوب متصل به لكان ذلك أسهل من تبريد الحصى في الكف ووضعها للسجود عليها».

٣ - حديث التتريب حيث أمر ﷺ بتتريب الوجه لله تعالى، فهو إن لم يدل على الوجوب دلّ على أفضلية التتريب كما أخرج ذلك الحاكم في المستدرک ١: ٢٧١ وغيره أنّ النبي ﷺ يقول لعبد أسود لنا: «أي رباح ترّب وجهك».

٤ - أحاديث حسر كور العمامة: روي عن عليّ عليه السلام أنّه قال: «إذا كان أحدكم يصلّي فليحسر العمامة عن وجهه (السنن الكبرى للبيهقي ٢: ١٠٥) وروي أنّ النبي ﷺ كان إذا سجد رفع العمامة عن جبهته (المصدر نفسه).

وهذا أيضاً يدلّ على أفضلية السجود على الأرض إن لم يدل على الوجوب.

٥ - سيرة رسول الله ﷺ في السجود على الأرض حتّى عند المطر (انظر: صحيح البخاري ١: ١٩٨ كتاب الأذان باب السجود على الأنف والسجود على الطين).

ويمكن الرجوع إلى السنّة النبويّة الشريفة لملاحظة الأدلّة الواردة في شرعية السجود على التربة، بل ولابدية السجود عليها، وهنا ننقل بعض الروايات النبويّة

➤ المصْرحة بذلك الأمر:

١ - عن ابن عباس قال: «إنَّ النبي صَلَّى اللهُ عليه وآله وسلَّم سجد على الحجر»  
المستدرک ١: ٤٧٣ وصححه هو والذهبي، البداية والنهاية ٥: ١٧٣.

وعن عبد الجبار بن وائل عن أبيه قال: «رأيت رسول الله ﷺ يسجد على الأرض  
واضعاً جبهته وأنفه في سجوده» مسند أحمد ٤: ٣١٧، المصنّف لابن أبي شيبة  
١: ٢٩٣.

وعن عاصم قال: «كان ابن سيرين إذا سجد على مكان لا يمسّ أنفه الأرض تحول  
إلى مكان آخر» المصنّف لابن أبي شيبة ١: ٢٩٣.

وعن أبي حميد قال: «رأيت رسول الله ﷺ أحسن الوضوء، ثمَّ دخل الصلاة، فذكر  
بعض الحديث وقال: ثمَّ إذا سجد فأمكن جبهته وأنفه من الأرض، ونحى يديه عن  
جبينه» صحيح ابن خزيمة ١: ٣٢١.

وعن معاذ بن جبل يصف صلاة رسول الله ﷺ فيقول في ضمنها: «ويخر ساجداً،  
وكان يمسّ جبهته وأنفه من الأرض...» المعجم الكبير للطبراني ٢٠: ٧٤.

وعن عبادة بن الصامت قال: «إنّه - أي النبي - إذا قام إلى الصلاة حسر العمامة عن  
جبهته» المصنّف لابن أبي شيبة ١: ٣٠٠.

وعن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال: «عن علي قال: إذا صلّى أحدكم فليحسر العمامة  
عن جبهته» المصنّف لابن أبي شيبة ١: ٣٠٠.

وعن محمّد قال: «أصابتنى شجّة، فعصبت عليها عصابة، فسألت أبا عبيدة أسجد  
عليها؟ قال: لا» المصنّف لابن أبي شيبة ١: ٣٠٠.

وعن عياض بن عبد الله القرشي قال: «رأى النبي ﷺ رجلاً يسجد على كور  
العمامة، فأوما بيده أن أرفع عمامتك فأوما إلى جبهته» المصنّف لابن أبي شيبة  
١: ٣٠٠.

وعن حمّاد بن سلمة عن هشام عن أبيه في المعتم قال: «يمكّن جبهته من الأرض»

➤ المصنّف لابن أبي شيبة ١: ٣٠١.

وعن صالح بن خيوان السبائي وغيره: «أنّ رسول الله ﷺ رأى رجلاً يسجد على  
عمامته، فحسر رسول الله ﷺ عن جبهته» معرفة السنن والآثار ٢: ١٠، أسد  
الغابة ٣: ٩، الإصابة لابن حجر ٣: ٣٧٥.

وأن النبي ﷺ قال لرجل: «إذا سجدت فأمكن جبهتك حتى تجد حجم الأرض»  
معرفة السنن والآثار ٢: ٧.

وعن أبي سعيد الخدري قال: «أبصرت عينا رسول الله ﷺ انصرف علينا  
صبيحة إحدى وعشرين من رمضان وعلى جبهته وأنفه أثر الماء والطين»  
السنن والآثار ٢: ٧.

وفي حديث النبي ﷺ يعلم أصحابه الصلاة جاء فيه: «تُمّ يكبر ويسجد فيمكن  
جبهته من الأرض» المستدرک ١: ٢٤٢، السنن الكبرى ٢: ١٠٢.

وعن سلمان قال: «عن النبي ﷺ قال: تمسّحوا بالأرض فإنها بكم برّة» مجمع  
الزوائد ٨: ٦١، المعجم الصغير ١: ١٤٨، مسند الشهاب ١: ٤٠٩.

وروي عن النبي ﷺ: «أنّه كان يصلّي على الخمرة» صحيح البخاري ١: ١٠٠،  
مسند أحمد ٢: ٩٢.

أمّا فتاوى فقهاء الصحابة والتابعين في لزوم السجود على التراب فهي غفيرة جمّة  
ننقل منها ما تحصّل لنا:

١ - كان عطاء لا يجوّز السجود إلا على التراب والبطحاء. المحلّي ٤: ٨٣.

٢ - كان أبو بكر يسجد أو يصلّي على الأرض مفيضاً إليها. المصنّف للصنعاني ١:  
٣٩٧.

٣ - عبد الله بن مسعود كان يقول: لا يصلّي إلا على الأرض. المصنّف للصنعاني ١:  
٣٩٧.

٤ - وعن إبراهيم أنّه كان يترك السجود على الحصير ويسجد على الأرض. المصنّف

➤ للصنعاني ١: ٣٩٧.

٥ - مزة بن شراحيل الهمداني: كان يسجد على التراب حتى أكل جبهته، فلما مات رؤي في المنام وقد صار مكان السجود نوراً. تذكرة الحفاظ ١: ٦٧، سير أعلام النبلاء ٤: ٧٥، البداية والنهاية ٨: ٧٦.

٦ - كان عروة بن الزبير: يكره الصلاة على شيء دون الأرض. فتح الباري ١: ٤١٠، فيض القدير في شرح الجامع الصغير ٥: ٢٨٤.

٧ - أرسل علي بن أبي طالب عليه السلام: أرسل إلى عبد الله بن عباس أن أرسل إلي بلوح من المروة أسجد عليه. المصنّف للصنعاني ١: ٣٠٨.

بعض كلمات الفقهاء:

١ - قال الشوكاني في نيل الأوطار: «وإلى كراهته - يعني السجود على غير الأرض - ذهب الهادي» نيل الأوطار ٢: ١٢٨.

٢ - قال في شرح الأزهار: «مسألة: الهادي: ولا يجب الكشف عن السبعة إذا لم يفصل الخبر والمرضى إلا الجبهة لقوله صلى الله عليه وآله وسلم: فيمكن جبهته من الأرض. فلا يجزي على كور العمامة» ١: ٢٣٨.

٣ - وقال ابن الحجاج المالكي: «ومن ذلك - أي الواجب في السجود - ألا يسجد على حائل بينه وبين الأرض، فإنه السنة.

ولما أدت الضرورة إلى الحصر المفروشة هناك فعلت.

وقد كان عمر بن عبد العزيز يباشر الأرض بوجهه ويديه في سجوده، لا يحول بينه وبين الأرض شيء، وكذلك حال آخر السلف، فمن قدر على ذلك فهو الأولى والأفضل في حقه.

اللهم إلا أن تدعو ضرورة إلى ذلك، فأرباب الضرورات لهم أحكام آخر» المدخل ٢: ٢١.

٤ - وفي غنية المتملي في شرح منية المصلي: ٢٨٩: «سئل عمّن يضع جبهته على

### 👉 حجر صغير هل يجوز؟

قال: إن وضع أكثر الجبهة على الأرض يجوز والآ فلا.

وحكاه عنه الحلبي في غنية المتملي في شرح منية المصلي...».

٥ - قال ابن تيمية: «ولم يكن النبي ﷺ وأصحابه يصلون على سجادة، ولكن صلى على خمرة.. وكان يصلي على الحصير والتراب». مختصر الفتاوى المصرية: ٦٣.

وقال أيضاً: «وينقل عن مالك أنه لما قدم بعض العلماء وفرش في مسجد النبي ﷺ شيئاً من ذلك، أمر بحبسه وقال: أما علمت أن هذا في مسجدنا بدعة». مجموع الفتاوى ٢٢: ١٩٢.

٦ - وقال الشافعي: «ولو سجد على رأسه ولم يمس شيئاً من جبهته الأرض لم يجزه السجود، وإن سجد على رأسه فماس شيئاً من جبهته الأرض أجزأه السجود إن شاء الله تعالى.

ولو سجد على جبهته ودونها ثوب أو غيره لم يجزه السجود إلا أن يكون جريحاً، فيكون ذلك عذراً.

ولو سجد عليها وعليها ثوب متخرق فماس شيئاً من جبهته على الأرض أجزأه، لأنه ساجد وشيء من جبهته على الأرض» كتاب الأم ١: ١٣٦.

وأخيراً نختم الكلام بعبد الله بن مسروق التابعي الكبير كان إذا سافر أخذ معه تربة، فقد أخرج ابن أبي شيبة في مصنفه عن ابن سيرين قال: «نبئت أن مسروقاً كان إذا سافر حمل معه في السفينة لبنة يسجد عليها». المصنف لابن أبي شيبة ٢: ١٧٢.

وفي نفس المصدر أن محمد: «كره أن يسجد على الخشبين المقرونتين في السفينة، وكان يأخذ لبنة يسجد عليها».

فالسجود على التربة ليس بدعاً جاءت به الشيعة من عندها أو أدخل عليها من أقوام

ما أنبتت الأرض من غير المأكول، ولا يصحّ السجود على غير ذلك.

وقد كان رسول الله ﷺ يفرش التراب، وقد اتخذ له خمرة من التراب والقشّ يسجد عليها، وعلم أصحابه رضوان الله عليهم فكانوا يسجدون على الأرض، وعلى الحصى، ونهاهم أن يسجد أحدهم على طرف ثوبه، وهذا من المعلومات بالضرورة عندنا.

وقد اتخذ الإمام زين العابدين، وسيد الساجدين علي بن الحسين عليه السلام تربة من قبر أبيه أبي عبد الله باعتبارها تربة زكية طاهرة سألت عليها دماء سيد الشهداء<sup>(١)</sup>، واستمرّ على ذلك شيعته إلى يوم الناس هذا، فنحن لا نقول بأنّ السجود

➤ آخرين، وإنما هو من صلب العقيدة الإسلامية السليمة، وكانت سيرة

النبي ﷺ وصحبه على ذلك.

وبعد الذي تقدم يظهر علينا كاتب في القرن العشرين ليس له أى باع أو اطلاع على التراث الإسلامي ليدعي أنّ السجود على التربة من إبداعات عمر بن الخطاب. راجع الشيعة والدولة القومية في العراق - حسن علوي.

(١) وفي البحار ٤٦: ٧٩ عن المناقب لابن شهر آشوب ٣: ٢٩، ومصباح المتهدج للطوسي: ٧٧٣ قال: وكان للإمام الصادق عليه السلام أيضاً خريطة ديباج صفراء فيها تربة الحسين عليه السلام يسجد عليها [مصباح المتهدج للطوسي: ٧٣٣، عنه البحار ١٠١: ١٣٥].

ثم لا يخفى أنّ الاهتمام بتربة الحسين عليه السلام كان منذ زمن النبي ﷺ فقد أخرج ابن سعد عن علي عليه السلام أنّ جبرئيل جاء إلى النبي ﷺ وأخبره بمقتل الحسين وأعطاه قبضة من تربته فشتمها (انظر تذكرة الخواص لسبط ابن الجوزي: ٢٢٥، والصواعق المحرقة ٢: ٥٦٦، مجمع الزوائد ٩: ١٨٧ وقال: رجاله ثقات)، وفي مسند أحمد ٦: ٢٩٤: «إنّ ابنك هذا حسين مقتول، وإن شئت أريتك من تربة



لا يصحّ إلاّ عليها، بل نقول بأنّ السجود يصحّ على أيّ تربة أو حجرة طاهرة، كما يصحّ على الحصير والسجاد المصنوع من سعف النخيل وما شابه ذلك.

☞ الأرض التي يقتل بها. قال: فأخرج تربة حمراء»، وهو في المستدرک ٤: ٣٩٨، مجمع الزوائد ٩: ١٨٧ وقال: «رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح». وفي مسند أحمد أيضاً ٣: ٢٤٢: «إنّ أمّتك ستقتله، وإنّ شئت أريتك المكان الذي يقتل فيه، فضرب بيده، فجاء بطينة حمراء، فأخذتها أمّ سلمة فصرتّها في خمارها. قال: قال ثابت: بلغنا أنّها كربلاء»، وهو في مجمع الزوائد ٩: ١٨٧ وقال: «رواه أحمد وأبو يعلى والبزار والطبراني بأسانيد وفيها عمارة بن زاذان وثقه جماعة وفيه ضعف».

وفي صحيح ابن حبان ١٥: ١٤٢ وقد حققه الشيخ الأرنبوط: «إنّ أمّتك ستقتله، إن شئت أريتك المكان الذي يقتل فيه.

قال: نعم. فقبض قبضة من المكان الذي يقتل فيه، فأراه إيّاها، فجاءه بسهولة أو تراب أحمر»، وهو في المجمع الكبير ٣: ١٠٦، مسند أبي يعلى ١: ٢٩٨، مسند البزار ٣: ١٠١.

إلى غير ذلك من الأحاديث التي تكشف عن اهتمام الله سبحانه وتعالى بهذه التربة المقدّسة التي سيفاض عليها دمّ صفّي من أصفياء الله، وهو الحسين بن علي عليه السلام.

## [ المأتم الحسيني ]

قلت - عليّ ذكر سيّدنا الحسين عليه السلام - : لماذا يبكي الشيعة ويلطمون ويضربون أنفسهم حتّى تسيل الدّماء وهذا محرّم في الإسلام، فقد قال عليه السلام : « ليس منّا من لطم الخدود، وشقّ الجيوب، ودعا بدعوى الجاهليّة »؟<sup>(١)</sup>

أجاب السيّد قائلاً: الحديث صحيح لا شكّ فيه، ولكنّه لا ينطبق علىّ مأتم أبي عبد الله، فالذي ينادي بثأر الحسين ويمشي علىّ درب الحسين دعوته ليست دعوى جاهلية.

ثمّ إنّ الشيعة بشر فيهم العالم وفيهم الجاهل ولديهم عواطف، فإذا كانت عواطفهم تطغى عليهم في ذكرى استشهاد أبي عبد الله، وما جرى عليه وعلى أهله وأصحابه من قتل وهتك وسبي فهم مأجورون؛ لأنّ نواياهم كلّها في سبيل الله، والله سبحانه وتعالى يعطي العباد علىّ قدر نواياهم.

وقد قرأت منذ أسبوع التقارير الرّسمية للحكومة المصرية بمناسبة موت جمال عبد الناصر، تقول هذه التقارير الرّسمية بأنّه سجّل أكثر من ثماني حالات انتحارية قتل أصحابها أنفسهم عند سماع النّبأ، فمنهم من رمى نفسه من أعلى العمارة، ومنهم من ألقي بنفسه تحت القطار وغير ذلك، وأما المجرّوحون والمصابون فكثيرون.

---

(١) صحيح البخاري ٢: ٨٢، كتاب الكسوف، باب الجنائز، سنن ابن ماجه ١: ٥٠٤،

سنن النسائي ٤: ١٩، السنن الكبرى للبيهقي ٤: ٦٤.

وهذه أمثلة أذكرها للعواطف التي تغطي على أصحابها.

وإذا كان الناس - وهم مسلمون بلا شك - يقتلون أنفسهم من أجل موت جمال عبد الناصر وقد مات موتاً طبيعياً، فليس من حقنا - بناءً على مثل هذا - أن نحكم على أهل السنة بأنهم مخطئون، وليس لإخواننا من أهل السنة أن يحكموا على إخوانهم من الشيعة بأنهم مخطئون في بكائهم على سيد الشهداء، وقد عاشوا محنة الحسين وما زالوا يعيشونها حتى اليوم، وقد بكى رسول الله نفسه على ابنه الحسين وبكى جبريل لبكائه<sup>(١)</sup>.

(١) إنَّ مقام الحسين عليه السلام ومنزلته تأتي من منزلة ومقام جدّه النبي صلى الله عليه وآله، فقد ورد في حقّه على لسان جدّه المصطفى صلى الله عليه وآله: «حسين منّي وأنا من حسين، أحبّ الله من أحبّ حسيناً، حسين سبط من الأسباط» مسند أحمد ٤: ١٧٢، سنن ابن ماجه ١: ٥١، وحكم المحقّق بوثاقة رجاله، سنن الترمذي ٥: ٣٢٤ وحسنه، المستدرک للحاكم وصححه ٣: ١٧٧، مجمع الزوائد ٩: ١٨١، المصنّف لابن أبي شيبة ٧: ٥١٥، صحيح ابن حبان ١٥: ٤٢٨.

وقال الرسول صلى الله عليه وآله: «الحسن والحسين سيّدَا شباب أهل الجنّة» مسند أحمد ٣: ٣، سنن ابن ماجه ١: ٤٤، سنن الترمذي ٥: ٣٢١.

وقال النبي صلى الله عليه وآله: «هما ريحانتاي من الدنيا» يعني الحسن والحسين صحيح البخاري ٤: ٢١٧، كتاب الفضائل، سنن الترمذي ٥: ٣٢٢ وحكم بحسنه، مسند أبي داود الطيالسي: ٢٦١، ومسنّد أبي يعلى ١٠: ١٠٦.

وعن عطاء أنّ رجلاً أخبره: «أنّه رأى النبي صلى الله عليه وآله يضمّ حسناً وحسيناً ويقول: اللهمّ إني أحبّهما فأحبّهما» مسند أحمد ٥: ٣٦٩، مجمع الزوائد ٩: ١٧٩ وقال: «رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح».

والحسين عليه السلام صاحب مقام عالٍ لا يضاهيه أحد من الصحابة والمسلمين لما قدّمه من نصرة للدين، وإحياءٍ لشرع الله تبارك وتعالى، فالحزن عليه ليس بدعاً أو

أحدوته، وإنما هو أمر قبل أن يكون مشروعاً عقلائياً؛ للمأساة التي وقعت عليه، مضافاً إلى أنّ الأنبياء ﷺ حزنوا على أبنائهم لما أصابهم في حياتهم فهذا نبي الله يعقوب عليه السلام يحزن على يوسف عليه السلام حتى قال تعالى في وصفه: ﴿وَأَبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ﴾ يوسف: ٨٤، مع أن يوسف عليه السلام لم يقع إلا في مصائب أقل بكثير مما وقع فيه الحسين عليه السلام، فهو لم يُذبح، ولم تُسبى نساؤه، ولم يُطاف به في البلدان ومع ذلك حزن عليه يعقوب عليه السلام إلى أن أبيضت عيناه وأصبح أعمى. وكذلك النبي محمد ﷺ بكى وحزن، فقد بكى على جعفر وزيد في مؤتة، وبكى عند موت إحدى بناته، وقوله لما سمع النساء يبكين قتلاهن في معركة أحد: «ولكن حمزة لا بواكي له».

فالبكاء والحزن أمران مشروعان يجوز للإنسان أن يقوم بهما تأسياً بالأنبياء ﷺ. أضف إلى ذلك إلى أنّ النبي ﷺ أقام مآتم عديدة للبكاء على الحسين عليه السلام من يوم ولادته ففي مجمع الزوائد ٩: ١٨٧: «عن أنس بن مالك أن ملك القطر استأذن أن يأتي النبي ﷺ، فأذن له، فقال لأُمّ سلمة: إملي علينا الباب، لا يدخل علينا أحد. قال: وجاء الحسين بن علي ليدخل، فمنعته، فوثب فدخل، فجعل يقعد على ظهر النبي ﷺ وعلى منكبه وعلى عاتقه.

قال: فقال الملك للنبي ﷺ: أتحبّه؟

قال: نعم.

قال: إن أمّتك ستقتله، وإن شئت أريتك المكان الذي يقتل به، فضرب بيده، فجاء بطينة حمراء فأخذتها أمّ سلمة فصرتّها في خمارها.

قال ثابت: بلغنا أنّها كربلاء».

وفي المجمع أيضاً ٩: ١٨٧: «وعن نجي الحضرمي: أنّه سار مع علي عليه السلام، وكان صاحب مطهرته، فلما حاذى نينوى، وهو منطلق إلى صفين، فنادى علي: اصبر أبا عبدالله، اصبر أبا عبدالله، بشط الفرات.

◀ قلت: وما ذاك؟

قال: دخلت على النبي ﷺ ذات يوم، وإذا عيناه تذرفان.

قلت: يا نبي الله، أغضبك أحد؟ ما شأن عينيك تفيضان؟

قال: بل قام من عندي جبريل عليه السلام فحدّثني أنّ الحسين يقتل بشط الفرات.

قال: فقال: هل لك أن أشمّك من تربته؟

قلت: نعم.

قال: فمدّ يده، فقبض قبضة من تراب فأعطانيها، فلم أملك عيني أن فاضتا.

وفي مصنّف ابن أبي شيبة ٨: ٦٣٢: «قالت أم سلمة: دخل الحسين على النبي ﷺ وأنا جالسة على الباب، فتطلّعت فرأيت في كفّ النبي ﷺ شيئاً يقبله وهو نائم

على بطنه، فقلت: يا رسول الله، تطلّعت فرأيتك تقلّب شيئاً في كفّك والصبى نائم

على بطنك ودموعك تسيل؟

فقال: إنّ جبرئيل أتاني بالتربة التي يقتل عليها، وأخبرني أن أمّتي يقتلونه.»

وفي المعجم الكبير للطبراني ٣: ١٠٨ بسنده عن عائشة قالت: «قال النبي ﷺ: يا

عائشة الا أعجبك، لقد دخل عليّ ملك آنفاً ما دخل عليّ قط.

فقال: إنّ ابني هذا مقتول، وقال: إنّ شئت أريتك تربة يقتل فيها، فتناول الملك بيده

فأراني تربة حمراء.»

وفي مجمع الزوائد ٩: ١٨٩ عن أم سلمة قالت: «كان الحسن والحسين يلعبان بين

يدي رسول الله ﷺ في بيتي، فنزل جبريل فقال: يا محمّد، إنّ أمّتك تقتل ابنك

هذا من بعدك، وأوماً بيده إلى الحسين، فبكى رسول الله ﷺ وضمّه إلى

صدره، ثمّ قال رسول الله ﷺ: يا أم سلمة، وديعة عندك هذه التربة، فشمّها

رسول الله ﷺ وقال: ويح كرب وبلاء.

قال: وقال رسول الله ﷺ: يا أم سلمة إذا تحوّلت هذه التربة دماً فاعلمي أنّ ابني هذا

قد قتل.

قلت : ولماذا يزخرف الشيعة قبور أوليائهم بالذهب والفضة وهو محرّم في الإسلام؟

أجاب السيّد الصدر : ليس ذلك منحصراً بالشيعة، ولا هو حرام، فها هي مساجد إخواننا من أهل السنّة سواء في العراق، أو في مصر، أو في تركيا أو غيرها من البلاد الإسلامية مزخرفة بالذهب والفضة، وكذلك مسجد رسول الله في المدينة المنورة، وبيت الله الحرام في مكّة المكرّمة الذي يُكسى في كلّ عام بحلّة ذهبية جديدة يصرف فيها الملايين، فليس ذلك منحصراً بالشيعة<sup>(١)</sup>.

☞ قال: فجعلتها أم سلمة في قارورة، ثم جعلت تنظر إليها كلّ يوم وتقول: إنّ يوماً تحولين دماً ليوم عظيم».

إلى غير ذلك من الروايات الكثيرة التي تشير إلى نزول ملك خاص من السماء على النبي ﷺ لأجل هذه القضية، أو نزول جبرئيل ﷺ وحزن النبي ﷺ وبكائه على ابنه وهو في المهد صبيّاً، والمجيء بترابه إلى النبي ﷺ، وإيداعه أم سلمة - رضي الله عنها - وانقلاب التراب دماً عبيطاً إلى غير ذلك من الأمور الكثيرة التي تبين أن البكاء على الحسين ﷺ والحزن لأجله من الأمور المشروعة التي قام بها صاحب الشرع جدّه المصطفى ﷺ، واقتدت الشيعة به.

ولأجل ذلك قال ابن كثير في البداية والنهاية ٨: ٢٢١: «فكلّ مسلم ينبغي له أن يحزنه قتله ﷺ، فإنّه من سادات المسلمين، وعلماء الصحابة، وابن بنت رسول الله ﷺ التي هي أفضل بناته، وقد كان عابداً وشجاعاً وسخيّاً».

وللمزيد من الاطلاع على مشروعية المأتم الحسيني ارجع إلى كتاب سيرتنا وسنتنا للعلامة الأميني ﷺ.

(١) أول من قام بزخرفة المساجد هم حكام أهل السنة، وبموافقة علمائهم قال العيني في عمدة القاريء ٤: ٢٠٧: «أول من زخرف المساجد الوليد بن عبد الملك ابن مروان، وذلك في أواخر عصر الصحابة - رضي الله تعالى عنهم - وسكت

قلت : إن علماء السعودية يقولون : إن التمسح بالقبور، ودعوة الصالحين، والتبرك بهم، شرك بالله، فما هو رأيكم؟  
أجاب السيد محمد باقر الصدر :

إذا كان التمسح بالقبور ودعوة أصحابها بنيتهم يضرّون وينفعون فهذا شرك لا شك فيه، وإنما المسلمون موحدون، ويعلمون أن الله وحده هو الضارّ والنافع، وإنما يدعون الأولياء والأئمة عليهم السلام ليكونوا وسيلتهم إليه سبحانه، وهذا ليس بشرك.

❖ كثير من أهل العلم عن إنكار ذلك خوفاً من الفتنة، ورخص في ذلك بعضهم، وهو قول أبي حنيفة، إذا ما وقع ذلك على سبيل التعظيم للمساجد، ولم يقع الصرف على ذلك من بيت المال.

وقال ابن المنير: لما شيّد الناس بيوتهم وزخرفوها ناسب أن يصنع ذلك بالمساجد، صوتاً لها عن الاستهانة..».

وقال ابن حجر في فتح الباري ٣: ٣٦٤: «وقع في أيام الوليد بن عبد الملك من تذهيبه سقوف المسجد النبوي.

قال: ولم ينكر ذلك عمر بن عبد العزيز، ولا أزاله في خلافته.».

وقال: الشوكاني في نيل الأوطار ٦: ١٤١ وهو في معرض كلامه عن تحلية الكعبة بالذهب: «ثمّ تمسك للجواز بما وقع في أيام الوليد بن عبد الملك من تذهيبه سقوف المسجد الحرام.

قال: ولم ينكر ذلك عمر بن عبد العزيز ولا أزاله في خلافته. ثمّ استدلل للجواز بأنّ تحريم استعمال الذهب والفضة إنّما هو فيما يتعلق بالأواني المعدة للأكل والشرب ونحوهما، قال: وليس في تحلية المساجد بقناديل الذهب شيء من ذلك.».

فأهل السنة هم أول من بدأ بزخرفة المساجد وتزيينها بالذهب والفضة، فهم المخالفون للسنة النبوية الشريفة.

والمسلمون سنة وشيعة متفقون على ذلك من زمن الرسول إلى هذا اليوم، عدا الوهابية وهم علماء السعودية الذين ذكرت، والذين خالفوا إجماع المسلمين بمذهبهم الجديد الذي ظهر في هذا القرن، وقد فتنوا المسلمين بهذا الاعتقاد وكفروهم وأباحوا دماءهم<sup>(١)</sup>.

فهم يضربون الشيوخ من حجّاج بيت الله الحرام لمجرد قول أحدهم: السلام عليك يا رسول الله<sup>(٢)</sup>، ولا يتركون أحداً يتمسح على ضريحه الطاهر، وقد كان لهم

(١) للحركة السلفية طابعان: طابع نظري وطابع عملي، أما الطابع النظري فتولّى نشره ابن تيمية وابن القيم وابن كثير ومحمد بن عبد الوهاب حيث كفّروا فيها المسلمين بحجة التوسّل بالأموات، وقد قام أمامهم جهاذة من العلماء وردّوا أدلّتهم أمثال السبكي في شفاء السقام، وسليمان بن عبد الوهاب شقيق محمد بن عبد الوهاب وغيرهما.

أما الطابع العملي فقد ظهر بعدما تمّ التنظير بتكفير المسلمين وإباحة دمائهم، وتحقّق بعد التحالف الذي انعقد بين الوهابيين وبين آل سعود بدوافع لا تخفى على الخبير، فبدأت غاراتهم على بعض البلدان الإسلامية وقتلوا فيها الأبرياء وأراقوا الدماء، وهدموا المزارات والمشاهد المشرّفة.

ولمزيد الإطلاع راجع: «كشف الارتياح في اتباع محمد بن عبد الوهاب» لمؤلفه المغفور له السيّد محسن الأمين.

(٢) قال السيّد أحمد بن زيني دحلان مفتي مكّة (ت ١٣٠٤) في كتابه: (فتنة الوهابية) ص ٢٠ ما لفظه: «وكانوا يمنعون من قراءة دلائل الخيرات المشتملة على الصلاة على النبي ﷺ وعلى ذكرها كثير من أوصافه الكاملة، ويقولون إنّ ذلك شرك، ويمنعون من الصلاة عليه على المنابر بعد الأذان حتّى إنّ رجلاً صالحاً كان أعمى، وكان مؤدّناً وصلّى على النبي ﷺ بعد الأذان بعد أنّ كان المنع منهم، فأتوا إلى ابن عبد الوهاب فأمر به أن يقتل فقتل، ولو تتبعت لك ما



مع علمائنا مناظرات، ولكنهم أصرّوا على العناد واستكبروا استكباراً.  
فإنّ السيّد شرف الدين من علماء الشيعة لما حجّ بيت الله الحرام في زمن عبد العزيز آل سعود، كان من جملة العلماء المدعوين إلى قصر الملك لتهنئته بعيد الأضحى كما جرت العادة هناك، ولما وصل الدور إليه وصافح الملك، قدّم إليه هديّة وكانت مصحفاً ملفوفاً في جلد، فأخذه الملك وقبله ووضع على جبهته تعظيماً له وتشريفاً.

❦ كانوا يفعلونه من أمثال ذلك لمأّت الدفاتر والأوراق».

وقال في الدرر السنية: ٥٢: «...ومنع الناس من قراءة دلائل الخيرات، ومن الرواتب والأذكار، ومن قراءة مولد النبي ﷺ، ومن الصلاة على النبي ﷺ في المنائر بعد الأذان، وقتل من فعل ذلك».

وقال الشيخ عبد الله الهروي في المقالات السنية: ٤٨: «ويشهد لما ذكر، من تكفيرهم من يصلّي على النبي أي جهرًا على المآذن عقب الأذان ما حصل في دمشق من أنّ مؤدّن جامع الدقاق قال عقب الأذان كعادة البلد: الصلاة والسّلام عليك يا رسول الله جهرًا. فكان وهابي في صحن المسجد فقال بصوت عال: هذا حرام! هذا مثل الذي ينكح أمّه..».

وقال ابن تيميّة في اقتضاء الصراط المستقيم: ٣٦٦: «ورخص بعضهم في السّلام عليه إذا دخل المسجد للصلاة ونحوها، وأمّا قصده دائماً للصلاة والسّلام فما علمت أحداً رخص فيه».

وقال عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ في فتح المجيد ١: ٢٢٤: «وأما دخولهم عند قبره للصلاة والسّلام عليه هناك، أو الصلاة والدعاء فلم يشرّعه [أي النبيّ لهم، بل نهاهم عنه]».

وقال سليمان بن عبد الله بن محمّد بن عبد الوهاب في تيسير العزيز المجيد ١: ٣١١: «... وأما دخولهم عند قبره للصلاة والسّلام عليه هناك أو للصلاة والدعاء فلم يشرّعه لهم، بل نهاهم..».

فقال له السيد شرف الدين عندئذ: أيها الملك لماذا تقبل الجلد وتعظمه وهو جلد ما عز؟

أجاب الملك، أنا قصدت القرآن الكريم الذي بداخله ولم أقصد تعظيم الجلد! فقال السيد شرف الدين عند ذلك: أحسنت أيها الملك، فكذلك نفعل نحن عندما نقبل شبك الحجرة النبوية أو بابها، فنحن نعلم أنه حديد لا يضر ولا ينفع، ولكنا نقصد ما وراء الحديد وما وراء الأخشاب، نحن نقصد بذلك تعظيم رسول الله ﷺ كما قصدت أنت القرآن بتقبيلك جلد الماعز الذي يغلفه.

فكبر الحاضرون إعجاباً له وقالوا: صدقت، واضطر الملك وقتها إلى السماح للحجاج أن يتبركوا بآثار الرسول حتى جاء الذي بعده فعاد إلى القرار الأول<sup>(١)</sup>.

(١) حاول بعض السلفية الإجابة على هذه الشبهة فقال: «ثم لو قلنا بجواز تقبيل المصحف فإنه قياس مع الفارق لأن تعظيم المصحف الذي يحوي كلام الله - الذي هو صفة من صفاته - لا يؤدي بالتالي إلا إلى تعظيم الله فلا يخاف على صاحبه من ذريعة الشرك، بخلاف تعظيم قبر النبي ﷺ واعطائه بعض صفات الرب...» كشف الجاني: ٦٨.

وفي هذا الكلام مفارقات واضحة حيث ذكر فيه أن المصحف هو كلام الله تعالى، مع أن المصحف ليس كلام الله تعالى وإنما مكتوب فيه كلام الله تعالى، فحاول طي المسألة والمغالطة فيها إما لسوء فهم أو عن نية، فإن الفرق بين الأمرين واضح حيث إن المصحف دون فيه الكلام الذي أنزل على النبي ﷺ، وأما أنه كلام الله فإطلاق مجازي.

مضافاً إلى أن تقبيل المصحف هو تقبيل للجلد وليس للصفحات التي كتب فيها كلام الله تعالى، فيعود الإشكال جذعاً، وهو كيف جاز لك تقبيل جلد المصحف ولم تجعله ذريعة إلى الشرك، أو من الأمور المنهي عنها ولا تجوز تقبيل القبر

👉 وتجعله ذريعة إلى الشرك، لأنّ الأمر الذي ذكره للتفريق بينهما غير فارق، فما دام هذا جماد وهذا جماد فلا يجوز تقبيلهما لأتّهما ذريعة إلى الشرك.

وإن كان الأمر بالتفريق الذي ذكره فهو غير صحيح، لأنّ تقبيل قبر النبي ﷺ ليس علّة منحصرة أو ذريعة واضحة إلى الشرك وإتّما هو تكريم واحترام للنبي ﷺ الذي يجب على كلّ حال سواء أكان حيّاً أم ميتاً.

والتقدير والاحترام غير إشراكه في صفة من صفات الله تعالى، ولذلك تجد العلماء لم يفرقوا بين الأمرين قال ابن حجر في فتح الباري ٣: ٣٨: «استنبط بعضهم من مشروعيّة تقبيل الأركان جواز تقبيل كلّ من يستحق التعظيم من آدمي وغيره، فأما تقبيل يد الآدمي فآتي في كتاب الأدب، وأما غيره فنقل عن الإمام أحمد أنّه سئل عن تقبيل منبر النبي ﷺ، وتقبيل قبره؟ فلم ير به بأساً.

واستبعد بعض أتباعه صحّة ذلك.

ونقل عن ابن أبي الصيف اليماني - أحد علماء مكة من الشافعية - جواز تقبيل المصحف وإجزاء الحديث وقبور الصالحين...».

وقال العيني في عمدة القاريء ٩: ٢٤١: «وكذلك تقبيل أيدي الصالحين وأرجلهم فهو حسن محمود باعتبار القصد والنية، وقد سأل أبو هريرة الحسن - رضي الله تعالى عنه - أنّ يكشف له المكان الذي قبّله فيه رسول الله ﷺ، وهو سرّته، فقبّله تبركاً بآثاره وذريته ﷺ، وقد كان ثابت البناني لا يدع يد أنساً - رضي الله تعالى عنه - حتّى يقبّلها ويقول: يد مسّت يد رسول الله ﷺ.

وقال أيضاً: وأخبرني الحافظ أبو سعيد العلائي قال: رأيت في كلام أحمد بن حنبل في جزء قديم عليه خط ابن ناصر وغيره من الحفاظ أنّ الإمام أحمد سئل عن تقبيل قبر النبي ﷺ، وتقبيل منبره؟ فقال: لا بأس بذلك.

قال: فأريناه للشيخ تقي الدين ابن تيمية، فصار يتعجب من ذلك ويقول: عجبت أحمد

عندي جليل يقوله؟ هذا كلامه أو معنى كلامه.  
وقال: وأي عجب في ذلك وقد روينا عن الإمام أحمد أنه غسل قميصاً للشافعي  
وشرب الماء الذي غسل به.

وإذا كان هذا تعظيمه لأهل العلم فكيف بمقادير الصحابة؟  
وكيف بآثار الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام -؟ ولقد أحسن مجنون ليلي حيث  
يقول:

أمر على الديار ديار ليلي      أقبّل ذا الجدار وذا الجدارا  
وما حبّ الديار شغفن قلبي      ولكن حبّ من سكن الديارا

وقال المحبّ الطبري: ويمكن أن يستنبط من تقبيل الحجر واستلام الأركان جواز  
تقبيل ما في تقبيله تعظيم الله تعالى، فإنّه إن لم يرد فيه خبر بالندب لم يرد  
بالكراهة.

قال: وقد رأيت في بعض تعاليق جدّي محمّد بن أبي بكر، عن الإمام أبي عبد الله  
محمّد بن أبي الصيف: إنّ بعضهم إذا رأى المصاحف قبّلها، وإذا رأى أجزاء  
الحديث قبّلها، وإذا رأى قبور الصالحين قبّلها.

قال: ولا يبعد هذا..».

وقال الزركلي في البرهان ١: ٤٧٨: «ويستحب تقبيل المصحف؛ لأنّ عكرمة بن أبي  
جهل كان يقبله وبالقياس على تقبيل الحجر الأسود؛ ولأنه هدية لعباده فشرّع  
تقبيله..».

فقاس جواز تقبيل المصحف على جواز تقبيل الحجر الأسود، ومن الواضح - بناء  
على كلام الخميس - تقبيل الحجر ذريعة إلى الشرك، ولكن الله أمر بها  
والنبي ﷺ فعلها، فيبقى الإشكال على تجويز الله تعالى لذرائع الشرك بناءً على  
قياس الخميس وغيره.

هذا مضافاً إلى أنّ الأدلّة الشرعية جوّزت تقبيل قبر النبي ﷺ وزيارته، ففي مسند

❦ أحمد ٥: ٢٢٤: «قال: أقبل مروان يوماً فوجد رجلاً واضعاً وجهه على القبر، فقال: أتدري ما تصنع؟ فأقبل عليه، فاذا هو أبو أيوب.

فقال: نعم، جئت رسول الله ﷺ، ولم آت الحجر، سمعت رسول الله ﷺ يقول: لا تبكوا على الدين إذا وليه أهله، ولكن أبكوا عليه إذا وليه غير أهله»، وأخرجه الحاكم في المستدرک ٤: ٥١٥ وصححه، والهيثمى في مجمع الزوائد ٥: ٢٤٥.

وفي تنوير الحوالك للسيوطي: ١٣: «عن علي بن أبي طالب - رضي الله تعالى عنه - قال: قدم علينا إعرابي بعد ما دفنا رسول الله ﷺ بثلاثة أيام، فرمى بنفسه على قبر النبي ﷺ، وحثا من ترابه على رأسه وقال: يا رسول الله، قلت فسمعنا قولك، ووعيت عن الله تعالى، فوعينا عنك، وكان فيما أنزل الله تعالى عليك ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾ (النساء: ٦٤) وقد ظلمت نفسي، وجئتك لتستغفر لي فنودي من القبر: إنه قد غفر لك». وارجع إلى كنز العمال ٢: ٣٨٦ و٤: ٢٥٩، تفسير الثعلبي ٣: ٣٣٩، تفسير القرطبي ٥: ٢٦٦، تفسير البحر المحيط ٣: ٢٩٦، دفع الشبهة عن رسول الله ﷺ: ١٤٢.

وفي المعجم الكبير للطبراني ١٢: ٣١٠ عن النبي ﷺ قال: «من زار قبري بعد موتي كان كمن زارني في حياتي».

وغير ذلك من الروايات الكثيرة، ومن شاء المزيد فعليه بمراجعة كتاب شفاء السقام للسبكي وغيره.

وأما كلمات العلماء فإليك بعض منها:

قال النووي في الأذكار: ٢٠٤: «إعلم أنه ينبغي لكل من حج أن يتوجه إلى زيارة رسول الله ﷺ، سواء كان ذلك طريقه أو لم يكن، فإن زيارته ﷺ من أهم القربات، وأربح المساعي، وأفضل الطلبات.

فإذا توجه للزيارة أكثر من الصلاة عليه ﷺ في طريقه، فإذا وقع بصره على

☞ أشجار المدينة وحرمتها وما يعرف بها زاد من الصلاة والتسليم عليه ﷺ،  
 وسأل الله أن ينفعه بزيارته ﷺ، وأن يسعده بها في الدارين.  
 وليقل: اللهم افتح عليّ أبواب رحمتك، وارزقني في زيارة قبر نبيك ﷺ ما رزقت  
 أوليائك وأهل طاعتك..  
 فإذا صلّى تحية المسجد أتى القبر الكريم فاستقبله واستدبر القبلة على نحو أربع  
 أذرع من جدار القبر وسلم مقتصدًا لا يرفع صوته فيقول: السّلام عليك يا رسول  
 الله، السّلام عليك يا خيرة الله من خلقه...».  
 وقال ابن قدامة في المغني ٣: ٥٨٨: «ويستحب زيارة قبر النبي ﷺ، كما روى  
 الدارقطني بإسناده عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: من حجّ فزار قبري  
 بعد وفاتي فكأنما زارني في حياتي.  
 وفي رواية: من زار قبري وجبت له شفاعتي...».  
 وقال الشوكاني في نيل الأوطار ٥: ١٧٨: «لم يذكر المصنّف - رحمه الله تعالى - في  
 كتابه هذا زيارة قبر النبي ﷺ، وكان الموطن الذي يحسن ذكرها فيه كتاب  
 الجنائز، ولكنها لما كانت تفعل في سفر الحجّ في الغالب ذكرها جماعة من أهل  
 العلم في كتاب الحجّ، فأحببنا ذكرها هنا تكميلاً للفائدة.  
 وقد اختلفت فيها أقوال أهل العلم، فذهب الجمهور إلى أنّها مندوبة، وذهب بعض  
 المالكيّة وبعض الظاهريّة إلى أنّها واجبة.  
 وقالت الحنفية: إنّها قريبة من الواجبات.  
 وذهب ابن تيمية الحنبلي حفيد المصنّف، المعروف بشيخ الإسلام إلى أنّها غير  
 مشروعة، وتبعه على ذلك بعض الحنابلة، وروى ذلك عن مالك والجويني  
 والقاضي عياض كما سيأتي.  
 احتجّ القائلون بأنّها مندوبة بقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ  
 فَاسْتَعَفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ﴾ سورة النساء: ٦٤.

☞ ووجه الاستدلال بها: أنه ﷺ حيّ في قبره بعد موته كما في حديث: «الأنبياء أحياء في قبورهم» وقد صحّحه البيهقي، وألّف في ذلك جزءاً. قال الأستاذ أبو منصور البغدادي: قال المتكلمون المحققون من أصحابنا: إنّ نبينا ﷺ حيّ بعد وفاته، انتهى.

ويؤيد ذلك ما ثبت أنّ الشهداء أحياء يرزقون في قبورهم، والنبى ﷺ منهم، وإذا ثبت أنّه حيّ في قبره كان المجيء إليه بعد الموت كالجميء إليه قبله. وقال في الإقناع ١: ١٩٢: «ويندب زيارة القبور التي فيها المسلمون للرجال بالإجماع، وكانت زيارتها منهيّاً عنها، ثمّ نسخت بقوله ﷺ: «كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها، ويكره زيارتها للنساء، لأنّها مظنة لطلب بكائهن ورفع أصواتهن. نعم، يندب لهن زيارة قبر رسول الله ﷺ فإنّها من أعظم القربات، وينبغي أن يلحق بذلك بقيّة الأنبياء والصالحين والشهداء».

وقال في مغني المحتاج ١: ٣٦٥: «أمّا زيارته فمن أعظم القربات للرجال والنساء. وألحق الدمهوري به قبور بقيّة الأنبياء والصالحين والشهداء». وقال ابن كثير في البداية والنهاية ١٤: ١٤٣: «فإنّ جوابه على هذه المسألة ليس فيه منع وإنّما فيه ذكر قولين في شدّ الرحل والسفر إلى مجرّد زيارة القبور، وزيارة القبور من غير شدّ رحل إليها مسألة، وشدّ الرحل لمجرّد الزيارة مسألة أخرى، والشيخ لم يمنع الزيارة الخالية عن شدّ رحل، بل يستحبّها ويندب إليها، وكتبه ومناسكه تشهد بذلك...».

وقال في تطهير الفؤاد: ٥٥: «فصل: ويستحب زيارة قبر النبي ﷺ. وذكر حديث ابن عمر من طريق الدارقطني، ومن طريق سعيد بن منصور عن حفص وحديث أبي هريرة من طريق أحمد: ما من أحد يسلم عليّ عند قبوري. وكذلك نصّ عليه المالكية، وقد تقدّم حكاية القاضي عياض بالإجماع.

وفي كتاب تهذيب الطالب لعبد الحق الصقلي عن الشيخ أبي عمران المالكي أنّ زيارة

فالقضية ليست خوفهم أن يشرك الناس بالله بقدر ما هي قضية سياسية قامت على مخالفة المسلمين وقتلهم، لتدعيم ملكهم وسلطتهم على المسلمين، والتاريخ أكبر شاهد على ما فعلوه في أمة محمد ﷺ.

وسألته عن الطرق الصوفية؟

فأجابني بإيجاز: بأن فيها ما هو إيجابي وفيها ما هو سلبي، فالإيجابي منها تربية النفس وحملها على شطف العيش، والزهد في ملذات الدنيا الفانية، والسمو بها إلى عالم الأرواح الزكية.

أما السلبي منها: فهو الانزواء والهروب من واقع الحياة، وحصر ذكر الله في الأعداد اللفظية وغير ذلك، والإسلام - كما هو معلوم - يقرّ الإيجابيات ويطرح السلبيات، ويحقّ لنا أن نقول بأن مبادئ الإسلام وتعاليمه كلّها إيجابية.

---

☞ قبر النبي ﷺ واجبة.

قال عبد الحقّ: يعني من السنن الواجبة..».



## الشكّ والحيرة

كانت أجوبة السيّد محمّد باقر الصدر واضحة ومقنعة، ولكن أتى لها أن تغوص في أعماق واحدٍ مثلي قضى خمسةً وعشرين عاماً من عمره على مبدأ تقديس الصحابة واحترامهم، وخصوصاً الخلفاء الراشدين الذين أمرنا رسول الله بالتمسك بسنتهم والسير على هديهم، وعلى رأس هؤلاء سيّدنا أبو بكر الصديق، وسيّدنا عمر الفاروق؟!!

وإني لم أسمع لهما ذكراً منذ قدمت العراق، وإنّما سمعت أسماءً أخرى غريبة عني أجهلها تماماً، وأئمة بعدد اثني عشر إماماً، وأدّعاء بأن رسول الله ﷺ قد نصّ على الإمام علي بالخلافة قبل وفاته.

كيف لي أن أصدّق ذلك، أي أن يتفق المسلمون، وهم الصحابة الكرام خير البشر بعد رسول الله، ويتصافقوا ضد الإمام علي كرم الله وجهه؟! وقد علّمونا منذ نعومة أظافرنا بأن الصحابة رضي الله عنهم كانوا يحترمون الإمام علياً، ويعرفون حقّه، فهو زوج فاطمة الزهراء، وأبو الحسن والحسين، وباب مدينة العلم.

كما يعرف سيّدنا علي حقّ أبي بكر الصديق الذي أسلم قبل الناس جميعاً، وصاحب رسول الله في الغار، ذكره الله تعالى في القرآن، وقد ولاء رسول الله إمامة

الصلاة في مرضه، وقد قال ﷺ: «لو كنت متخذاً خليلاً لا تتخذت أبا بكر خليلاً»<sup>(١)</sup>، ولكل ذلك اختاره المسلمون خليفة لهم.

كما يعرف الإمام علي حق سيدنا عمر الذي أعز الله به الإسلام، وسمّاه رسول الله بالفاروق الذي يفرّق بين الحقّ والباطل<sup>(٢)</sup>.

(١) صحيح البخاري ١: ١٢٠ كتاب الصلاة، باب الخوخة والممر في المسجد، صحيح مسلم ٢: ٦٨ كتاب الصلاة، باب فضل بناء المسجد والحث عليها، و٧: ١٠٨ كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل أبي بكر الصديق، مجمع الزوائد ٩: ٤٣. (٢) لا يوجد أي دليل على أنّ النبي ﷺ سمّى عمر بالفاروق، بل هي أغلوطة سنّية زورقتها السياسية وطعمها الوله بابن الخطّاب، صاحب الغلظة الشديدة، والأخلاق الهمجية، حتّى وصفه ابن أبي الحديد بقوله: «شديد الغلظة، وعر الجانب، خشن الملمس، دائم العيوس...» شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٦: ٢٢٧.

وقال المغيرة واصفاً عمر: «كان ممّا تميز به عمر.. عنه الرعب، إنّ النساء كانوا يفرقونه» تاريخ المدينة لابن شبة ٢: ٦٨٠. وفي مصنّف ابن أبي شيبة ٧: ٤٨٥: «لمّا حضرت أبا بكر الوفاة أرسل إلى عمر ليستخلفه قال: فقال الناس: أتستخلف علينا فظاً غليظاً، فلو ملكنا كان أفظ وأغلظ، ماذا تقول لرّبك وقد استخلفته علينا؟!»

وفي تاريخ الطبري ٣: ٢٨٦ وغيره يتحدث عمر عن نفسه فيقول: «لا إله إلا الله العظيم العلي، المعطي ما شاء من شاء، كنت أرعى إبل الخطّاب بهذا الوادي في مدرعة صوف، وكان فظاً يتعيني إذا عملت، ويضربني إذا قصّرت...». فمن هذه صفاته وأخلاقه، وهذا حاله في حلّه وترحاله، وقبل خلافته وبعدها، كيف يكون فاروقاً، بل الأولى أنّ يسمّى بغير تلك الأسماء المصطنعة. والأسى كلّ الأسى على ضعاف المسلمين وعامّتهم كيف يتلاعب بهم من قبل خطباء

كما يعرف حقّ سيّدنا عثمان الذي استحت منه ملائكة الرحمن، والذي جهّز جيش العسرة، وسّماه رسول الله بذي النورين<sup>(١)</sup>.

☞ المساجد وغيرهم بذكر هذه الأوصاف المصطنعة لمن بعد عن أنّ يتّسم بجزء منها.

(١) لم ترد هذه التسمية عن النبي ﷺ، وإنما جاءت في كلماتهم لأنه تزوّج بنتي النبي ﷺ، وهما ليسا نورين كما يعبرّ عنهما، إذ لم يرد شيء في حقّهما من النبي ﷺ في كونهما نورين.

أضف إلى ذلك فإنّ علماء السنة يصرّحون بأفضلية فاطمة الزهراء على عموم بنات النبي ﷺ، ومع ذلك لم يسمّوها بالنور أو غير ذلك، بل حاولوا الطعن في الروايات الواردة بحقّها.

ولم يكن عثمان بن عفّان باراً ببنات النبي ﷺ، ففي مسند أحمد ٣: ٢٢٩ عن أنس قال: «إنّ رقية - رضي الله عنها - لمّامت قال رسول الله - صلّى الله عليه وآله وسلّم - لا يدخل القبر رجل قارف أهله، فلم يدخل عثمان»، المستدرک على الصحيحين ٤: ٤٧ وصحّحه، مجمع الزوائد ٣: ٤٣ وقال: «رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح».

قال ابن بطال في الروض الآنف ٢: ١٠٧ نقلاً عن الغدير ٣: ٢٤: «أراد النبي ﷺ أنّ يحرم عثمان النزول في قبرها، وقد كان أحقّ الناس بذلك؛ لأنّه كان بعلمها، وفقد منها علماً لا عوض منه؛ لأنّه حين قال عليه السلام: أيّكم لم يقارف الليلة؟! سكت عثمان ولم يقل: أنا؛ لأنّه قد قارف ليلة مات بعض نسائه، ولم يشغله همّ بالمصيبة وانقطاع صهره من النبي ﷺ عن المقارفة، فحرم بذلك ما كان حقّاً له، وكان أولى به من أبي طلحة وغيره.

وهذا بيّن في معنى الحديث، ولعلّ النبي ﷺ قد كان علم ذلك بالوحي فلم يقلّ له شيئاً، لأنّه فعل فعلاً حلالاً، غير أنّ المصيبة لم تبلغ منه مبلغاً يشغله حتّى حرم ما حرم من ذلك بتعريض غير صريح».

فكيف يجهل إخواننا الشيعة كل هذا أو يتجاهلونه، ويجعلون من هؤلاء

❦ وقال ابن حبيب: «إنَّ السرَّ في إينار أبي طلحة على عثمان أنَّ عثمان كان قد جامع بعض جواريه في تلك الليلة، فتلطَّفَ ﷺ في منعه النزول في قبر زوجته بغير تصريح» فتح الباري ٣: ١٢٧.

قال العلامة الأميني في الغدير ٨: ٢٣٢: «لا شكَّ في أنَّه أمر استحق من جرَّائه عثمان الحرمان من النزول في قبر زوجته ابنة رسول الله ﷺ، وكان أولى الناس بها، والمسلمون كلهم كانوا يعلمون ذلك، لكنَّ رسول الله ﷺ الداعي إلى الستر على المؤمنين والإغضاء عن العيوب، الناهي عن إشاعة الفحشاء في الكتاب الكريم، والمانع عن التجسُّس عمَّا يقع في الخلوات، المبعوث لإعزاز أهل الدين، حاشاه وما ينطق عن الهوى إنَّ هو إلاَّ وحي يوحى أنَّ يستثني مورداً واحداً تلوح بأمر عظيم حرم لأجله عثمان من الحظوة بالنزول في قبر حليته أو معقد شرفه بصهر رسول الله ﷺ، وواسطة مفخره بها بتلك الصلة، فعرف المسلمون ذلك المقتضي بالطبع الأوَّل وهذا المانع من المقارفة المختلف في تفسيرها، فإن كان نبياً أثر في رسول الله ﷺ أنَّ حطَّ برتبته بما قلناه ولو كانت صغيرة وهي غير ظاهرة تسترَّها، لكنَّها ولا كرامة لمقترفها، فإن كانت سيئة هذا شأنها فلا خير فيمن يجترح السيئات.

وإنَّ أريد مقارفة النساء على الوجه المحلَّل فهي من منافيات المروءة، ومن لوازم الفظاظة والغلظة، فأبى إنسان تحبذ له نفسه التمتع بالجواري في أعظم ليلة عليه هي ليلة تصرَّم مجده، وانقطاع فخره، وانفصام عرى شرفه، فكيف هان ذلك على الخليفة؟ فلم يراع حرمة رسول الله ﷺ واستهانت تلك المصيبة العظيمة فتلذذ بالرفث إلى جارية..».

فلا نور لعثمان بن عفَّان على فرض وجوده لرقية سلام الله عليها؛ لأنَّه لم يحترمها ولم يحترم أباهما حتى ذهب وجامع جارية وزوجته مسجاةً أمامه، جسد ملقى، بعد سويغات تنزل في قبرها، وتلحد في ملحودتها، فلو كان تماماً هو الصحيح فذهب وضاجع واستأنس بجارية، مع مصيبة رسول الله ﷺ بابنته.

أشخاصاً عاديين، تميل بهم الأهواء والأطماع الدنيوية عن اتّباع الحقّ، فيعضون أوامر الرسول بعد وفاته، وهم الذين كانوا يتسابقون لتنفيذ أوامره، فيقتلون أولادهم وآباءهم وعشيرتهم في سبيل عزّة الإسلام ونصرتهم، والذي يقتل أباه وولده طاعةً لله ورسوله لا يمكن أن تغرّه أطماع دنيوية زائلة، هي اعتلاء منصّة الخلافة، فيتجاهل أمر رسول الله ويتركه ظهرياً!!

نعم، من أجل كلّ هذا ما كنت لأصدّق الشيعة في كلّ ما يقولون، رغم أنّي اقتنعت بأمر كثيرة، وبقيت بين الشك والحيرة، الشكّ الذي أدخله علماء الشيعة في عقلي، لأنّ كلامهم معقول ومنطقي، والحيرة التي غمرتني فلم أصدّق أنّ الصحابة رضي الله تعالى عنهم ينزلون إلى هذا المستوى الأخلاقي، فيصبحون بشراً عاديين مثلنا، لا تصقلهم أنوار الرسالة، ولم يهذبهم الهدى المحمّدي؟

يا إلهي كيف يكون ذلك؟ أيمن أن يكون الصحابة على هذا المستوى الذي يقول به الشيعة؟

والمهمّ هو أنّ هذا الشكّ وهذه الحيرة هما بداية الوهن، وبداية الاعتراف.  
بأنّ هناك أموراً مستورة لا بدّ من كشفها للوصول إلى الحقيقة.

## [ الذهاب إلى كربلاء ]

جاء صديقي منعم وسافرنا إلى كربلاء، وهناك عشت محنة سيّدنا الحسين كما يعيشها شيعته، وعلمت وقتئذٍ بأنّ سيّدنا الحسين لم يمت، فالناس يتزاحمون ويتراصّون حول ضريحه كالفرشات، ويبيكون بحرقة ولهفة لم أشهد لهما مثيلاً، فكأنّ الحسين استشهد الآن.

وسمعت الخطباء هناك يثيرون شعور الناس بسردهم لحادثة كربلاء في نواح ونحيب، ولا يكاد السامع لهم أن يمسك نفسه ويتماسك حتّى ينهار، فقد بكيت وبكيت وأطلقت لنفسي عنانها، وكأنّها كانت مكبوتة، وأحسست براحة نفسية كبيرة ما كنت أعرفها قبل ذلك اليوم، وكأنّي كنت في صفوف أعداء الحسين، وانقلبت فجأة إلى أصحابه واتباعه الذين يفدونه بأرواحهم.

وكان الخطيب يستعرض قصّة الحرّ<sup>(١)</sup>، وهو أحد القادة المكلفين بقتال

---

(١) الحرّ بن يزيد التميمي اليربوعي: ترجمه الزركلي في الأعلام ٢: ١٧٢ فقال:

«قائد، من أشرف تميم، أرسله الحصين بن نمير التميمي في ألف فارس من

القادسية لاعتراض الحسين - رضي الله عنه - في قصده الكوفة، فالتقى به.

ولمّا أقبلت خيل الكوفة تريد قتل الحسين وأصحابه أبى الحرّ أن يكون فيهم،

فانصرف إلى الحسين، فقاتل بين يديه قتالاً عجيباً حتّى قتل».

وفي الأعيان ٤: ٦١٢: «وفي أبصار العين: كان الحرّ شريفاً في قومه، جاهلياً

الحسين، ولكنه وقف في المعركة يرتعش كالسَّعْفَة، ولمَّا سأله بعض أصحابه: أخائف أنت من الموت؟

أجابه الحرّ: لا والله، ولكنني أخير نفسي بين الجنّة والنار، ثمّ همز جواده وانطلق إلى الحسين قائلاً: هل من توبة يا بن رسول الله<sup>(١)</sup>.

ولم أتمالك عند سماع هذا أن سقطت على الأرض باكياً، وكأنني أمثل دور الحر وأطلب من الحسين: هل من توبة يا بن رسول الله، سامحني يا بن رسول الله؟! وكان صوت الخطيب مؤثراً، وارتفعت أصوات الناس بالبكاء والتّحبيب، عند ذلك سمع صديقي صياحي، وانكبّ علي معانقاً باكياً، وضمّني إلى صدره كما تضمّ الأم ولدها وهو يرّدّ يا حسين، يا حسين.

كانت دقائق ولحظات عرفت فيها البكاء الحقيقي، وأحسست وكأنّ دموعي غسلت قلبي، وكُلّ جسدي من الداخل، وفهمت وقتها حديث الرسول: «لو علمتم ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً»<sup>(٢)</sup>.

بقيت كامل اليوم مقبوض النفس، وقد حاول صديقي تسليتي وتعزيتي، وقدّم إليّ بعض المرطبات، ولكن شهيتي انقطعت تماماً، وبقيت أسأله أن يعيد عليّ قصّة

---

➤ وإسلامياً، فإنّ جدّه عتاب كان رديف النعمان، وولد عتاب قيساً وقعباً ومات، فردف قيس للنعمان ونازعه الشيبانيون، فقامت بذلك حرب يوم الطحفة. قال: الحر هو ابن عمّ الأخوص الصحابي الشاعر، وهو يزيد بن عمرو بن قيس ابن عتاب».

(١) راجع تاريخ الطبري ٥: ٤٢٧، الكامل لابن الأثير ٤: ٦٤، البداية والنهاية لابن كثير ٨: ١٢٥، الأخبار الطوال: ٢٥٦، لواعج الأشجان: ١٣٥، وغيرها من المصادر.  
(٢) مسند أحمد ٥: ١٧٣، تفسير ابن كثير ٤: ٤٧٤، تفسير السلمي ٢: ١٩٦، البداية والنهاية لابن كثير ١: ٤٤، تاج العروس ١٣: ٩٢ مادة (خلق).

مقتل سيّدنا الحسين، لأنّي ما كنت أعرف منها قليلاً أو كثيراً، غاية ما هناك أنّ شيوخنا إذا حدّثونا عن ذلك يقولون: إنّ المنافقين أعداء الإسلام الذين قتلوا سيّدنا عمر، وسيّدنا عثمان، وسيّدنا علي، هم الذين قتلوا سيّدنا الحسين<sup>(١)</sup>!! ولا نعرف غير

(١) من قاصمات الظهر، ونوائب الدهر، ورزايا العصر المخزية أنّ يساوى بين قاتل علي عليه السلام وهو عبد الرحمن بن ملجم الخارجي ملعون، قال عنه الذهبي في لسان الميزان ٢: ٥٩٢: «ذاك المعثر الخارجي ليس بأهل أنّ يروى عنه، وما أظن له رواية، ختم بشرّ، فقتل أمير المؤمنين عليّاً متقرباً إلى الله بدمه بزعمه»، وقال ابن حجر في الإصابة ٥: ٨٥: «من كبار الخوارج، وهو أشقى هذه الأمة بالنصّ الثابت عن النبي ﷺ بقتل علي بن أبي طالب...»، وبين عمر بن سعد وهو قاتل ريحانة الرسول الأكرم ﷺ الحسين عليه السلام.

قال العجلي في ترجمته ٢: ١٦٦: «مدني ثقة، كان يروي عن أبيه أحاديث، وروى الناس عنه، وهو قاتل الحسين...»، وقال الذهبي في الكاشف ٢: ٦١ «حطّ عليه ابن معين لقتاله الحسين»، كيف يساوى بين هؤلاء وبين الصحابة الأخيار الذين ثاروا ضد بني أمية وبني معيط، لسحقهم التعاليم النبوية، والأخذ بالجاهلية، والتنصّل عن المفاهيم القرآنية، فثارت ثورتهم المباركة، التي هي أول ثورة إسلامية داخل المحيط الإسلامي، لتكشف ذلك الزيغ، وتقيم الإعوجاج وترجع الحقّ إلى أهله، لكنّ عثمان بن عفّان وقف في وجههم ورفض ذلك، وأخذ يدافع عن بني قومه دفاعاً أبعد ما يكون عن روح الإسلام، بل وعن السنّة البكرية والعمرية، فامتشقته سيوف الصحابة الكرام من أمثال: عبد الرحمن بن عديس البلوي الصحابي الذي بايع بيعة الرضوان قال ابن حجر في الإصابة ٤: ٢٨١: «صحّب النبي ﷺ، وسمع منه، وشهد فتح مصر، وكان فيمن سار إلى عثمان»، وقال ابن عبد البرّ في الاستيعاب ٢: ٨٤٠: «عبد الرحمن بن عديس البلوي: مصري شهد الحديبية.. كان ممّن بايع تحت الشجرة رسول الله ﷺ، قال أبو



◀ عمر: الأمير على جيش القادمين من مصر إلى المدينة الذين حصرها عثمان وقتلوه» وبين عمرو بن الحمق الخزاعي ذلك الصحابي الجليل قاتل عثمان قال ابن عبد البرّ في الاستيعاب ٣: ١١٧٣: «هاجر إلى النبي ﷺ بعد الحديبية.. صحب النبي ﷺ، وحفظ عنه أحاديث، وسكن الشام ثمّ انتقل إلى الكوفة فسكنها.. وكان ممّن سار إلى عثمان، وهو أحد الأربعة الذين دخلوا عليه الدار.. ثمّ صار من شيعة علي - رضي الله عنه - وشهد معه مشاهدته كلّها: الجمل والنهروان وصفين..».

وقال الذهبي في تاريخ الإسلام ٣: ٤٥٦: «ووثب عليه عمرو بن الحمق، وبه رمق، وطعنه تسع طعنات وقال: ثلاث لله، وست لمافي نفسي عليه»، وهو في الطبقات ٣: ٧٤، والبداية والنهاية ٧: ٢٠٧.

وبين كنانة بن بشر الصحابي قال عنه ابن حجر في الإصابة ٥: ٤٨٦: «شهد فتح مصر، وقتل بفلسطين سنة ست وثلاثين، وكان ممّن قتل عثمان، وإنّما ذكرته لأنّ الذهبي ذكر عبد الرحمن بن ملجم لأنّ له إدراكاً، وينبغي أن ينزه عنهما كتاب الصحابة.».

وقال العيني في عمدة القاري ٥: ٢٣١: «وقال ابن الجوزي: وقد صلّى كنانة ابن بشر أحد رؤوس الخوارج بالناس أيضاً..».

وبين جهجاه بن قيس الغفاري الرضواني قال ابن الأثير في أسد الغابة ١: ٣٠٩: «شهد مع النبي ﷺ بيعة الرضوان وشهد غزوة المريسع، وهو الذي تناول العصا من يد عثمان.. وهو يخطب فكسرهما، فأخذته الأكلة في ركبته..».

وقال ابن شبة في تاريخ المدينة ٣: ١١١٢، والبلاذري في أنساب الأشراف ٦: ١٦١: «أنّ جهجاه الغفاري دخل على عثمان فأخذ منه عصا النبي ﷺ التي كان يتخصّر بها، فكسرهما على ركبته، فأخذته الأكلة في ركبته، وكان جهجاه ممّن بايع تحت الشجرة - رضي الله تعالى عنه -».

هذا الاقتضاب، بل إننا نحتفل بيوم عاشوراء على أنه من الأعياد الإسلامية، وتخرج فيه زكاة الأموال، وتطبخ فيه شتى المأكولات وأنواع الأطعمة الشهية، ويطوف الصبيان على الكبار ليعطوهم بعض النقود لشراء الحلويات والألعاب!!<sup>(١)</sup>.

صحيح أن هناك بعض التقاليد والعادات في بعض القرى منها أنهم يشعلون النار، ولا يعملون في ذلك اليوم، ولا يتزوجون، ولا يفرحون، ولكن نسميها عادات وتقاليد بدون ذكر أي تفسير لها، ويروي علماءنا في ذلك أحاديث عن فضائل يوم عاشوراء وما فيه من بركات ورحمات.. إنه أمر عجيب!

❖ وبين زيد بن صوحان العبدي الصحابي الجليل الذي قال في حقّه النبي الأكرم ﷺ: «يسبقه بعض جسده إلى الجنة، ثم يتبعه سائر جسده إلى الجنة» الاستيعاب ٢: ٥٥٦، تعجيل المنفعة: ١٤٣.

وقال في الاستيعاب ٢: ٥٥٥: «وكان فاضلاً ديتاً سيّداً في قومه هو وإخوته». قال الطبري في تاريخه ٣: ٣٨٦ وهو يتكلم عن الرايات الخارجة على عثمان: «وعلى الرقاق زيد بن صوحان العبدي».

وغير هؤلاء الكثير من فضلاء الصحابة والتابعين كمالك الأشتر وصعصعة بن صوحان وغيرهم ممن انتفضوا لأجل الحق وثاروا ضد الباطل، لإقامة نصاب الأمور على مكانتها الأولى على عهد رسول الله ﷺ والتي انتهت بقتل عثمان ودفنه في مقابر اليهود بعد منعهم من غسله ودفنه لمدة ثلاث أيام ومن ثم منع من دفنه في البقيع.

فلا مقايسة أصلاً بين قتلة علي عليه السلام من الخوارج المارقين وقتله الحسين عليه السلام من الأعداء وأبناء الطلقاء المستهترين وبين قتلة عثمان من الصحابة الأجلاء المحترمين الذين صرح النبي ﷺ بأن بعضهم في الجنة.

(١) لم يقصد المؤلف من ذلك أنه عيد من الأعياد الإسلامية، وإنما يريد أن يبين أنه عيد شعبي للناس تحتفل به، وتظهر الزينة فيه، وإطعام الطعام وغير ذلك.

زرنا بعد ذلك ضريح العباس أخي الحسين، ولم أكن أعرف من هو، وقدر وى لي صديقي قصة بطولته وشجاعته، كما التقينا بالعديد من العلماء الأفاضل الذين لا أتذكر أسماءهم بالتفصيل سوى بعض الألقاب، كبحر العلوم، والسيد الحكيم، وكاشف الغطاء، وآل ياسين، والطباطبائي، والفيروزآبادي، وأسد حيدر، وغيرهم ممن تشرّفت بمقابلتهم.

والحقّ يقال إنهم علماء أتقياء، تعلوهم هيبة ووقار، والشيعه يحترمونهم كثيراً، ويؤدّون إليهم خمس أموالهم، والتي بها يديرون شؤون الحوزات العلمية، ويؤسسون المدارس والمطابع، وينفقون على طلاب العلم الوافدين من كلّ البلاد الإسلامية.

إنهم مستقلّون ولا يرتبطون بالحكّام من قريب أو من بعيد، كما هو شأن علمائنا الذين لا يفتون ولا يتكلّمون إلاّ برأي السلطة التي تضمن معاشهم، وتعزل من تشاء منهم وتنصب من تشاء<sup>(١)</sup>.

(١) فقهاء المذهب السنّي في عصرنا الحاضر يتّبعون الحكّام ولا يخرجون عن إرادتهم إلاّ في الأمور المرتبطة بالطهارة والنجاسة، بل حتّى هذه لو أراد الحاكم التدخّل فيها لرضخ له علماء السنّة، إلاّ القليل النادر الذي لا يسير برأي الحاكم ولا يوافق هواه، وهذه تجده إمّا سجيناً أو طريداً أو معلقاً على خشبة بتهمة الخيانة والاتباع لدولة أخرى.

وهذا الأمر لا يحتاج إلى بيان أو شرح حال فكلّ شخص يستطيع أن ينظر إلى فقهاء دولته ليرى ذلك واضحاً أمام عينيه.

وهذه التبعية جاءت نتيجة التطويع الذي عاشوه في الأزمان الغابرة، ففي الماضي كان الفقيه لا ينصّب إلاّ بمرسوم من الوالي ويكون فقيهاً للأمة، وإن كان هو في الحقيقة فقيه للسلطة وحتّى في زمننا الحاضر فإنّ المشيخة بيد الدولة، وهي أمر

➤ موروث من الزمن الغابر.

ولناخذ صفحات التاريخ ونتركها تكلمنا عن حال الفقهاء في الزمن الماضي:  
فهذا مالك بن أنس فقد بعث إليه المنصور قائلاً: «إنَّ الناس قد اختلفوا بالعراق، فضع  
كتاباً نجمعهم عليه، فوضع الموطأ» سير أعلام النبلاء ٨: ١١١، تاريخ الإسلام  
١١: ٣٢٢.

وفي تذكرة الحفاظ للذهبي ١: ٢٠٩: «حدثنا أبو مصعب: سمعت مالكا يقول: دخلت  
على أبي جعفر أمير المؤمنين، وهو على فراشه، وإذا صبي يخرج ثمَّ يرجع، فقال  
لي: أتدري من هذا؟  
فقلت: لا.

قال: ابني، وإنما يفرع من هيبتك.

قال: ثمَّ سألتني عن أشياء منها حلال ومنها حرام، ثمَّ قال لي:  
أنت والله يا أمير المؤمنين.

قال: بلى، ولكنك تكتم، لأنَّ بقيت لأكتبنَّ قولك كما تكتب المصاحف، ولأبعثنَّ به إلى  
الآفاق، فاحملهم عليه».

وفي تاريخ بغداد ٣: ١٠٠: «كان ولي عبد الصمد على المدينة. قال: فعاقب بعض  
القرشيين وحبسه حبساً ضيقاً.

قال: وكتب بعض قرابته إلى أبي جعفر، فشكى ذلك إليه وأخبره، فكتب أبو جعفر إلى  
المدينة وأرسل رسولا وقال: اذهب فانظر قوماً من العلماء فأدخلهم عليه حتى  
يروا حاله، وتكتبوا إليَّ بها، فأدخلوا عليه في حبسه مالك بن أنس، وابن أبي  
ذئب، وابن أبي سيرة، وغيرهم من العلماء.

فقال: اكتبوا بما ترون إلى أمير المؤمنين.

قال: وكان عبد الصمد لمّا بلغه الخبر حلَّ عنه الوثاق وألبسه ثياباً، وكنس البيت الذي  
كان فيه ورشه، ثمَّ أدخلهم عليه، فقال لهم الرسول: اكتبوا بما رأيتم، فأخذوا

👉 يكتبون: يشهد فلان، وفلان، فقال ابن أبي ذئب: لا تكتب شهادتي، أنا اكتب شهادتي بيدي، إذا فرغت فارم إلي بالقرطاس.  
فكتبوا: رأيت محبساً لينا، ورأينا هيئة حسنة، وذكروا ما يشبه هذا الكلام قال: ثم دفع القرطاس إلى ابن أبي ذئب، فلما نظر في الكتاب فرأى هذا الموضع قال: يا مالك، داهنت وفعلت وفعلت وملت إلى الهوى! لكن اكتب: رأيت محبساً ضيقاً، وأمرأً شديداً..».

فهذا الإمام مالك صاحب الموطأ يكتبه لأبي جعفر المنصور ويعمّمه على كافة الناس ومن ثمّ يداهنه في أمر المساجين والمحبوسين ظلماً في سجنه.  
ولناخذ فقيهاً آخر وهو أبا يوسف صاحب أبي حنيفة، حيث تقرب من حكام بني العباس من أيام المهدي العباسي إلى الهادي، ولما ولي الرشيد تقرب إليه أكثر وذلك بتحليل الحرام له، يحدثنا ابن خلكان في وفيات الأعيان ٦: ٣٨١: «كان سبب اتصال أبي يوسف بالرشيد أنّه كان قدم بغداد بعد موت أبي حنيفة رحمه الله تعالى، فحنت بعض القواد في يمين، فطلب فقيهاً يستفتيه، فجيء بأبي يوسف، فأفتاه أنّه لم يحنت، فوهب له دنانير، وأخذ له داراً بالقرب منه.  
ودخل القائد يوماً على الرشيد فوجده مغموماً، فسأله عن سبب غمّه، فقال: شيء من أمر الدين قد حزنني فاطلب فقيهاً كي استفتيه، فجاءه بأبي يوسف.  
قال أبو يوسف: فلما دخلت إلى ممر بين الدور رأيت فتىً حسنًا، عليه أثر الملك، وهو في حجرة محبوس، فأومأ إليّ بأصبعه مستغيثاً، فلم أفهم منه إرادته، وأدخلت إلى الرشيد، فلما مثلت بين يديه سلّمت ووقفت، فقال لي: ما اسمك؟  
فقلت: يعقوب أصلح الله أمير المؤمنين.

قال: ما تقول في إمام شاهد رجلاً يزني هل يحده؟  
قلت: لا.

فحين قلتها سجد الرشيد، فوقع لي أنّه قد رأى بعض أهله على ذلك، وأنّ الذي أشار

☞ إليّ بالاستغاثة هو الزاني.

ثمّ قال الرشيد: من أين قلت هذا؟

قلت: لأنّ النبي ﷺ قال: «ادروا الحدود بالشبهات»، وهذه شبهة يسقط الحدّ معها.

قال: وأي شبهة مع المعاينة؟

قلت: ليس توجب المعاينة لذلك أكثر من العلم بما جرى، والحدود لا تكون بالعلم، وليس لأحد أخذ حقّه بعلمه فسجد مرّة أخرى، وأمر لي بمال جزيل، وأنّ ألزم الدار، فما خرجت حتّى جاءتني هدية الفتى وهدية أمّه وجماعته، وصار ذلك أصلاً للنعمة، ولزمت الدار، فكان هذا الخادم يستفتيني، وهذا يشاورني، ولم يزل حالي يقوى عند الرشيد حتّى قلّدي القضاء».

فأبو يوسف عطلّ العلم عن العمل، فالعلم لا قيمة له، لأجل أنّ الحاكم رغب في ذلك؟! فانظر إلى تحريفه لشرع الله سبحانه وتعالى لأجل نزوة، ويطبّق الحديث النبوي الشريف على أمر باطل يعلم في نفسه أنّه باطل، لكنه يمضي في ذلك لأجل حطام الدنيا والأموال الزائلة.

ونستمر مع حكايات أبي يوسف مع خليفته في تحليله للحرام في القصة التالية التي يذكرها الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد ١٤: ٢٥٣ وابن خلّكان في وفيات الأعيان ٦: ٣٨٥ واللفظ للأول فيقول: «حدّثني بشر بن الوليد وسألته من أين جاء؟

قال: كنت عند أبي يوسف يعقوب بن إبراهيم القاضي، وكنا في حديث ظريف، قال:

فقلت له: حدّثني به!

فقال: قال لي يعقوب: بيّنا أنا البارحة قد أويت إلى فراشي، وإذا داق يدقّ الباب دقّاً شديداً، فأخذت عليّ ازاري وخرجت، فإذا هو هرثمة بن أعين، فسلمت عليه فقال: أجب أمير المؤمنين، فقلت: يا أبا حاتم، لي بك حرمة، وهذا وقت كما ترى، ولست آمن أنّ يكون أمير المؤمنين دعاني لأمر من هذه الأمور، فإنّ أمكنك أنّ تدفع

➤ بذلك إلي غدٍ، فلعله أن يحدث له رأي؟!!

فقال: ما إلى ذلك سبيل!

قلت: كيف كان السبب؟

قال: خرج إلي مسرور الخادم فأمرني أن آتي بك أمير المؤمنين، فقلت: تأذن لي أن أصب الماء وأتحنط، فإن كان أمر من هذه الأمور كنت قد أحكمت شأني، وإن رزق الله العافية فلن يضرّ؟

فأذن لي.

فدخلت فلبست ثياباً جديداً، وتطيبت بما أمكن من الطيب، ثم خرجنا، فمضينا حتى أتينا دار أمير المؤمنين الرشيد، فإذا مسرور واقف، فقال له هرثمة: قد جئت به. فقلت لمسرور: يا أبا هاشم، خدمتي وحرمتي وميلي، وهذا وقت ضيق، فتدري لم طلبني أمير المؤمنين؟

قال: لا.

قلت: فمن عنده؟

قال: عيسى بن جعفر.

قلت: ومن؟

قال: ما عنده ثالث.

قال: مر وإذا صرت إلى الصحن فإنه في الرواق، وهو ذاك جالس، فحرّك رجلك بالأرض، فإنه سيسألك، فقل أنا، فجئت ففعلت، فقال: من هذا؟

قلت: يعقوب، قال: ادخل، فدخلت، فإذا هو جالس وعن يمينه عيسى بن جعفر، فسلمت فردّ عليّ السلام وقال: أظننا روّعناك؟

قلت: إي والله وكذلك من خلفي.

قال: اجلس، فجلست حتى سكن روعي، ثم التفت إلي فقال: يا يعقوب، تدري لم دعوتك؟

.....

➔ قلت: لا.

قال: دعوتك لأشهد على هذا أنّ عنده جارية سألته أنّ يهبها لي فامتنع، وسألته أنّ يبيعها فأبى؛ والله لأن لم يفعل لأقتلّه.

قال: فالتفت إلى عيسى وقلت: وما بلغ الله بجارية تمنعها أمير المؤمنين، وتنزل نفسك هذه المنزلة؟

قال: فقال لي: عجلت عليّ في القول قبل أنّ تعرف ما عندي!

قلت: وما في هذا من جواب؟

قال: إنّ عليّ يميناً بالطلاق والعتاق وصدقة ما أملك أنّ لا أبيع هذه الجارية ولا أهبها.

فالتفت إليّ الرشيد فقال: هل له في ذلك مخرج؟

قلت: نعم.

قال: وما هو؟

قلت: يهب لك نصفها ويبيعك نصفها، فتكون لم تبع ولم تهب.

قال عيسى: ويجوز ذلك؟

قلت: نعم!

قال: فاشهد أنّي قد وهبت له نصفها وبعته النصف الباقي بمائة الف دينار.

فقال: الجارية!

فأتي بالجارية وبالمال، فقال: خذها يا أمير المؤمنين، بارك الله لك فيها.

قال: يا يعقوب، بقيت واحدة.

قلت: وما هي؟ قال: هي مملوكة، ولا بدّ أنّ تستبرأ، والله إنّ لم أبت معها ليلتي إتي

أظن أنّ نفسي ستخرج.

قلت: يا أمير المؤمنين، تعنتها وتزوجها فإنّ الحرّة لا تستبرأ.

قال: فاني قد اعتقتها فمن يزوجنيها؟



قلت: أنا، فدعا بمسرور وحسين، فخطبت وحمدت الله ثم زوجته على عشرين ألف دينار، ودعا بالمال فدفعه إليها، ثم قال لي: يا يعقوب، انصرف، ورفع رأسه إلى مسرور فقال: يا مسرور! قال: لبيك أمير المؤمنين.

قال: احمل إلى يعقوب مائتي ألف درهم وعشرين تختاً ثياباً، فحمل ذلك معي». والرواية واضحة لا تحتاج إلى تعليق، لما فيها من استخفاف بالدين والشريعة الإسلامية حيث أصبحت ألعوبة بيد أبي يوسف يحلل المحرم ويجوز الأشياء المحرمة.

وفي تاريخ بغداد ١٤: ٢٥٤: «إن أم جعفر كتبت إلى أبي يوسف ما ترى في كذا، وأحب الأشياء التي أن يكون الحق فيه كذا؟

فأفتاها بما أحببت، فبعثت إليه بحق فضة، فيه حقائق فضة مطبقات في كل واحدة لون من الطيب، وفي جام دراهم وسطها جام فيه دنانير».

وإذا أخذنا فقيهاً آخر وهو الإمام الأوزاعي فنراه يقول: «ما أخذنا العطاء حتى شهدنا على علي بالنفاق، وتبرأنا منه، وأخذ علينا بذلك الطلاق والعتاق وأيمان البيعة»، سير أعلام النبلاء ٧: ١٣٠، تاريخ الإسلام ٩: ٤٩٧ فمن يشهد على من حبه إيمان وبغضه نفاق، وهو علي بن أبي طالب بالنفاق كيف لا يفتي بما يوافق السلطان ويساير هواه؟

وإذا أخذنا فقيهاً آخر وهو عبد الرحمن بن أبي ليلى نجده من وعاظ السلاطين، فقد تولى المسجنة في زمن الحجاج وعمل في قضائه، قال الذهبي في تذكرة الحفاظ ١: ٥٨: «وعن ابن حصين أن الحجاج استعمل عبد الرحمن ابن أبي ليلى على القضاء، ثم عزله، ثم ضربه ليسب علياً - رضي الله عنه - وكان يوري ولا يصرح»

وقال في سير أعلام النبلاء ٤: ٢٦٤: «وكان له وفادة على معاوية، ذكرها ولده القاضي محمد بن عبد الرحمن...».

إنه عالم جديد بالنسبة إلي اكتشفته أو كشفه الله لي، وقد أنست به بعد ما كنت أنفر منه، وانسجمت معه بعد ما كنت أعاديه، وقد أفادني هذا العالم أفكاراً جديدة، وبعث في حُبِّ الاطلاع والبحث والدراسة، حتّى أدرك الحقيقة المنشودة التي طالما راودتني عندما قرأت الحديث الشريف الذي قال فيه رسول الله ﷺ: « افتقرت بنو إسرائيل إلى إحدى وسبعين فرقة، وافتقرت النصارى إلى اثنتين وسبعين فرقة، وستفترق أمّتي إلى ثلاثة وسبعين فرقة، كلّها في النار إلا فرقة واحدة »<sup>(١)</sup>.

➔ إلى غير ذلك ممّا يطول ذكره في هذه الوريقات.

وعلى كلّ حال فمشيخة علماء السنة مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالدولة الحاكمة، وهي التي تنصّب العالم وتعزل بطوع إرادتها، من دون أنّ تسير في ذلك على ميزان أو منهج. نعم المنهج الوحيد هو أنّ يكون العالم والمفتي مطيعاً مطواعاً يتحرك متى ما أرادوا ويسكت متى ما شاءوا، ويحلّل لهم المحرّمات ويحرّم المحلّلات إذا كان ذلك في مصلحة الحاكم، والأنكى من ذلك كلّ فائدة العالم السلطوي أنّه يحلّل دماء الأبرياء والمساكين والأحرار بلسان الشرع للحاكم إذا ما اعترضوا أو أنكروا أو أرادوا إبدال منكر أو إقامة معرفة، وهذا ما يهّم الحكّام كثيراً.

(١) حديث الفرقة الناجية ورد بأسانيد وألفاظ مختلفة، انظر: سنن الترمذي ٥: ٢٦ ح ٢٦٤١ كتاب الإيمان، سنن ابن ماجه ٢: ١٣٢٢، سنن أبي داود ٤: ١٩٨ كتاب السنة، مسند أحمد ٣: ١٢٠، المستدرک للحاكم ١: ١٢٨، المصنّف لابن أبي شيبة ٨: ٧٣١، كتاب السنة لابن أبي عاصم: ٣٤، الدرّ المنثور ٢: ٦١، ٢٧٥، ٣: ١٣٦، ١٤٩، الخصال للصدوق ٢: ٥٨٤ أبواب السبعين وما فوق، البحار ٢٨: ٣٦٠٢.

والأحاديث كثيرة عن النبي ﷺ حول الفرقة الناجية من يطّلع عليها يطمئن بصدور هذا الخبر عن النبي ﷺ، وفيه بيان لابتداء افتراق الأمة واختلافها هذا الاختلاف الواسع جداً كما اختلفت الأمم التي قبل هذه الأمة، وبيان أنّ هذا الافتراق والاختلاف مذموم متوعّد عليه بالنار إلا فرقة واحدة هي الفرقة الناجية.

وقد وقع الخلاف بين المسلمين في تحديد الفرقة الناجية، تبعاً لاختلافهم في المذاهب والعقائد، وكُلّ منهم يدعي أنّه الفرقة الناجية، وغيره من فرق المسلمين باطل وهالك وداخل في الفرق المتوعّد دخولها في النار. ويعتقد أهل السنة أنّ أهل الحديث هم الفرقة الناجية، قال رضا معطي: «إنّها العقيدة السلفية تترك المسلم بالسلف العظيم فتزيده عزّة وافتخاراً كيف لا؟ وهي تجعله يسير على خطى الصحابة ومن جاء بعدهم من السلف الذين هم سادة الأولياء وأئمة الأتقياء، وما كانوا عليه هو الدين الذي لا جدال فيه. كُّل ذلك يزيد المسلم بصيرة في دينه، فهو متأكّد أنّه يسير في ظلال الفرقة الناجية التي وصفها النبي ﷺ في حديث «افتراق الأمة» ولا يستطيع أحد أن ينفي هذا الوصف عن سلف هذه الأمة... ولا شك أنّ من كان على طريقتهم ممّن جاء بعدهم هم أهل الحقّ وهم الفرقة الناجية وهذا ما قرّره المحققون من أهل العلم» علاقة الإثبات والتفويض بصفات الربّ: ١٩ - ٢٠.

وقال مرجع السلفية الشيخ محمّد جميل زينو: «الفرقة الناجية: يحيون سنن الرسول ﷺ في عباداتهم وسلوكهم وحياتهم، فأصبحوا غرباء بين قومهم، كما أخبر عنهم رسول الله ﷺ بقوله: «إنّ الإسلام بدأ غريباً وسيعود غريباً كما بدأ فطوبى للغرباء» مجموع رسائل التوجيهات الإسلامية منهاج الفرقة الناجية: ١٥٨ - ١٦٢.

وقال الشيخ مقبل الوداعي بعد ذكره لحديث الافتراق: «فهذان الحديثان وما في معناهما من الأحاديث تدلّ على أنّه لا ينجو إلاّ فرقة من ثلاثة وسبعين فرقة، والفرق الأخرى في النار تحتمّ على المسلم أن يبحث عن هذه الفرقة الناجية حتّى ينتظم في سلكها ويأخذ دينه عنها.

وممّا يجب التنبّه عليه أن كلّ فرقة تدّعي أنّها الفرقة الناجية، وقد جاء الكتاب والسنة

### ❖ بيان الفرقة الناجية...

إلى أن يقول: فمن توقّرت فيه هذه الصفات في سورة العصر والمؤمنون والحديد فهو من الفرقة الناجية، سواء كان حجازياً أم يمينياً أم شامياً أم من أي بلدة كان. وأقرب الناس ممّن تنطبق عليه هذه الصفات هم أهل الحديث، وقد قال غير واحد من أهل العلم: إنّ المراد ممّا أخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث معاوية والمغيرة بن شعبة عن النبي ﷺ «لا تزال طائفة من هذه الأمة قائمة على أمر الله لا يضرّهم من خالفهم حتّى يأتي أمر الله» قال غير واحد من أهل العلم أنّ المراد بهم أهل الحديث؛ لأنّهم لا يتعصّبون لأيّ مذهب، وإنّما يتعصّبون للحق» رياض الجنّة في الرد على أعداء السنة: ٨ - ٩.

وقال ابن تيميّة في جوابه عن الفرقة الناجية: «... وإذا كانت سعادة الدنيا والآخرة هي باتباع المرسلين، فمن المعلوم أنّ أحقّ الناس بذلك هم أعلمهم بأثار المرسلين واتّبعهم لذلك، فالعالمون بأقوالهم وأفعالهم، المتّبعون لها، هم أهل السعادة في كلّ زمان ومكان، وهم الطائفة الناجية من أهل كلّ ملّة، وهم أهل السنّة والحديث من هذه الأمّة، فإنّهم يشاركون سائر الأمّة فيما عندهم من أمور الرسالة، ويمتازون عنهم بما اختصوه من العلم الموروث عن الرسول ممّا يجهله غيرهم او يكذب به».

وقال - أيضاً - «ومن المعلوم أن أهل الحديث والسنة أخصّ بالرسول وأتباعه، فلهم من فضل الله وتخصيصه إيّاهم بالعلم والحلم وتضعيف الأجر ما ليس لغيرهم،

كما قال بعض السلف: أهل السنة في الإسلام كأهل الإسلام في الملل...!!

والمقصود التنبيه على أنّ كلّ من زعم بلسان حاله أو مقاله أنّ طائفة غير أهل الحديث أدركوا من حقائق الأمور الباطنة الغيبية في أمر الخلق والبعث والمبدأ والمعاد، وأمر الإيمان بالله واليوم الآخر وتعرف واجب الوجود والنفس الناطقة والعلوم والأخلاق التي تزكوا بها النفوس وتصلح وتكمل دون أهل الحديث، فهو

❦ وإن كان من المؤمنين بالرسول فهو جاهل، فيه شعبة قوية من النفاق، وإلا فهو منافق خالص من الذين ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِن لَّا يَعْلَمُونَ﴾..» مجموعة الفتاوى الكبرى ٤: ١٤٠.

وقال الشيخ حافظ حكمي علامة السلفية في كتابه معارج القبول ١: ٣٦ تحت عنوان (الفرقة الناجية) قال: «وقد أخبر الصادق المصدّق ﷺ أنّ الفرقة الناجية هم من كان على مثل ما كان عليه أصحابه، وليس أحد من هؤلاء كذلك، بل إنهم ﴿ضَلُّوا مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾، وذلك لأنّه لا يعرف ما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه إلا من طريق سنته المروية وآثاره المصطفوية التي هي الشريعة الغراء والمحجّة البيضاء، وهؤلاء من أبعد الناس عنها وأنفرهم منها، وإنّما تصلح هذه الصفة لحملتها وحفاظها والمنقادين لها... أعني بذلك أئمة الحديث وجهابذة السنّة وجيش دولتها، المرابطين على ثغورها الحافظين حدودها الحامين حوزتها... فأمنوا بما أخبر الله به في كتابه وأخبر به عبده ورسوله محمّد ﷺ في سنّته، وتلقّوه بالقبول والتسليم إثباتاً بلا تكيف ولا تمثيل، وتنزيهاً بلا تحريف ولا تعطيل، فهم الوسط في فرق هذه الأئمة، كما أنّ هذه الأئمة هي الوسط في الأمم... فهم والله (أهل السنّة والجماعة) وهم الطائفة المنصورة إلى قيام الساعة الذين لم تزل قلوبهم على الحقّ متّفقة مؤتلفة...».

وقال الإسماعيلي في اعتقاد أئمة الحديث ١: ٧٩ «وجوب لزوم مذهب أهل الحديث الفرقة الناجية: هذا أصل الدين والمذهب اعتقاد أئمة أهل الحديث الذين لم تشنّعهم بدعة، ولم تلبسهم فتنة، ولم يخفوا إلى مكروه في دين، فتمسّكوا معتصمين بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا عنه، واعلموا أنّ الله تعالى أوجب محبته ومغفرته لمتبعي رسول الله ﷺ في كتابه وجعلهم الفرقة الناجية والجماعة المتّبعة...».

☞ فتلحظ ابن تيمية يجعل أهل الحديث من غيرهم كأهل الإسلام في الملل الأخرى، فهم ملة وبقية الناس ملة أخرى؟!

وهذا من مجازفات الخط المنحرف الذي يؤدّي بصاحبه إلى سلوك الهاوية ورمي الأمة الإسلامية بالخروج عن الدين والعيش في جهالات الكفر والضلال، ويحصر الإسلام على فئة خاصّة معينه يسميها بـ(أهل الحديث). وفي قوله الثاني ما فيه من الكيل الثقيل والتهجم الكبير حيث جعل غير أهل الحديث من المنافقين الذين يستحقون الدرك الأسفل من النار، لأجل عدم عملهم بعلم الحديث ومدارسته!!

وسيوافيك في الصفات اللاحقة كلمات علماء الحديث في حق أنفسهم، وفي العلم الذي يدرسونه وأي قيمة له في نفوسهم.

ويتابع الشيخ الحرّاني كلامه فيقول: «وبهذا يتبين أنّ أحقّ الناس بأن تكون هي الفرقة الناجية أهل الحديث والسنة، الذين ليس لهم متبوع يتعصّبون له إلا رسول الله ﷺ» المصدر السابق ٣: ٢٤٦

ومن شاء المزيد عليه مراجعة كتاب (أهل الحديث هم الطائفة المنصورة) لمؤلفه الشيخ ربيع بن هادي المدخلي، حيث نقل أقوال العلماء هناك وبيّن ما فيه كفاية لمن يريد.

قد لاحظنا في الكلمات السابقة أنّهم يعدّون أهل الحديث (الفرقة الناجية، الطائفة المنصورة، الغرباء)؛ لأنّهم يتّبعون آثار الرسول ﷺ ويتّبعون أقواله وأفعاله ويدوّنها ويبيّنها للناس، ويقتفون آثار السلف الصالح والعلماء السابقين، ويسيروا على نهجهم ويقفون أثرهم، ويطلبون الحقّ في مظانّه، حتّى لو كلفهم أعلى شيء عندهم، فهم لا تأخذهم في الله لومة لائم، أو اعتراض معترض أو نيز نابز... بل هدفهم الحقّ دائماً يتّبعونه أينما كان وينشدونه أينما حلّ... هؤلاء هم أهل الحديث، وهذه صفاتهم وميّزاتهم، وعلى ذلك ينطبق عليهم وصف الغرباء،

### ➤ والفرقة الناجية، والطائفة المنصورة.

هذا ما يذكرونه في وصفهم ومدحهم لعلماء الحديث.

وهذا ما يجعلونه الشعار المنطبق عليهم...

ولكن هل هذا الكلام صحيح؟ وهل يصح ما ذكره من الصفات لأصحاب الحديث؟  
عندما نرجع إلى كلمات المحدثين أنفسهم نجدهم يطعن بعضهم في بعض،  
ويجانبون الصواب، ويميلون عن الحق، ويتبعون رغباتهم وأهواءهم، ولا يزنون  
بالقسطاس المستقيم واليك كلمات علماء الحديث انفسهم:

١ - قال الإمام الذهبي واصفاً أهل الحديث - وهو أحدهم - «أما المحدثون فغالبيتهم لا يفهمون، ولا همّة لهم في معرفة الحديث، ولا في التدوين به، معذور سفيان الثوري فيما يقول: لو كان الحديث خيراً لذهب كما ذهب الخير! صدق والله، وأي خير في حديث مخلوط صحيحه بواهيته، أنت لا تنتقله ولا تبحث عن ناقلية، ولا تدين الله تعالى به.

إنما همّتهم السماع على جهلة الشيوخ، وتكثير العدد من الأجزاء والرواة لا يتأدّبون بأداب الحديث، ولا يستفيقون من سكرة السماع، الآن يسمع الجزء ونفسه تحدّثه متى يرويه؟ أبعد الخمسين سنة؟! ويحك ما أطول أملك، وأسوأ عمك.  
أما اليوم في زماننا فما يفيد المحدث الطلب والسماع، مقصود الحديث من التدوين به، بل فائدة السماع ليروي، فهذا والله لغير الله.

خطابي معك يا محدّث، لا مع من يسمع ولا يعقل ولا يحافظ على الصلوات، ولا يجتنب الفواحش ولا قرش الحشائش، ولا يحسن أن يصدّق فيها، فيا هذا لا تكن محروماً مثلي، فإنا نحن أبغض المناحيس.

ثمّ قال: «بالله خلونا فقد بقينا ضحكة لأولي المعقولات، ينظرون بنا هؤلاء هم أهل الحديث... لكنك معذور، فما شملت للإسلام رائحة، ولا رأيت أهل الحديث».

وبعد ان عرض سير الرواية في العصور الأولى قال: «ثمّ تناقص هذا الشأن في

➤ المائة الرابعة بالنسبة إلى المائة الثالثة، ولم يزل يتقص إلى اليوم، فأفضل من في وقتنا اليوم من المحدثين على قلتهم نظير صغار من كان في ذلك الزمان على كثرتهم، وكم من رجل مشهور بالفقه وبالرأي في الزمن القديم أفضل في الحديث من المتأخرين، وكم من رجل من متكلمي القدماء أعرف بالأثر من مشيخة زماننا» بيان زغل العلم والطلب عن أهل الحديث ٦ - ١٢.

٢ - قال ابن قتيبة الدينوري في تأويل مختلف الحديث ٧٨: «فهل أصحاب الحديث في سقطهم إلا كصنف من الناس؟

على أنا لا نخلي أكثرهم من العذل في كتبنا في تركهم الاشتغال بعلم ما قد كتبوا، والتفقه بما جمعوا، وتهافتهم في طلب الحديث من عشرة أوجه أو عشرين وجهاً! وقد كان في الوجه الواحد الصحيح والوجهين مقنع لمن أراد الله عز وجل بعلمه، حتى تنقضي أعمارهم، ولم يخلوا من ذلك إلا بأسفار اتعبت الطالب، ولم تنفع الوارث.

فمن كان من هذه الطبقة فهو عندنا مضيّع لحظه مقبل على ما كان غيره أنفع له منه. وقد لقبوهم بالحشوية، والنايبة، والمجبرة، وربما قالوا الجبرية وسموهم: الغناء والغثر».

٣ - وقد عقد الإمام ابن عبد البرّ فصلاً كاملاً حول هذا الموضوع، وذكر فيها كلاماً كثيراً حول المحدثين وصفاتهم وما قالوه حول علم الحديث نقصر على ذكر بعض منه: «... وعن شعيب بن حرب قال: كُنّا عند سفيان يوماً نتذاكر الحديث فقال: لو كان في الحديث خير لنقص كما ينقص الخير، ولكنّه شرّ فأراه يزيد كما يزيد الشرّ.

وكان زكريا بن القطان يقول: رأيت سفيان بن عيينة وقد ألجأه أصحاب الحديث إلى الميل الأخضر، فالتفت إليهم فقال: ما أرى الذي تطلبونه من الخير، ولو كان من الخير لنقص كما ينقص الخير.



☞ وقد أخذه بكر بن حماد فقال:

لقد جقت الأقلام بالخلق كلهم	فمنهم شقي خائب وسعيد
تمرّ الليالي بالنفوس سريعة	ويبدي زيّ خلقه ويعيد
أرى الخير في الدنيا يقلّ كثيره	وينقص نقصاً والحديث يزيد
فلو كان خيراً قلّ كالخير كلّه	وأحسب أنّ الخير منه بعيد
ولا بن معين في الرجال مقالة	سيسأل عنها والمليك شهيد
فان يك حقاً قوله فهو غيبة	وإن يك زوراً فالقصاص شديد
وكُلّ شياطين العباد ضعيفة	وشيطان أصحاب الحديث مريد

جامع بيان العلم وفضله: ٤٣٠.

وقال في ص ٤٣٦: «وكان سفيان الثوري يقول: أنا فيه - يعني الحديث - منذ ستين

سنة، وددت أنني أخرج منه كفافاً لا لي ولا علي»

وفي ص ٤٣٧ قال: «وقال يحيى بن سعيد القطان: رواة الشعر أعقل من رواة الحديث؛ لأنّ رواة الحديث يروون مصنوعاً كثيراً، ورواة الشعر ساعة ينشدون المصنوع يتفقدونه ويقولون هذا مصنوع».

وقال عمرو بن الحارث: «ما رأيت علماً أشرف ولا أهلاً أسخف من أهل الحديث».

وكان مسعر يقول: «من أبغضني جعله الله محدثاً، ووددت أن هذا العلم كان حمل قوارير حملته على رأسي فوق فتكسر فاسترحت من طلابه».

وكان مغيرة الضبي يقول: «والله لأنا أشدّ خوفاً منهم منّي من الفساق - يعني أصحاب الحديث».

وقال في: ٤٣٨: «وقال الشعبي: كنت إذا رأيت أحداً من أهل الحديث يجيئ أفرح، فصرت اليوم ليس لشيء أبغض إليّ من أن أرى واحداً منهم».

وقال أبو داود: «الحديث لا يحتمل حسن الظن».

وكان يحيى بن يمان يقول: لا يكتب أحدهم الحديث ولا يتفهم ولا يتدبر فإذا سئل

.....

☞ أحدهم عن مسأله جلس كأنه مكاتب.

وعن سفيان قال: «قال لي إياس بن معاوية: أراك تطلب الحديث والتفسير فإياك والشناعة فإن صاحبها لن يسلم من عيب».

قال أبو عمر (يعني ابن عبد البر) في مثل هذا يقول الشاعر:

زوامل للأسفار لا علم عندهم      بجيدها إلا كعلم الأباع  
لعمري ما يدري البعير اذا غدا      بأحملة أو راح ما في الغرائر

٤- وقال ابن تيمية الحرّاني في رده على معيبي أهل الحديث من تمسّكهم بالحديث الضعيف في الاصول أو الفروع أو تأويل الحديث تأويلاً غير صحيح: «ولا ريب أنّ هذا موجود في بعضهم، يحتجّون باحاديث موضوعة في مسائل الأصول والفروع، وبآثار مفتعلة وبحكايات غير صحيحة!! ويذكرون من القرآن والحديث ما لا يفهمون معناه، وربما تأوّلوه على غير تأويله، ووضعوه على غير موضعه.

ثمّ إنّهم بهذا المنقول الضعيف السخيف قد يكفّرون ويضلّلون ويدعون أقواماً من أعيان الأمة ويجهلونهم!!

ففي بعضهم من التفريط في الحقّ والتعدي على الخلق ما قد يكون بعضه خطأً مغفوراً!! وقد يكون منكراً من القول وزوراً، وقد يكون من البدع والضلالات التي توجب غليظ العقوبات فهذا لا ينكره إلا جاهل أو ظالم وقد رأيت من هذا عجائب». فهذا ابن تيمية المتعصّب لأهل الحديث والذي مرّ في كلامه أنفاً تكفير من ينتقصهم أو لا يرجع إليهم نراه هنا يصفهم:

يكفّرون من لا يستحقّ التكفير فيحيفون عن الحقّ ويظلمون الآخرين، يرمون أعيان الأمة بالجهل والجهالة والتقصير من دون مبرّر أو مسوّغ، يرمون العلماء بالبدع وارتكاب ما يخالف الدين وهم ليس كذلك، وبعض الأحيان رميهم للآخرين بالبدع والضلالة زلل لا يغفر لمرتكبه ولا يخرج من ذنبه.

٥ - وقال الشيخ المحدّث محمّد ناصر الدين الألباني في صحيحته ٧: ٧٢٣ - ٧٢٤  
 تعليقا على حديث: «ليدخلنّ عليكم رجل لعين يعني الحكم بن أبي العاص» وكيف  
 أنّ المحدّثين طعنوا في صحته، بل لم يتعرّض بعضهم لذكره، مع أنّه حديث  
 صحيح وثابت لا جرح في رواته ولا نكارة في متنه فقال: «هذا! وإنّي لأعجب أشدّ  
 العجب من تواطؤ بعض الحقاظ المترجمين للحكم على عدم سوق بعض هذه  
 الأحاديث وبيان صحّتها في ترجمته، أهي رهبة الصحبة وكونه عمّ عثمان بن  
 عفان رضي الله عنه، وهم المعروفون بأنهم لا تأخذهم في الله لومة لائم؟!  
 أم هي ظروف حكوميّة أو شعبيّة كانت تحول بينهم وبين ما كانوا يريدون التصريح  
 به من الحقّ؟!»

فهذا - مثلاً - ابن الأثير يقول في أسد الغابة: «وقد روي في لعنه ونفيه أحاديث كثيرة  
 لا حاجة إلى ذكرها إلا أنّ المقطوع به أنّ النبي صلى الله عليه وآله مع حلمه واغضائه على ما  
 يكره ما فعل به ذلك إلا لأمر عظيم».

وأعجب من هذا صنيع الحافظ في الإصابة فأنّه مع إطالته في ترجمته صدرها بقوله:  
 قال ابن السكين: يقال إنّ النبي صلى الله عليه وآله دعا عليه ولم يثبت ذلك! وسكت عليه ولم  
 يتعقّب به شيء، بل إنّ اتبعه بروايات كثيرة فيها أدعية مختلفة عليه، كنت ذكرت  
 بعضها في الضعيفة. وسكت عنها كلّها، وصرّح بضعف بعضها، وختمها بذكر  
 حديث عائشة المتقدّم: إنّ الرسول صلى الله عليه وآله لعن أباك وأنت في صلبه، ولكنه يريد أنّ  
 يصرّح بصحّته ألمح إلى إعلاله بمخالفته رواية البخاري المتقدّمة فقال عقبها:  
 «قلت وأصل القضية عند البخاري بدون هذه الزيادة»!

فأقول: ما قيمة هذا التعقيب، وهو يعلم أنّ هذه الزيادة صحيحة السند، وأنّها من  
 طريق غير طريق البخاري؟!»

وليس هذا فقط بل ولها شواهد صحيحة - أيضاً - كما تقدّم!!  
 اكتفيت بها عن ذكر ما قد يصلح للاستشهاد به فقد قال في آخر شرحه للحديث:

❖ «هلكت أمتي على يدي عُلمة من قریش» الفتح ١١/١٣: «وقد وردت أحاديث في لعن الحكم والد مروان وما ولد أخرجها الطبراني وغيره غالبها فيها مقال، وبعضها جيّد، ولعل المراد تخصيص الغلّة المذكورين بذلك!»  
 وأعجب من ذلك كلّهُ تحفّظ الحافظ الذهبي بقوله في ترجمة (الحكم) من تاريخه ٢: ٩٦ «وقد وردت أحاديث منكرّة في لعنه لا يجوز الاحتجاج بها. وليس له بالجملة خصوص الصحبة بل عمومها!» كذا قال مع أنّه بعد صفحة واحدة ساق رواية الشعبي عن ابن الزبير مصحّحاً إسناده كما تقدم!!  
 ومثل هذا التلوّن أو التناقض مما يفسح المجال لأهل الأهواء أن يأخذوا منه ما يناسب أهواءهم نسأل الله السلامة».

وهناك كلمات كثيرة - يطول المقام بذكرها - ذكرها العلماء حول علماء الحديث وما فيهم من معاييب ونقائص وتحامل، فهم يستدلون بالحديث الضعيف، ويرتّبون عليه أحكاماً شرعية، سواء في أصول الدين أو فروعه، ويضلّلون الناس على أساسه ويدعونهم على ضوئه، تبعاً لأهوائهم وما تمليه عليهم قناعاتهم وأوضاعهم التي يعيشون في وسطها.  
 ومن يرجع إلى موازين علماء الحديث لا يجد شيئاً ممّا ذكر - من عدالتهم وتمسّكهم بالحقّ والعدل والإنصاف - في الحكم، وإليك غيضاً من فيض كلماتهم وموازنينهم المجحفة.

١ - قال ابن حجر العسقلاني ٨: ٤١١: «وقد كنت استشكل توثيقهم الناصبي غالباً وتوهينهم الشيعي مطلقاً ولاسيّما أن عليّاً ورد في حقّه لا يحبّه إلا مؤمن ولا يبغضه إلا منافق».

فهذا الميزان يجعل المنافق بنصّ رسول الله ﷺ وهو كاذب بصريح القرآن موثقاً مقبول الرواية عند المحدثين، بينما الشيعي المؤمن الصادق بنصّ القرآن الكريم كاذباً ومطعوناً فيه لا لشيء إلا لكونه شيعياً!!

٢ - إبراهيم بن يعقوب الجوزجاني أحد أئمة الجرح والتعديل، قال ابن عدي - في ترجمة إسماعيل بن أبان الوراق - كما قال فيه الجوزجاني كان مائلاً عن الحق، ولم يكن يكذب الجوزجاني كان مقيماً بدمشق، يحدث على المنبر، وكان أحمد يكتبه فيتقوى بكتابه، ويقرؤه على المنبر، وكان شديد الميل إلى مذهب أهل دمشق في التحامل على علي عليه السلام، فقله في إسماعيل: مائل عن الحق يريد به ما عليه الكوفيين من التشيع. ميزان الاعتدال ١: ٧٦.

وقال ابن حجر في لسان الميزان ١: ١٦: «وممن ينبغي أن يتوقف في قبول قوله في الجرح من كان بينه وبين من جرحه عداوة سببها الاختلاف في الاعتقاد فإن الحاذق إذا تأمل ثلب أبي إسحاق الجوزجاني لأهل الكوفة رأى العجب، لشدة انحرافه في النصب وشهرة أهلها بالتشيع، فتراه لا يتوقف في جرح من ذكره منهم بلسان ذلقة، وعبارة طلقة وحتى إنّه أخذ يلين مثل الأعمش وأبي نعيم وعبيد الله بن موسى وأساطين الحديث».

فهذا إمام من أئمة علماء الحديث وهو شديد النصب لعلي عليه السلام، يأخذون بقوله ويعتمدون عليه في أقواله وأحكامه، بل يعدّ من المؤسسين لقواعد علم الرجال السنّي فهو أول من أسس قاعدة أن المبتدع الثقة لا تقبل روايته إذا وافقت بدعته، حتى إذا كان ثقة لا يكذب، الباعث الحثيث ١٠٠.

٣ - تمالّهم حول الصحابة والتابعين الذين خطأوا أصحاب الجمل وصفين ورميهم بالابتداع، وعدم الأخذ برواياتهم، قال الذهبي في ميزان الاعتدال ١: ١١٨ في ترجمة أبان بن تغلب: «فلقائل أن يقول: كيف ساغ توثيق المبتدع وحدّ الثقة العدالة والإتقان؟ فكيف يكون عدلاً من هو صاحب بدعة؟

وجوابه: إنّ البدعة على ضربين، فبدعة صغرى كغلو التشيع أو كالتشيع بلا غلو ولا تحرف، فهذا كثير في التابعين وتابعيهم مع الدين والورع والصدق، فلو ردّ حديث هؤلاء لذهب جملة من الآثار النبوية، وهذه مفسدة بيّنة.

❖ ثم بدعة كبرى كالرفض الكامل والغلو فيه والخط على أبي بكر وعمر - رضي الله عنهما - والدعاء إلى ذلك فهذا النوع لا يتبجح بهم ولا كرامة. وأيضاً فما استحضر الآن في هذا الضرب رجلاً صادقاً ولا مأموناً، بل الكذب شعارهم والتقية والنفاق دثارهم، فكيف يقبل نقل من هذا حاله! حاشا وكلاً. فالشيوعي الغالي في زمن السلف وعرفهم هو من تكلم في عثمان والزبير وطلحة ومعاوية، وطائفة ممن حارب علياً عليه السلام وتعرض لسبهم..». ففي ميزان الذهبي المحدث أن الذي يتكلم فيمن حارب علياً يعدّ شيعياً غالياً، وقد ذكر في موضع من كتابه سير أعلام النبلاء ٧: ٣٧ تعليقا على ما نقل من قول وكيع: بأن الحسن بن صالح إمام فقيه له: إنه لا يترحم على عثمان؟! فقال: أفترحم أنت على الحجاج فقال الذهبي معلقاً: «قلت: لا بارك الله في هذا المثال، ومراده: إن ترك الترحم سكوت، والسكوت لا ينسب إليه قول، ولكن من سكت عن ترحم مثل الشهيد أمير المؤمنين عثمان فإن فيه شيئاً من تشييع، فمن نطق فيه بغض وتنقص وهو شيعي جلد يؤدب».

فعلى هذا يكون كثير من التابعين مستحقين للتأديب والتوبة لما فيهم من تشييع ولما قالوه في حق عثمان! وهذا الحكم لم يسنده الذهبي إلى دليل معتبر أو قاعدة يعول عليها.

أضف إلى ذلك فإنه مرّ عليه سابقاً من أنهم يوتقون الناصبي غالباً، بل ويصفونه بأنه أصدق الناس من أهل البدع كما قاله ابن داود! مع أن الناصبي الطعن فيه أولى من الطعن بالشيوعي المنتقص للشيخين فضلاً عن عائشة وطلحة والزبير؛ لأن علياً بن أبي طالب ورد في حقه ان حبه إيمان وبغضه نفاق، فالناصب منافق والمنافق كاذب بشهادة القرآن، فكيف يوتقونهم دائماً ويأخذون برواياتهم؟! وكيف يجعلونهم أصدق الناس مع شهادة الله ورسوله بكذبهم!!

ومنه يتضح أن ما ذكر في حق المحدثين من الصدق واتباع الحق ما هو إلا مجازفة

### ☞ وتعظيم لأمرٍ لا صحة له أصلاً.

٤ - قال ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله ٤٦٤: «ذكر إبراهيم النخعي عند الشعبي فقال: ذاك الأعور الذي يستفتي بالليل ويجلس يفتي الناس بالنهار.. قال ابو عمر: معاذ الله أن يكون الشعبي كذاباً، بل هو إمام جليل والنخعي مثله جلالته وعلماً، وأظن الشعبي عوقب بقوله في الحارث الهمداني: حدثني الحارث وكان كذاباً. ولم يبين من الحارث كذب، وإتّما نقم عليه إفراطه في حبّ علي عليه السلام وتفضيله له على غيره. ومن ههنا والله أعلم كذب الشعبي؛ لأنّ الشعبي يذهب إلى تفضيل أبي بكر عليه السلام وإلى أنّه أوّل من أسلم...».

فهم يكذبون المحدث الذي يحب علي بن أبي طالب حتّى لو كان صادقاً في قوله، فكيف يمكن الحكم على هؤلاء بأنهم أصدق الناس وأكثر اتباعاً للحق؟!  
٥ - وهاك الطامة الكبرى التي سار عليها المحدثون وأسسوا بنيتها لللاحقين، فهذا الأوزاعي الإمام المعروف يقول: «ما أخذنا العطاء حتّى شهدنا على علي بالنفاق، وتبرّأنا منه، وأخذ علينا بذلك الطلاق والعتاق وأيمان البيعة» سير أعلام النبلاء ١٣٠: ٧.

فإذا كان أهل الحديث لا ينطقون إلا بالصدق ولا يعدلون عن الحق فكيف تبرّأوا من أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام الذي نفسه نفس الرسول، وهو أخوه وصهره وأبو ولده، وهو ميزان الإيمان والنفاق؟! فإذا جاز لهم التبرّؤ من علي ابن أبي طالب والشهادة عليه بالنفاق، فيجوز صدور أيّ شيء منهم من كتاب وتدليس وقول الزور والحكم بما لا يرضي الله ورسوله.

ومن شاء مزيداً من الاطلاع يرجع إلى جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر في فصل (حكم قول العلماء بعضهم في بعض) ليرى كلمات بعضهم في حق بعض، وطعن بعضهم بعضاً!

قال العلامة بدر الدين الحوثي في معرض ردّه على مقبل الوادعي الذي قال: «وأقرب

➤ الناس ممن تنطبق عليه هذه الصفات هم أهل الحديث» قال: «والجواب: أهل الحديث مختلفون في العقائد والمذاهب والأعمال... فإن أراد بقوله «أهل الحديث» أئمة الذين عدّدهم، أي ابن المبارك والبخاري ومسلم فهي دعوى تحتاج إلى بيّنة؛ لأن الصفات التي ذكرها الله تعالى في سورة العصر، وأول سورة المؤمنين والحديد واضحة وجليّة في كلّ من وصحّ منه العمل وفقاً لكتاب الله وسنة رسول الله ﷺ، وذلك واضح في علماء آل الرسول ﷺ وعليه ﷺ وفاطمة ؓ والحسنين ؓ ومن بعدهم، الذين توارثوا العلم والدين من ذلك الزمان، ولم يقلّدوا في الدين من خالف آباءهم الطاهرين، بل أعظم همّهم أخذ العلم عن أسلافهم، وعرض ما ورد عليهم من الكتاب والسنة، المعلومة باليقين والمجمع عليها بين المختلفين، وعملوا بحديث الثقلين ونحوه، وحديث: «لا يحبك إلا مؤمن ولا يبغضك إلا منافق»، وتجنّبوا مخالطة الظلمة والركون إليهم، وجاهدوا في الله حقّ جهاده، وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر، فكانوا أحقّ باسم الإيمان هم ومن سلك طريقهم، وأحقّ أن يكونوا الفرقة الناجية لقوله تعالى في الفرق بين المنافقين والمؤمنين: «المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف ويقبضون أيديهم»، «والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله إن الله عزيز حكيم» وقوله تعالى: «قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الإيمان في قلوبكم»..».

وقال في معرض رده على مقبل الوداعي الذي قال في أهل الحديث: «لأنهم لا يتعصبون لأي مذهب وإنما يتعصبون للحق». «والجواب: إنّ عنى أئمة من أهل الحديث فهل يعني ليس لهم مذهب يتعصبون له؟ فهذا خلاف الواقع لأنّ لهم مذاهب معروفة يتعصبون لها.



منها: تقديم أبي بكر وعمر وعثمان، وتفضيل الشيخين أو الثلاثة على علي عليه السلام، وتعصّبهم لهذا ظاهر، حتّى إنّ من خالفهم فيه يرمونه بالغلو في التشيع، وربّما رموه بالرفض، وأقلّ أحواله أنّه يعتبر مبتدعاً ضعيفاً في الحديث في الغالب، إذا أحبّ عليّاً وقدمه ولم يسبّ، وكذلك يعتبرون من تكلم في أحد الثلاثة أو طلحة أو الزبير أو عائشة دجّالاً كذاباً، أو رافضياً خبيثاً، لا يكتب حديثه، ويرمونه بسبّ الصحابة جملة في التعبير. ومن روى فضيلة - تستلزم في ظنّهم نقص أحد المذكورين وسبّهم بزعم القوم - جرحوه لأنّه عندهم يروي المثالب فكيف لو روى مثله حقيقة، بل جرحوا من روى في معاوية: «إذا رأيتم معاوية على منبري فاقتلوه»!؟

وجرحوا فيه وفي عمرو: «اللهم اركسهما في الفتنة». وإن أراد مقبل أن لأهل الحديث مذهباً يتعصّبون له لكنّه عنده هو الحقّ، فتعصّبهم له تعصب للحقّ، بخلاف غيرهم من أهل المذاهب فهم يتعصّبون للباطل؟! فالجواب: هذه دعوى، وكلّ أهل المذاهب يدّعون أنّهم أهل الحقّ، ولمن تعصّب لمذهبهم صلابة في الدين، فالتعليل الذي ذكره مقبل - يريد أنّهم الطائفة التي لا تزال على أمر الله فيما روى - تعليل بمجرد الدعوى، فكأنه يقول: لا يزالون على أمر الله؛ لأنّهم أهل أمر الله. ولا يزالون على الحقّ؛ لأنّهم أهل الحقّ، لأنّ أمر الله هو الحقّ، والحقّ في الأمّة هو أمر الله.

هذا. وإن أراد بأهل الحديث علماء السنّة كلّهم، فيشكل عليه قوله: «ليس لهم مذهب يتعصّبون له» فنخرج من كان زيدياً أو إمامياً أو شيعياً مطلقاً أو ناصبياً أو خارجياً أو عثمانياً أو وهابياً أو شبه ذلك من أهل أسماء المذاهب المشهورة، حتّى المالكي والحنفي والشافعي والحنبلي فمن هم أهل الحديث؟!» تحرير الأفكار: ٤٧ - ٥٠.

فلا كلام لنا مع الأديان المتعددة التي يدعي كلُّ منها أنه هو الحقّ وغيره الباطل، ولكن اعجب واندعش واحترار عند قراءة هذا الحديث، وليس عجبي واندعاشي وحيرتي للحديث نفسه، ولكن للمسلمين الذي يقرؤون هذا الحديث، ويردّدونه في خطبهم، ويمرّون عليه مرّ الكرام بدون تحليل، ولا بحث في مدلوله، لكي يتبيّنوا الفرقة الناجية من الفرق الضالة.

والغريب أن كلَّ فرقة تدّعي أنها هي وحدها النّاجية، وقد جاء في ذيل الحديث: « قالوا: من هم يا رسول الله؟

قال: من هم على ما أنا عليه أنا وأصحابي »<sup>(١)</sup>.

فهل هناك فرقة إلاّ وهي متمسّكة بالكتاب والسنة، وهل هناك فرقة إسلامية تدّعي غير هذا؟ فلو سئل الإمام مالك، أو أبو حنيفة، أو الإمام الشافعي، أو أحمد ابن حنبل، فهل يدّعي أيّ واحد منهم إلاّ التمسك بالقرآن والسنة الصحيحة؟ فهذه المذاهب السنّية، وإذا أضفنا إليها الفرق الشيعية التي كنت أعتقد

---

➤ ويضاف إلى ذلك إشكال آخر مفاده أنّ المحدثين رووا عن النبي ﷺ: «خير القرون قرنيّ ثمّ الذين يلونهم ثمّ الذين يلونهم» نظم المتناثر من الحديث المتواتر ١٩٩.

مع أنّهم يذكرون بأنّ أغلب التابعين وتابعي التابعين كانوا مبتدعه (راجع ترجمة أبان بن تغلب من الميزان ١: ١٨٨)

فكيف يوقّق بين خيريّة القرون وأنها المفضّلة وبين انتشار البدعة فيها بشكل واسع وملحوظ!!!

ومن هذا العرض الموجز الذي ذكرناه تتضح المنهجية المتذبذبة التي يعيشها المذهب السنّي بمستوياته المختلفة من محدّثين وفقهاء ومؤرّخين.

(١) نقل الحديث بالمعنى فارّج إلى المعجم الأوسط للطبراني ٨: ٢٢، المعجم الصغير ١: ٢٥٦، المعجم الكبير ٩: ٣٦٠، كتاب الغرباء: ٣١، إثبات عذاب القبر: ٨٢.

بفسادها وانحرافها، فهذا هي الأخرى تدعى - أيضاً - أنها متمسكة بالقرآن والسنة الصحيحة المنقولة عن أهل البيت الطاهرين، وأهل البيت أدري بما فيه كما يقولون. فهل يمكن أن يكونوا كلهم على حق كما يدعون؟ وهذا غير ممكن لأن الحديث الشريف يفيد العكس، اللهم إلا إذا كان الحديث موضوع، مكذوب، وهذا لا سبيل إليه، لأن الحديث متواتر عند السنة والشيعة.

أم إن الحديث لا معنى له ولا مدلول؟ وحاشى لرسول الله ﷺ أن يقول شيئاً لا معنى له ولا مدلول، وهو الذي لا ينطق عن الهوى، وكل أحاديثه حكمة وعبر. إذا لم يبق أماننا إلا الاعتراف بأن هناك فرقة واحدة على الحق وما بقي فهو باطل، فالحديث يبعث على الحيرة، كما يبعث على البحث والتنقيب لمن يريد لنفسه النجاة.

ومن أجل هذا داخلني الشك والحيرة بعد لقائي بالشيعة، فمن يدري لعلمهم يقولون حقاً وينطقون صدقاً! ولماذا لا أبحث ولا أنقب، وقد كلّفني الإسلام بقرآنه وسنته أن أبحث وأقارن وأتبين، قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ (١).

وقال أيضاً: ﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ (٢).

وقد قيل: «ابحث عن دينك حتى يقال عنك مجنون»، فالبحث والمقارنة واجب شرعي على كل مكلف.

بهذا القرار وبهذه العزيمة الصادقة واعدت نفسي وأصدقائي من الشيعة في

(١) سورة العنكبوت: ٦٩.

(٢) سورة الزمر: ١٨.

العراق، وأنا أودّعهم معانقاً ومتأسّفاً لفراقهم فقد أحببتهم وأحبّوني، وقد تركت  
 أحبّاء أعزاء مخلصين ضحّوا بأوقاتهم من أجلي لا لشيء كما قالوا لا خوفاً ولا  
 طمعاً، وإنّما ابتغاء مرضاة الله سبحانه، فقد ورد في الحديث الشريف «لئن يهد الله بك  
 رجلاً واحداً خيرٌ لك ممّا طلعت عليه الشمس»<sup>(١)</sup>.

وغادرت العراق بعد قضاء عشرين يوماً في ربوع الأئمّة وشيعتهم، مرّت  
 كأنّها حلم لذيذ يتمنّى النائم أن لا يستيقظ حتّى يستوفيه، غادرت العراق متأسّفاً  
 على قصر المدّة، متأسّفاً على فراق الأفتدة التي أهوي إليها، والقلوب التي تنبض  
 بمحبّة أهل البيت، وتوجهت للحجاز قاصداً بيت الله الحرام، وقبر سيّد الأوّلين  
 والآخريين صلّى الله عليه وعلى آله الطيبين الطاهرين.

---

(١) الكافي ٥: ٢٨، ٣٦، التهذيب ٦: ١٤١، البحار ٣٢: ٤٤٨، المستدرک للحاكم ٣: ٥٩٨،  
 مجمع الزوائد ٥: ٣٣٤، وصححه المعجم الكبير للطبراني ١: ٣١٥، الجامع الصغير  
 للسيوطي ٢: ٤٠١.

السفر إلى الحجاز

\_\_\_\_\_

\_\_\_\_\_



## السفر إلى الحجاز

وصلت إلى جدّة، والتقيت بصديقي البشير الذي فرح بقدومي وأنزلي في بيته، وأكرمني غاية الإكرام، وكان يقضي أوقات فراغه معي في النزهة والمزارات بسيّارته، وذهبنا للعمرة معاً، وعشنا أيّاماً كلّها عبادة وتقوى.

واعذرت له عن تأخري لبقائي في العراق، وحكيت له عن اكتشافي الجديد أو الفتح الجديد، وكان متفتحاً ومطلعاً فقال: فعلاً أنا أسمع أنّ فيهم بعض العلماء الكبار وعندهم ما يقولون، ولكنّ عندهم فرقاً كثيرة كافرة منحرفة يخلقون لنا مشاكل متعدّدة في كلّ موسم للحجّ.

سألته ما هي هذه المشاكل التي يخلقونها؟

أجاب: إنّهم يصلّون حول القبور، يدخلون البقيع جماعات فييكون وينوحون، ويحملون في جيوبهم قطعاً من الحجارة يسجدون عليها، وإذا ذهبوا إلى قبر سيّدنا الحمزة في أحد فهناك يقيمون جنازة بلطم وعويل، وكأنّ الحمزة مات في ذلك الحين، ومن أجل كلّ ذلك منعتهم الحكومة السعودية من الدخول إلى المزارات.

ابتسمت، وقلت له: ألهذا تحكم عليهم بأنهم منحرفون عن الإسلام؟

قال: هذا وغيره، إنّهم يأتون لزيارة النبيّ، ولكنّهم في نفس الوقت يقفون على قبر أبي بكر وعمر ويسبّونهم ويلعنونهم، ومنهم من يلقي على قبر أبي بكر وقبر عمر القذارات والنجاسات.

وذكرني هذا القول بالرواية التي سمعتها من والدي غداة رجوع من الحج، ولكنه قال بأنهم يلقون القذارات على قبر النبي، ولا شك بأن والدي لم يشاهد ذلك بعينه لأنه قال: شاهدنا جنوداً من الجيش السعودي يضربون بعض الحجّاج بالعصى، ولما استنكرنا عليهم إهانتهم لحجّاج بيت الله الحرام! أجاونا بأن هؤلاء ليسوا من المسلمين، فهم من الشيعة جاؤوا بالقذارات ليلقوها على قبر النبي، قال والدي: عند ذلك لعناهم وبصقنا عليهم.

وها أنا الآن أسمع من صديقي السعودي المولود في المدينة المنورة بأنهم يأتون لزيارة قبر النبي، ولكنهم يلقون النجاسات على قبر أبي بكر وعمر، وشككت في صحّة الروايتين، لأنني حججت ورأيت أنّ الحجرة المباركة التي يوجد فيها ضريح النبي وأبي بكر وعمر مغلقة، ولا يمكن لأيّ شخص أن يقترب منها للتمسّح على بابها أو شبّاكها، فضلاً على أن يلقي فيها أشياء:

أولاً: لعدم وجود فجوات،

وثانياً: لوجود حراسة مشدّدة من الجنود الغلاظ الذين يتداولون على الرقابة والحراسة أمام كلّ باب، وفي أيديهم سياط يضربون بها كلّ من يقترب أو يحاول أن ينظر داخل الحجرة.

والغالب على الظن أنّ بعض الجنود من السعودية وهم يكفّرون الشيعة، رماهم بهذه التهمة ليبرّز ضربه لهم، وحتىّ يستفز المسلمين لمقاتلتهم أو على الأقلّ ليسكتوا على إهانتهم، ويروّجوا إذا رجعوا إلى بلدانهم أنّ الشيعة يبغضون رسول الله ويلقون على قبره النجاسات، وبذلك يضربون عصفورين بحجر واحد.

وهذا نظير ما حكاه أحد الفضلاء ممّن أثق بهم إذ قال: كنا نطوف بالبيت فإذا بشاب أصابه مغص من شدّة الزحام فتقيّاً، وضربه الجنود الذين كانوا يحرسون الحجر الأسود، وأخرجوه وهو في حالة يرثى لها، واتهمّوه بأنّه جاء بالنجاسة



لتوسيع الكعبة، وشهدوا عليه وأعدم في نفس اليوم.  
وجالت بخاطري هذه المسرحيات، وبقيت أفكر برهة في تعليل صديقي  
السعودي لتكفير هؤلاء الشيعة، فلم أسمع غير أنهم يبكون ويلطمون ويسجدون  
على الحجر ويصلون حول القبور.

وتساءلت: أفي هذا دليل على تكفير من يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً  
عبده ورسوله، ويقوم الصلاة، ويؤتي الزكاة، ويصوم شهر رمضان، ويحج البيت،  
ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر؟

وما أردت معاندة صديقي والدخول معه في جدال لا طائل من ورائه،  
فاقتصرت على القول: هدانا الله وإياهم إلى صراطه المستقيم، ولعن الله أعداء  
الذين الذين يكيّدون للإسلام والمسلمين.

وكنت كلما طفت بالبيت العتيق خلال العمرة وفي كل زيارة لمكة المكرمة، ولم  
يكن يطوف بها إلا نفر قليل من المعتمرين، صليت وسألت الله سبحانه من كل  
جوارحي أن يفتح بصيرتي ويهديني إلى الحقيقة.

وقفت على مقام إبراهيم عليه السلام واستعرضت الآية الكريمة: ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ  
حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ  
سَمَّاكُمْ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ  
عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ  
التَّصِيرُ﴾<sup>(١)</sup> صدق الله العظيم.

وبدأت أناجي سيّدنا إبراهيم أو أبانا إبراهيم كما سمّاه القرآن:  
يا أبتاه، يا من سمّيتنا المسلمين، ها قد اختلف أبناؤك من بعدك فأصبحوا

(١) سورة الحج: ٧٨.

يهوداً ونصارى ومسلمين، واختلف اليهود فيما بينهم إلى إحدى وسبعين فرقة، واختلف النصارى إلى اثنتين وسبعين فرقة، واختلف المسلمون إلى ثلاث وسبعين فرقة، وكلهم في الضلالة حسبما أخبر بذلك ابنك محمد، وفرقة واحدة بقيت على عهدك يا أبتاه!

أهي سنة الله في خلقه كما يقول القدرية، فالله سبحانه هو الذي كتب على كل نفس أن تكون يهودية، أو نصرانية، أو مسلمة، أو ملحدة، أو مشركة، أم أنه حب الدنيا والابتعاد عن تعاليمه سبحانه، ذلك بأنهم نسوا الله فأنساهم أنفسهم؟ إن عقلي لا يطاوعني بتصديق أن القضاء والقدر هما اللذان حتماً مصير الإنسان، بل أميل وأكاد أجزم بأن الله سبحانه خلقنا وهدانا وألهمنا الفجور والتقوى، وأرسل إلينا رسله ليوضحوا لنا ما أشكل علينا ويعرفونا الحق من الباطل، ولكن الإنسان غرته الحياة الدنيا وزينتها.

الإنسان بأنانيته وكبريائه، بجهله وفضوله، بعناده ولجاجته، بظلمه وطغيانه مال عن الحق واتبع الشيطان، وابتعد عن الرحمن فورد غير مورده، وأكل غير مأكله، وقد عبّر القرآن الكريم عن ذلك أحسن تعبير وأوجزه بقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئاً وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾<sup>(١)</sup>.

يا أبانا إبراهيم، لا لوم على اليهود والنصارى الذين عاندوا الحق بغياً بينهم لما جاءتهم البيّنة، فها هي الأمة التي أنقذها الله بولدك محمد، وأخرجها من الظلمات إلى النور، وجعلها خير أمة أخرجت للناس، فهي الأخرى اختلفت وتفرقت وكفر بعضها بعضاً، وقد حذرهم رسول الله وتبهم إلى ذلك، وضيّق عليهم حتى قال: «لا يحلّ لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث»<sup>(٢)</sup>.

(١) سورة يونس: ٤٤.

(٢) مسند أحمد ٤: ٣٢٧، صحيح البخاري ٧: ٩٠٠ كتاب الأدب، باب ٦١، صحيح

فما بال هذه الأمة قد انقسمت وافتترقت، وأصبحت دويلات يعادي بعضها البعض، ويحارب بعضها البعض، ويكفر بعضها البعض، وحتى لا يعرف بعضها البعض الآخر، فيجره طيلة حياته؟!

ما لهذه الأمة - يا أبانا إبراهيم - بعدما كانت خير الأمم، وقد ملكت الشرق والغرب، وأوصلت للناس الهداية والعلوم والمعرفة والحضارة، إذا بها اليوم أصبحت أقل الأمم وأذلها، فأراضيهم مغتصبة، وشعوبهم مشردة، ومسجدهم الأقصى تحتله عصابة من الصهاينة ولا يقدرون على تحريره، وإذا زرت بلدانهم فإنك لا ترى إلا الفقر المدقع، والجوع القاتل، والأراضي القاحلة، والأمراض الفتاكة، والأخلاق السيئة، والتخلف الفكري والتقني، والظلم والاضطهاد، والأوساخ والحشرات؟!

ويكنيك فقط أن تقارن بيوت الرّاحة (المراحيض) العمومية كيف هي في أوروبا وكيف هي عندنا، فإذا دخل المسافر إلى المراحيض في أوروبا بأسرها وجدها نظيفة تلمع كالبلور، وفيها روائح طيبة، بينما لا يطبق المسافر إلى البلاد الإسلامية الدخول إلى المراحيض لعفونتها ونجاستها وتوتنتها، ونحن الذين علمنا الإسلام: أن النظافة من الإيمان والوسخ من الشيطان، فهل تحوّل الإيمان إلى أوروبا وسكن الشيطان عندنا؟

لماذا أصبح المسلمون يخافون من إظهار عقيدتهم حتى في بلدانهم، ولا يتحكّم المسلم حتى في وجهه، فلا يتمكن من إعفاء لحيته، ولا من لبسه الزيّ الإسلامي، بينما يتجاهر الفاسقون بشرب الخمر والزنا وهتك الأعراس، ولا يقدر

---

➤ مسلم ٨: ٨، كتاب البر والصلة، باب النهي عن التحاسد، صحيح ابن حبان ١٢:

٤٧٩، سنن ابن ماجة ١: ١٨، سنن أبي داود ٢: ٤٥٨، سنن الترمذي ٣: ٢٥٢،

السنن الكبرى للبيهقي ٦: ٦٢، مجمع الزوائد ٨: ٦٦، وغيرها من المصادر.

المسلم دفعهم بل ولا حتى أمرهم بالمعروف ونهيههم عن المنكر، وقد بلغني أن في بعض البلاد الإسلامية مثل مصر والمغرب يبعث الآباء بناتهم للبعاء من شدة الفقر والبؤس والاحتياج، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

يا إلهي لماذا ابتعدت عن هذه الأمة وتركتها تتخبط في الظلمات؟!!

لا.. لا.. استغفرك يا إلهي وأتوب إليك، فهي التي ابتعدت عنك، عن ذكرك، واختارت طريق الشيطان، وأنت جلّت حكمتك، وتعالى قدرتك قلت وقولك الحق: ﴿وَمَنْ يَعِشْ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ تَقِيضَ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾<sup>(١)</sup>.

وقلت أيضاً: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾<sup>(٢)</sup>.

ولا شك أن ما وصلت إليه الأمة الإسلامية من الانحطاط، والتخلف، والذلة، والمسكنة لدليل قاطع على بعدها عن الصراط المستقيم، ولا شك أن القلة القليلة أو الفرقة الواحدة من بين ثلاثة وسبعين لا تؤثر في مسيرة أمة بأكملها.

وقد قال رسول الله ﷺ: «لتأمرن بالمعروف ولتنهين عن المنكر، أو ليسألن الله عليكم شراركم، فيدعو خياركم فلا يستجاب لهم»<sup>(٣)</sup>.

ربنا آمنا بما أنزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين، ربنا لا تزغ قلوبنا

(١) سورة الزخرف: ٣٦.

(٢) سورة آل عمران: ١٤٤.

(٣) الجامع الصغير للسيوطي ٢: ٤٠١، مسند أحمد ٥: ٣٨٩، سنن الترمذي ٣: ٣١٧، سنن أبي داود ٢: ٣٢٣، بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث: ٢٤٢، مسند أبي يعلى ٨: ٣١٣، المعجم الأوسط ٢: ٩٩، مجمع الزوائد ٧٠: ٢٦٦، الأستذكار لابن عبد البر ٨: ٥٨٥، باختلاف في المصادر في الفاظ الحديث.

بعد إذ هديتنا، وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب، ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين.

سافرت إلى المدينة المنورة محملاً برسالة من صديقي بشير إلى أحد أقربائه لكي أقيم عنده مدة بقائي هناك، وقد كلمه من قبل في الهاتف، واستقبلني هذا الأخير ورحب بي وأنزلي في بيته.

وتوجهت فور وصولي إلى زيارة رسول الله، فاغتسلت وتطيبت، ولبست أحسن ثيابي وأطهرها، وكان الزوار قليلين بالنسبة إلى موسم الحج، فتمكنت من الوقوف أمام قبر رسول الله وأبي بكر وعمر، ولم أكن أتمكن من ذلك في موسم الحج لكثرة الازدحام.

وحاولت عبثاً أن أمس أحد الأبواب للتبرك، فانتهرني الحرس الواقف هناك، وكان على كل باب حرس يحرسه، ولما أطلت الوقوف للدعاء وإبلاغ السلام الذي حملني إياه أصدقائي أمرني الحراس بالانصراف، وحاولت أن أتكلم مع واحد منهم ولكن دون جدوى.

ورجعت إلى الروضة المطهرة حيث جلست اقرأ ما تيسر من القرآن، وأحسن الترتيل وأعيده مرّات، لأنني تخيلت وكأن رسول الله ﷺ يستمع إلي، وقلت في نفسي: أيمن أن يكون الرسول ميتاً كسائر الأموات، فلماذا نقول في صلاتنا: (السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته) بصفة المخاطب؟! (١).

---

(١) من الأمور الثابتة عند المسلمين أنّ الأنبياء أحياء في قبورهم، وقد وردت بذلك آثار صحيحة تصل إلى حد التواتر قال الألباني في صحيحته ٢: ١٨٧ «٦٢١ - الأنبياء صلوات الله عليهم أحياء في قبورهم يصلون» أخرجه البزار في مسنده (٢٥٦)، وتمام الرازي في الفوائد (رقم ٥٦ - نسختي)، وعنه ابن عساكر في تاريخ

➤ دمشق (٢/٢٨٥/٤)، وابن عدي في الكامل (ق ٢/٩٠)، والبيهقي في حياة الانبياء (ص ٣،...).

وقال الكتاني في النظم المتناثر من الحديث المتواتر: ١٢٦ - ١٢٧: «١١٥ - حياة الأنبياء في قبورهم..»

قال السيوطي في مرقاة السعود: تواترت بها الأخبار. وقال في أنباء الأنبياء بحياة الأنبياء ما نصّه: حياة النبي ﷺ في قبره وسائر الأنبياء معلومة عندنا علماً قطعياً، لما قام عندنا من الأدلة في ذلك، وتواترت به الأخبار الدالة على ذلك، وقد ألف الإمام البيهقي - رحمه الله - جزءاً في حياة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام في قبورهم.

وقال ابن القيم في كتابه الروح نقلاً عن ابن عبد الله القرطبي: صحّ عن النبي ﷺ أن الأرض لا تأكل أجساد الأنبياء، وأنه ﷺ اجتمع بالأنبياء ليلة الإسراء في بيت المقدس وفي السماء خصوصاً بموسى، وقد أخبره بأنه ما من مسلم يسلم عليه إلا ردّ الله عليه روحه حتى يردّ عليه السلام إلى غير ذلك مما يحصل من جملته القطع بأنّ موت الأنبياء إنّما هو راجع إلى أن غيّبوا، وذلك كالحال في الملائكة فإنّهم أحياء موجودون ولا نراهم».

وأنشد العلامة ابن حجر الهيتمي قصيدة في ذلك شرحها محمّد حبيب الله الشنقيطي:

«تواترت الأدلة والنقول	فما يحصي المصنّف ما يقول
بأنّ المصطفى حيّ طري	هلال ليس يطرقه أقول
وأنّ الجسم منه بقاعٍ لحدٍ	كورد لا يدنسه الذبول
وأنّ الهاشمي يكلّ وصفٍ	جميل لا يغيره الحلول
ويسمعهم اذا صلّوا عليه	بأذنيه فقصر يا ملول
ومن لم يعتقد هذا بطه	يقيناً فهو زنديق جهول
عبيد هيثمي مستجير	بمن حطّت بساحته الحمول»

وإذا كان المسلمون يعتقدون بأن سيدنا الخضر عليه السلام لم يمّت (١)، ويردّ السلام

➤ ارغام المبتدع الغبي بجواز التوسّل بالنبي للغماري: ٢٠.

وقال الشوكاني في نيل الأوطار ٣: ٣٠٥: «وأخرج البيهقي في السنن - أيضاً - حديثاً آخر بلفظ: أكثروا علي الصلاة يوم الجمعة وليلة الجمعة، فمن صلّى عليّ صلاة صلّى الله تعالى عليه عشراً... والأحاديث فيها مشروعية الإكثار من الصلاة على النبي صلّى الله عليه وآله يوم الجمعة، وأنها تعرض عليه صلّى الله عليه وآله، وأنه حي في قبره. وقد أخرج ابن ماجة بإسناد جيد أنه صلّى الله عليه وآله قال لأبي الدرداء: «إنّ الله عزّ وجلّ حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء».

وفي رواية للطبراني: «ليس من عبد يصلي عليّ إلا بلغني صلاته. قلنا: وبعد وفاتك؟

قال: وبعد وفاتي إنّ الله عزّ وجلّ حرّم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء». وقد ذهب جماعة من المحققين إلى أن رسول الله صلّى الله عليه وآله حيّ بعد وفاته، وأنّه يسرّ بطاعات أمته، وأنّ الأنبياء لا يبيلون، مع أنّ مطلق الإدراك كالعلم والسمع ثابت لسائر الموتى.

وقد صحّ عن ابن عباس مرفوعاً: «ما من أحد يمرّ على قبر أخيه المؤمن. وفي رواية: بقبر الرجل كان يعرفه في الدنيا فيسلم عليه، إلا عرفه وردّ عليه». ولابن أبي الدنيا: «إذا مرّ الرجل بقبر يعرفه فيسلم عليه ردّ عليه السلام وعرفه، وإذا مرّ على قبر لا يعرفه ردّ عليه السلام».

وصحّ أنّه صلّى الله عليه وآله كان يخرج إلى البقيع لزيارة الموتى ويسلم عليهم. وورد النصّ في كتاب الله في حقّ الشهداء وأنّهم أحياء يرزقون، وأنّ الحياة فيهم متعلّقة بالجسد فكيف بالأنبياء والمرسلين!؟

وقد ثبت في الحديث أنّ الأنبياء أحياء في قبورهم رواه المنذري وصحّحه البيهقي. وفي صحيح مسلم عن النبي صلّى الله عليه وآله قال: مررت بموسى ليلة أُسري بي عند الكتيّب الأحمر وهو قائم يصليّ في قبره».

(١) ذكر كلّ من الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية ١: ٢٥٥، والسيد محمود

➤ الألويسي في تفسير روح المعاني ٨: ٣٠٣، سورة الكهف: أن رأي الجمهور على بقاء الخضر عليه السلام وحياته.

وقال النووي في «تهذيب الأسماء» ١: ١٧٧ رقم ١٤٧ «قال الأكثرون من العلماء هو حيّ موجود بين أظهرنا... قال الشيخ أبو عمرو بن الصلاح في فتاويه: هو حي عند جماهير العلماء والصالحين والعامّة معهم في ذلك، قال: وإنما شدّد بإنكاره بعض المحدثين».

وقال القرطبي في تفسيره ١١: ٢٩ سورة الكهف بعدما ذكر القول بعدم حياته: «والصحيح القول الثاني وهو أنّه حيّ. ثمّ أورد استدلال الثقات لحياته محتجّين برواية من صحيح مسلم وردّ احتجاجهم وفسر الحديث بخلاف تفسيرهم، ثمّ قال: وقد ذكر أبو إسحاق الثعلبي في كتاب العرائس: والصحيح أنّ الخضر نبيّ معمرّ محجوب عن الأبصار، وروى محمّد بن المتوكّل عن ضمرة بن ربيعة عن عبد الله بن شوذب قال: الخضر.. وإلياس من بني إسرائيل يلتقيان كلّ عامّ في الموسم.

وعن عمرو بن دينار قال: إنّ الخضر وإلياس لا يزالان حيّين في الأرض ما دام القرآن على الأرض فإذا رفع ماتا.

وقد ذكر شيخنا الإمام أبو محمّد عبد المعطي بن محمود بن عبد المعطي اللخمي في شرح رسالة له للقسيري حكايات كثيرة عن جماعة من الصالحين والصالحات بأنّهم رأوا الخضر عليه السلام ولقوه، يفيد مجموعها غاية الظن بحياته مع ما ذكره النقاش والثعلبي وغيرهما.

وقد جاء في صحيح مسلم ٨: ١٩٩: «إنّ الدجال ينتهي إلى بعض السباخ التي تلي المدينة فيخرج إليه يومئذ رجل هو خير الناس...» وفي آخره قال أبو إسحاق: يقال إنّ هذا الرجل هو الخضر...».

وذكر ابن حجر الهيثمي في الصواعق المحرقة ٢: ٦٦٤: «ولنختم هذا الكتاب بحكاية



❖ جليلة نفيسة فيها فوائد غريبة وهي: إنّ أبا نعيم أخرج بسند صحيح عن رباح بن عبيدة، قال: خرج عمر بن عبدالعزيز إلى الصلاة وشيخ يتوكأ على يده فقلت في نفسي: إنّ هذا الشيخ جاف، فلما صلّى ودخل لحقته، فقلت: أصلح الله الأمير من الشيخ الذي كان يتكىء على يدك؟ قال: يا رباح رأيتَه؟ قلت: نعم.

قال: ما أحسبك إلّا رجلاً صالحاً، ذاك أخي الخضر...». وقال محقق الكتاب عبدالرحمن التركي وكامل محمّد الخراط: «ذكر القصة أبو نعيم في الحلية ٥: ٢٥٤، والسيوطي في تاريخ الخلفاء: ١٩٣، وابن حجر في الإصابة ١: ٤٤٦، وقال عقيبها: هذا أصلح إسناد وقفت عليه في هذا الباب، وقد أخرجه أبو عروبة الحرّاني في تاريخه عن أيوب بن محمّد الوراق... وقد أسهب الحافظ في الكلام على الخضر وحياته والأقوال المذكورة فيه، والروايات التي تذكر اجتماع الناس به في ترجمته للخضر عليه السلام في الإصابة ١: ٤٢٨ - ٤٤٧، وفيها كلام نفيس». وقال النووي في شرح مسلم ١٨: ٧٢: «قال أبو إسحاق: يقال: إنّ هذا الرجل هو الخضر عليه السلام».

أبو إسحاق هذا هو إبراهيم بن سفيان راوي الكتاب عن مسلم. وكذا قال معمر في جامعه في أثر هذا الحديث كما ذكره ابن سفيان. وهذا تصرّيح منه بحياة الخضر عليه السلام، وهو الصحيح».

وقال الأربلي في كشف الغمّة ٣: ٢٩١: «وأما الخضر وإلياس فقد قال ابن جرير الطبري: والخضر وإلياس باقيان يسيران في الأرض».

وقال ابن حجر في الإصابة ٢: ٢٥٢: «وقال النووي في تهذيبه: قال الأكثرون من العلماء: هو حي موجود بين أظهرنا وذلك متفق عليه عند الصوفية وأهل الصلاح والمعرفة، وحكايتهم في رؤيته والاجتماع به والأخذ عنه وسؤاله وجوابه ووجوده في المواضع الشريفة ومواطن الخير أكثر من أن تحصى وأشهر من

على كل من سلّم عليه، بل وإن مشايخ الطرق الصوفية يعتقدون جزماً بأن شيخهم أحمد التيجاني أو عبد القادر الجيلاني، يأتون إليهم جهاراً ويقظة لا مناماً، فلماذا نشحُّ على رسول الله بمثل هذه المكرمة، وهو أفضل الخلق على الإطلاق.

ولكن يخفّف على نفسي أن المسلمين لا يشحّون بذلك على رسول الله إلا الوهاية الذين بدأت أنفر منهم لهذا ولعدة أسباب أخرى، منها الغلظة التي شاهدها فيهم، والشدة على المؤمنين الذين يخالفونهم في معتقداتهم.

زرت البقيع وكنت واقفاً أترحم على أرواح أهل البيت، وكان بالقرب مني شيخ طاعن في السن يبكي، وعرفت من بكائه أنه شيعي، واستقبل القبلة وبدأ يصلي وإذا بالجندي يأتي إليه بسرعة وكأنه كان يراقب تحركاته وركله بحذائه ركلة وهو في حالة سجود، فقلبه على ظهره وبقي المسكين فاقد الوعي بضع دقائق، وانهاه عليه الجندي ضرباً وسباً وشتماً، ورقّ قلبي لذلك الشيخ وظننت أنه مات، ودفعتني فضولي وأخذتني الحمية وقلت للجندي: حرام عليك لماذا تضربه وهو يصلي؟ فانتهرني قائلاً: أسكت أنت ولا تتدخل حتى لا أصنع بك مثله<sup>(١)</sup>.

### ☞ أن تذكر.

وقال أبو عمرو بن الصلاح في فتاويه: هو حي عند جماهير العلماء الصالحين والعامّة منهم قال: وإثماً شذّب بانكاره بعض المحدثين».

وقال العجلوني في كشف الخفاء ١: ٤٢٦: «والصوفية وكثير من المحدثين والفقهاء على حياته - يعني الخضر عليه السلام -».

وفي الدر المنثور ٤: ٢٣٩: «وأخرج ابن شاهين عن خصيف قال: أربعة من الأنبياء أحياء، اثنان في السماء عيسى وإدريس، واثنان في الأرض الخضر وإلياس، فأما الخضر فإنه في البحر، وأما صاحبه فإنه في البر».

(١) يعرف المذهب الوهابي بالانتماء إلى المذهب الحنبلي، وهذا المذهب معروف

➤ بالشدة والغلظة والتسرّع في تكفير المسلمين واتّهامهم بالخروج عن الدين، لأُمور أسسوها وعقائد اخترعوها وعلى ضوئها يطلقون الأحكام على المسلمين، وهم أكثر الناس تسرّعاً في تكفير المسلمين والحكم بخروجهم عن الدين، ومن شاء فليرجع إلى كتبهم ليرى ذلك بوضوح ككتاب (السنة) لعبد الله ابن احمد بن حنبل، وكتابه (السنة) لابييه أحمد بن حنبل، وكتاب (السنة) لابن أبي عاصم، وكتاب (الشريعة) للأجري، وكتاب (السنة) للبرهاري، و(شرح اعتقاد أهل السنة) لللالكائي والتوحيد لابن خزيمة وغيرها من الكتب العقائدية التي ذكرت على ضوء منهج مذهب أحمد بن حنبل، ثمّ جاء بعده ابن تيمية الحرّاني وابن كثير وأخيراً طوّر الدعوة محمّد بن عبد الوهاب وأوصلها إلى الذروة التي وصلت لها الآن، ونذكر للقارئ بعض العناوين التي يذكرونها في حق خصومهم:

١ - يقولون بضلالة أكثر الأُمّة وانحرافها عن الحقّ :

قال الأجري في كتابه الشريعة ١: ٣٢٣: «من تصفّح أمر هذه الأُمّة من عالم عاقل علم أنّ أكثرهم تجري أمورهم على سنن أهل الكتابين كما قال النبي ﷺ، وعلى سنن كسرى وقيصر، وعلى سنن أهل الجاهليّة، وذلك مثل السلطنة وأحكام العمال والأمرء وغيرهم، وأمر المصائب والأفراح، والمساكل واللباس والحليّة والأكل والشرب... وأشياء لما ذكرت يطول شرحها تجري بينهم على خلاف الكتاب والسنة، وإنّما يجري بينهم على سنن من قبلنا..».

٢ - تكفير من يؤمن بأنّ القرآن مخلوق وتكفير من لم يكفّره :

قال أحمد بن حنبل في كتاب العقيدة: ٧٩: «والقرآن كلام الله تكلم به، ليس بمخلوق، ومن زعم أنّ القرآن مخلوق فهو جهمي كافر، ومن زعم أنّ القرآن كلام الله ووقف ولم يقل ليس بمخلوق فهو أخبث من قول الأوّل، ومن زعم أنّ ألفاظنا به وتلاوتنا له مخلوقة والقرآن كلام الله فهو جهمي، ومن لم يكفّر هؤلاء القوم كلّهم فهو مثلهم».

❦ وقال في ١٢٤: «والدار إذا ظهر فيها القول بخلق القرآن والقدر وما يجري مجرى ذلك فهي دار كفر».

وتكفير من قال بخلق القرآن أرجع إليه في المصادر التالية: كتاب الاعتقاد للبيهقي: ٣٠٣، كتاب السنّة للبرهاري: ٣٢٩، نونية ابن القيم الجوزية ١: ١٢١ بشرح محمّد خليل هراس، واللالكائي في كتابه شرح أصول اعتقاد أهل السنّة ١: ٢٧٥.

٣- السنّة واتباعها يدور مدارها على حبّ الأشخاص :  
قال اللالكائي في كتابه شرح أصول اعتقاد أهل السنّة ١: ٦٩: «٣٨ - أخبرنا علي بن محمّد بن عمر، ثنا عبد الرحمن بن أبي حاتم، ثنا محمّد بن مسلم، ثنا حماد بن زاذان قال: سمعت عبد الرحمن بن مهدي يقول: إذا رأيت بصريّاً يحب حماد بن زيد فهو صاحب سنّة».

وقال كذلك ١: ٧٤: «٥٨ - سمعت أحمد بن عبد الرحمن بن يونس يقول: امتحن أهل الموصل بمعافي بن عمران فإنّ أحبوه فهم أهل سنّة، وإن أبغضوه فهم أهل بدعة..».

وكذلك إرجع إلى كتاب السنّة للبرهاري: ١١١.

٤ - الكتب التي يؤلفونها حقّ كلّها ومن خالفها أو خالف بعضاً منها فهو مبتدع ضال :  
قال الحسن البرهاري في كتابه شرح السنّة: ١٠٠ مكفراً كلّ من يخالف حرفاً واحداً من كتابه: «فرحم الله عبداً ورحم والديه قرأ هذا الكتاب وبتّه وعمل به، ودعا إليه واحتجّ به، فإنّه دين الله ودين رسول الله ﷺ، فإنّه من استحل شيئاً خلاف ما في هذا الكتاب فإنّه ليس يدين الله بدين، وقد رده كلّ، كما لو أنّ عبداً آمن بجميع ما قاله الله تبارك وتعالى إلا أنه شكّ في حرف فقد رد جميع ما قال الله تعالى، وهو كافر».

وكذلك في كتاب عقيدة السلف وأصحاب الحديث للصابوني: ٤٤٩، وكتاب شرح أصول اعتقاد أهل السنّة للالكائي ٤: ٧، وكتاب التوحيد لابن خزيمة: ٤.

٥ - فاسق أهل السنة وفاجرهما أفضل من عبّاد المبتدعة :

قال الحسن البربهاري الحنبلي في كتابه شرح السنّة: ١١٤: «وإذا رأيت الرجل من أهل السنّة ردي الطريقة والمذهب، فاسقاً فاجراً صاحب معاصي ضالاً وهو على السنّة فاصحبه، واجلس معه، فإنّه ليس يضرك معصيته.

وإذا رأيت الرجل مجتهداً في العبادة متقشفاً محترفاً بالعبادة، صاحب هوى فلا تجالسّه ولا تقعد معه، ولا تسمع كلامه ولا تمش معه في طريقه، فإنّي لا آمن أن تستحلي طريقته فتهلك»، وكذلك البيهقي في كتاب الاعتقاد: ٣٦٤.

ومقصودهم من السنّة هو التمسك بالعقائد التي اصطنعوها باجتهاداتهم وآرائهم حتّى لو لم يرد بها نصّ عن الله أو الرسول ﷺ كالقول بعدم خلق القرآن وتكفير القائل بالخلق وتكفير من لم يكفره، وحبّ الأشخاص كأحمد بن حنبل وغيره، والإيمان بكلّ كلمة يقولونها.. وغير ذلك. فهذا ما يعتقدون بأنّه سنّة والمعتقد به حتّى لو فعل كلّ شيء فهو صاحب سنّة، ومن لم يعتقد به فلو أطاع الله في كلّ شيء لمّا نفعه ذلك.

٦ - صاحب البدعة ليس له توبة حتّى لو رجع عن بدعته، بخلاف العاصي من أهل

السنّة والمصرّ على المعصية إلى الموت فيرجى له العفو :

قال اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنّة ١: ١٥٩: «عن عطاء الخراساني قال: ما يكاد الله أن يأذن لصاحب بدعة بتوبة.

وعن معاوية بن صالح قال: إنّ الحسن بن أبي الحسن قال: أبى الله تبارك وتعالى أن

يأذن لصاحب هوى بتوبة»، بينما قال في: ١٨٢ عند نقله لعقيدة إمامه أحمد بن

حنبل قال: «ومن لقي الله بذنب يجب له به النار تائباً غير مصرّ عليه فإنّ الله عزّ

وجلّ يتوب عليه.. ومن لقيه مصرّاً غير تائب من الذنوب التي استوجبت العقوبة

فأمره إلى الله عزّ وجلّ إن شاء عذّبه وإن شاء غفر له».

٧ - من أعاد الصلاة خلف الحاكم الجائر فهو مبتدع، ومن خرج على الحاكم الجائر

☞ فميتته ميتة جاهلية :

قال اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة ١: ١٨٨ عند نقله لعقيدة علي بن  
المديني التي لم يقل أحدٌ بخصلة منها فهو ليس من أهل السنة: «ثمّ السمع  
والطاعة للأئمة وأمراء المؤمنين، البرّ والفاجر ومن ولي الخلافة بإجماع الناس  
ورضاهم، لا يحلّ لاحدٍ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يبيت ليلة إلا عليه إمام برّاً  
كان أو فاجراً فهو أمير المؤمنين.

وصلاة الجمعة خلفه وخلف من ولاة جائزة قائمة ركعتان من أعادهما فهو مبتدع  
تارك للإيمان مخالف وليس له من فضل الجمعة شيء إذا لم ير الجمعة خلف  
الأئمة من كانوا برّهم وفاجرهم، والسنة أن يصلّوا خلفهم لا يكون في صدره  
حرج من ذلك.

ومن خرج على إمام من أئمة المسلمين وقد أجمع عليه الناس فأقرّوا له بالخلافة بأيّ  
وجه كان برضاً كانت أو بغلبة فهو شاقّ هذا الخارج عليه العصا وخالف الآثار  
عن رسول الله ﷺ، فإنّ مات الخارج عليه مات ميتة جاهلية.  
ولا يحلّ قتال السلطان ولا الخروج عليه لأحدٍ من الناس فمن عمل ذلك فهو مبتدع  
على غير السنة».

٨ - موقفهم من أبي حنيفة النعمان :

قال اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة ٢: ٣٦٥: «حدّثنا سفيان الثوري قال:  
قال لي حماد بن أبي سليمان: أبلغ عني أبا حنيفة المشرك أني بريء منه حتّى  
يرجع عن قوله في القرآن».

وساق عبد الله بن أحمد بن حنبل في كتاب السنة الأوصاف التي وصموا بها أبا  
حنيفة فقال: «كافر، زنديق، مات جهميّاً، ينقض الإسلام عروة عروة، ما ولد في  
الإسلام أشأم ولا أضر على الأمة منه، وإنّه يكيد الدين، وأنّ أبا حنيفة أكبّه الله في  
النار، وأنّ أبا حنيفة من المرجئة، وأنّ أبا حنيفة أوّل من قال بخلق القرآن، وإنّه

☞ يترك الحديث إلى الرأي، ولو ورّع خطأه على الأمة لوسعهم، وأنّ أبا حنيفة وأصحابه شرّ الطوائف جميعاً، وأتّه استتیب من الكفر مرتين، واستتیب من كلام الزنادقة مراراً وأتّه كان فاسداً، وأنّ كثيراً من العلماء جوّزوا لعنه» كتاب السنّة: ١٨٤ - ٢١٠.

٩ - التجسيم والتشبيه الذي يؤمنون به :

في كتاب الصفات للحسن بن علي بن إبراهيم الحنبلي وأورد فيه حديث عرق الخيل والذي هو: «إن الله لما أراد أن يخلق نفسه خلق الخيل فأجراها حتّى عرقت ثمّ خلق نفسه من ذلك العرق» سير أعلام النبلاء ٢١: ١٦٠.

وفي طبقات الحنابلة ١: ٢١٨: «روى عبد الصمد بن يحيى الحنبلي قال: قال لي شاذان: اذهب إلى أبي عبد الله - احمد بن حنبل - فقل: ترى لي أن أحدث بحديث قتادة عن عكرمة عن ابن عباس قال: (رأيت ربي عزّ وجلّ في صورة شاب)؟ قال: فأتيت أبا عبد الله فقلت له؟

فقال لي: قل له: تحدّث به، قد حدّث به العلماء»

وغير ذلك من التشبه والتجسيم المنتشر في كتبهم ككون الله يجلس على العرش ويأط به أطيّط الرجل، وأنّ الله شاب أمرد جعد ققط عليه جبّة حمراء، وأنّ الله محدود حدّ.. وغير ذلك تجدها منتشرة في كتبهم كطبقات الحنابلة، والسنّة لعبد الله بن أحمد بن حنبل، والسنّة للبربهاري وغيرها من الكتب.

١٠ - الألفاظ التي يطلقونها في خصومهم :

١ - وصف لمن ينكر قولهم بالإلحاد، ارجع إلى كتاب القول المبين في إثبات الصورة لربّ العالمين: ٣٣، ٣٥، ٤٠، ٤١، ٤٢، ٤٤، ٤٧، ٥١.

٢ - أنّهم أضلّ من البهائم. المصدر السابق: ١٠.

٣ - انه يجب قتلهم وتطهير البلاد منهم المصدر السابق: ١٦.

٤ - والسبّ واللّعن لمن يخالفهم. كتاب التوحيد لابن خزيمة: ٢٢، ٢٦، ٨٤.

٥ - أنهم أشبه الناس باليهود والنصارى. المصدر السابق: ١٠١.

قال ابن الجوزي واصفاً الحالة التي وصلت بالحنابلة: «ورأيت من أصحابنا من تكلم في الأصول بما لا يصح، وانتدب للتصنيف ثلاثة: أبو عبد الله بن حامد، وصاحبه القاضي أبو يعلى وابن الزاغوني، فصنفوا كتباً شأنوا بها المذهب، ورأيتهم قد نزلوا إلى مرتبة العوام فحملوا الصفات على مقتضى الحسن، فسمعوا أن الله سبحانه وتعالى خلق آدم عليه الصلاة والسلام على صورته فأثبتوا له صورة ووجهاً زائداً على الذات، وعينين، وفماً، ولهوات، واضراساً وأضواء لوجهه هي السباحات، ويدين وأصابع، وكفاً وخنصرأ، وأبهاماً وصدراً، وفخذاً وساقين ورجلين، وقالوا: ما سمعنا بذكر الرأس!! وقالوا: يجوز ان يمس ويؤمس، ويديني العبد من ذاته، وقال بعضهم: ويتنفس!

ثم إنهم يرضون العوام بقولهم: لا كما يعقل.

وقد أخذوا بالظاهر في الأسماء والصفات يسموها بالصفات، تسمية مبتدعة لا دليل لهم في ذلك من النقل ولا من العقل، ولم يلتفتوا إلى النصوص الصارفة عن الظواهر إلى المعاني الواجبة لله تعالى، ولا إلى إلغاء ما توجهه الظواهر من سمات الحدث، ولم يقنعوا بأن يقولوا: صفة فعل حتى قالوا: صفة ذات.

ثم لما أثبتوا أنها صفات قالوا: لا نحملها على توجيه اللغة مثل يد على نعمة وقدرة، ولا مجيء وإتيان على برٍ ولطفٍ، ولا ساق على شدة، بل قالوا: نحملها على ظواهرها المتعارفة والظاهر هو المعهود من نعوت الآدميين، والشيء إنما يحمل على الحقيقة إذا أمكن، فإن صرف صارف حمل على المجاز، ثم يتخرجون من التشبيه ويأنفون من إضافته إليهم ويقولون: نحن أهل السنة وكلامهم صريح في التشبيه.

وقد تبعهم خلق من العوام، وقد نصحت التابع والمتبوع فقلت لهم: يا أصحابنا، أنتم أصحاب نقل واتباع، وأما حكم الأكبر أحمد بن حنبل - رحمه الله تعالى - يقول



وهو تحت السياط: كيف أقول ما لم يقل، فإياكم أن تبتدعوا في مذهبه ما ليس منه، ثم قلت في الأحاديث تحمل على ظاهرها، فظاهر القدم الجارحة، فانه لما قيل في عيسى عليه الصلاة والسلام روح الله اعتقدت النصرى لعنهم الله تعالى أن الله سبحانه وتعالى صفة هي روح ولجت في مريم. ومن قال استوى بذاته المقدسة فقد أجراه سبحانه وتعالى مجرى الحسيات. وينبغي أن لا يهمل ما يثبت به الأصل وهو العقل فإننا به عرفنا الله تعالى وحكمنا له بالقدم، فلو أنكم قلتُم نقرأ الأحاديث ونسكت لما أنكر أحد عليهم، إنما حملكم إياها على الظاهر قبيح.

فلا تدخلوا في مذهب هذا الرجل الصالح السلفي ما ليس منه، فلقد كسبتم هذا المذهب شيئاً قبيحاً، حتى صار لا يقال عن حنبلي إلا مجسّم، ثم زينتُم مذهبكم أيضاً بالعصبيّة ليزيد بن معاوية وقد علمتم أنّ صاحب المذهب أجاز لعنته. وقد كان أبو محمّد التميمي يقول في بعض أئمّتكم: لقد شان المذهب شيئاً قبيحاً لا يغسل إلى يوم القيامة» دفع شبهة التشبيه : ٦ - ٩ تحقيق العلامة محمّد زاهد الكوثري.

وقال الشيخ يوسف القرضاوي واصفاً لهم: «وقد عرفنا في عصرنا أناساً يجهدون أنفسهم ويجهدون الناس معهم، ظانّين أنّهم قادرون على أن يصبّوا الناس في قالب واحد، يصنعونه هم لهم، وأن يجتمع الناس على رأي واحد، يمشون فيه وراءهم وفق ما فهموه من النصوص الشرعية، وبذلك تنقرض المذاهب، ويرتفع الخلاف، ويلتقي الجميع على كلمة سواء.

ونسى هؤلاء أن فهمهم للنصوص ليس أكثر من رأي يحتمل الخطأ كما يحتمل الصواب، إذ لم تضمن العصمة لعالم فيما ذهب إليه، وإن جمع شروط الاجتهاد كلّها، كلّ ما ضمن له هو الأجر على اجتهاده أصاب أم أخطأ.

ولا تحسبن أنّي أنكر عليهم دعوتهم إلى اتباع النصوص أو اجتهادهم في فهمها فهذا

ولما رأيت في عينيه الشرَّ تجنّبته وأنا ساخط على نفسي العاجزة عن نصره

من حق كلّ مسلم استوفى شروط الاجتهاد وأدواته.  
ولا يملك أحد أن يغلق باباً فتحه رسول الله ﷺ للأمة، إنّما أنكر عليهم تطاولهم على مناهج علماء الأمة، واحتقارهم الفقه الموروث، ودعاواهم العريضة في أنّهم وحدهم على الحقّ، وما عداهم على خطأ أو ضلال، وتوهمهم أنّ باستطاعتهم إزالة الخلاف وجمع الناس قاطبة على قول واحد هو قولهم.  
قال لي واحد من طلبة العلم المخلصين من تلاميذ هذه المدرسة، مدرسة الرأي الواحد: ولم لا يلتقي الجميع على الرأي الذي معه النصّ؟  
قلت: لا بدّ أن يكون النصّ صحيحاً مسلماً به عند الجميع، ولا بدّ من أن يكون صريح الدلالة على المعنى المراد، ولا بدّ أن يسلم من معارض مثله أو أقوى منه من نصوص الشريعة الجزئية أو قواعد الكلية، فقد يكون النصّ صحيحاً عند إمام ضعيفاً عند غيره، وقد يصحّ عنده ولكن لا يسلم بدلالته على المراد، فقد يكون عند هذا عامّاً وعند غيره خاصّاً، وقد يكون عند إمام مطلقاً وعند آخر مقتداً، وقد يراه هذا دليلاً على الوجوب أو الحرمة، ويراه ذلك على الاستحباب أو الكراهة، وقد يعتبره بعضهم محكماً ويراه غيره منسوخاً إلى غير ذلك من الاعتبارات...  
كتاب الصحوة الإسلامية: ١٦٣.

وقد لاحظنا طرفاً من المنهاج الذي يسيرون عليه والعقائد التي يؤمنون بها، سواء استفادوها خطأ من النصّ أو قالوا بها من عندياتهم، وعلى ضوئها كفرّوا بقيّة المسلمين وحكموا عليهم بالبدعة والضلال وممارسة أنواع الشرك المنهيّ عنه.. وكيف أنّ العلماء رفضوا هذه الفرقة من أصلها وأصولها وواجهوها بالردود عليها وبيان الحقّ من العقائد والشرع، وبيّنوا أنّ الإسلام سمح سهل يسير ليس بالشدة التي أظهرها وأتته لا يسارع في تكفير المسلمين، وإنّما يبقى المسلم على إسلامه إلى أن يظهر منه صريح الكفر غير القابل للتأويل عند ذلك يكون له حكم آخر.. إمّا لم يصدر منه ذلك أو صدر منه فعلٌ له وجه من مطابقة الشريعة أو كان فيه متأوّلاً أو مجتهداً فلا يحكم عليه بالكفر بل يبقى مرتكبه على إسلامه.

المظلوم، وعلى السعوديين الذين يفعلون بالناس ما بدا لهم بدون رادع ولا وازع ولا من ينكر عليهم.

وكان بعض الزائرين حاضراً فمنهم من حوِّق<sup>(١)</sup> ومنهم من قال: إنَّه يستحقُّ ذلك لأنَّه يصلي حول القبور وهو محرَّم، فلم أتمالك وانفجرت على هذا المتكلم قائلاً: من قال لك بأنَّ الصلاة حول القبور حرام؟

أجابني: قد نهى رسول الله ﷺ عن ذلك.

فقلت بدون وعي: تكذبون على رسول الله، وخشيت أن يتألب عليّ الحاضرون أو ينادوا الجندي فيفتك بي، فتلطّفت قائلاً: إذا كان رسول الله ﷺ قد نهى عن ذلك، فلماذا يخالف نهيه الملايين من الحجّاج والزوّار ويرتكبون حراماً، لأنَّهم يصلّون حول قبر النبي، وقبر أبي بكر، وقبر عمر في المسجد النبوي الشريف، وفي مساجد المسلمين في كلِّ العالم الإسلامي؟!

وعلى افتراض أن الصلّاة حول القبور حرام، أفبهذه الغلظة والشدّة نعالجها أم باللين واللفظ؟!

واسمحوا لي أن أروي لكم قصة ذلك الأعرابي الذي بال في مسجد رسول الله بحضرته وبحضرة أصحابه بدون حياء ولا خجل، ولما قام إليه بعض الصحابة شاهرين سيوفهم ليقتلوه، نهاهم رسول الله ﷺ ومنعهم وقال:

«دعوه ولا تزرموه واهريقوا على بوله دلواً من الماء، إنَّما بعثتم لتيسروا لا لتعسروا، لتبشروا لا لتنفروا».

وما كان من الصحابة إلا أن امتثلوا أمره، ونادى رسول الله الأعرابي وأجلسه إلى جانبه ورحّب به ولاطفه وأفهمه أن ذلك المكان هو بيت الله، ولا يمكن

---

(١) حوِّق: قال لا حول ولا قوة إلا بالله (المؤلف).

تنجيسه، فأسلم الأعرابي ولم يُر بعد ذلك إلا وهو آت المسجد في أحسن ثيابه وأطهرها<sup>(١)</sup>، وصدق الله العظيم إذ يقول لرسوله: ﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾<sup>(٢)</sup>.

وتأثر بعض الحاضرين عند سماع القصة، فاختلئ بي أحدهم إلى جانب وسألني: من أين أنت؟

قلت: من تونس، فسلم عليّ وقال: يا أخي بالله عليك أن تحفظ نفسك ولا تتكلم مثل هذا هنا أبداً، أنصحك لوجه الله.

وازددت بغضاً وحنفاً على هؤلاء الذين يدعون أنهم حماة الحرمين، ويعاملون ضيوف الرحمن بهذه القسوة، ولا يقدر أحد أن يبدي رأيه أو يروي أحاديث لا تتفق وما يروونه، أو يعتقد غير ما يعتقدونه.

رجعت إلى بيت الصديق الجديد الذي لم أعرف اسمه، وقد جاءني بالعشاء وجلس مقابلي، وقبل أن نبدأ في الأكل سألتني أين ذهبت، ورويت له قصتي من أولها إلى آخرها، وقلت في معرض كلامي: يا أخي، أنا بصراحة بدأت أنفر من الوهابية وأميل إلى الشيعة، فتغيّر وجهه وقال لي: إياك أن تتكلم مثل هذا الكلام مرّة أخرى! وغادرني ولم يأكل معي، وانتظرته طويلاً حتى غلبني النوم.

وأفقت باكراً على أذان المسجد النبوي، فرأيت أن الأكل لا يزال في مكانه كما تركته، وعلمت بأنّ مضيبي لم يرجع، وتشككت في أمره وخشيت أن يكون من

(١) وردت بألفاظ وأسانيد مختلفة، راجع سنن النسائي ١: ٤٧، السنن الكبرى للبيهقي ٢: ٤٢٨، مسند أحمد ٢: ٢٣٩، ٢٨٢، سنن أبي داود ١: ٩٤، كنز العمال ٩:

المخابرات، فنهضت مسرعاً وغادرت البيت بدون رجعة، وقضيت كامل اليوم في الحرم النبوي أزور وأصلي وأخرج لقضاء الحاجة والوضوء، وبعد صلاة العصر سمعت أحد الخطباء يلقي درساً وسط جماعة من المصلين، واتجهت وعلمت من بعض الجالسين أنه قاضي المدينة، واستمعت إليه وهو يفسر بعض آيات من الذكر الحكيم، وبعد ما أتم درسه وهم بالخروج استوقفته وسألته قائلاً: سيدي هل لك أن تعطيني مدلول الآية من قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾<sup>(١)</sup>، فمن هم أهل البيت المقصودون بهذه الآية؟

أجابني على الفور: هم نساء النبي، وقد بدأت الآية بذكرهن: ﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ﴾.

قلت له: إن علماء الشيعة يقولون بأنها خاصة بعلي وفاطمة والحسن والحسين، وقد اعترضت عليهم طبعاً وقلت: بأن بداية الآية تقول: (يا نساء النبي)؟

فأجابوني لما كان الكلام عليهنّ جاءت الصيغة كلّها بنون النسوة، فقال تعالى: (لستنّ)، (إن اتقيتنّ)، (فلا تخضعن)، (وقلن)، (وقرن في بيوتكنّ)، (ولا تبرّجن)، (وأقمن الصلاة)، (وآتين الزكاة)، (وأطعن الله ورسوله)، ولما كان هذا المقطع من الآية خاصاً بأهل البيت تغيرت الصيغة.

فقال: (ليذهب عنكم ويطهركم)، فنظر إليّ رافعاً نظارته وقال: إيّاك وهذه الأفكار المسمومة، إنّ الشيعة يؤوّلون كلام الله على حسب أهوائهم، ولهم في عليّ وذريته آيات لا تعرفها، وعندهم قرآن خاصّ يسمّونه مصحف فاطمة، فأنا أحذرك أن يخدعوك.

(١) سورة الأحزاب: ٣٣.

قلت : لا تخف يا سيدي فأنا على حذر وأعرف عنهم الكثير، ولكنني أردت أن أتحقق.

قال : من أين أنت؟

قلت : من تونس.

قال : فما اسمك؟

قلت : التيجاني فضحك مفتخراً، وقال : هل تدري من هو أحمد التيجاني؟  
قلت : هو شيخ الطريقة.

قال : وهو عميل للاستعمار الفرنسي، وقد تركّز الاستعمار الفرنسي في الجزائر وتونس بإعانتته، وإذا زرت باريس فاذهب للمكتبة القوميّة واقرأ بنفسك القاموس الفرنسي في باب (أ) فستري أن فرنسا أعطت وسام الشرف لأحمد التيجاني الذي قدّم لها خدمات لا تقاس، فتعجبت من قوله وشكرته وودّعته وانصرفت.

بقيت في المدينة أسبوعاً كاملاً حيث صلّيت أربعين صلاة وزرت المزارات كلّها، وكنت دقيق الملاحظة خلال إقامتي هناك، فلم أزد من الوهاية إلا بعداً ونفوراً، وارتحلت من المدينة المنوّرة إلى الأردن حيث التقيت أصدقاءً هناك كنت تعرّفت عليهم في ملتقى الحج الذي أشرتُ إليه سابقاً.

وبقيت معهم ثلاثة أيام، ووجدت عندهم حقداً على الشيعة أكثر ممّا عندنا في تونس، فنفس الروايات ونفس الإشاعات ذاتها، وليس هناك واحد سألته عن الدليل إلا وقال بأنّه يسمع عنهم، ولم أجد أحداً منهم جالس الشيعة، أو قرأ كتاباً للشيعة، ولا حتّى التقى شيعياً في حياته.

رجعت من هناك إلى سوريا، وفي دمشق زرت الجامع الأموي، وإلى جانبه مرقد رأس سيّدنا الحسين، كما زرت ضريح صلاح الدين الأيوبي، والسيدة زينب،

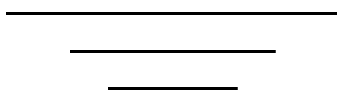
ومن بيروت قطعت مباشرة إلى طرابلس، ودامت الرحلة أربعة أيام في البحر، استرحت خلالها بديناً وفكرياً، واستعرضت شريط الرحلة التي أوشكت على النهاية، فإذا بي أستنتج ميلاً واحتراماً للشيعة، وفي نفس الوقت بعداً ونفوراً وسخطاً على الوهابية التي عرفت دسائسها، وحمدت الله على ما أنعم به عليّ، وما أولاني من عناية ورعاية، داعياً إياه سبحانه وتعالى أن يهديني إلى طريق الحقّ.

ورجعت إلى أرض الوطن وكلّي شوق وحنين إلى أسرتي وأهلي وأصدقائي، ووجدت الجميع بخير، وفوجئت عند دخولي إلى منزلي بكثرة الكتب التي وصلت قبلي وعرفت مصدرها، ولما فتحت تلك الكتب التي ملأت البيت ازددت حباً وتقديراً لأولئك الذين لا يخلفون وعدهم، وقد وجدت هنا أضعاف ما أهدي إليّ هناك.





# بداية البحث





## بداية البحث

فرحت كثيراً، ونظّمت الكتب في بيت خاصّ سمّيته بالمكتبة، واسترحت أياماً، وتسلمت جدول أوقات العمل بمناسبة بداية السنّة الدراسية الجديدة، فكان عملي ثلاثة أيّام متوالية من التدريس، وأربعة أيّام متوالية من الرّاحة في الأسبوع. وبدأت أقرأ الكتب، فقرأت كتاب عقائد الإماميّة، وأصل الشيعة وأصولها، وارتاح ضميري لتلك العقائد وتلك الأفكار التي يرتبها الشيعة، ثمّ قرأت كتاب المراجعات للسيد شرف الدين الموسوي، وما أن قرأت منه بضع صفحات حتّى استهواني الكتاب وشدّني إليه شدّاً، فكنت لأتركه إلاّ غصباً، وكنت أحمله في بعض الأحيان إلى المعهد، وأدهشني الكتاب بما حواه من صراحة العالم الشيعي، وحلّه لما أشكل على العالم السنّي شيخ الأزهر.

وجدت في الكتاب بغيتي، لأنّه ليس كالكتب التي يكتب فيها المؤلف ما يشاء بدون معارض ولا مناقش، فالمراجعات هو حوار بين عالمين من مذهبين مختلفين، يحاسب كلّ منهما صاحبه على كلّ شاردة وواردة، على كلّ صغيرة وكبيرة متوحّين في ذلك المرجعين الأساسيين لكافة المسلمين، وهما القرآن الكريم والسنّة الصحيحة المتفق عليها في صحاح السنّة، فكان الكتاب بحق يمثل دوري كباحث يفتش عن الحقيقة ويقبلها أينما وجدت، وعلى هذا كان الكتاب مفيداً جدّاً، وله فضل عليّ عميم.

ووقفت مبهورتاً عندما كان يتكلّم عن عدم امتثال الصحابة لأوامر الرسول،

ويسوق لذلك عدّة أمثلة، ومنها حادثة رزية يوم الخميس، إذ لم أكن أتصور أنّ سيّدنا عمر بن الخطّاب يعترض على أمر رسول الله ويرميه بالهجر، وظننت بادئ الأمر أنّ الرواية هي من كتب الشيعة، وازدادت دهشتي وحيرتي عندما رأيت العالم الشيعي ينقلها من صحيح البخاري وصحيح مسلم، وقلت في نفسي: إن وجدت هذا في صحيح البخاري فسيكون لي رأي.

وسافرت إلى العاصمة ومنها اشتريت صحيح البخاري، وصحيح مسلم، ومسند الإمام أحمد، وصحيح الترمذي، وموطأ الإمام مالك وغيرها من الكتب الأخرى المشهورة، ولم أنتظر الرجوع إلى البيت، فكنت طوال الطريق بين تونس وقفصة - وأنا راكب في حافلة الثقل العمومية - أتصفح كتاب البخاري، وأبحث عن رزية يوم الخميس متمنياً أن لا أعرّ عليها، ورغم أنني وجدتتها وقرأتها مرّات عديدة، فكانت كما نقلها السيّد شرف الدين.

وحاولت تكذيب الحادثة برمتها، واستبعدت أن يقوم سيّدنا عمر بذلك الدّور الخطير، ولكن أتى لي تكذيب ما ورد في صحاحنا، وهي صحاح أهل السنّة والجماعة التي ألزمتنا بها أنفسنا وشهدنا بصحّتها، والشكّ فيها أو تكذيب بعضها يستلزم طرحها، لأنّه هو الآخر يستلزم طرح كلّ معتقداتنا.

ولو كان العالم الشيعي ينقل من كتبهم ما كنت لأصدّق أبداً، وأمّا أن ينقل من صحاح أهل السنّة التي لا مجال للطعن فيها، وقد أخذنا على أنفسنا بأنّها أصحّ الكتب بعد كتاب الله، فيصبح الأمر ملزماً وإلاّ استلزم الشكّ في هذه الصحاح، وعند ذلك لا يبقى معنا من أحكام الإسلام شيء نعتمده، لأنّ الأحكام التي وردت في كتاب الله جاءت مجعّلة غير مفصّلة، ولأنّنا بعيدون عن عصر الرسالة، وقد ورثنا أحكام ديننا أباً عن جدّ عن طريق هذه الصحاح، فلا يمكن بحال من الأحوال طرح هذه الكتب.

وأخذت على نفسي عهداً، وأنا أدخل هذا البحث الطويل العسير، أن أعتمد الأحاديث الصحيحة التي اتفق عليها السنة والشيعه، وأن أطرح الأحاديث التي انفرد بها فريق دون الآخر، وبهذه الطريقة المعتدلة أكون قد ابتعدت عن المؤثرات العاطفية، والتعصبات المذهبية، والنزعات القومية أو الوطنية، وفي الوقت نفسه أقطع طريق الشك لأصل إلى حبل اليقين، وهو صراط الله المستقيم.

## بداية الدراسة المعمّقة

### الصحابة عند الشيعة والسنة:

من أهم الأبحاث التي أعتبرها الحجر الأساسي في كلّ البحوث التي تقود إلى الحقيقة، هو البحث في حياة الصحابة وشؤونهم وما فعلوه وما اعتقدوه، لأنهم عماد كلّ شيء، وعنهم أخذنا ديننا، وبهم نستضيء في الظلمات لمعرفة أحكام الله. ولقد سبق لعلماء الإسلام - لقناعتهم بذلك - البحث عنهم وعن سيرتهم، فألّفوا في ذلك كتباً عديدة أمثال: أسد الغابة في معرفة الصحابة، وكتاب الإصابة في تمييز الصحابة، وغيرها من الكتب التي تناولت حياة الصحابة بالتّقد والتحليل، ولكنّها من وجهة نظر أهل السنة والجماعة<sup>(١)</sup>.

---

(١) هذه الكتب بحثت حياة الصحابة، وتعرّضت لأفعالهم وتصرفاتهم التي ارتكبوها في حياتهم، سواء ما كان منها في حياة النبي ﷺ أو بعد وفاته، وهذه الكتب وإن كانت مؤلّفة على طريقة أهل السنة وعلى منهجهم من عدالة جميع الصحابة، وإن مؤلّفيهما ممن يعتقدون بذلك إلا أنّ ذلك لا يمنع من رجوع الباحث المنصف لها، والاستفادة منها من خلال الإطلاع على أفعال الصحابة وأخلاقياتهم وما صدر عنهم، ودراسة ذلك بشكل موضوعي من أجل الوصول إلى الحقيقة أو الاقتراب منها، بدل الاعتماد على التقليد الأعمى الذي لم يبتن على

➤ أسس رصينة وقواعد متقنة أو أدلة معتمدة... وإنما ابتنى على أقوال وكلمات أرسلت أرسال النص المنزل غير القابل للنقاش السندي أو الممتني!! وإن شككت في قائله فلك كل الويل والثبور وصبت عليك لعنات الأحياء ومن في القبور.. وهم مع حرصهم الشديد على إخفاء الكثير من العيوب، والتستر عليها، والتقليل من شأنها، ومن الشواهد على ذلك ما ذكره العلامة محمد ناصر الدين الألباني في صحيحته ٧/٧٢٣ بعد إخراج حديث لعن الحكم بن العاص وتصحيحه قال: «وإني لأعجب أشدّ العجب من تواطؤ بعض الحفاظ المترجمين لـ (الحكم) على عدم سوق بعض هذه الأحاديث وبيان صحّتها في ترجمته أهي رهبة الصحبة وكونه عمّ عثمان بن عفان رضي الله عنه!!

أم هي ظروف حكومية أو شعبية كانت تحول بينهم وبين ما كانوا يريدون التصريح به من الحق؟!!

فهذا ابن الأثير مثلاً يقول في أسد الغابة: «وقد روي في لعنه ونفيه أحاديث كثيرة لا حاجة إلى ذكرها!! إلا أنّ الأمر المقطوع به أنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم مع حلمه وإغضائه على ما يكره ما فعل به ذلك إلا لأمر عظيم».

وأعجب منه صنيع ابن حجر في الإصابة فإنه مع إطالته في ترجمته صدرها بقوله: «قال ابن السكن: يقال إنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم دعا عليه ولم يثبت»!!

وأعجب من ذلك كُله تحقّق الحافظ الذهبي بقوله في ترجمة الحكم من تاريخه ٢: ٩٦: «وقد وردت أحاديث متكررة في لعنه لا يجوز الاحتجاج بها وليس له في الجملة

خصوص الصحبة بل عمومها!!»

كذا قال مع أنّه بعد صفحة واحدة ساق رواية الشعبي عن ابن الزبير مصححاً إسناده كما تقدّم. ومثل هذا التلون أو التناقض ممّا يفسح المجال لأهل الأهواء أن يأخذوا منه ما يناسب أهواءهم.

وغير ذلك ممّا يطول ذكره، وتكثر الأوراق بتسويد كلماتهم فيها، فإنّ المحدثين وإن

☞ كانت أحكامهم تنطلق من عقائدهم المسبقة ومتبنياتهم القبليّة إلا أنّ ما سطرته أقلامهم ودوّنوه في صفحاتهم من ذكر كثير من الأفعال المشينة والتصرّفات المخزية التي لا تليق بمسلم فضلاً عن ان يتسمّى صحابي، ويشار له بالبنان، ويطبّق عليه أي القرآن، ممّا يعطي للباحث المنصف الوسيلة التي يستطيع بها إصدار حكمه بشكل صحيح، بعد الإطلاع على الأدلّة والأقوال وقارن بينهما وبين التصرفات الصادرة من الصحب المدوّنة في تراجمهم وخاض في غمارها واستخرج النتيجة المطلوبة منها.

وبهذا تعرف أنّ ما ذكره الدكتور الرحيلي في كتابه الانتصار للصحب والآل من افتراءات السماوي الضال: ٢٢٢ بقوله: «إنّ هذين الكتابين لإمامين جليلين من أئمة أهل السنّة، يدينان الله بعدالة الصحابة، ويعرفان لهم فضلهم ومكانتهم، فأسد الغاية للإمام ابن الأثير، والإصابة للحافظ ابن حجر رحمهما الله تعالى، وقد نصّ كلّ منهما على عدالة الصحابة في مقدّمة كتابه، وبَيّن أنّ الصحابة كلّهم عدول لا يبحث عن عدالتهم، ولا يتطرّق إليهم الجرح بحال قال ابن الأثير رحمه الله: والصحابة يشاركون سائر الرواة في جميع ذلك إلا في الجرح والتعديل فانّهم كلّهم عدول..»

وقال ابن حجر:.. أتفق أهل السنة على أنّ الجميع عدول.

فكيف يسوغ في عقل أن يقرّر كلّ واحد من هذين الإمامين القول بعدالة الصحابة، وأنّه لا يبحث عن عدالتهم ولا يتعرّض لهم بنقد ولا بتجريح في مقدّمة كتابه ثمّ ينقض ذلك في الكتاب نفسه بتجريح الصحابة والطنع فيهم؟!

هذا ما ذكره الدكتور الرحيلي في الاعتراض على التيجاني وعلى كلّ من يحاول المساس بقاعدة عدالة عموم الصحابة من خلال كتب تراجم الصحابة!

والأستاذ الرحيلي ذهب بعيداً في استنتاجه وأخذ يحطب بليل في كلام المؤلف، فقد فهم الرحيلي من كلام التيجاني أنّ الكتب المذكورة المترجمة للصحابة تطعن في



وثمة إشكال يتلخّص في أنّ العلماء الأوائل غالباً ما كانوا يكتبون ويؤرّخون بالنحو الذي يوافق آراء الحكام من الأمويين والعباسيين الذين عرفوا بعدائهم لأهل البيت النبوي، بل ولكلّ من يشايعهم ويتبع نهجهم، ولهذا فليس من الإنصاف الاعتماد على أقوالهم دون أقوال غيرهم من علماء المسلمين الذين اضطهدتهم تلك الحكومات وشرّدتهم وقتلتهم، لأنّهم كانوا أتباع أهل البيت، وكانوا مصدر تلك

---

➤ الصحابة، بينما نرى مؤلفيها في أوّل صفحات منها يقرّون بعدالة عموم الصحابة، ويحكمون على من يحكم بعدم عدالتهم بالابتداع، فعليه يكون التيجاني غير منطقي في كلامه.

ولكن هناك غفلة كبيرة صدرت من الدكتور الرحيلي، وهي تصدر دائماً من أمثال الدكتور الذين يتسرّعون في الأحكام ويطلقونها على عواهنها من غير تريث أو تروء، فالمؤلف لم يقل بأنّ هؤلاء العلماء المترجمين كابن حجر وابن الأثير والذهبي وغيرهم قد طعنوا بالصحابة في كلماتهم، بل بالعكس هؤلاء المحدثين صدّروا كتبهم المترجمة للصحابة بعدالتهم جميعاً بلا استثناء، إلّا أنّهم في تراجمهم للصحابة ذكروا في أفعالهم وتصرفاتهم ما يندى له الجبين، ويسودّ منه ماء اللجين، من القتل والهتك والانقلاب على الأعقاب وما شاكل ذلك، فمن كان منصفاً وله قلب يسمع ولم يحمل ترسبات سابقة يتضح لديه جلياً أنّ الصحابة لا يمكن الحكم بعدالتهم جميعاً، لوجود من ارتد وبدّل وغيره...، وإنّ حكم أصحاب التراجم بعدالتهم ونزاهتهم فإنّ تلك ناشئة من عقيدتهم، ولذلك صدّروا الكتاب بها، وجعلوها في أوّل الصفحات.

فإذن حكم المحدثين المترجمين للصحابة بعدالتهم عموماً شيء، وبيان أفعالهم وأقوالهم التي صدرت منهم شيء آخر.. فالأمر الأوّل ليس مرتبطاً بالأمر الثاني بتاتاً، فيمكن للباحث المنصف أن يستنتج من الأمر الثاني ما يخالف الأمر الأوّل كلياً.. وهذا هو الذي يقصده المؤلف من كلامه وهو جلي واضح فيه، إلّا أنّ ذهنيّة الرحيلي ومن على شاكلته مبنيّة على برمجة معيّنة يصعب الخروج منها!

الثورات ضد السلطات الغاشمة والمنحرفة.

والمشكل الأساسي في كل ذلك هو الصحابة، فهم الذين اختلفوا في أن يكتب لهم رسول الله ذلك الكتاب الذي يعصمهم من الضلالة إلى قيام الساعة، واختلف فهم هذا هو الذي حرم الأمة الإسلامية من هذه الفضيلة، ورمها في الضلالة حتى انقسمت وتفرقت، وتنازعت وفشلت وذهبت ريحها.

وهم الذين اختلفوا في الخلافة، فتوزعوا بين حزب حاكم وحزب معارض، وسبب ذلك تخلف الأمة وانقسامها إلى شيعة علي وشيعة معاوية، وهم الذين اختلفوا في تفسير كتاب الله وأحاديث رسوله، فكانت المذاهب والفرق والملل والنحل<sup>(١)</sup>، ونشأت من ذلك المدارس الكلامية والفكرية المختلفة، وبرزت فلسفات متنوعة أملتها دوافع سياسية محضة تتصل بطموحات الهيمنة على السلطة والحكم. فالمسلمون لم ينقسموا ولم يختلفوا في شيء لولا الصحابة، وكل خلاف نشأ وينشأ إنما يعود إلى اختلافهم في الصحابة، فالرب واحد، والقرآن واحد، والرسول

(١) قال محمد أبو زهرة في كتابه «تاريخ المذاهب الإسلامية»: ١٣: «ومن الأسباب الجوهرية التي أحدثت الخلاف السياسي: تعرّف من الذي يكون أولى بخلافة النبي ﷺ في حكم أمته، وقد انبعث ذلك النوع من الخلاف عقب وفاة النبي ﷺ مباشرة...».

وقال في: ٢٩٩: «وإنّ الأخذ بأقوال الصحابة كان سبباً من أسباب اختلاف المذاهب من نواح ثلاث: الأولى: إنّ بعض الفقهاء كان إذا رأى قول صحابي استغنى بقوله عن الاجتهاد، وبعض الفقهاء اعتبره حجة أمام الحديث المروي عن النبي ﷺ إذا كان لا يتصوّر إلا أنّه يكون نقلاً...»

الثانية: إنّ الفقهاء يختلفون في الصحابي الذي يتبع.. وبمقدار الاختلاف فيما بينهم يكون اختلاف الذين يتبعونهم.

الثالثة: إنّ بعض الفقهاء قرروا أنّ الصحابة ليست أقوالهم حجة».

واحد، والقبلة واحدة، وهم متفقون على ذلك. وبدأ الخلاف والاختلاف في الصحابة من اليوم الأول بعد وفاة الرسول ﷺ في سقيفة بني ساعدة، واستمر إلى يوم الناس هذا، وسيستمر إلى أن يشاء الله.

وقد استنتجت من خلال الحديث مع علماء الشيعة أن الصحابة في نظرهم ينقسمون إلى ثلاثة أقسام :

فالقسم الأول : هم الصحابة الأخيار الذين عرفوا الله ورسول الله حق المعرفة، وبايعوه على الموت، وصاحبه بصدق في القول، وباخلاص في العمل، ولم ينقلبوا بعده، بل ثبتوا على العهد، وقد امتدحهم الله جل جلاله، في كتابه العزيز في العديد من المواقع، وقد أثنى عليهم رسول الله في العديد من المواقع أيضاً، والشيعة يذكرونهم باحترام وتقديس، ويطرون عليهم، كما يذكرهم أهل السنة باحترام وتقديس أيضاً.

والقسم الثاني : وهم الصحابة الذين اعتنقوا الإسلام، وأتبعوا رسول الله إما رغبة أو رهبة، وهؤلاء كانوا يمتنون إسلامهم على رسول الله، وكانوا يؤذونه في بعض الأوقات، ولا يمثلون لأوامره ونواهيه، بل يجعلون لآرائهم مجالاً في مقابل النصوص الصريحة حتى ينزل القرآن بتوبيخهم مرة، وتهديدهم أخرى، وقد فضحهم الله في العديد من الآيات، وحذرهم رسول الله - أيضاً - في العديد من الأحاديث النبوية، والشيعة لا يذكرونهم إلا بأفعالهم بدون احترام ولا تقديس.

أما القسم الثالث من الصحابة : فهم المنافقون الذين صحبوا رسول الله للكيد له، وقد أظهروا الإسلام، وانطوت سرائرهم على الكفر، وقد تقرّبوا ليكيدوا للإسلام والمسلمين عامة، وقد أنزل الله فيهم سورة كاملة، وذكرهم في العديد من المواقع، وتوعدهم بالدرك الأسفل من النار، وقد ذكرهم رسول الله ﷺ، وحذر منهم، وعلم بعضاً من أصحابه أسماءهم وعلاماتهم، وهؤلاء يتفق الشيعة والسنة على لعنهم والبراءة منهم.

وهناك قسم خاص - وإن كانوا من الصحابة - فهم يتميِّزون عليهم بالقرابة وبفضائل خلقية ونفسية، وخصوصيات اختصَّهم الله ورسوله بها لا يلحقهم فيها لاحق، وهؤلاء هم أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً<sup>(١)</sup>، وأوجب الصلاة عليهم كما أوجبها على رسوله، وأوجب لهم سهماً من الخمس<sup>(٢)</sup>، كما أوجب مودَّتهم على كلِّ مسلم كأجر للرَّسالة المحمَّدية<sup>(٣)</sup>.

فهم أولو الأمر الذين أمر بطاعتهم<sup>(٤)</sup>، وهم الراسخون في العلم الذين يعلمون تأويل القرآن، ويعلمون المتشابه منه والمحكم<sup>(٥)</sup>، وهم أهل الذكر الذين قرنهم رسول الله بالقرآن في حديث الثقلين وأوجب التمسك بهما، وجعلهم كسفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق.

والصحابا يعرفون قدر أهل البيت ويعظِّمونهم ويحترمونهم، والشيعا يقتدون بهم ويقدمونهم على كلِّ الصحابة، ولهم في ذلك أدلة من النصوص الصريحة.

أما أهل السنَّة والجماعة، مع احترامهم لأهل البيت وتعظيمهم وتفضيلهم، إلاَّ أنهم لا يعترفون بهذا التقسيم للصحابة، ولا يعدُّون المناقنين في الصحابة، بل الصحابة في نظرهم خير الخلق بعد رسول الله.

وإذا كان هناك تقسيم فهو من باب فضيلة السبق للإسلام والبلاء الحسن فيه، فيفضِّلون الخلفاء الراشدين بالدرجة الأولى، ثمَّ السنَّة الباقيين من العشرة المبشِّرين

(١) سورة الأحزاب: ٣٣.

(٢) سورة الأنفال: ٤١.

(٣) سورة الشورى: ٢٣.

(٤) سورة النساء: ٥٩.

(٥) سورة آل عمران: ٧.

بالجَنَّةِ على ما يروونه.

ولذلك تراهم عندما يصلُّون على النبي وأهل بيته يلحقون بهم الصحابة  
أجمعين بدون استثناء.

هذا ما أعرفه من علماء أهل السنَّة والجماعة، وذاك ما سمعته من علماء الشيعة  
في تقسيم الصحابة، وهذا ما دعاني إلى أن أجعل بحثي يبدأ بهذه الدراسة المعمَّقة  
حول الصحابة وعاهدت ربِّي - إن هداني - أن أتجرَّد من العاطفة لأكون حيادياً  
موضوعياً، ولأسمع القول من الطرفين فأتبع أحسنه، ومرجعي في ذلك :

١ - القاعدة المنطقية السليمة وهي أن لا أعتد إلا ما اتفقوا عليه جميعاً في  
خصوص التفسير لكتاب الله، والصحيح من السنَّة النبويَّة الشريفة.

٢ - العقل فهو أكبر نعمة من نعم الله على الإنسان، إذ به كرَّمه وفضَّله على  
سائر مخلوقاته، ألا ترى أن الله سبحانه عندما يحتجُّ على عباده يدعوهم للتعقل  
بقوله :

« أفلا يعقلون، أفلا يفقهون، أفلا يتدبرون، أفلا يبصرون... » الخ.

وليكن إسلامي مبدئياً إيماناً بالله وملائكته وكتبه ورسله، وأنَّ محمداً عبده  
ورسوله، وأنَّ الدين عند الله الإسلام، ولا أعتد في ذلك على أيِّ واحد من الصحابة  
مهما كانت قرابته ومهما علت منزلته، فأنا لست أمويّاً، ولا عبّاسياً، ولا فاطمياً، ولا  
سنياً ولا شيعياً، وليست لي أيُّ عداوة لأبي بكر، ولا لعمر، ولا لعثمان، ولا لعلي، ولا  
حتّى لو حشي قاتل سيّدنا الحمزة ما دام أنَّه أسلم، والإسلام يجبُّ ما قبله، وقد عفى  
عنه رسول الله ﷺ.

وما دمت أقحمت نفسي في هذا البحث بغية الوصول للحقيقة، وما دمت قد  
تجرّدت من كلِّ الأفكار المسبقة بكلِّ إخلاص، فأنا أبدأ هذا البحث على بركة الله في  
مواقف الصحابة.



الصحابة

في صلح الحديبية

—————  
—————





## (١) الصحابة في صلح الحديبية

مجمل القصة أن رسول الله ﷺ خرج في السنة السادسة للهجرة يريد العمرة مع ألف وأربعمائة من أصحابه، فأمرهم أن يضعوا سيوفهم في القرب، وأحرم هو وأصحابه بذي الحليفة، وقلدوا الهدى ليعلم قريشاً أنه إنما جاء زائراً معتمراً وليس محارباً، ولكن قريشاً بكبريائها خافت أن يسمع العرب بأن محمداً دخل عنوة إلى مكة وكسر شوكتها، فبعثوا إليه بوفد يرأسه سهيل بن عمرو بن عبد ود العامري، وطلبوا منه أن يرجع في هذه المرة من حيث أتى على أن يتركوا له مكة في العام القادم ثلاثة أيام، وقد اشترطوا عليه شروطاً قاسية قبلها رسول الله ﷺ لاقضاء المصلحة التي أوحى بها إليه ربه عز وجل.

ولكن بعض الصحابة لم يعجبهم هذا التصرف من النبي، وعارضوه في ذلك معارضة شديدة، وجاءه عمر بن الخطاب فقال: ألسنت نبي الله حقاً؟

قال: بلى.

قال عمر: ألسنا على الحق وعدونا على الباطل؟

قال: بلى، قال عمر: فلم نعطي الدنية في ديننا إذا؟

قال رسول الله ﷺ: إني رسول الله ولست أعصيه وهو ناصري،

قال عمر: أولست كنت تحدثنا أنا سنأتي البيت فنطوف به؟

قال: بلى، أفأخبرتك أنا نأتيه العام؟

قال عمر: لا.

قال: فإنك آتية ومطوف به.

ثم أتى عمر بن الخطاب إلى أبي بكر فقال: يا أبا بكر أليس هذا نبي الله حقاً؟

قال: بلى، ثم سأله عمر نفس الأسئلة التي سألها رسول الله، وأجابته أبو بكر

بنفس الأجوبة قائلاً له: أيها الرجل، إنّه لرسول الله وليس يعصي ربّه، وهو ناصره فاستمسك بغرزه<sup>(١)</sup>.

ولمّا فرغ رسول الله من كتاب الصلح قال لأصحابه: قوموا فانحروا ثمّ أحلقوا، فوالله ما قام منهم رجل حتّى قال ذلك ثلاث مرات، فلمّا لم يمتثل لأمره منهم أحد؛ فدخل خباءه ثمّ خرج فلم يكلم أحداً منهم بشيء حتّى نحر بُدنة بيده، ودعا حالقه فحلق رأسه، فلمّا رأى أصحابه ذلك قاموا فانحروا وجعل بعضهم يحلق بعضاً، حتّى كاد بعضهم يقتل بعضاً<sup>(٢)</sup>.

هذه مجمل قصّة الصلح في الحديبية، وهي من الأحداث المتفق عليها عند

(١) لا أدري لماذا هذه المراجعة الثانية لأبي بكر، ألا يطمئن قلب عمر بن الخطّاب بكلام النبي ﷺ؟ وهل يثق بكلام أبي بكر ويطمئن له أكثر من النبي ﷺ؟! ولا أدري لماذا يغضب عمر من كلام النبي ولا يغضب من أبي بكر لما أجابه نفس الجواب، ذكر البخاري في كتاب التفسير في سورة الفتح: «فقال ﷺ: يا بن الخطّاب إنّي رسول الله ولن يضيّعني الله أبداً، فرجع متغيّظاً فلم يصبر حتّى جاء أبا بكر فقال: يا أبا بكر، ألسنا على الحقّ؟ قال: يا بن الخطّاب، إنّه رسول الله ولن يضيّعه الله أبداً»، وفي السيرة الحلبية ٣: ٢٨ «ولقي عمر من ذلك الشروط... أمراً عظيماً، وجعل يردّ على رسول الله ﷺ الكلام...».

(٢) وردت هذه القصّة بأسانيد وألفاظ مختلفة راجع: صحيح البخاري ٢: ٩٧٤ كتاب الشروط، باب شروط الجهاد، وأيضاً كتاب التفسير في تفسير سورة الفتح، مسند أحمد ٣: ٤٨٦، ٤: ٣٣١، المصنّف للصنعاني ٥: ٣٣٩، صحيح ابن حبان ١١: ٢٢٤، تفسير الطبري ١٣: ١١٧، تفسير ابن كثير ٤: ٢١٣، البداية والنهاية ٤: ٢٠٠، السنن الكبرى للبيهقي ٩: ٢٢٠، المعجم الكبير للطبراني ٢٠: ١٤، الدرّ المنثور للسيوطي ٦: ٧٧، نيل الأوطار للشوكاني ٨: ١٨٧، السيرة الحلبية ٣:

الشيعة والسنة، وقد ذكرها المؤرخون وأصحاب السير كالطبري، وابن الأثير، وابن سعد وغيرهم كالبخاري ومسلم.

وأنا لي هنا وقفة، فلا يمكن لي أن أقرأ مثل هذا ولا أتأثر، ولا أعجب من تصرف هؤلاء الصحابة اتجاه نبيهم، وهل يقبل عاقل قول القائلين بأن الصحابة رضي الله عنهم كانوا يمثلون أوامر رسول الله ﷺ وينفذونها، فهذه الحادثة تكذبهم وتقطع عليهم ما يرومون، هل يتصور عاقل بأن هذا التصرف في مواجهة النبي هو أمر هيين أو مقبول أو معذور؟!

قال تعالى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ (١).

فهل سلم عمر بن الخطاب هنا، ولم يجد في نفسه حرجاً مما قضى الرسول ﷺ؟! أم كان في موقفه تردد في ما أمر النبي وخصوصاً في قوله: أولست نبي الله حقاً أولست كنت تحدثنا إلى آخره؟!

وهل سلم بعدما أجابه رسول الله بتلك الأجوبة المقنعة؟

كلا لم يقتنع بجوابه وذهب يسأل أبا بكر نفس الأسئلة، وهل سلم بعدما أجابه أبو بكر ونصحه أن يلزم غرز النبي؟ لا أدري إذا كان سلم بذلك أو اقتنع بجواب النبي أو بجواب أبي بكر!! وإلا لماذا تراه يقول عن نفسه: «فعملت لذلك أعمالاً..» (٢).

(١) سورة النساء: ٦٥.

(٢) ورد في صحيح ابن حبان ١١: ٢٢٤ «قال عمر بن الخطاب: فعملت في ذلك أعمالاً، يعني في نقض الصحيفة»، وقال ابن حجر في فتح الباري ٥: ٢٥٥ «قال بعض الشراح: قوله: أعمالاً، أي من الذهب والمجيء والسؤال والجواب، ولم يكن ذلك شكاً من عمر بل طلباً لكشف ما خفي عليه وحثاً على إزال الكفار...».

❖ أقول: إنَّ عمر اعترف بنفسه بالشك حيث قال: «ما شككت منذ أسلمت إلا يومئذٍ» (انظر المصنّف لعبد الرزاق ٥: ٣٣٩، صحيح ابن حبان ١١: ٢٢٤، المعجم الكبير للطبراني ٢٠: ١٤، تفسير الطبري ٢٦: ١٢٩، الدرّ المنثور للسيوطي ٦: ٧٧، تفسير الثعلبي ٩: ٦٠)، ولا ريب أنّ هذه الجملة دالّة على أنّ عمر كان شاكّاً في دينه، ولا شكّ أن الشكّ في الدين كفر، والتعصّب الأعمى لتقديس عمر بن الخطّاب وغيره الكثير من الشخصيات المصطنعة ادّى بابن حجر العسقلاني مع تعلات عمر هذه واعترافاته وشكوكه إلى جعله الأعمى بشؤون الدين ومصالحة من رسول الله ﷺ!!

وذكر الألوسي في تفسيره ١٣: ٢٧٣ «فلما تأخر ذلك (أي تأخر تعبير الرؤيا التي رآها النبي ﷺ في دخول مكة) قال على طريق الاعتراض عبد الله بن أبي، وعبد الله بن نفيل ورفاعة بن الحرث: والله ما حلقنا ولا قصرنا ولا رأينا المسجد الحرام. وقد روي عن عمر قال نحوه على طريق الاستكشاف ليزداد يقينه!» ولا ندري لماذا تأثر عمر بالمنافقين وأخذ يردّد كلامهم، ونحن نأخذ برواية الألوسي ونترك درايته.

وفي الأزمنة الأخيرة ظهرت نابته تدّعي لنفسها العلم، وتطلق الكلمات بدون تثبت، حتّى تجرّأت وأخذت تطعن في أهل البيت ﷺ، فلما راوا صنائع الخليفة عمر بن الخطّاب المزرية في صلح الحديبية، وكيفية اعتراضه على الرسول الأكرم ﷺ، ومكالمته بشدّة وغلظة، وعدم اقتناعه بما قاله ﷺ، وإقراره بأنّه فعل أفعالاً وأعمالاً يعلمها الله سبحانه وتعالى، وفوق ذلك كلّه إقراره بأنّه ما شك في الإسلام إلا ذلك اليوم الذي صالح فيه النبي ﷺ مع مشركي قريش، فلما رأى أنصار عمر بن الخطّاب ومحبيه هذه الأفعال الشنيعة والأعمال الغريبة التي تستوقف القارئ للتأمل حتّى أخذوا بالطعن بعميد أهل البيت ﷺ وهو الإمام علي ﷺ فقالوا: علي بن أبي طالب لم يمتثل أمر رسول الله ﷺ عندما أمره بمحو

☞ اسمه من كتاب الصلح؛ فإذن لم يخالف النبي ﷺ عمر فقط وإنما علي بن أبي طالب خالف النبي ﷺ وعصى أمره؟! وفي الجواب نكتفي بنقل كلام الإمام الشوكاني والنووي فإنهما قد أجادا في دفع هذا الوهم:

قال الإمام الشوكاني في نيل الأوطار ٢: ٢٢٩: «قال الآسنوي: قد اشتهر زيادة سيدنا قبل محمد عند أكثر المصلين، وفي كون ذلك أفضل نظر.

وقد روي عن ابن عبد السلام أنه جعله من باب سلوك الأدب، وهو مبني على أن سلوك طريق الأدب أحب من الامتثال، ويؤيده حديث أبي بكر حين أمره ﷺ أن يثبت مكانه فلم يمتثل وقال: ما كان لابن أبي قحافة أن يتقدم بين يدي رسول الله ﷺ، وكذلك امتناع علي عن محو اسم النبي ﷺ من الصحيفة في صلح الحديبية بعد أن أمره بذلك وقال: لا أمحو اسمك أبداً.. فتقريره ﷺ لهما على الامتناع من امتثال الأمر تأدباً مشعر بأولويته»، وأيضاً نقله العظيم آبادي في عون المعبود ٣: ١٩١.

وقال النووي في شرح مسلم ١٢: ١٢٦: «قوله: (فقال النبي ﷺ لعلي: إمحه! فقال: ما أنا بالذي أمحاه)، هكذا هو في جميع النسخ بالذي أمحاه، وهي لغة في أمحوه. وهذا الذي فعله علي ﷺ من باب الأدب المستحب لأنه لم يفهم من النبي ﷺ تحميم محو علي بنفسه ولهذا لم ينكر..».

ويقرّب من هذا الكلام ما ذكره - أيضاً - الجصاص في كتاب الفصول في الأصول ٤: ٤٩٠، والصالحي الشامي في كتاب سبل الهدى والرشاد ٥: ٧٧.

وقال ابن حجر في فتح الباري ٧: ٥٠٣: «ثم قال لعلي: إمح رسول الله، أي إمح هذه الكلمة المكتوبة من الكتاب.

فقال: لا والله لا أمحوا أبداً.

وللنسائي من طريق علقمة بن قيس عن علي قال: كنت كاتب النبي ﷺ يوم

فالله وحده ورسوله يعلم ما هي الأعمال التي عملها عمر، ولا أدري سبب تخلف البقية الباقية من الحاضرين بعد ذلك إذ قال لهم رسول الله: قوموا فانحروا ثم أحلقوا، فلم يستمع إلى أمره أحد منهم، حتى كررها عليهم ثلاث مرّات بدون جدوى.

⊖ الحديبية، فكتب هذا ما صالح عليه محمد رسول الله، فقال سهيل: لو علمنا أنه رسول الله ما قاتلناه امحها، فقلت: هو والله رسول الله ﷺ وإن رغب أنفك، لا والله لا أمحوها، وكأن علياً فهم أن أمره له بذلك ليس متحتماً فلذلك امتنع من امتثاله، ووقع في رواية يوسف بعد فقال لعلي: إمع رسول الله؟ فقال: لا والله لا أمحاه أبداً. قال: فأرنيه، فأراه إياه فمحاها النبي ﷺ بيده، ونحوه في رواية زكريا عند مسلم وفي حديث علي عند النسائي وزاد وقال: أما أن لك مثلاً وستأتيها وأنت مضطر، فبشّر ﷺ إلى ما وقع لعلي يوم الحكمين فكان كذلك».

هذا ما ذكره علماء السنة في دفع هذا الإيهام الذي أورده في حق سيّد العترة الطاهرة علي بن أبي طالب عليه السلام.

ومنه تعرف أنّ هذا يختلف تمام الاختلاف عمّا صدر من عمر بن الخطّاب من أفعال وتصرفات شنيعة يندى لها الجبين، فعلي بن أبي طالب عليه السلام توقّف عن محو اسم النبي ﷺ من الصحيفة تأدّباً وإجلالاً وإكراماً له ﷺ، بينما عمر بن الخطّاب اعترض على كتاب الصلح، ولم يقنع بجواب النبي ﷺ فكلم أبا بكر، وقد شكّ في النبي ﷺ وأمر الدين، وذكر بأنّه فعل أفعالاً الله أعلم بها.. إلى غير ذلك.

فأين فعل عمر بن الخطّاب المخالف للأداب والقيم الإسلامية من فعل علي ابن أبي طالب عليه السلام الموافق للأخلاق والموازين الأدبيّة، مالكم كيف تحكمون!!

بل إنّ الملاحظ جدّاً أنّ عمر بن الخطّاب قد شكّ في أمر النبي ﷺ ولم يفكر بأيّ شيء يخطر على باله بأنّ هنالك مصلحة أو غير ذلك أدّت إلى إبرام عقد الصلح، بينما علي بن أبي طالب كان ثابت الإيمان لم يتغير ولم يتبدّل وازداد قوّة، فلذلك رفض إمحاء اسم رسول الله ﷺ؛ لأنّ يده لا تطيق مسح اسم النبي ﷺ.

سبحان الله! أنا لا أكاد أصدّق ما أقرأ، وهل يصل الأمر بالصحابة لهذه الحدّ في التعامل مع أمر الرسول، ولو كانت هذه القصة مروية من طريق الشيعة وحدهم لعددتُ ما قالوا افتراء على الصحابة الكرام، ولكن القصة بلغت من الصحة والشهرة أن تناقلها كلُّ المحدثين من أهل السنّة والجماعة أيضاً، وبما أنّني ألزمت نفسي توثيق ما اتّفقوا عليه، فلا أراني إلا مسلماً ومتحيراً: ماذا عساني أن أقول؟ وبماذا أعتذر عن هؤلاء الصحابة الذين قضاوا مع رسول الله قرابة عشرين عاماً من البعثة إلى يوم الحديبية، وهم يشاهدون المعجزات وأنوار النبوة؟ والقرآن يعلمهم ليلاً ونهاراً كيف يتأدّبون مع حضرة الرسول وكيف يكلموه، حتّى هدّدهم الله بإحباط أعمالهم إن رفعوا أصواتهم فوق صوته.

ويدفعني إلى الاحتمال بأنّ عمر بن الخطّاب هو الذي أثار بقية الحاضرين، ودفعهم إلى التردّد والتخلّف عن أمر الرسول - زيادة على اعترافه بأنّه عمل لذلك أعمالاً لم يشأ ذكرها - ما يردّده هو في موارد أخرى قائلاً: ما زلت أصوم وأتصدّق وأصلي وأعتق مخافة كلامي الذي تكلمت به... إلى آخر ما هو مأثور عنه في هذه القضية<sup>(١)</sup>.

(١) مسند أحمد ٤: ٣٢٥، تاريخ الطبري ٢: ٢٨٠، البداية والنهاية ٤: ١٩٢، عيون الأثر ٢: ١٢٠، السيرة النبوية لابن كثير ٣: ٣٢٠، السيرة الحلبية ٢: ٧٠٦.

قد يقول بعض إخواننا أهل السنّة: سلّمنا أنّ الصحابة فعلوا ما فعلوا لكنّ الله تعالى أنزل بعد انصرافهم من الحديبية سورة الفتح وجاء فيها قوله تعالى: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ...﴾ فالله تعالى رضي عنهم وغفر لهم.

نقول في الجواب:

أولاً: هذه الآية ليست ناظرة إلى ما فعلوا من المخالفة لأمر النبي ﷺ والتشكيك في

مما يشعرنا بأن عمر نفسه كان يدرك بعد الموقف الذي وقفه ذلك اليوم. إنها قصة عجيبة وغريبة ولكنها حقيقية.

صحة كلامه، بل إنها ناظرة إلى قضية البيعة التي حصلت تحت الشجرة لما وصل إلى النبي ﷺ أن مشركي مكة قبضوا على عثمان ومن كان معه، فبايعوا النبي على الموت أو على أن لا يفروا، وقضية الصلح وشك عمر واعتراضه جاءت متأخرة عنها.

ثانياً: لقد قال تعالى في سورة الفتح قبل هذه الآية: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ فاشتراط تعالى في الأجر والرضى الوفاء وعدم النكث. وفي الدر المنثور للسيوطي ٦: ٧٤ وفتح القدير للشوكاني ٥: ٥٢: «وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس في قوله: «(لقد رضي الله)... فعلم ما في قلوبهم فأنزل السكينة عليهم قال: إنما نزلت السكينة على من علم منه الوفاء».

إذا فالآية مقيدة وليست مطلقة.

ثالثاً: إني أعتقد أن الله تعالى قد غفر تلك الزلة للصحابة المؤمنين الذين علم منهم الوفاء، ورضي عنهم، لكن لا ينقضي عجبني من قول عمر بن الخطاب: «مازلت أصوم وأتصدق...» فإذا كان في قضية الصلح غير مطمئن لقول النبي ﷺ لِمَا اعترض عليه، واطمأن بقول أبي بكر لما أعاد عليه نفس جواب النبي ﷺ، لا أدري لماذا لا يطمئن ولا يسكن لقول الله تعالى حيث وعد أهل الحديبية بالجنة والرضوان؟! هل لكونه لم يكن من المبايعين تحت الشجرة؟! أو لشكّه في شمول كلمة: «المؤمنين» في الآية له؟! أو لأنه عندما صدرت هذه الجملة من عنده افتقد أبا بكر ليرشده وينزل السكينة والأمان على روعه، ويقول له: إن الله قد رضي عنك فلا داعي لهذا التعب والعناء، كما أرشده في صلح الحديبية وبعدهما قبض النبي ﷺ، وفي مواطن أخر؟!!!



الصحابة

ورزية يوم الخميس

---

---

---



## (٢) الصحابة ورزية يوم الخميس

ومجمل القصة: إن الصحابة كانوا مجتمعين في بيت رسول الله قبل وفاته بثلاثة أيام، فأمرهم أن يحضروا له الكتف والدواة ليكتب لهم كتاباً يعصمهم من الضلالة، ولكن الصحابة اختلفوا، ومنهم من عصى أمره واتهمه بالهجر، فغضب رسول الله وأخرجهم من بيته دون أن يكتب لهم شيئاً، وإليك شيئاً من التفصيل:

قال ابن عباس: يوم الخميس وما يوم الخميس، اشتد برسول الله وجعه، فقال: هلمم أكتب لكم كتاباً لا تضلوا بعده، فقال عمر: إن النبي قد غلبه الوجع، وعندكم القرآن حسبنا كتاب الله، فاختلف أهل البيت واختصموا، منهم من يقول: قربوا يكتب لكم النبي كتاباً لا تضلوا بعده، ومنهم من يقول: ما قال عمر.

فلما أكثروا اللغو والاختلاف عند النبي، قال لهم رسول الله ﷺ: قوموا عني، فكان ابن عباس يقول: إن الرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله وبين أن يكتب لهم ذلك الكتاب من اختلافهم ولغظهم<sup>(١)</sup>.

---

(١) أما قول عمر: «غلبه الوجع، حسبنا كتاب الله» تجده في صحيح البخاري كتاب المرضى باب ١٧، كتاب العلم باب ٣٩، صحيح مسلم كتاب الوصية باب ٥، مسند أحمد ١: ٣٢٥، ٣٣٦، المصنّف لعبد الرزاق ٥: ٤٣٩، السنن الكبرى للنسائي ٣: ٤٣٣، ٤: ٣٦٠، صحيح ابن حبان ١٤: ٥٦٢، الملل والنحل للشهرستاني ١: ٢٢، شرح النهج لابن أبي الحديد ٢: ٥٥، البداية والنهاية لابن كثير ٥: ٢٤٧، دلائل النبوة للبيهقي ٧: ١٨١ - ١٨٣، الطبقات لابن سعد ٢: ٢٤٤، الوفا بأحوال المصطفى لابن الجوزي: ٧٩٤.

أما بالنسبة إلى قولهم: «ما شأنه أهرج، استفهموه، يهجر، ليهجر» فانظر: صحيح البخاري ٤: ٦٦، ٥: ١٣٧، صحيح مسلم ٥: ٧٥، المصنّف لعبد الرزاق ٦: ٥٧، ١٠:

هذه الحادثة صحيحة لا شك فيها، فقد نقلها علماء الشيعة ومحدثوهم في كتبهم، كما نقلها علماء السنة ومحدثوهم ومؤرخوهم، وهي ملزمة لي على ما ألزمت به نفسي، ومن هنا أقف حائراً في تفسير الموقف الذي وقفه عمر بن الخطاب من أمر رسول الله، وأيّ أمر هو؟ أمر عاصم من الضلالة لهذه الأمة، ولا شك أنّ هذا الكتاب فيه شيء جديد بالنسبة للمسلمين سوف يقطع عليهم كل شك<sup>(١)</sup>.

➤ ٣٦١، مسند الحميدي ١: ٢٤٢، مسند أحمد ١: ٢٢٢، السنن الكبرى للنسائي ٣: ٤٣٤، الطبقات لابن سعد ٢: ٢٤٢ - ٢٤٣، البداية والنهاية لابن كثير ٥: ٢٤٧، الشفا للقاضي عياض ٢: ١٩٢، المعجم الكبير للطبراني ١١: ٣٥٢، تاريخ ابن خلدون ق ٢ ج ٢: ٦٢، شرح النهج لابن أبي الحديد ١٣: ٣١، الكامل لابن الأثير ٢: ٣٢٠، تاريخ الطبري ٢: ٤٣٦.

قال ابن الأثير في تعيين القائل «ما شأنه أهجر» في كتابه النهاية في غريب الحديث ٥: ٢٤٥ وكذلك أورد كلامه ابن منظور في لسان العرب ٥: ٢٥٤، قال: «ومنه حديث مرض النبي ﷺ «قالوا: ما شأنه أهجر» أي اختلف كلامه بسبب المرض على سبيل الاستفهام، أي هل تغير كلامه واختلط لأجل ما به من مرض؟ وهذا أحسن ما يقال فيه، ولا يجعل إخباراً فيكون أما من الفحش أو الهذيان، والقائل كان عمر، ولا يظن به ذلك»، وانظر أيضاً منهاج السنة ٦: ٢٤، ٣١٥.

وفي تذكرة الخواص لسبط ابن الجوزي: ٦٥ «فقال عمر: دعوا الرجل فإنه ليهجر»، وفي السقيفة وفدك لأبي بكر الجوهري كما عنه ابن أبي الحديد في شرح النهج ٦: ٥١ «فقال عمر كلمة معناها أنّ الوجد قد غلب على رسول الله ﷺ، ثم قال: عندنا القرآن حسبنا كتاب الله».

(١) والشيء الجديد هو ما أراد كتابته ﷺ بعدما بيته شفاهاً مراراً عديدة من الوصاية بولاية أمير المؤمنين عليّ، ولو كتب هذا الكتاب، لما حصل الضلال بين المسلمين كما في الحديث الشريف.

☞ قد يقول قائل: بان هذا الكتاب لو كان فيه شيء جديد لما تركه النبي ﷺ، لأنه مأمور بتبليغ أوامر الله سبحانه وتعالى، مضافاً إلى أنّ النبي قد بلغ كل شيء طبقاً لقوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾. هذا من جانب.

ومن جانب آخر هذا الأمر لم يكن واجب التبليغ وإلا لو كان واجب التبليغ يلزم إما القول بأنّ النبي ﷺ لم يبلغ وعصى أمر الله، أو القول إنّه بلغ وكلاهما باطل، أمّا الباقي فنعرف أنّ الرسول لم يكتب ذلك الكتاب، أمّا الأوّل فباطل أيضاً لأنّ النبي ﷺ لا يمكنه أن يعصي أوامر الله سبحانه وتعالى، وخصوصاً الأمور المرتبطة بتبليغ الرسالة، وأمّا الثاني فالمعروف أنّ الرسول ﷺ لم يكتب هذا الكتاب فمن هذا وذاك يفهم أنّ هناك أمراً مهماً ولم يكن ذا ضرورة أراد النبي ﷺ أن يبلغه، أو بتعبير أدق أن يخبر الناس به، لكنّه وقع كلام بين الحاضرين فلم يذكره النبي ﷺ لعدم أهميته، وعدم ثبوت شأن مهم له.

ويتبين من هذا الكلام أن تهويل هذه المسألة وإعطائها حجماً كبيراً، بحيث نجعلها مثابة على الصحابة وبالخصوص عمر بن الخطاب، ومؤشراً على وجود انحراف فيهم أمراً مبالغاً فيه، وتضخيماً للشيء فوق حجمه!

هذا ما ذكر في الكتب التي اعترضت على الدكتور التيجاني ككتاب كشف الجاني: ٧٧، وكتاب بل ضللت: ٣٨، وكتاب الانتصار للصحب والآل: ٧٥.

وللجواب على هذا الكلام نقول: إنّ النبي ﷺ قد بين لأُمَّته جميع ما تحتاجه من الأمور التي تقرّبها إلى الهداية وتبعدها عن الضلال، وبين كل شيء يحتاجه الناس في حياتهم العلمية سواءً الفردية منها أو الاجتماعية.. فلم يبق شيء في الشريعة خافياً لم يبيته الرسول الأكرم ﷺ، لكنّه أراد أن يبين شيئاً كان قد ذكره سابقاً لكن الآن يريد بيانه بطريقة أخرى وبأسلوب جديد، بحيث يقطع الأمور على كلّ مشكك وعلى كلّ مرجف ولا يبقئ نزاع حول ذلك الأمر.. وذلك الأمر الذي أراد أن يبيته الرسول الأكرم ﷺ كان مرتبطاً بصميم الدين

ووروحه، حيث كان (كتاباً لن تضلوا بعده أبداً)! كتاباً يحمل الهداية التي لا يضل المسلم بعدها.. فأراد النبي ﷺ أن يقيّد مصباح الهداية ويضعه في موضع آمن يكون مرجعاً لطالبيه وبغية لقاصديه، إلى جنب الاعتماد على الأقوال والأحاديث الشريفة التي ذكرها، فلذلك وصف هذا الكتاب بأنه الحصن المنيع والسور الأمين لحماية الإيمان من الانحراف أو الزيغ والضلال.. فلذلك كان أمراً جديداً باعتبار الأسلوب الذي يريد طرحه إلى الناس والطريقة التي يريد استخدامها لإيصال ذلك الأمر إليهم.

لكن الرسول ﷺ وجه بالاعتراض وعدم القبول، كما تشير إلى ذلك رواية الإمام أحمد حيث تقول: «إنّ النبي ﷺ دعا عند موته بصحيفة ليكتب فيها كتاباً لا يضلّون بعده أبداً، فخالف عليها عمر بن الخطّاب حتّى رفضها» مسند أحمد بن حنبل ٣: ٣٤٦، في رواية الطبراني عن عمر بن الخطّاب قال: «لمّا مرض النبي ﷺ قال: ادعوا لي بصحيفة ودواة، أكتب لكم كتاباً لا تضلّوا بعده أبداً، فكرهنا ذلك أشدّ الكراهة. ثمّ قال: ادعوا لي بصحيفة أكتب لكم كتاباً لا تضلّوا بعده أبداً، فقال النسوة من وراء الستر: إلا تسمعون ما يقول رسول الله ﷺ! فقلت: إنكن صويحبات يوسف إذا مرض رسول الله ﷺ عصرتنّ أعينكن وإذا صحّ ركبتنّ عنقه، فقال رسول الله ﷺ: «أحزنتني فإنّهنّ خير منكم» المعجم الأوسط ٥: ٢٨٨، مجمع الزوائد ٩: ٣٤.

ولأجل هذا الاعتراض امتنع رسول الله ﷺ من كتابة ذلك الكتاب.

وقبل الدخول في هذا البحث نرجع إلى قائل هذه المقولة من هو؟

إذا رجعنا إلى الروايات نجدها وردت بصيغ مختلفة واليكها:

١ - ما أخرجه البخاري عن ابن عباس ١: ٣٢ أنّ عمر بن الخطّاب قال: «إنّ النبي ﷺ غلبه الوجع».

٢ - في مسند أحمد بن حنبل ٣: ٣٤٦ قال: «فخالف عليها عمر بن الخطّاب حتّى

➤ رفضها» وصرّح محقق الكتاب بصحّته.

٣- وفي مسند أحمد بن حنبل ٦: ٤٧ قال عمر: «حسبنا كتاب الله».

٤- في رواية الطبراني المتقدمة ٥: ٢٨٨ قال عمر: «فكرهنا ذلك أشدّ الكراهة».

هذا ما ورد في بعض الروايات التي صرحت باسم عمر بن الخطّاب.

أمّا الروايات التي لم تصرّح بالإسم ووردت بلفظ قالوا أو قال، ففي بعضها أنّهم قالوا: «ما له أهجر»، وفي بعضها قالوا: «يهجر»، وفي بعضها قال بعضهم: «إن

نبي الله ليهجر»... إلخ.

ونحن إذا أردنا اتّباع القواعد العقلانيّة في فهم الروايات، ومعرفة قائل الكلمة في مورد بحثنا لا بدّ لنا من حمل الروايات المبهمة على الروايات المفسّرة، فالروايات التي وردت فيها «فقال بعضهم» تفسر بأنّ القائل عمر بن الخطّاب نفيّاً لتلك الروايات المصرّحة باسم القائل، وتبقى الروايات المصرّحة بلفظ الجمع (فقالوا، أو قالوا) فهذه الروايات إمّا أن نقول: بانه صدر من الصحابة قولان فقول قاله عمر بن الخطّاب، وقول قال بعض الصحابة الآخرين الذين يوافقون عمر بن الخطّاب الرأي.

ويشهد لذلك أنّه في الرواية التي ذكرت تنازع القوم واختلافهم حول طلب رسول

الله ﷺ ذكرت بأنّ بعضهم قال ما قال عمر بن الخطّاب!

فإذن كان لعمر مؤيدون وموافقون له في الرأي، فمن القريب جدّاً أنّ يكونوا ذكروا مقالة عمر بن الخطّاب إمّا مقارنة له أو بعدما قالها.

ولو قبلنا بالتعدد، وأن الكلمة قبلت من أكثر من شخص، فلا محذور من الالتزام بذلك وأنّ الكلام ذكر مرتين، مرّة من قبل عمر بن الخطّاب، ومرّة من قبل بعض الصحابة الموافقين له في الرأي.

ومضافاً إلى ذلك فإنّ العلماء الشرح للحديث ذكروا بأنّ القائل لهذا الكلام - على اختلاف في تحديد الألفاظ - هو عمر بن الخطّاب.

❖ قال صاحب الفتح ٧: ٧٤٠: «... وصمَّ عمر على الامتناع لما قام عنده من القرائن بأنه ﷺ قال ذلك عن غير قصدٍ جازم»!!  
وقال النووي ١١: ١٣٢: «إنَّما قصد عمر التخفيف على رسول الله ﷺ حين غلبه الوجع...».

وقال ابن الاثير: «الهجر: بالضم هو الخنا والقبیح من القول، ولا تقولوا هجر: أي فحشاً. وهجر يهجر هجراً بالفتح اذا اختلط في كلامه واذا هذى.. ومنه حديث مرض النبي ﷺ قالوا: ما شأنه أهجر.. والقائل كان عمر» النهاية في غريب الحديث والأثر ٥: ٢٤٥.

وقال سبط بن الجوزي: «... ولما مات رسول الله ﷺ قال قبل وفاته بيسير: ائتوني بدواة وبياض لأكتب لكم كتاباً لا تختلفوا فيه بعدي! فقال عمر: دعوا الرجل فإنه ليهجر» تذكرة الخواص: ٦٥.

وقال ابن أبي الحديد المعتزلي: «قال النقيب: ومما جرَّأ عمر على بيعة أبي بكر والعدول عن علي ما كان يسمعه من الرسول ﷺ في أمره، أنه إنكر مراراً على الرسول ﷺ أموراً.. من الأمور التي كان يرى فيها المصلحة ممَّا هي خلاف النصِّ وذلك نحو إنكاره: في الصلاة على عبد الله بن أبي المنافق، وإنكاره فداء أسارى بدر، وإنكاره عليه تبرج نسائه للناس، وإنكاره قضية الحديبية، وإنكاره أمان العباس لأبي سفيان بن حرب، وإنكاره واقعة أبي حذيفة بن عتبة، وإنكاره أمره بالنداء من قال لا إله إلا الله دخل الجنة، وإنكاره أمره بذبح النواضح، وإنكاره على النساء بحضرة رسول الله ﷺ وهيبتهن له دون رسول الله ﷺ إلى غير ذلك من أمور كثيرة تشتمل عليها كتب الحديث.

ولو لم يكن إلا إنكاره قول رسول الله ﷺ في مرضه: ائتوني بدواة وكتف أكتب لكم ما لا تضلون بعدي، وقوله ما قال، وسكوت رسول الله ﷺ عنه.

وأعجب الأشياء أنه قال ذلك اليوم: حسبنا كتاب الله، فافترق الحاضرون من



➤ المسلمين في الدار، فبعضهم يقول: القول ما قال رسول الله ﷺ، وبعضهم يقول القول ما قال عمر، فقال رسول الله وقد أكثروا اللغط، وعلت الاصوات: قوموا عني، فما لنبي أن يكون عنده هذا التنازع فهل بقي للنبوة مزية أو فضل؟! فمن بلغت قوته وهمته إلى هذا كيف ينكر منه أن يبايع أبا بكر لمصلحة رآها ويعدل عن النص؟! عن النص؟!

ومن الذي كان ينكر عليه ذلك وهو في القول الذي قاله للرسول ﷺ في وجهه غير خائف من الأنصار ولا ينكر عليه أحد.. وهو أشد من مخالفته النص في الخلافة وأفضع وأشنع» شرح نهج البلاغة ١٢: ٨٨.

وقال ابن حزم الأندلسي بعد إيراده الحديث: «قال أبو محمد: هذه زلة العالم التي حذر منها الناس قديماً، وقد كان في سابق علم الله أن يكون بيننا الاختلاف وتضل طائفة وتهتدي بهدي الله أخرى، فلذلك نطق عمر ومن وافقه بما نطقوا به، مما كان سبباً إلى حرمان الخير بالكتاب الذي لو كتبه لم يضل بعده..» الأحكام ٧: ٩٨٤.

فهذه الكلمات وغيرها تزيل الريب من كون المطلق للكلام هو الخليفة عمر بن الخطاب.

وبعد ذلك يطرح السؤال التالي: لماذا لم يكتب رسول الله ﷺ الكتاب حتى على فرض رفض الصحابة له؟

والجواب على هذا الكلام: إن الصحابة بعدما اختلفوا فيما بينهم، وبعد اتّهامهم للرسول ﷺ بالهجران فقد رفعوا بذلك موضوعية الكلام، وأصبح الكتاب لا قيمة له مادام قائله يهجر أو مشكوك الصحة!

فلذلك ورد في بعض الروايات أنّهم قالوا: «إلا نأتيك بما طلبت؟

قال: أو بعد ما قال؟! فلم يدع به» الطبقات الكبرى ٢: ٢٤٢.

فالنبي ﷺ عرف أن لا قيمة لكتابة ذلك الكتاب بعدما سلبوا منه الوعي والسلامة

☞ من الهذيان حينما قالوا: انه يهجر!!

وهذه الكلمة من النبي ﷺ قرينة - أيضاً - على أنّ القائل هو عمر بن الخطاب لأنّ النبي ﷺ قال: «أوبعد ما قال؟»، أيّ أوبعد ما أطلق كلمته المشؤمة وإتهامه الباطل.. وبعدما أوقع الشك في النفوس، ومعه لا ينفع كتابة الكتاب لأنّه أصبح صادراً من نبي مشكوك الصحة والسلامة، لا من نبي سالم معافى.

ثمّ اذا كان الشاهد على كتابة الكتاب حاله التشكيك فيه والظن في نبيه فكيف يكون حال غيره، من الذين يأتون بعدهم ويأخذون بما حفظوه ونقلوه؟! فلا يبقى له قيمة تذكر ولا تركز النفس في الاعتماد عليه والرجوع إليه عند اختلاف الأهواء وظهور البدع.. وكلّ ذلك يرجع إلى أمرٍ بسيطٍ إلا وهو الشكّ في صحة الرسول حينما قال الكلام وبيّته.. بل كيف يقبله المسلم اللاحق مادام صحابته الحاضرين عنده والمشاهدين له قد طعنوا فيه، وحكموا بعدم أهليّته للكلام فضلاً عن الإيحاء بامرٍ يرتبط بالهداية والضلال فإنّ العقلاء يشكّون في هذا الكلام ولا يقبلوه ولا يرجعون إليه بل يكون حينئذٍ الإيحاء به مضرّاً وليس نافعاً.

هذا كلّه على فرض التسليم له بالمجيء بالدواة والكتف بعد اللفظ الذي حصل، وإلاّ فهم بقوا على إصرارهم وعنادهم في عدم احضار الدواة والكتف، ولهذا صاحت النسوة ما لكم قربوا لرسول الله الكتاب، فزجروهنّ وقابلوهنّ بالرفض.

إنّ النبي ﷺ لم يصرّ على كتابة الصحيفة التي لا يضلّوا بعدها أبداً لأنّ قولهم: (هجر او أهجر) يمكن أن يكون مقدّمة يشكّ بها البعض فيما سيكتبه الرسول ﷺ، بمعنى أن الرسول كتب ما كتب وهو في حالة لا تسمح له بذلك، والتشكيك مكتوب، ربما يتعدّى هذا المكتوب إلى مكتوب آخر تحت هذه الحجّة.

ويمكن أن يكون ترك كتابة الكتاب لأنّ الرسول لما أكثروا اللغط والاختلاف عنده علم أنّ الاختلاف واقع من بعده لا محالة كما أخبره ربّه، ولأجل ذلك اكتفى بما أقامه عليهم قبل ذلك من الحجج.

ولترك قول الشيعة: بأن الرسول أراد أن يكتب اسم علي خليفة له، وتفطن عمر لذلك فمنعه، فلعلهم لا يقنعونا بهذا الزعم الذي لا يرضينا مبدئياً، ولكن هل نجد تفسيراً معقولاً لهذه الحادثة المؤلمة التي أغضبت الرسول حتى طردهم<sup>(١)</sup>،

❖ ومما تقدّم يتضح الجواب على سؤال آخر وهو: إن كتابة الكتاب لم تكن واجبة وإلا لما تركها النبي ﷺ.

فاننا نقول: بان كتابة الكتاب كانت واجبة، وهذا أمر واضح لمن راجع الحديث وتمعن فيه، ومما يدل على ذلك عدّة أمور.

١ - وصف الكتاب بأنه لا تزلوا بعده أبداً. فاذن الكتاب كان فيصلاً بين الهداية والضلالة، وكان مشعل النور الذي يضيء لمن اتبعه ويضل من تخلف عنه، ولذلك قال ابن حزم كلمته المتقدمة من أن منع كتابة الكتاب أدت إلى حرمان الخير.

٢ - اختلاف القوم فيما بينهم فحزب أيّد عمر وقسم أيّد الرسول ﷺ، وهذا يدل على جدية الموضوع وأنه أراد ان يكتب للأمة كتاباً مهماً، وإلا لو كان أمراً عابراً لما كان هنا داع لهذا الاختلاف!

٣ - طرد الرسول ﷺ لهم بعدما تنازعوا وأكثروا من اللغط، وهذا يدل على جدية الموضوع - أيضاً - إذ لو كان أمراً عابراً لا معنى لأن يغضب رسول الله ﷺ ويطرد صحبه المحييين له من عنده، خصوصاً وهو في آخريات أيامه الشريفة!

٤ - وصفه للنسوة اللاتي طلبن تقريب الكتاب إلى رسول الله ﷺ بأنهن خير منهم، لأنهن يردن تقريب الدواة والقلم للرسول ﷺ وهم رفضوا ذلك، فلأجل ذلك وصفهن الرسول بأنهن خير منهم، وهذا إن دلّ على شيء فيدل على جدية الأمر ولزومه.

٥ - بكاء ابن عباس - رضوان الله تعالى عليه - وتسميته لذلك اليوم بأنه رزية خير دليل على جدية الأمر، وأنه أراد أن يكتب كتاباً مهماً، وكان واجباً وضرورياً لأنه الفيصل بين الهداية والضلالة، والبصر والعمى.

(١) جاء في مسند أحمد ١: ٣٢٥: «فلما أكثروا اللغط والاختلاف وغمّ رسول

وجعلت ابن عباس يبكي حتى يبلى دمه الحصى ويسمّيها أكبر رزية.  
أهل السنة يقولون بأنّ عمر أحسّ بشدّة مرض النبي فأشفق عليه وأراد أن  
يريقه!

هذا التعليل لا يقبله بسطاء العقول فضلاً عن العلماء، وقد حاولت مراراً  
وتكراراً إلتماس بعض الأعداء لعمر، ولكنّ واقع الحادثة يأبى عليّ ذلك، وحتى لو  
أبدلت كلمة يهجر « والعياذ بالله » بلفظة « غلبه الوجع » فسوف لن نجد مبرراً لقول  
عمر: « عندكم القرآن»، و« حسبنا كتاب الله ».

أو كان هو أعلم بالقرآن من رسول الله الذي أنزل عليه؟

أم أنّ رسول الله لا يعي ما يقول - حاشاه -؟

أم أنّه أراد بأمره ذلك أن يبعث فيهم الاختلاف والفرقة « أستغفر الله »؟

ثمّ لو كان تعليل أهل السنة صحيحاً، فلم يكن ذلك ليخفي على رسول الله  
حسن نية عمر، ولشكره رسول الله على ذلك وقربه، بدلاً من أن يغضب عليه ويقول  
أخرجوا عني.

وهل لي أن أتسائل لماذا امتثلوا أمره عندما طردهم من الحجرة النبوية، ولم  
يقولوا بأنّه يهجر؟

ألأنّهم نجحوا بمخطّطهم في منع الرسول من الكتابة، فلا داعي بعد ذلك  
لبقائهم، والدليل على أنّهم أكثروا اللغظ والاختلاف بحضرة ﷺ، وانقسموا إلى  
حزبين، منهم من يقول: قرّبوا إلى رسول الله يكتب لكم ذلك الكتاب، ومنهم من

➤ الله ﷺ قال: قوموا عني...»، وفي لفظ الطبقات لابن سعد ٢: ٢٤٤: «وغمّوا رسول

الله ﷺ، فقال: قوموا عني»، وفي لفظ أنساب الأشراف للبلاذري ٢: ٢٣٦: «فغمّ

ذلك رسول الله ﷺ وأضجره، وقال: إليكم عني، ولم يكتب شيئاً».

يقول : ما قال عمر، أي إنه « يهجر »<sup>(١)</sup>.

والأمر لم يعد بتلك البساطة يتعلّق بشخص عمر وحده، ولو كان كذلك لأسكته رسول الله وأقنعه بأنه لا ينطق عن الهوى، ولا يمكن أن يغلب عليه الوجد في هداية الأمة وعدم ضلالتها، ولكن الأمر استفحل واستشرى ووجد له أنصاراً كأنهم متفقون مسبقاً، ولذلك أكثروا اللغو والاختلاف، ونسوا أو تناسوا قول الله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴾<sup>(٢)</sup>.

وفي هذه الحادثة تعدّوا حدود رفع الأصوات والجهر بالقول إلى رميه ﷺ

(١) انظر: صحيح البخاري كتاب المرضى باب ١٧، صحيح مسلم كتاب الوصية باب ٥، دلائل النبوة للبيهقي ٧: ١٨٣، مسند أحمد ١: ٣٢٥، المصنّف للصنعاني ٥٣٨:٥، السنن الكبرى للنسائي ٣: ٤٣٣، السيرة النبوية لابن كثير ٤٥١، الطبقات لابن سعد ٢: ٢٤٤.

وجاء في مجمع الزوائد للهيتمي ٤: ٣٩١، ٨: ٦٠٩: «عن عمر قال: لما مرض النبي قال: ادعوا لي بصحيفة ودواة أكتب لكم كتاباً لا تضلوا بعدي أبداً، فكرهنا ذلك أشدّ الكراهة، ثمّ قال: ادعوا لي بصحيفة أكتب كتاباً لا تضلّوا بعده أبداً...»، وفي لفظ آخر أيضاً ٤: ٣٠٩، ٨: ٦٠٩، «عن جابر قال: إنّ النبي ﷺ دعا عند موته بصحيفة ليكتب فيها كتاباً لا يضلّون بعده أبداً، قال: فخالف عليها عمر بن الخطّاب...».

قال السيّد ابن طاووس في الطرائف: ٤٣٥ «ومن طريف ما في هذا الحديث المذكور وأسراره أنّه يشهد أنّ الطعن في قول نبيهم والردّ عليه والقدح فيه إنّما كان من عمر وحده، وأنّه هو ابتداء به، بدليل قوله: «فقال قوم: القول ما قاله النبي ﷺ، وقال قوم: القول ما قاله عمر»، فما أطرف هذه الغفلة من القوم الذين قالوا القول ما قاله عمر، إنّ هذا ممّا يبكي الأولياء ويضحك الأعداء».

(٢) سورة الحجرات: ٢.

بالحجر والهديان - والعياذ بالله - ثم أكثروا اللغظ والاختلاف، وصارت معركة كلامية بحضرته.

وأكاد أعتقد بأن الأكثرية الساحقة كانت على قول عمر، ولذلك رأى رسول الله ﷺ عدم الجدوى في كتابة الكتاب، لأنه علم بأنهم لن يحترموه، ولم يمتثلوا الأمر الله فيه في عدم رفع أصواتهم بحضرته، وإذا كانوا الأمر الله عاصين فلن يكونوا الأمر رسوله طائعين<sup>(١)</sup>.

واقترضت حكمة الرسول بأن لا يكتب لهم ذلك الكتاب لأنه طعن فيه في حياته، فكيف يعمل بما فيه بعد وفاته، وسيقول الطاعنون: بأنه هجر من القول، ولربما سيشككون في بعض الأحكام التي عقدها رسول الله في مرض موته، إذ إن اعتقادهم بهجره ثابت.

أستغفر الله وأتوب إليه من هذا القول في حضرة الرسول الأكرم، وكيف لي أن أفنع نفسي وضميري الحر بأن عمر بن الخطاب كان عفويًا، في حين أن أصحابه ومن

(١) ويظهر من بعض الروايات أن رسول الله ﷺ كان يكرّر ذلك الطلب، ففي رواية ابن عباس أنه كان يوم الخميس أي قبل وفاته ﷺ بعدة أيام، وفي رواية جابر كما في مجمع الزوائد للهيثمي ٤: ٢١٤: «إن النبي ﷺ دعا عند موته بصحيفة ليكتب...» وقال الهيثمي: رواه أبو يعلى... ورجال الجميع رجال الصحيح، وفيه أيضاً ٩: ٣٣٣ عن عمر بن الخطاب أن النبي ﷺ كرّر طلبه بإحضار الكتاب مرتين، وفي لفظ الطبراني في المعجم الكبير ١١: ٣٠ عن ابن عباس قال: «قال رسول الله ﷺ: أتتوني بكتف ودواة أكتب لكم كتاباً لا يختلف فيه رجلان، قال: فأبطأوا بالكتف والدواة فقبضه الله». وفي لفظ ابن سعد في الطبقات ٢: ٢٤٤: «فقال زينب زوج النبي ﷺ: ألا تسمعون النبي يعهد إليكم؟ فلغطوا، فقال: قوموا، فلما قاموا قبض النبي ﷺ مكانه».

حضرنا محضره بكوالما حصل، حتّى بلّ دمعهم الحصى وسمّوها رزية المسلمين. ولهذا فقد خلصتُ إلى أن أرفض كلّ التعليقات التي قدّمت لتبرير ذلك، ولقد حاولت أن أنكر هذه الحادثة وأكذبها لأستريح من مأساتها، ولكن كتب الصحاح نقلتها وأثبتتها وصححتها، ولم تحسن تبريرها.

وأكاد أميل إلى رأي الشيعة في تفسير هذا الحدث، لأنّه تعليل منطقي وله قرائن عديدة، وإني لا زلت أذكر إجابة السيّد محمّد باقر الصدر عندما سألته: كيف فهم سيّدنا عمر من بين الصحابة ما يريد الرسول كتابته وهو استخلاف علي - على حد زعمكم -، فهذا ذكاء منه<sup>(١)</sup>.

قال السيّد الصدر: لم يكن عمر وحده فهم مقصد الرسول، ولكن أكثر الحاضرين فهموا ما فهمه عمر، لأنّه سبق لرسول الله ﷺ أن قال مثل هذا، إذ قال لهم: «إني مخلف فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي، ما إن تمسّكتم بهما لن تضلّوا بعدي أبداً»، وفي مرضه قال لهم: «هلمّ أكتب لكم كتاباً لا تضلّوا بعده أبداً».

ففهم الحاضرون ومن بينهم عمر أن رسول الله يريد أن يؤكّد ما ذكره في غدیر خم كتابياً، وهو التمسك بكتاب الله وعترته، وسيّد العترة هو علي، فكأنّه ﷺ

(١) ذكر أحمد بن أبي طاهر صاحب كتاب تاريخ بغداد مسنداً كما في شرح النهج لابن أبي الحديد ١٢: ٢١ محاورة ابن عباس مع عمر وفيها قال عمر: «لقد كان من رسول الله في أمره ذرو من قول لا يثبت حجّة ولا يقطع عذراً، ولقد كان يربح في أمره وقتاً ما، ولقد أراد في مرضه أن يصرّح باسمه، فممنعت من ذلك اشفاقاً وحيطة على الإسلام...».

وفيه أيضاً ١٢: ٧٩ في حوار آخر مع ابن عباس قال عمر: «إنّ رسول الله أراد أن يذكره للأمر في مرضه فصددته عنه خوفاً من الفتنة».

أراد أن يقول: «عليكم بالقرآن وعلي»، وقد قال مثل ذلك في مناسبات أخرى كما ذكر المحدثون<sup>(١)</sup>.

وكان أغلبية قريش لا يرضون بعليّ لآئه أصغر القوم، ولآئه حطم كبرياءهم، وهشم أنوفهم، وقتل أبطالهم، ولكنهم لا يجرؤون على رسول الله إلى الحد الذي حصل في صلح الحديبية، وفي المعارضة الشديدة للنبيّ عندما صلى على عبد الله بن أبي المنافق<sup>(٢)</sup>، وفي عدة مواقف أخرى سجّلها التاريخ، وهذا الموقف منها.

وأنت ترى أن المعارضة لكتابة الكتاب في مرض النبيّ شجعت بعض الآخرين من الحاضرين على الجرأة، ومن ثمّ الإكثار من اللغظ في حضرة الرسول ﷺ.

إنّ هذه المقولة جاءت ردّاً مطابقاً تماماً لمقصود الحديث، فمقولة: «عندكم القرآن»، «حسبنا كتاب الله» مخالفة لمحتوى الحديث الذي يأمرهم بالتمسك بكتاب الله وبالعترة معاً، فكأن المقصود هو: حسبنا كتاب الله فهو يكفي، ولا حاجة لنا بالعترة.

وليس هناك تفسير معقول غير هذا بالنسبة إلى هذه الحادثة، اللهم إلا إذا كان المراد هو القول بإطاعة الله دون إطاعة رسوله، وهذا أيضاً باطل وغير معقول..

(١) قال رسول الله ﷺ: «عليّ مع القرآن والقرآن مع عليّ لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض» رواه الحاكم في المستدرک ٣: ١٢٤ وصحّحه ووافقه الذهبي في تلخيص المستدرک، ورواه الطبراني في المعجم الصغير ١: ٢٥٥، والأوسط ٥: ١٣٥، ورواه السيوطي في الجامع الصغير ٢: ١٧٧.

(٢) أنظر: صحيح البخاري ٢: ٧٦، كتاب الكسوف، باب في الجنائز، وصحيح مسلم ٧: ١١٦، باب فضائل عمر، سنن ابن ماجه ١: ٤٨٧، سنن أبي داود ٢: ٥٧، المستدرک للحاكم ١: ٣٤١.



وأنا إذا طرحت التعصّب الأعمى والعاطفة الجامحة، وحكمت العقل السليم، والفكر الحرّ، لملت إلى هذا التحليل، وذلك أهون من اتّهام عمر بأنه أوّل من رفض السنّة النبويّة بقوله: «حسبنا كتاب الله».

وإذا كان بعض الحكّام قد رفض السنّة النبويّة بدعوى أنّها متناقضة، فإنّه اتّبع في ذلك سابقة تاريخية في حياة المسلمين، مع أنّي لأحمّل عمر وحده مسؤوليّة هذه الحادثة وحرمان الأُمّة من الهداية، وحتىّ أكون منصفاً في حقّه أحمّلها هو ومن معه من الصحابة الذين قالوا مثل مقالته، وعضدوا بذلك موقفه معارضة لأمر رسول الله.

وإنّي لأعجب لمن يقرأ هذه الحادثة ويمرّ بها وكأنّ شيئاً لم يكن، مع أنّها من أكبر الرزايا كما سمّاها ابن عبّاس<sup>(١)</sup>.

وعجبي أكبر من الذين يحاولون جهدهم الحفاظ على كرامة صحابي وتصحيح خطئه، ولو كان ذلك على حساب كرامة رسول الله، وعلى حساب الإسلام ومبادئه.

ولماذا نهرب من الحقيقة، ونحاول طمسها عندما لا تتماشى مع أهوائنا؟ لماذا لا نعترف بأنّ الصحابة بشر مثلنا، لهم أهواء وميول وأغراض، ويخطئون ويصيبون؟ ولا يزول عجبي إلّا عندما أقرأ كتاب الله وهو يروي لنا قصص الأنبياء

---

(١) لا يقال: «بأنّ قول ابن عبّاس هذا اجتهاد منه، وهو معارض بقول عمر واجتهاده».

فإنّنا نقول: إنّ اجتهاد ابن عبّاس جاء موافقاً للنصّ حيث أراد النبي ﷺ أن يكتب ما يعصم الأُمّة من الضلال والاختلاف، فمنع بعض الصحابة واتّهامهم النبي ﷺ كان من أعظم الرزايا والمصائب، ولكن اجتهاد عمر جاء مخالفاً للنصّ ومعارضاً له ومانعاً إيّاه، وهو الذي سبّب الاختلاف والفرقة، فأيّ اجتهاد هذا؟!

عليهم الصلاة والسلام، وما لاقوه من شعوبهم في المعاندة رغم ما يشاهدونه من معجزات.. ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾ (١).

لقد صرْتُ أدرك خلفية موقف الشيعة من الخليفة الثاني الذي يحملونه مسؤولية الكثير من المآسي التي وقعت في حياة المسلمين، منذ رزية يوم الخميس التي حرمت الأمة من كتاب الهداية الذي أراد الرسول ﷺ أن يكتبه لهم، والاعتراف الذي لا مناص منه هو: أن العاقل الذي عرف الحق قبل معرفة الرجال، يلتبس لهم في ذلك عذراً، أما الذين لا يعرفون الحق إلا بالرجال فلا حديث لنا معهم (٢).

(١) سورة آل عمران: ٨.

(٢) وهنا شبهة كثيراً ما يثيرها القوم ذوداً عن صاحبهم، فيقولون: «إذا لم يمتثل عمر أمر النبي باحضار الكتاب، فعلياً أيضاً لم يمتثل أمره يوم الحديبية حينما أمره بمحو اسمه».

قلت: إن الأخبار في هذا الأمر مضطربة جداً، ففي بعضها لم يسم الكاتب ولم يعين، وفي بعضها أن الكاتب كان عليّاً، وفي أخرى كان المشركون هم الذين يكتبون (كما في المصنّف لابن أبي شيبة ٨: ٥٠٧).

والذي نستفيده من مجموع الأخبار الواردة في صلح الحديبية أن رسول الله ﷺ كان يملي وكان غيره يكتب، فالنبي ﷺ لما قال للكاتب: اكتب بسم الله الرحمن الرحيم، أو قال له اكتب محمد رسول الله، اعترض عليه سهيل وأبى، ثم غير ﷺ وقال: اكتب كذا، وكل هذا كان قبل أن يكتب الكاتب ما أملاه النبي ﷺ.

ففي صحيح البخاري كتاب الشروط باب ٦٠٢، وفي غير البخاري أيضاً: «... فدعا النبي ﷺ الكاتب فقال النبي ﷺ: اكتب بسم الله الرحمن الرحيم، قال سهيل: أمّا

➤ الرحمن فوالله ما أدري ما هو، ولكن اكتب باسمك اللهم كما كنت تكتب... فقال النبي ﷺ: اكتب باسمك اللهم، ثم قال: هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله، فقال سهيل: والله لو كنا نعلم أنك رسول الله ما صددناك عن البيت ولا قاتلناك، ولكن اكتب محمد بن عبدالله، فقال النبي ﷺ: إني رسول الله وإن كذبتُموني، اكتب محمد بن عبد الله.

وجاء في لفظ آخر: «فقال رسول الله ﷺ لعلي: اكتب بسم الله الرحمن الرحيم، فأمسك سهيل بيده فقال: ما نعرف الرحمن، اكتب في قضيتنا ما نعرف، فقال رسول الله ﷺ: اكتب باسمك اللهم فكتب، فقال: هذا ما صالح محمد رسول الله أهل مكة، فأمسك سهيل بيده فقال: لقد ظلمناك إن كنت رسولاً، اكتب في قضيتنا ما نعرف، قال: اكتب هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله...» أنظر: تفسير الطبري ١٠٩: ١٣ ح ٢٤٤٢٣، والدر المنثور للسيوطي ٦: ٧٥ سورة الفتح نقله عن النسائي ومسند أحمد والحاكم وقد صححه، وأبي نعيم في الدلائل وابن مردويه.

وأنت ترى أنّ الرسول كان يملي، وسهيل كان يعترض، وكان الكاتب يكتب بعدما يعترض سهيل وبعدهما يغير النبي ﷺ أملاءه، وهذا هو المعقول، والمتفق عليه عند أرباب السير والتاريخ. أما ما رواه البخاري أيضاً في كتاب المغازي باب ١٦٠ وما رواه غيره بنفس الألفاظ تقريباً من أنّ علياً عليه السلام امتنع من الإمحاء، فقد جاء في نفس الخبر مباشرة هكذا: «فأخذ رسول الله ﷺ الكتاب وليس يحسن يكتب فكتب: هذا ما قاضى محمد بن عبدالله...» فأنت ترى أنّه صريح في نسبة الكتابة إلى رسول الله، وهذا ما يخالف صريح القرآن واتفاق الأمة بأنّ النبي ﷺ كان أمياً ولم يكتب شيئاً قط، فهذا الحديث مردود بمخالفته القرآن ولا يعتد به، ويبقى ما ذهبنا إليه هو الصحيح دون غيره.

وقد ذكر عثمان الخميس في كشف الجاني: ٧٧ عدة إشكالات على الإمام علي عليه السلام واعتبرها مؤخذات عليه، ونحن نكتفي بما أجاب الشيخ عبدالله الدشتي في كتابه

➤ رزية الخميس في الإجابة على هذه التوهّمات الموجودة في ذهن عثمان

الخميس، قال: ٢٦٢.

«قيل: «فإننا لا نحصي لعلي بن أبي طالب سيئة واحدة من كتب الفريقين بينما نجد

لغيره مساوئ كثيرة في كتب أهل السنة كالصالح وكتب السير والتاريخ».

وردّ الكاتب ردّاً قبيحاً وقال: «ترددت في الكتابة عنها - أخطاء علي - ... وفي النهاية

ترجّح عندي أن أذكرها لإسكات أصوات تعالت بالباطل وفي الحقيقة إنّ المآخذ

التي على علي في كتب الشيعة أعظم بكثير بل لا تقارن بما في كتب السنة».

نقول: كان أسلافه أكثر تأدّباً وأقرب للحقائق فقد نقل ابن الجوزي في (المنتظم):

«عن أبي سعيد الخرقى قال: حدثني عبد الله بن أحمد بن حنبل قال: سألت أبي

قلت: ما تقول في علي ومعاوية؟ فأطرق ثمّ قال: يا بني، إيش أقول فيهما، أعلم أنّ

عليّاً كان كثير الأعداء ففتش له أعداؤه عيباً فلم يجدوا، فجاءوا إلى رجل قد

حاربه وقتله فوضعوا له فضائل كيداً منهم له» المنتظم ٣: ٣٧٢، وأورده كذلك

ابن حجر في (فتح الباري) (فتح الباري ٧: ١٠٥)، وقال جلال الدين السيوطي في

(تاريخ الخلفاء) (تاريخ الخلفاء ١٩٩).

وأما هذا الناصب الذي تجرّأ وسطر مطالب هي أو هن من بيت العنكبوت وليست في

الحقيقة إلّا مخازٍ للكاتب لا مآخذ على إمام المتقين عليه السلام.

وهو لم يكتف بنقل روايات لا قيمة لها وفق المقاييس الحديثية والرجالية عند الشيعة

أو لادلالة لها على مدّعياته، بل تجده يزيف في النقل كي يثبت ويوصم علياً عليه السلام

بما يدور في خلد المريض.

إنّ من يقول لا نحصي لعلي سيئة واحدة، لا يرد عليه بروايات ضعيفة أو موضوعة

في بعض الكتب ثمّ يقال له إنّ هذه سيئات ثبتت لعلي عليه السلام.

وهنا نذكر بأنّه يشتم ويسب ويلعن الكاذبين على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حينما ينقل حديث

من مسند أحمد بن حنبل أو غيره من المسانيد والسنن، لأنّ الناقل لم يتحقّق من

⊙

صحته، وفي الوقت نفسه يقوم هو بذات الفعل، فينقل روايات من كتب الشيعة دون التحقق من كونها صحيحة عندهم أم لا؟ بل يستند إلى مجرد وجودها في كتبهم على إثبات أن الشيعة يقبلون بها، كم هو أعمى من يشتم الغير لأفعال لا يتورع هو عن القيام بأشد منها؟ وأما الموارد التي ذكرها.

أولاً: الموارد التي ذكرها من كتب السنة:

المورد الأول: قال: روى البخاري عن عكرمة قال: إنَّ علياً حرق قوما فبلغ ابن عباس فقال: لو كنت أنا لم أحرقتهم، لأنَّ النبي ﷺ قال: لا تعذبوا بعذاب الله ولقتلتهم كما قال رسول الله ﷺ من بدل دينه فاقتلوه.

نقول: مادام صرَّح بأنَّ الراوي للحديث هو عكرمة فمن الجدير عرض ما ذكره ابن حجر العسقلاني عن عكرمة هذا في مقدمته على شرح البخاري حينما يتعرَّض لرجال البخاري الذين طعن فيهم، يقول:

«عكرمة أبو عبد الله مولى ابن عباس احتجَّ به البخاري وأصحاب السنن، وتركه مسلم فلم يخرج له سوى حديث واحد في الحجِّ مقروناً بسعيد بن جبير، وإنَّما تركه مسلم لكلام مالك فيه، وقد تعقَّب جماعة من الأئمَّة ذلك وصنَّفوا في الذِّب عن عكرمة... فأما أقوال من وهاه فمدارها على ثلاثة أشياء: على رميه بالكذب، وعلى الطعن فيه بأنَّه كان يرى رأي الخوارج، وعلى القدح فيه بأنَّه كان يقبل جوائز الأمراء فهذه الأوجه الثلاثة يدور عليها جميع ما طعن به فيه...» مقدِّمة فتح الباري: ٤٢٥.

ثم أخذ ابن حجر في عدِّ من كذب عكرمة فقال:

«فالوجه الأوَّل فيه أقوال فأشدّها ما روى عن ابن عمر أنَّه قال لنافع: لا تكذب عليّ كما كذب عكرمة على ابن عباس، وكذا ما روى عن سعيد بن المسيَّب أنَّه قال ذلك لبُرد مولاة، فقد روى ذلك عن إبراهيم بن سعد بن إبراهيم عن أبيه عن سعيد بن المسيَّب، وقال إسحاق بن عيسى بن الطباع سألت مالكا أبلغك أن ابن

❦ عمر قال لنافع: لا تكذب عليّ كما كذب عكرمة على ابن عباس، قال: لا، ولكن بلغني أنّ سعيد بن المسيب قال ذلك لبُرد مولاة، وقال جرير بن عبد الحميد عن يزيد بن أبي زياد دخلت على علي بن عبد الله بن عباس وعكرمة مقيّد عنده، فقلت: ما لهذا؟ قال: إنّّه يكذب على أبي، وروى هذا أيضا عن عبد الله بن الحارث أنه دخل على علي، وسئل ابن سيرين عنه، فقال: ما يسوءني أن يدخل الجنة ولكنه كذاب، وقال عطاء الخراساني قلت لسعيد بن المسيب: إنّ عكرمة يزعم أنّ رسول الله ﷺ تزوّج ميمونة وهو محرم؟ فقال: كذب مخبثان.

وقال فطر بن خليفة قلت لعطاء: إنّ عكرمة يقول سبق الكتاب الخفّين، فقال: كذب سمعت ابن عباس يقول: أمسح على الخفّين وإن خرجت من الخلاء، وقال عبد الكريم الجرزي: قلت لسعيد بن المسيب: إن عكرمة كره كرى الأرض؟ فقال: كذب، سمعت ابن عبّاس يقول: إنّ أمثلهما ما أنتم صانعون استئجار الأرض البيضاء.

وقال وهب بن خالد: كان يحيى بن سعيد الأنصاري يكذّبه، وقال إبراهيم بن المنذر عن معن بن عيسى وغيره: كان مالك لا يرى عكرمة ثقة ويأمر أن لا يؤخذ عنه، وقال الربيع: قال الشافعي وهو يعني مالكا سيّء الرأي في عكرمة، قال: لا أرى لأحد أن يقبل حديث عكرمة، وقال عثمان بن مرّة قلت للقاسم: إنّ عكرمة قال: كذا، فقال: يا بن أخي، إنّ عكرمة كذاب يحدث غدوة بحديث يخالفه عشية.

وقال الأعمش عن إبراهيم لقيت عكرمة فسألته عن البطشة الكبرى، فقال: يوم القيامة، فقلت: إنّ عبد الله يعني ابن مسعود كان يقول البطشة الكبرى يوم بدر، فبلغني بعد ذلك أنّه سئل عن ذلك فقال: يوم بدر.

وقال القاسم بن معن بن عبد الرحمن: حدثني أبي حدثني عبد الرحمن، قال: حدث عكرمة بحديث فقال: سمعت ابن عبّاس يقول كذا وكذا، قال فقلت: يا غلام، هات الدواة قال: أعجبك؟ فقلت: نعم، قال: تريد أن تكتبه؟ قلت: نعم قال: إنّما قلت

### ❖ برأبي.

وقال ابن سعد: كان عكرمة بحراً من البحور، وتكلم الناس فيه، وليس يحتج بحديثه فهذا جميع ما نقل عن الأئمة في تكذيبه على الإبهام» مقدّمة فتح الباري: ٤٢٥. فهل يمكن بعد ذلك الالتفات إلى الدفاع عن البخاري في الاعتماد عليه كما حاول أن يقوم بذلك ابن حجر وبعض المتعبدّين بصحة كلّ ما في البخاري؟

ثمّ إنّ ابن حجر نفسه في كتاب الجهاد من (الفتح) قال: «وفي رواية ابن أبي عمر ومحمّد بن عباد عن الإسماعيلي جميعاً عن سفيان قال: رأيت عمرو بن دينار وأيوب وعماراً الدهني اجتمعوا فتذكروا الذين حرقهم علي فقال أيوب: فذكر الحديث، فقال عمار: لم يحرقهم ولكن حفر لهم حفائر وخرق بعضها إلى بعض ثمّ دحّن عليهم» فتح الباري ٦: ١٥١.

إذن هناك من ينكر الحادثة وإنّه لم يكن إحراق في البين.

وذهب ابن جرير الطبري في كتابه (تهذيب الآثار) (تهذيب الآثار: ٧٠)، مسند علي عليه السلام أن الذي حدث هو قتلهم ثمّ إحراق جيفهم، وأورد أخبار كثيرة تثبت ذلك، وذكر خبر الغلاة وفيه: «فضرب أعناقهم، ثمّ حفر لهم حفر النار وألقاهم فيها» نفس المصدر السابق: ٨٢.

إضافة إلى ذلك فهناك سؤال: على فرض صحة الحديث من أين الجزم بصحة رأي ابن عباس وخطأ علي عليه السلام؟

لاحظ ما ذكره ابن حجر في (الفتح) في كتاب استنابة المرتدّين: «فبلغ ذلك عليّاً، فقال: ويح أم ابن عباس، كذا عند أبي داود وعند الدارقطني بحذف أم، وهو محتمل أنّه لم يرض بما اعترض عليه ورأى أنّ النهي للتنزيه كما تقدم بيان الاختلاف فيه، وسيأتي في الحديث الذي يليه مذهب معاذ في ذلك وأنّ الإمام إذا رأى التغليب بذلك فعله، وهذا بناء على تفسير كلمة ويح بأنها رحمة فتوجّع له لكونه حمل النهي على ظاهره فاعتقد التحريم مطلقاً فأنكر» فتح الباري ١٢: ٢٧١.

❶ وقال ابن حجر: «قوله (فأمر به فقتل) في رواية أيوب فقال: والله لا أقعد حتى تضربوا عنقه، وفي رواية الطبراني التي أشرت إليها: فأتى بحطب فألهب فيه النار فكتفه وطرحه فيها. ويمكن الجمع بأنه ضرب عنقه ثم ألقاه في النار، ويؤخذ منه أنّ معاذاً وأبا موسى كانا يريان جواز التعذيب بالنار وإحراق الميت بالنار، مبالغة في إهانتته، وترهيباً عن الاقتداء به» نفس المصدر السابق: ٢٧٤.

المورد الثاني: قال: روى البخاري عن علي بن أبي طالب: أنّ رسول الله طرقتني وفاطمة ليلة فقال: ألا تصليان؟ فقلت: يا رسول الله أنفسنا بيد الله فإذا شاء أن يبعثنا بعثنا، فانصرف حين قلت ذلك ولم يرجع إلي شيئاً، ثم سمعته وهو مولّ يضرب فخذة وهو يقول: ﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾.

نقول: الحديث صحيح وفق المقاييس الرجالية المشهورة عند علماء الحديث من أهل السنة، ولكن اشتهاه علي عليه السلام بالعبادة وقيام الليل هو أمر معروف عند جميع العلماء، ويكفي ذلك لكي يوصف هذا الحديث بالشذوذ؛ لكنها ضوابط ذكروها لكي تجري في بعض الروايات دون الأخرى والمقياس هو الأهواء، والشذوذ واضح إلى درجة ترى أن علماءهم يصرّحون بورود الإشكال على المتن مع تبنيهم لصحة الرواية.

قال الألوسي في تفسيره بعد نقله الرواية المذكورة: لا شبهة في الحديث إلا أنّ فيه إشكالاً يعرف بالتأمل، ولا يدفعه ما ذكره النووي حيث قال: المختار في معناه أنّه تعجّب من سرعة جوابه وعدم موافقته له على الاعتذار بهذا ولهذا ضرب فخذة، وقيل: قال عليه السلام ذلك تسليماً لعذرهما وأنه لا عتب، تفسير الألوسي ٤٣٢:٩.

فترى أنّ المحاولات التي يسعى بها علماء السنة في شرح الحديث تنبع من شذوذ الحديث ونكارة متنه في حق علي عليه السلام، وكم من حديث صحيح الإسناد يرفضونه لأنّه شاذّ ومع ذلك يقبلون مثل هذا الحديث ويضعونه في الصحاح.

ألا يرون أنّ هذا الحديث ينافي قوله تعالى في حق الصحابة: ﴿تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا



﴿ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنْ اللَّهِ وَرِضْوَانًا ﴾ الفتح: ٢٩، وعلي عليه السلام أولهم ودخوله فيهم متفق عليه بين الشيعة والسنة، ولذا ترى بعضهم حاول أن يبين الحادثة المزعومة بشكل لا يبدو فيها منقصة لعل عليه السلام.

فقد نقل ابن حجر في (فتح الباري) عن ابن بطال عن المهلب قال: «فيه أنه ليس للإمام أن يشدد في النوافل حيث قنع صلى الله عليه وسلم بقول علي عليه السلام: أنفسنا بيد الله، لأنه كلام صحيح في العذر عن التنقل ولو كان فرضاً ما عذره، قال: وأما ضربه فحذه وقراءته الآية فдалّ على أنه ظن أنه أخرجهم فندم على إنباهم كذا» فتح الباري ١١:٣.

وذكر ابن حجر في (الفتح): «ونقل ابن بطال عن المهلب ما ملخصه أن علياً لم يكن له أن يدفع ما دعاه إليه النبي صلى الله عليه وسلم من الصلاة بقوله ذلك بل كان عليه الاعتصام بقوله، فلا حجة لأحد في ترك الأمور انتهى، ومن أين له أن علياً لم يمتثل ما دعاه إليه فليس في القصة تصريح بذلك، وإنما أجاب علي بما ذكر اعتذاراً عن تركه القيام بغلبة النوم، ولا يمتنع أنه صلى عقب هذه المراجعة إذ ليس في الخبر ما ينفيه.

وقال الكرمانى حرّضهم النبي صلى الله عليه وسلم باعتبار الكسب والقدرة الكاسية، وأجاب علي باعتبار القضاء والقدر، قال: وضرب النبي صلى الله عليه وسلم فحذه تعجباً من سرعة جواب علي، ويحتمل أن يكون تسليماً لما قال.

وقال الشيخ أبو محمد بن أبي جمرة: في هذا الحديث من الفوائد مشروعية التذكير للغافل خصوصاً القريب والصاحب، لأن الغفلة من طبع البشر فينبغي للمرء أن يتفقد نفسه ومن يحبه بتذكير الخير والعون عليه، وفيه أن الاعتراض بأثر الحكمة لا يناسبه الجواب بأثر القدرة، وأن للعالم إذا تكلم بمقتضى الحكمة في أمر غير واجب أن يكتفي من الذي كلمه في احتجازه بالقدرة، يؤخذ الأول من ضربه على فحذه، والثاني من عدم إنكاره بالقول صريحا، قال: وإنما لم يشافهه

☞ بقوله «وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا» الكهف: ٥٤، لعلمه أنَّ عليًّا لا يجهل أنَّ الجواب بالقدرة ليس من الحكمة، بل يحتمل أنَّ لهما عذراً يمنعهما من الصلاة فاستحيا علي من ذكره، فأراد دفع الخجل عن نفسه وعن أهله فاحتجَّ بالقدرة، ويؤيد رجوعه ﷺ منهم مسرعاً.

قال: «ويحتمل أنَّ يكون علي أراد بما قال استدعاء جواب يزداد به فائدة، وفيه جواز محادثة الشخص نفسه بما يتعلق بغيره، وجواز ضربه بعض أعضائه عند التعجُّب وكذا الأسف» فتح الباري ١٣: ٣١٤، انتهى كلام ابن حجر.

والقارىء يرى التكلُّف والجهد المبذول في شرح الحديث بالشكل الذي يحرص فيه علماء الحديث أنَّ لا يتعارض مع العلم بعبادته وخضوعه ﷺ للنبي ﷺ وبين رفضه القيام للصلاة، كُلُّ ذلك لتقديهم بمقولة أنَّ كُلَّ ما في كتاب البخاري صحيح، هذه المقولة التي لم يرد فيها كتاب ولا سنة، وأمَّا أهل الجهالة فكلُّ جهدهم الإساءة إلى علي ﷺ لأنَّهم من سنخ معاوية.

علة الحديث:

ويغلب على الظن أنَّ علة الحديث هو ابن شهاب الزهري عالم البلاط الأموي، فقد نقل عنه ابن عساكر في (تاريخ دمشق) الواقعة التالية والكلام للزهري قال: «قال لي - عبد الملك بن مروان - قد فرضت لك فرائض أهل بيتك، ثُمَّ التفت إلى قبيصة فأمره أن يثبت ذلك في الدواوين، ثُمَّ قال: أين تحبُّ أن يكون ديوانك مع أمير المؤمنين هاهنا أم تأخذه ببلدك، قال: قلت: يا أمير المؤمنين أنا معك فإذا أخذت الديوان أنت وأهل بيتك أخذته.

قال: فأمر بإثباتي ونسخة كتابي أن يوقع بالمدينة...، قال: ثُمَّ خرج قبيصة بعد ذلك قال: إنَّ أمير المؤمنين قد أمر أن يثبت في صحابته وأن يجرى عليك رزق الصحابة وأن يرفع فريضتك إلى أرفع منها فأكرم باب أمير المؤمنين... ولزمت عسكر عبد الملك وكنت أدخل عليه كثيراً، قال: وجعلني عبد الملك فيما يسألني

❦ يقول من لقيت فجعلت أسمى له وأخبره بمن لقيت من قریش لا أعدوهم... قال: وتوفي عبد الملك بن مروان فلزمت الوليد بن عبد الملك حتى توفي ثم سليمان بن عبد الملك وعمر بن عبد العزيز ويزيد بن عبد الملك، فاستقصى يزيد ابن عبد الملك على قضائه الزهري وسليمان بن حبيب المحاربي جميعاً قال: ثم لزم هشام بن عبد الملك. قال: وحجّ هشام سنة ست ومائة وحجّ معه الزهري فصيرّه هشام مع ولده يعلمهم ويفقههم ويحدّثهم ونجح معهم فلم يفارقهم حتى مات بالمدينة» تاريخ دمشق ٥٥: ٣٢٤.

وقال ابن عساکر: «قال - الزهري - : فخرجت فتجهّزت حتى قدمت المدينة، فجئت سعيد بن المسيب في مجلسه في المسجد، فدنوت لأسلم عليه فدفع في صدري، وقال: انصرف وأبى أن يسلم علي. قال: فخشيت أن يتكلم بشيء يعينني به فيرويه من حضره قال: فتنحيت ناحية قال: واتّبعته ليخلو، فلما خلا وبقي وحده مشيت إلى جنبه فقلت: يا أبا محمّد، ما ذنبي أنا ابن أخيك ومن مؤدّيك؟ قال: فما زلت أعتذر إليه وأتصل إليه وما يكلمني بحرف وما يردّ علي بكلمة حتى إذا بلغ منزله واستفتح ففتح له فأدخل رجلي ثمّ التفت إلي فقال: أنت الذي ذهبت بحديثي إلى بني مروان؟» نفس المصدر السابق: ٢٩٨.

ونقل ابن عساکر في نفس الجزء:

«عن نافع بن مالك عمّ مالك بن أنس قال: قلت للزهري: أما بلغك أنّ رسول الله ﷺ قال: «من طلب شيئاً من العلم الذي يراد به وجه الله يطلب به شيئاً من عرض الدنيا دخل النار؟» فقال الزهري: لا ما بلغني هذا عن رسول الله ﷺ! فقلت له: كلّ حديث رسول الله ﷺ بلغك؟

قال: لا.

قلت: فنصفه؟

قال: عسى.

👉 قلت: فهذا في النصف الذي لم يبلغك» تاريخ دمشق ٥٥: ٣٦٦.

ونقل عن الشافعي قوله:

«يقولون نحابي ولو حابينا لحابينا الزهري، وإرسال الزهري ليس بشيء، وذاك أنا

نجده يروي عن سليمان بن أرقم» نفس المصدر السابق: ٣٦٨.

ونقل: عن يزيد بن الهذلي عن مكحول قال: «إنما الزهري عندنا بمنزلة الجراب يؤكل

جوفه ويلقى ظرفه».

وعن علي بن حوشب الفزاري قال: «سمعت مكحولاً وذكر الزهري، فقال: كُـلُّ كليله

وكانت به لكثة، قال يزيد: قل قليله أي رجل هو لولا أنه أفسد نفسه بصحبة

الملوك» نفس المصدر السابق: ٣٦٨.

ونقل عن عمرو بن رديح قال: «كنت مع ابن شهاب الزهري نمشي فرآني عمرو بن

عبيد فلقيني بعد فقال: ما لك ولمنديل الأمراء يعني ابن شهاب...» نفس المصدر

السابق: ٣٦٨.

ومن هنا قدح فيه ابن معين كما في (تهذيب التهذيب) عند ترجمته للأعمش قال:

«حكى الحاكم عن ابن معين أنه قال: أجود الأسانيد الأعمش عن إبراهيم عن

علقمة عن عبد الله، فقال له إنسان: الأعمش مثل الزهري، فقال: تريد من الأعمش

أن يكون مثل الزهري؟ الزهري يرى العرض والإجازة ويعمل لبني أمية

والأعمش، فقير، صبور، بجانب للسلطان، ورع عالم بالقرآن» تهذيب التهذيب:

١٩٥:٤.

وروى الذهبي في سير أعلام النبلاء عن أبو داود حدثنا شعبة قال: «خرجت أنا

وهشيم إلى مكة... فلما قدمنا مكة مررت به وهو قاعد مع الزهري فقلت: أبا

معاوية من هذا؟

قال: شرطي لبني أمية، فلما قفلنا، جعل يقول حدثنا الزهري فقلت: وأين رأيته؟

قال: الذي رأيته معي.

قلت: أرني الكتاب فأخرجه فخرقته» سير أعلام النبلاء ٧: ٢٢٦.  
وروى ابن عساكر في (تاريخ دمشق) عن إبراهيم الجعفري قال: كنت عند الزهري  
أسمع منه فإذا عجوز قد وقفت عليه فقالت: يا جعفري لا تكتب عنه فإنه مال إلى  
بني أمية وأخذ جوائزهم.

فقلت: من هذه؟

قال: أختي رقية خرفت.

قالت: خرفت أنت، كتمت فضائل آل محمد. تاريخ مدينة دمشق ٤٢: ٢٢٨.  
فهل بعد كل تلك الخدمة للزهري في البلاط الأموي ولآل مروان الذين انشغلوا بسب  
علي عليه السلام مدة سبعين عاماً على منابرهم وكتمان فضائل آل البيت عليهم السلام وذلك  
للبغض الشديد لعلي عليه السلام يمكن أن تقبل رواية من الزهري في حق علي عليه السلام  
ولمجرد أن البخاري نقلها في صحيحه؟

المورد الثالث: قال: يثير الشيعة دائماً مسألة إغضاب أبي بكر لفاطمة على قصة فدك  
ويقولون إن أبا بكر أغضب فاطمة ومن أغضب فاطمة، أغضب رسول الله، ومن  
أغضب رسول الله أغضب الله، ثم نقل عن مسلم خبر خطبة علي عليه السلام ابنة أبي جهل  
وتأذي فاطمة... إلى أن يقول: من الذي أغضب فاطمة؟

نقول: هذا الكلام يمكن أن ينفع من يتعبد بصحة كل ما في البخاري ومسلم ويضع  
عقله والعلم جانباً، وأما من لا يؤمن بهذه الأسطورة المنسوجة في الفكر السنّي،  
فلا يسلم بصحة ما ورد من خطبة علي عليه السلام ابنة أبي جهل وغضب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم  
تبعاً لغضب إبنته.

ومن يتأمل في الرواية لا بد أن يتساءل كيف يكون النبي صلى الله عليه وآله وسلم مرسل من ربه  
بشريعة ثم يكون أول الناس الذين يرفضون تطبيق أحكامها التي تؤذيهم،  
ويجهر بذلك على المنابر وأمام المألكون فاطمة «بضعة منه يؤذيها ما يؤذيه»؟  
فماذا بقي من كونه أسوة وقدوة وضعه الله تعالى للناس جميعاً؟!

➤ إن رسول الله ﷺ أول الناس في رفض الأهواء والتسليم لحكم الله عز وجل، وكيف تكون فاطمة سيّدة نساء العالمين وسيّدة نساء أهل الجنة ﷺ بقول النبي ﷺ ثم هي تغضب من حلال أحله الله، وهل الإيمان يكون بتحكيم الهوى في قبول الأحكام؟

أو هل هذه أخلاق رسول الله ﷺ في صحيح مسلم؟

أو هل هذه هي التربية النبويّة لفاطمة ﷺ؟

وهل نتمسك برواية ونعتبر صحتها لأنّ مسلم رواها في صحيحه بينما نرتضي أنّ يطعن رسول الله ﷺ في ولاءه لأحكام ربّه؟!

نعم، نحن بين خيارين أنّ نحكم بأنّ الرواية غير صحيحة وإنّ وردت فيما سمّيت بالصحيح، أو نقول: أنّ رسول الله ﷺ يترقّع أن يطبق أحكام الله على نفسه في الحالات التي تؤذيه، وفي اختيار الأمر الأوّل السلامة لديننا.

هذا من جهة متن ومعنى الحديث، أمّا من جهة السند: فالحديث في البخاري ومسلم والنسائي وابن ماجه مروى عن طريق المسوّر بن مخرمة، وانفرد الترمذي بروايته عن ابن الزبير.

أما رواية الترمذي من طريق ابن أبي مليكة عن عبد الله بن الزبير ففي ذلك يقول ابن حجر في فتح الباري: «وخالفهم أيوب فقال: عن أبي مليكة، عن عبد الله بن الزبير، أخرجه الترمذي وقال: حسن،... والذي يظهر ترجيح رواية الليث لكونه توبع ولكون الحديث قد جاء عن المسوّر من غير رواية ابن أبي مليكة» فتح الباري: ٩: ٣٢٧.

وكذلك قال: «... أخرجه الترمذي وصحّحه وقال: يحتمل أن يكون ابن أبي مليكة سمعه منهما جميعاً، ورجّح الدارقطني وغيره طريق المسوّر والأوّل أثبت بلا ريب، لأنّ المسوّر قد روى في هذا الحديث قصّة مطولة قد تقدّمت في باب أصهار النبي ﷺ.

نعم، يحتمل أن يكون ابن الزبير سمع هذه القطعة فقط أو سمعها من المسوّر فأرسلها» فتح الباري ٧: ١٠٥.

وهذا الأخير هو الصحيح والظاهر، ولو سلّم أنّه سمعه من ابن الزبير فهو والمسوّر سواء في العداء لأهل البيت عليهم السلام كما سيأتي.

نعم، روى الحاكم الخبر في المستدرک: ٣: ١٧٣، ولكن بسند مرسل عن سويد بن غفلة، وعلّق الذهبي في التلخيص على الخبر: بأنّه مرسل قوي، وقال في (سير الأعلام) عن سويد: قيل له صحبة ولم يصحّ، ورواه عن أبي حنظلة رجل من أهل مكّة وعلق عليه الذهبي بقوله: مرسل، وروى ثالثاً الخبر عن عبد الله بن الزبير سير أعلام النبلاء: ٤: ٧٠.

فالحقّ أنّه لا يوجد صحابي ينقل الخبر غير المسوّر، وقد صرّح في الرواية بقوله: «سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يخطب الناس في ذلك على منبره هذا وأنا يومئذ محتلم فقال: إنّ فاطمة منّي...».

قال ابن حجر في (الفتح):

«قال ابن سيّد الناس: هذا غلط والصواب ما وقع عند الإسماعيلي بلفظ كالمحتلم، أخرج من طريق يحيى بن معين عن يعقوب بن إبراهيم بسنده المذكور إلى علي بن الحسين، قال: والمسوّر لم يحتلم في حياة النبي صلى الله عليه وآله وسلم، لأنّه ولد بعد ابن الزبير فيكون عمره عند وفاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم ثمان سنين» فتح الباري: ٩: ٣٢٧.

وقال ابن حجر في (تهذيب التهذيب) في ترجمة المسوّر: «... ووقع في صحيح مسلم من حديثه في خطبة علي لإبنه أبي جهل قال المسوّر: سمعت النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأنا محتلم يخطب الناس فذكر الحديث وهو مشكل المأخذ، لأنّ المؤرّخين لم يختلفوا أنّ مولده كان بعد الهجرة، وقصّة خطبة علي كانت بعد مولد المسوّر بنحو من ست سنين أو سبع سنين فكيف يسمى محتتماً...» تهذيب التهذيب: ١٠: ١٣٧.

أفلا تعجب أيّها القارئ خطبة يذكر بها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أمراً مثل هذا لا يحفظه من

❖ الصحابة إلا صحابي كان عمره ست أو سبع سنين حين الخطبة !!  
وقد أجاد ابن حجر التعليق على قول المسوّر بن مخزومة لعلي بن الحسين حين  
قدومه المدينة من عند يزيد بن معاوية حين مقتل الحسين بن علي رحمة الله  
عليه: «هل لك إلي من حاجة تأمرني بها؟ فقلت - أي علي بن الحسين - له: لا،  
فقال: هل أنت معطي سيف رسول الله ﷺ؟ فأني أخاف أن يغلبك القوم عليه؟  
وأيم الله لئن أعطيتني لا يخلص إليهم أبداً حتى تبلغ نفسي، إن علي بن أبي طالب  
خطب إبنة أبي جهل على فاطمة، وساق الخبر المروي في البخاري.  
قال ابن حجر في (الفتح): «ولا أزال أتعجب من المسوّر كيف بالغ في تعصبه لعلي  
ابن الحسين حتى قال: إنّه لو أودع عنده السيف لا يمكن أحداً منه حتى تزهق  
روحه، رعاية لكونه ابن فاطمة محتجاً بحديث الباب، ولم يراع خاطره في أنّ  
ظاهر سياق الحديث المذكور غضاضة على علي بن الحسين لما فيه من إيهام  
غضّ من جدّه علي بن أبي طالب حيث أقدم على خطبة بنت أبي جهل على فاطمة  
حيث اقتضى أن يقع من النبي في ذلك من الإنكار ما وقع.  
بل وأتعجب من المسوّر تعجباً آخر أبلغ من ذلك وهو أن يبذل نفسه دون السيف  
رعاية لخاطر ولد ابن فاطمة وما بذل نفسه دون ابن فاطمة نفسه أعني الحسين  
والد علي الذي وقعت له معه القصة حتى قتل بأيدي ظلمة الولاة» فتح  
الباري: ٩: ٣٢٧.

فابن حجر يورد أمرين:

الأول: كيف يذكر المسوّر لعلي بن الحسين ما يجرح عواطفه بهذه القصة في الوقت  
الذي يريد إظهار ما في نفسه من حبّ له، كتمهيد لطلب سيف رسول الله ﷺ  
منه؟

الثاني: إذا كان هذا الحب لآل النبي ﷺ عند المسوّر لماذا لم يساهم في نصره  
الحسين ﷺ ضد ظلمة الولاة بنفسه في حين أنّه يدّعي أنّه يبذل نفسه للسيف،



☞ هل السيف أهم وأشرف من آل الرسول ﷺ؟!

وهنا حاول ابن حجر أن يبرّر تصرف المسوّر بما لا يجدي.

ثمّ ذكر ابن حجر إشكالاً آخر يחדش الرواية في كتاب فرض الخمس في بيان مناسبة ذكر قصّة السيف مع خطبة علي لإبنة أبي جهل: «... وقال الكرمانى: مناسبة ذكر المسوّر لقصة خطبة بنت أبي جهل عند طلبه السيف من جهة أنّ رسول الله كان يحترز عمّا يوجب وقوع التكدير بين الأقرباء، أي فكذلك ينبغي أنّ تعطيني السيف حتّى لا يحصل بينك وبين أقربائك كدورة بسببه، أو كما أنّ رسول الله كان يراعي جانب بني عمّه العبشميين فأنت أيضاً راع جانب بني عمّك النوفليين لأنّ المسوّر نوفلي فتح الباري: ٦: ٢١٤.

ثمّ قال ابن حجر: «كذا قال، والمسوّر زهري لا نوفلي (وهو ردّ ابن حجر على الكرمانى)، قال: أو كما رسول الله كان يحبّ رفاهيّة خاطر فاطمة ؓ فأنا أيضاً أحبّ رفاهيّة خاطر لكونك ابن ابنها فاعطني السيف حتّى أحفظه لك. قلت: وهذا الأخير هو المعتمد وما قبله ظاهر التكلّف، وسأذكر إشكالا يتعلّق بذلك في كتاب المناقب» انتهى كلام ابن حجر.

وهذا المعتمد عند ابن حجر مردود بأنّه إذا كان ذكر القصّة ليظهر المسوّر لعلي بن الحسين ؓ أنّه يحبّ رفاهيّة خاطره فأيّ خصوصيّة للسيف، فعلي بن الحسين ؓ قد قدم إلى المدينة بعد مقتل الحسين ؓ بحرم رسول الله ﷺ من نساء ثكلى وأطفال يتامى، فهل رفاهيّة خاطر وإظهار المحبّة لأبناء فاطمة ؓ في مثل هذا الحال يكون في ضمان حفظ سيف رسول الله ﷺ من أيدي الظلمة فقط؟

وعلى فرض صحّة القصّة كيف نجيب على هذه التساؤلات؟

إذ تضمّنت خطبة النبي ﷺ على المنبر كما ذكر البخاري عبارة: «وإني لست أحرّم حلالاً ولا أحلّ حراماً، ولكن والله لا تجتمع بنت رسول الله وبنت عدو الله أبداً».

☞

👉 ونتساءل ما معنى هذا الكلام؟ فهل يعقل أن رسول الله ﷺ يظهر بهذا المظهر الحادّ في رفض حكم عامّ من أحكام الله العامّة لأنّها ستطبّق على ابنته. والنبوي ﷺ أقرّ بأنّ عليّاً عليه السلام لم يرتكب حراماً، فأقصاه أن يكون النهي تنزيهاً مراعاة لفاطمة الزهراء عليه السلام ولكنه مع ذلك صعد المنبر وأعلن القصّة على الملأ وشهر بعلي عليه السلام، فهل هذا الأمر يتلاءم مع شأن رسول الله ﷺ الذي ثبت من أنّه «كان إذا بلغه عن الرجل الشيء لم يقل: ما بال فلان يقول، ولكن يقول: ما بال أقوام يقولون كذا وكذا»، وكذلك ورد عنه «كان رسول الله ﷺ قلّ ما يواجه رجلاً في وجهه بشيء يكرهه».

وقد التفت ابن حجر إلى هذه الناحية حيث قال: «وكان النبي ﷺ قلّ أن يواجه أحداً بما يعاب به»، ثمّ اعتذر قائلاً: «ولعله إنّما جهر بمعاتبه عليّ مبالغة في رضا فاطمة عليه السلام» فتح الباري: ٧: ٨٦.

نعم، الأمر معقول مع وجود حكم خاص بفاطمة عليه السلام، فيحرم الزواج على سيّدة نساء العالمين، وبناء على كون الأمر على هذا النحو الطبيعي أن يصرح رسول الله ﷺ بذلك، كما أنّه لا يتناسب مع قوله إنّني لا أحرم حلالاً، ولا مع تصوير الأمر بأنّه خاصّ بالمورد بملاحظة عبارة لا تجتمع بنت رسول الله ﷺ مع بنت عدو الله بحيث لو كان غيرها لما اعترض، ولا مع عبارة إنّني أخاف أن تفتن في دينها.

نعم، السياق المعقول لمثل ذلك بناء على الرؤية السنيّة هو ما رواه الحاكم في (المستدرک) من أن عليّاً استشار النبي ﷺ وقال له: «أأمرني بها»، فقال: لا فاطمة مضغة مني ولا أحسب إلاّ وأنّها تحزن وتجزع، فقال عليّ: لا آتي شيئاً تكرهه. المستدرک على الصحيحين: ٣: ١٧٣، ولكن كما قلنا هو خبر مرسل.

ويكفي لرفض الخبر ما رواه الشيخ الصدوق في (الأمالي) كما عن (البحار) عن علقمة قال: قلت للصادق عليه السلام: يا بن رسول الله، إنّ الناس ينسبوننا إلى عظام

☞ الأمور، وقد ضاقت بذلك صدورنا؟ فقال عليه السلام: «يا علقمة إنَّ رضا الناس لا يملك وأستنتهم لا تضبط، وكيف تسلمون ممّا لم يسلم منه أنبياء الله ورسله وحجج الله عليه السلام... ألم ينسبوا نبينا محمّداً صلى الله عليه وآله وسلم إلى أنّه شاعر مجنون؟ ألم ينسبوه إلى أنّه هوى امرأة زيد بن حارثة فلم يزل بها حتّى استخلصها لنفسه؟... وما قالوا في الأوصياء أكثر من ذلك ألم ينسبوا سيّد الأوصياء عليه السلام إلى أنّه يطلب الدنيا والملك؟... ألم ينسبوه إلى أنّه عليه السلام أراد أن يتزوج ابنة أبي جهل على فاطمة عليها السلام وأن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم شكاه على المنبر إلى المسلمين فقال: إنّ عليّاً يريد أن يتزوج ابنة عدو الله على ابنة نبي الله! ألا إنّ فاطمة بضعة مني فمن آذاها فقد آذاني ومن سرها فقد سرنى ومن غاظها فقد غاظني» بحار الأنوار: ٢:٧٠.

المهم أن الحديث مرفوض عند الشيعة متناً وسنداً، وقد أشار ابن حجر إلى ذلك في (الفتح) حينما ذكر تكذيب السيّد المرتضى للخبر لأنّه من رواية المسوّر وكان فيه انحراف عن علي عليه السلام فتح الباري: ٨٦:٧.

فالعلة كلّ العلة في المسوّر، فيكفي أولاً كونه من جنود عبد الله بن الزبير الذي أضلّ أباه وزين له حرب علي في معركة (الجمل)، بل الخوارج ينتهلون منه قال الذهبي في (سير أعلام النبلاء): «وقد انحاز إلى مكّة مع ابن الزبير وسخط إمرة يزيد وقد أصابه حجر منجنيق في الحصار، قال الزبير بن بكار كانت الخوارج تغشاه ويتنقلونه،... قال عروة: فلم أسمع المسوّر ذكر معاوية إلّا صلّى عليه... وعن عطاء بن يزيد كان ابن الزبير لا يقطع أمراً دون المسوّر بمكة» سير أعلام النبلاء: ٣:٣٩١.

ونقل ابن عساكر في (تاريخ دمشق): «عن الزبير بن بكر: وكانت الخوارج تخشى المسوّر بن مخرمة وتعظّمه ويتحلون رأيه» تاريخ دمشق: ٥٨:١٦١.

نعم، يمكن أن يكون هناك أصل للخبر تمثل في إشاعة بثّها المنافقون حول علي عليه السلام بأنّه تقدّم لخطبة ابنة أبي جهل أذيةً لهما، فبين رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنّ مثل هذا لا

✪ يجوز بالنسبة إلى زوج سيّدة نساء العالمين عليها السلام، فلا تؤذى بمثل هذا الأمر. فقد روى الصدوق في (العلل) كما عن البحار عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام: «جاء شقي من الأشقياء إلى فاطمة بنت محمد عليها السلام فقال لها: أما علمت أنّ علياً قد خطب بنت أبي جهل... قال رسول الله صلى الله عليه وآله: فما دعاك إلى ما صنعت؟ فقال علي: والذي بعثك بالحق نبياً ما كان مني ممّا بلغها شيء ولا حدثت بها نفسي» بحار الأنوار: ٤٣: ٢٠١، لكن الخبر ضعيف السند منكر المضامين. بقيت لدينا مسألة إغضاب أبي بكر للزهراء عليها السلام، فنحن أمام قضية منطقيّة واضحة، نرجو من علماء أهل السنة أن يبيّنوا الخطأ إذا كانت هناك مغالطة في البين أن أبا بكر أغضب فاطمة عليها السلام كما في الصحيح بشكل غير قابل للتأويل، ومن أغضب فاطمة عليها السلام أغضب رسول الله صلى الله عليه وآله ومن أغضبه صلى الله عليه وآله أغضب الله تعالى.

ونقل أنّ علياً عليه السلام أيضاً أغضب فاطمة عليها السلام كما تعتقدون ألم يؤيّد رسول الله صلى الله عليه وآله فاطمة عليها السلام مع أنّ الأمر كان حلالاً لعلي عليه السلام، فلماذا لا تخطّون أبا بكر مع فرض أنّ الأمر جائز له؟! ألم يكن تسليم فدك جائزاً له فلماذا لم يرضها ويعطها فدكاً كما أرضاها علي عليه السلام وترك الخطبة؟! بل تقولون إنّ عثمان أرضى قرابته ومنهم مروان فأقطعهم فدكاً، وقد روى ذلك ابن حجر في (فتح الباري) فتح الباري: ٦: ٢٠٤.

المورد الرابع: ذكر ما روي عن البراء بن عازب في صحيح البخاري ونقله العلامة المجلسي في (بحار الأنوار) من تفاصيل صلح الحديبية، قال: لمّا صالح رسول الله أهل الحديبية كتب علي بن أبي طالب بينهم كتاباً فكتب محمد رسول الله فقال المشركون: لا تكتب رسول الله لو كنت رسولاً لم نقاتلك فقال لعلي: امحه، فقال علي: ما أنا بالذي أمحاه، فمحا رسول الله صلى الله عليه وآله بيده، واعتبر امتناع علي عليه السلام عن الكتابة معصية منه لرسول الله صلى الله عليه وآله.

نقول: مرّ سابقاً الحديث في هذا الموضوع، وعبارة «ما أنا بالذي أمحاه فمحا»

➤ رسول الله ﷺ بيده» التي نسبتها للمجلسي في (بحار الأنوار) ذكرها المجلسي بحار الأنوار: ٣٢٨:٣٨، نقلاً لرواية البخاري فلا يصح اعتبار المذكور في البحار مصدراً آخر للرواية، فضلاً عن أنّ العبارة في تلك الصفحة «قال: لا والله لا أمحوك أبداً»، ونقل البحار للرواية من مصادر العامة لم يكن خافياً في الصفحة ولكنه تعاماً وتعصب، فالمجلسي في الباب ٦٧ المعنون بأنّ عليّاً عليه السلام كان أخصّ الناس برسول الله ﷺ ذكر الرواية بالشكل التالي:

٣٩ - وروى ابن الأثير في جامع الأصول عن البخاري ومسلم بسنديهما عن البراء ابن عازب... ونقل الخبر.

وأما عبارة علي عليه السلام المنقولة في (بحار الأنوار) نقلاً عن (أعلام الوري) أي من مصادر الشيعة فهي: «يا رسول الله إن يدي لا تنطلق بمحو اسمك من النبوة» بحار الأنوار: ٣٦٢:٢٠، وقد مرّ الحديث عن هذا الأمر فيما سبق فليراجع المورد الخامس: روي عن مسند أحمد عن علي أنّه أتى النبي فقال إن أبا طالب مات ، فقال له النبي: اذهب فواره، فقال علي: إنّه مات مشركاً، فقال رسول الله: اذهب فواره.

قال: «لو وقع هذا من عمر أو أبي بكر لقالوا كيف لا ينقذون أمر رسول الله وهل هم يعلمون رسول الله؟».

نقول: الرواية التي فيها زيادة قول علي عليه السلام «إنّه مات مشركاً» والتي اعتبرها اعتراضاً من علي عليه السلام على النبي ﷺ، رواها أحمد عن محمد بن جعفر عن شعبة عن أبي إسحاق عن ناجية بن كعب (مسند أحمد بن حنبل: ٢: ١٥٣ - ٧٥٩)، وذكرت مرّة أخرى (نفس المصدر السابق: ٣٣٢ برقم ١٠٩٣)، عن وكيع عن سفيان عن أبي إسحاق عن ناجية بن كعب، ولكن ليس فيها زيادة «إنّه مات مشركاً»، وروى الخبر أحمد مرتين عن أبي عبد الرحمن السلمي عن علي، الأولى تحت رقم ٨٠٧ والثانية تحت رقم ١٠٧٤ ولم تذكر فيهما الزيادة السابقة.

❖ قال محقق الكتاب معلقاً على السند الأول المتضمن للزيادة: «إسناده ضعيف ناجية ابن كعب هو الأسدي كما حقه الحافظ في (التهذيب) قال ابن المديني: لا أعلم أحداً روى عنه غير أبي إسحاق وهو مجهول ولم يوثقه غير العجلي، وقد وهم الحافظ في (التقريب) فقال عنه: ثقة! وأما قوله في (التهذيب) إن ابن حبان ذكره في (الثقات) فهو وهم منه أيضاً فإنه ليس فيه وإنما ذكره في (المجروحين) ٥٧:٣، وقال: ناجية بن كعب من أهل الكوفة وهو الأسدي يروي عن علي، روى عنه أبو إسحاق وأبو حسان الأعرج كان شيخاً صالحاً إلا أن في حديثه تخليطاً لا يشبه حديث أقرانه الثقات عن علي فلا يعجبني الاحتجاج به إذا انفرد، وفيما وافق الثقات فإن احتج به محتج أرجو أنه لم يجرح في فعله ذلك.

قلنا: وقد ضعف الحديث البيهقي في (السنن)، وتبعه النووي في (المجموع) ١٤٤:٥، فضغفه ونقل البيهقي عن علي بن المديني أنه قال: في إسناده بعض الشيء»، انتهى كلام المحقق.

وكم حديث في مسند أحمد فيه دلالة على الحق رده هذا الكاتب لضعف سنده، ولكنه هنا حينما يبلغ الحديث موضعاً صرح هو بأنه «وقفت عندها كثيراً وترددت في الكتابة فيه... هل يجوز أن أذكر ما أراه من ما أخذ على علي عليه السلام ... مع أنني لا أقصد الإساءة» لا يابه بالسند، وينقل ما شاء للإساءة إلى أمير المؤمنين وإن لم يدل على المطلوب بمتنه أو كان ضعيفاً في سنده.

وأغلب الظن أن زيادة «مات مشركاً» توهم من شعبة، فقد روى الخطيب في (تاريخ بغداد) عن أبي بكر الأثرم قال: سمعت أبا عبد الله - ابن حنبل - يقول: «كان شعبة يحفظ، لم يكتب إلا شيئاً قليلاً وربما وهم في الشيء» تاريخ بغداد: ٩: ٢٦٠). ويظهر أنه كان متعصباً ضد علي عليه السلام فقد ذكر الذهبي في (سير أعلام النبلاء): «قال أمية بن خالد قلت لشعبة: إن أبا شيبة حدثنا عن الحكم عن عبد الرحمن ابن أبي ليلى أن صفين شهدها من أهل بدر سبعون رجلاً قال: كذب أبو شيبة، لقد

☞ ذكرت الحكم فما وجدنا أحداً شهد صفين من أهل بدر غير خزيمة بن ثابت»  
سير أعلام النبلاء: ٧: ٢٢١.

قال الذهبي: قلت: قد شهدها عمّار بن ياسر والإمام علي أيضاً.  
كما ذكر الخطيب ما يدلّ على رفضه أن ينشر الحديث المنقول عن علي عليه السلام فقد روى  
في (تاريخ بغداد) عن أبي داود الطيالسي أنّه قال :  
«كنا عند شعبة بن الحجاج في البيت وجراب معلق، فالتفت فإذا هو في السقف، فقال:  
«ترون ذلك الجراب؟ والله لقد كتبت فيه عن الحكم عن عبد الرحمن بن أبي ليلى  
عن علي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لو حدثتكم به لرقصتم» تاريخ بغداد: ٩: ٢٦١.  
فلماذا يمتنع عن ذلك، مع أن وثاقة الحكم وعبد الرحمن من المسلمات عندهم؟!  
هذا من جهة السند.

وأما من ناحية متن الحديث، فالروايات في هذا الشأن من دون تلك الزيادة كلّها  
تكتمل أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم علّم علياً عليه السلام دعاءً عدّ من خصائص علي عليه السلام.  
فتمتّ الحديث: «قال اذهب فواره ثمّ لا تحدث شيئاً حتّى تأتيني، قال: فواريته ثمّ  
أتيته، قال: اذهب فاغتسل ثمّ لا تحدث شيئاً حتّى تأتيني قال: فاغتسلت ثمّ أتيته  
قال: فدعا لي بدعوات ما يسرّني أن لي بها حمر النعم وسودها».  
ولذلك جعل النسائي في (السنن الكبرى) هذه الرواية تحت باب «ما خصّ به النبي  
عليّاً من الدعاء» وفيها يقول علي عليه السلام: «لما رجعت قال لي كلمة ما أحبّ أن لي بها  
الدنيا فاغتسلت ودعا لي بدعوات ما يسرّني ما على الأرض بشيء منها» السنن  
الكبرى للنسائي: ٥: ١٥١.

فعلى فرض صدور تلك الجملة من علي عليه السلام، ألا يمكن أن تعتبر كقول الملائكة  
«أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ» (البقرة: ٣٠)، هل اعتبره أحد العلماء  
اعتراضاً من الملائكة ومأخذاً عليهم كما حاول أن يتخذهُ مأخذاً على علي عليه السلام.  
المورد السادس: قال: روى البخاري دخل العباس وعلي على عمر فقال العباس: يا

➤ أمير المؤمنين اقض بيني وبين هذا... فاستتب علي وعبّاس... قال: كيف يسبّ علي عمّه العبّاس؟

قال ابن حجر العسقلاني في (فتح الباري): «(فقال عبّاس: يا أمير المؤمنين اقض بيني وبين هذا) زاد شعيب ويونس (فاستتب علي وعبّاس)، وفي رواية عقيل عن ابن شهاب في الفرائض (اقض بيني وبين هذا الظالم، استتباً)، وفي رواية جويرية (وبين هذا الكاذب الآثم الغادر الخائن)، ولم أر في شيء من الطرق أنّه صدر من علي في حق العبّاس شيء بخلاف ما يفهم قوله في رواية عقيل (استتباً)» فتح الباري: ٦: ٢٠٥.

إذ الرواية في صحيح مسلم كتاب الجهاد والسير باب حكم ألفي بلفظ «فأذن لهما، فقال عبّاس: يا أمير المؤمنين، فاقض بيني وبين هذا الكاذب الآثم الغادر الخائن» صحيح مسلم: ٣: ١٣٧٧)، ولم ينسب إلى علي عليه السلام أنّه صدر شيء منه اتّجاه عمّه. ثم تابع ابن حجر قائلًا: «واستصوب المازري صنيع من حذف هذه الألفاظ من هذا الحديث وقال: لعل بعض الرواة وهم فيها، وإن كانت محفوظة، فأجود ما تحمل عليه أنّ العبّاس قالها دلالاً على علي لأنّه عنده بمنزلة الولد، فأراد رده عمّا يعتقد أنّه مخطئ فيه وأن هذه الأوصاف يتّصف بها لو كان يفعل ما يفعله عن عمد قال: ولا بدّ من هذا التأويل لوقوع ذلك بمحض الخليفة ومن ذكر معه ولم يصدر منهم إنكار لذلك مع ما علم من تشدّدهم في إنكار المنكر» (فتح الباري الصفحة السابقة).

وقال ابن حجر في (الفتح): «قال ابن التّين: معنى قوله في هذه الرواية (استتباً) أي نسب كلّ واحد منهما الآخر إلى أنّه ظلمه، وقد صرّح بذلك في هذه الرواية بقوله (اقض بيني وبين هذا الظالم) قال: ولم يرد أنّه يظلم الناس وإنّما أراد ما تأوله في خصوص هذه القصة ولم يرد أن عليّاً سبّ العبّاس بغير ذلك لأنّه صنو أبيه، ولا أنّ العبّاس سبّ عليّاً بغير ذلك لأنّه يعرف فضله وسابقته، وقال المازري: هذا



☞ اللفظ لا يليق بالعبّاس وحاشا علياً من ذلك فهو سهو من الرواة، وإن كان لا بدّ من صحّته فليؤوّل بأن العبّاس تكلم بما لا يعتقد ظاهره مبالغة في الزجر...» فتح الباري: ١٣: ٢٨٠.

وأما الكرمانى فقد قال في شرحه لصحيح البخارى: «(استبّأ) أي تخاشنا في الكلام وتكلّمنا بغليظ القول كالمستبّين» (شرح صحيح البخارى للكرمانى - مجلد ١٢ - ج ٢٥ ص ٥٠).

وأما القاضي عياض فقد قال في (إكمال المعلم): «وقول العبّاس: (اقض بيني وبين هذا الكاذب الأثم الخائن الغادر) قال الإمام - المازري - اللفظ الذي وقع من العبّاس لا يليق بمثله، وحاشا علياً منه أنّ يكون به بعض هذه الأوصاف فضلاً عن كلّها أو أن يلمّ بها ولسنا نقطع بالعصمة إلاّ للنبي ﷺ أو لمن شهد له بها لكنّ مأمورون بتحسين الظن بالصحابة (رض)، ونفي كلّ رذيلة عنهم، وإضافة الكذب لرواتها عنهم، إذا استدّت طرق التأويل. وقد حمل بعض الناس هذا الرأي على أنّ أزال من نسخته ما وقع في هذا الحديث من هذا اللفظ، وما هو بعده ممّا هو في معناه تورّعاً عن إثبات مثل هذا، أو لعلّه يحمل الوهم على رواته» إكمال المعلم: ٦: ٧٧.

انظر أخي كيف يشكك علماء السنّة في صحّة نسبة هذا الأمر إلى العبّاس ، وكيف يستعجل إنسان بجهالته ويقطع بنسبة هذا الأمر إلى علي عليه السلام ، فهؤلاء التفتوا إلى أن إثبات مثل هذه الأقوال إلى الصحابة يضرّ بعدالتهم وقدسيّتهم التي يؤمنون بها، وأما الجاهل فلا يستطيع أن يلتفت إلى ذلك لأنّ ولعه بإثبات أخطاء لعلي عليه السلام أعماه.

ثمّ يتابع المازري كلامه قائلاً: «وإن كان هذا اللفظ لا بدّ من إثباته ولا يضاف الوهم إلى رواته فأمثل ما حمل عليه أنّه صدر من العبّاس على جهة الإدلال على ابن أخيه، لأنّه في الشرع أنزل منزلة أبيه، وقال في ذلك ما لا يعتقد أنه مخطئ فيها أو

☞ أنّ هذه الأوصاف وقع فيه على مذهبه من غير قصد لها بل كان علي عليه السلام متأولاً فيها...».

وتابع كلامه قائلاً: «ومن الدليل على أنّ هذه الطريقة هي التي تسلك في التأويل أو ما في معناها أن مجلساً حضر فيه عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهو أمير المؤمنين وقد عرف من تشدده في الحدود والأعراض وبعده عن المداهنة ما فاة به الناس وفيه عثمان وعبد الرحمن بن عوف والزبير وسعد (رض) ثمّ قال هذا ولا ينكره منكر... وما ذلك إلا لما تأولناه من أنّهم فهموا بقريئة الحال أنّه قال ما لا يعتقد على جهة المبالغة في الزجر لعلي عليه السلام وزاد له حرمة الأبّ والأبّ لا ينبغي أن ينصف منه في العرض هذا عندي وجه تأويل ما وقع في هذا» انتهى ما نقله القاضي عن المازري.

هذا ما يراه علماء الحديث وشرّاح البخاري ومسلم في هذا الأمر وكُلّ التبرير منصبّ على أنّه أمر صدر من العباس دون علي عليه السلام، لأنّه المقدار المعلوم عندهم. المورد السابع: قال - بعد نقل رواية لمسلم - كثيراً ما يقول الشيعة كيف يمكن أن يكون عمر خليفة للمسلمين، وهو لا يعرف حكم التيمّم؟ ونحن نقول هذا علي بن أبي طالب لا يعرف حكم المذي.

نقول: هذا الأمر الذي جعله من المآخذ على الإمام علي عليه السلام، هو في غاية الغرابة، فهل يستوي من يجهل حكم شرعي - على مبناهم بصحّة هذا الخبر، لأنّه في صحيح مسلم - في عصر رسول الله صلى الله عليه وآله فيسأل عنه النبي صلى الله عليه وآله إمّا مباشرة أو بواسطة مع وجود العذر، مع من يجهل حكم شرعي بأهميّة التيمّم وسعة الابتلاء به، وبعد مرور أكثر من عقد من الزمان على نزول حكمه وتبليغه إلى الناس؟! بل حكمه بين في القرآن الكريم، ويفترض أن خليفة المسلمين على اطلاع بآياته وأحكامه؟!!

وقد روي أنّه عليه السلام كان يحتاط في ذلك بحيث سبّب الأذى والمشقة لنفسه عليه السلام وفي

❦ ذلك يقول ابن حجر في (فتح الباري): «ووقع في رواية لأبي داود والنسائي وابن خزيمة ذكر سبب ذلك من طريق حصين بن قبيصة عن علي، قال: كنت رجلاً مذاءً فجعلت أغتسل منه في الشتاء حتى تشقق ظهري، فقال النبي ﷺ: لا تفعل» فتح الباري: ١: ٣٨٠.

ويقول: «... وفيه استعمال الأدب من ترك المواجهة بما يستحى منه عرفاً، وحسن المعاشرة مع الأصهار، وترك ذكر ما يتعلق بجماع المرأة ونحوه بحضرة أقاربها» فتح الباري: ١: ٣٨١.

فابن حجر يرى تصرف علي عليه السلام من حسن الأدب وتوقير الرسول ﷺ، فانظر إلى الرؤية السليمة إلى النص، وقارنها بالكلمات التي يشتم منها رائحة النصب. وأما عن موقف عمر المختلف تماماً، فيذكر ابن حجر في (فتح الباري) رواية البخاري: «عن شقيق بن سلمة قال: كنت عند عبد الله - عني ابن مسعود - وأبي موسى فقال له أبو موسى: رأيت يا أبا عبد الرحمن إذا أجنب فلم يجد ماء كيف يصنع؟ فقال عبد الله: لا يصلّي حتى يجد الماء. فقال أبو موسى: فكيف تصنع بقول عمار حين قال له النبي ﷺ: «كان يكفيك هكذا فضرب النبي ﷺ بكفيه الأرض...» قال: ألم تر عمر لم يقنع بذلك؟ فقال أبو موسى: فدعنا من قول عمار كيف تصنع بهذه الآية؟ فما درى عبد الله ما يقول، فقال: إنّنا لو رخصنا لهم في هذا لأوشك إذا برد على أحدهم الماء أن يدعه ويتيمم، فقلت لشقيق: فإتّما كره عبد الله لهذا؟ قال: نعم.

ثم قال ابن حجر: «وفيه جواز التيمم للجنب بخلاف ما نقل عن عمر وابن مسعود» نفس المصدر السابق: ١: ٤٥٥.

إذاً لعمر رأي في مقابل الحكم الشرعي الذي بلّغه رسول الله ﷺ للناس، والذي ذكره القرآن في آية التيمم، فهل يشبه حال من جهل الحكم ومنعه الحياء لمكان ابنة رسول الله ﷺ من السؤال عنه - لو أردنا التنزل وقبول الخبر - وشقّ على

☞ نفسه باحتياطات ثقيلة كالإغتسال في الشتاء، فهل حاله حال من نزلت آية التيمم في زمن الرسالة النبوية، ثم بعد عقد من الزمان يسأله رجل - كما يروي مسلم في صحيحه كتاب الحيض باب التيمم - فيقول: إني أجنب فلم أجد ماء فقال: لا تصل.

لا أعرف كيف نفّس فتوى خليفة المسلمين بترك الصلاة عند عدم وجود الماء، مع وجود آية التيمم الصريحة في القرآن؟

فعلي عليه السلام حينما جهل الحكم كان فرداً في الأمة ولم يرد نص في المورد الذي سأل عنه، بينما عمر حينما قال هذا الرأي كان خليفة المسلمين، وأفتى بخلاف حكم نزل فيه نص قرآني واضح، هذا ما يؤخذ عليه عمر.

ثانياً: الموارد التي ذكرها من كتب الشيعة:

قال: «أمّا المآخذ التي على علي بن أبي طالب من كتب الشيعة فإنّي أستغفر الله كثيراً من ذكرها لأنها تدلّ على خبث طوية من رواها».

نقول: كتابه على الأغلب مبني على اتهام الشيعة بأنّ استدلالهم لم تبتن وفق المصادر المعتبرة عند السنة والروايات الصحيحة، ويرمي الآخرين بالكذب على الله ورسوله ﷺ لأنه لم يتحرّ الدقة في تصحيح علماء السنة للحديث المستدلّ به.

لذا فمن الغريب أن يقوم هو بنفس الأمر الذي ذمّ الآخرين عليه، فاستدلّ بروايات موجودة في كتب الحديث عند الشيعة مثل كتاب (بحار الأنوار) والذي يصرّح علماء الشيعة بأنها كتب جامعة للحديث لا أكثر، وهي متروكة لأهل التحقيق والبحث لتمييز الصحيح من غيره فيها.

فهلّا حكم على نفسه بالأحكام السابقة وسنّمها؟ نترك الأمر للمنصفين

لا تنه عن خلق وتأتي مثله عار عليك إذا فعلت عظيم

والأعجب من ذلك أنه يعبّر عن رواة الشيعة وكتّابها الذين نقلوا الأخبار بأنّ

رواياتهم لها تدلّ على خبث الطوية في حين أنّك ستري أنّ منها ما يوجد في المصادر الروائية للسنة، بل بعضها في الصحاح، والأغرب أنّك ترى ذلك في أوّل الأمثلة التي يوردها، فانظر معي أيّها القارئ:

المورد الأوّل:

نقل عن (البحار) خبراً عن عليّ عليه السلام، قال: سافرت مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ... وكان له لحاف ليس له لحاف غيره، ومعه عائشة، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ينام بيني وبين عائشة ليس علينا ثلاثتنا لحاف غيره، فإذا قام إلى صلاة الليل يحطّ بيده للحاف من وسطه بيني وبين عائشة حتّى يمسّ اللحاف الذي تحتنا... والأدهى من ذلك أنّهم يروون في الكافي عن أبي عبد الله، قال: في الرجل والمرأة يوجدان في لحاف واحد يجلدان مائة جلدة.

نقول: والمجلسي صاحب كتاب (بحار الأنوار) بدوره نقل الرواية عن كتاب (الاحتجاج) للشيخ الطبرسي الذي ينقل الخبر معلقاً عن سليم بن قيس، وجلّ روايات (الاحتجاج) محذوفة الإسناد ممّا يفقدها قدراً كبيراً من القيمة، والخبر موجود في واحد من نسخ كتاب سليم بن قيس المشهور والمتداول دون النسخ الأخرى.

والعجب أنّ مثل تلك الرواية وردت مصحّحة في مصادر السنة، فهل تصفح هذا الكاتب كتاب (المستدرک) للحاكم يوماً، ورأى أيّ مثالب وضعت لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على أنّها مناقب للصحابة؟ وإليك هذا المثال:

روى الحاكم في (المستدرک) في مناقب الزبير بن العوام، عن عبد الله بن الزبير، عن أبيه، قال: «أرسلني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في غداة باردة فأتيته وهو مع بعض نسائه في لحافه فأدخلني في اللحاف فصرنا ثلاثة».

قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرّجاه، وقال الذهبي في التلخيص: صحيح. (المستدرک على الصحيحين - ج ٣ ص ٤١٠).

☞ فما تقول في مثل هذه الرواية المذكورة في مصدر سنّي كتب بقصد جمع الروايات الصحيحة، بل أقرّ الذهبي بصحة الخبر، فهل تجرء الآن وتقول إنّها تدلّ على خبث طوية الحاكم النيسابوري والذهبي، أم تتراجع عن شتائمك؛ لأنّ القائل من أتباع مذهبك، أليس من الأولى أن تقول: لعن الله من صحّح هذه الرواية قبل أن تقول لعن الله من وضعها.

والأدهى ذكر الكاتب لرواية الكافي من أنّ الرجل والمرأة يوجدان في لحاف واحد يجلدان مائة جلدة، فالعجب من هذا العمى أو التعامي الذي يجعله يوحد بين روايتين إحداهما واضحة في كونهما عاريتين تحت اللحاف بقريئة شروح العلماء وقريئة الروايات الأخرى في الباب، مثل الرواية العاشرة التي تنصّ على أنّ عليّاً عليه السلام كان إذا وجد رجلين في لحاف واحد مجردين جلدتهما حدّ الزاني. (الكافي - ج ٧ ص ١٨٢)، والثانية صريحة بأنّه إذا قام إلى صلاة الليل يحطّ بيده اللحاف من وسطه حتّى يمس اللحاف الفراش الذي تحتنا.

المورد الثاني:

نقل عن (البحار) قول علي عليه السلام: «غدا علينا رسول الله، ونحن في لفاعنا فقال: السلام عليكم فسكتنا واستحيينا لمكاننا، ثمّ قال: السلام عليكم فسكتنا».

قال الكاتب: فكيف لا يردّ السلام على رسول الله صلى الله عليه وآله مرّتين؟

نقول: الحديث نقله المجلسي عن (علل الشرائع) للصدوق (علل الشرائع - ج ٢ ص ٦٥)، وفي روايته: أبي الورد بن تمامة، والحريري وهو سفيان، وأحمد ابن الحسن القطّان، والحسن بن علي بن الحسين السكري، والحكم بن أسلم كلّهم مجهولون، لم نعثر لهم على ترجمة.

فأيّ قيمة لحديث هذا سنده، نعم، بقتية الرواية وهي تعليم النبي صلى الله عليه وآله التسبيح للزهراء وعلي عليهما السلام عوضاً عن طلب الخادم متواتر عند الفريقين في روايات متعدّدة.

❦ كما أنّ تتمة الرواية فيها ما يشعر بأنّ عدم ردّ السلام على النبي ﷺ مرّتين كان بسبب اعتبارهم السلام من خلف الباب نوع استئذان، وعدم الإجابة يعبر عن عدم وجود إذن بالدخول: «فسكتنا واستحيينا لمكاننا، ثمّ قال: السلام عليكم فسكتنا، فخشينا إن لم نردّ عليه أن ينصرف، وقد كان يفعل ذلك، يسلم ثلاثا فإن أذن له وإلا انصرف، فقلت: وعليك السلام يا رسول الله ادخل...»  
 فقوله: «وقد كان يفعل ذلك، يسلم ثلاثا فإن أذن له وإلا انصرف» مشعر بأنّ عادة القوم كانت كذلك، فالسلام من وراء الباب لم يكن إلا للاستئذان في الدخول.  
 ويدلّ عليه ما رواه النسائي في السنن الكبرى عن عليّ بن أبي طالب: «كانت لي منزلة من رسول الله ﷺ لم تكن لأحد من الخلائق فكنت آتية كل سحر، فأقول: السلام عليك يا نبيّ الله فإن تنحج انصرفت إلى أهلي وإلا دخلت عليه» (السنن الكبرى للنسائي - ج ٥ ص ١٤١ (٨٥٠٣)).

قال محقق الكتاب: إسناده ثقات غير عبد الله صدوق.

وفي مصادر السنّة ذكرت روايات صحيحة يمتنع فيها عمر عن ردّ السلام، فقد روى مسلم في صحيحه كتاب الآداب باب الاستئذان عن أبي سعيد الخدري، قال: كنت في مجلس عند أبي بن كعب، فأتى أبو موسى الأشعري مغضباً حتّى وقف فقال: أنشدكم الله! هل سمع أحد منكم رسول الله ﷺ يقول «الاستئذان ثلاث، فإن أذن لك وإلا فارجع» قال أبي: وما ذاك؟ قال: استأذنت على عمر بن الخطّاب أمس ثلاث مرّات، فلم يؤذن لي فرجعت، ثمّ جيئت اليوم فدخلت عليه فأخبرته أنّي جيئت فسلمت ثلاثاً، ثمّ انصرفت، قال: قد سمعناك، ونحن حينئذ على شغل، فلو استأذنت حتّى يؤذن لك؟ قال: استأذنت كما سمعت رسول الله ﷺ، قال: فوالله لأوجعن ظهرك وبطنك أو لتأتين بمن يشهد لك على هذا...» (صحيح مسلم - ج ٣ ص ١٦٩٤ ح ٣٤).

وروى «جاء أبو موسى إلى عمر بن الخطّاب فقال: السلام عليكم، هذا عبد الله بن

☞ قيس فلم يأذن له فقال: السلام عليكم، هذا أبو موسى، السلام عليكم هذا الأشعري، ثمَّ انصرف...» (نفس المصدر السابق - ح ٣٧).  
قال ابن حجر قد ذكر في فتح الباري عند شرحه لما رواه البخاري: عن أبي سعيد، قال: كنت في مجلس من مجالس الأنصار، إذ جاء أبو موسى كأنه مذعور، فقال استأذنت على عمر ثلاثاً فلم يؤذن لي فرجعت...»  
وفي الحديث أيضاً أنّ لصاحب المنزل إذا سمع الاستئذان أن لا يأذن، سواء سلّم مرّة أو مرّتين أم ثلاثاً، إذا كان في شغل له ديني أو دنيوي يتعذّر بترك الآذن معه للمستأذن...» (فتح الباري - ج ١١ ص ٣١).

وروى الترمذي عن أبي سعيد، قال: استأذن أبو موسى على عمر فقال: السلام عليكم أأدخل؟ قال عمر واحدة، ثمَّ سكت ساعة، ثمَّ قال: السلام عليكم أأدخل؟ قال عمر ثنتان، ثمَّ سكت ساعة، فقال: السلام عليكم أأدخل؟ فقال عمر: ثلاث، ثمَّ رجع...»، وروى مثله مسلم في صحيحه (صحيح مسلم - ج ٣ ص ١٦٩٥).  
وقال أبو بكر بن العربي في (عارضضة الأحوذى) - عند شرحه للحديث السابق الوارد في باب ما جاء في الاستئذان ثلاثة -: «قول عمر واحدة ثنتان ثلاثاً يعدّها، دليل على أنّه يجوز للرجل السامع للاستئذان أن لا يردّه، ولا يأذن إذا كان ذلك لغرض صحيح ومقصود بيّن» (عارضضة الأحوذى - ج ٥ ص ١١٩).

ألا تعجب أيّها القارئ، فابن العربي يستنبط من فعل عمر عدم الوجوب إذا كان بقصد الاستئذان، وأمّا هذا الجاهل فيرى فعل عليّ عليه السلام خطأ، ولا يمكن استنباط حكم من أفعاله.

وروى أبو داود في سننه، كتاب الأدب، باب كم مرّة يسلم الرجل، عن قيس بن سعد، قال: زارنا رسول الله ﷺ في منزلنا فقال: «السلام عليكم ورحمة الله» فردّ سعد ردّاً خفياً، قال قيس: فقلت: ألا تأذن لرسول الله ﷺ فقال: ذره يكثر علينا من السلام، فقال رسول الله ﷺ: «السلام عليكم ورحمة الله»، فردّ سعد ردّاً خفياً، ثمَّ



☞ قال رسول الله ﷺ: «السلام عليكم ورحمة الله»، ثم رجع رسول الله ﷺ واتبعه سعد فقال: يا رسول الله، إني كنت أسمع تسليمك وأردّ عليك ردّاً خفياً لتكثر علينا من السلام...» (سنن أبي داود - ج ٤ ص ٥١٥)، وفي آخر الرواية لم يرد أيّ ردع من رسول الله ﷺ بل أنّه قال في آخر الرواية: «اللهم اجعل صلواتك ورحمتك على آل سعد بن عبادة»، أليس كلّ ذلك دليل على أنّ السلام إذا كان بقصد الاستئذان لا يجب ردّه؟ وهل الردّ إخفاتاً يعدّ ردّاً في الفقه؟

المورد الثالث:

نقل في ذكر المآخذ على الإمام علي عليه السلام رواية وردت في (بحار الأنوار) عن رسول الله ﷺ في قصة إصلاحه بين علي وفاطمة عليهما السلام: «يا أبا الحسن، إياك وغضب فاطمة، فإنّ الملائكة تغضب لغضبها وترضى لرضاها».

نقول: انظر وتعجب من قوله إن ما ينقله من مصادر الشيعة، يستدلّ برواية نقلها المجلسي عن مناقب ابن شهر آشوب، ولكن بمراجعة الرواية تجد أنّ ابن شهر آشوب يصرّح في أولها بأنّه نقلها عن ابن عبد ربه الأندلسي في (العقد الفريد)، وهو بدروه ذكر كلاً من عبد الله بن الزبير ومعاوية ابن أبي سفيان في سندها - والأول من قادة معركة الجمل ضدّ الإمام، والثاني يكفي ذكر اسمه لمعرفة عدائه لعلي عليه السلام - وبعد هذا كلّه نقل ابن شهر آشوب في (المناقب) تعليق ابن بابويه - الشيخ الصدوق - حيث قال: هذا غير معتمد، لأنّهما منزّهان عن أن يحتاجا أن يصلح بينهما رسول الله ﷺ (المناقب - ج ٣ ص ٣٨٢)، والعلامة المجلسي نقل الرواية عن ابن شهر آشوب، ونقل معها تعليقه ابن بابويه، فهل هناك شيء من الأمانة عند هذا الناقل، الحكم للقاريء.

المورد الرابع:

نقل عن (بحار الأنوار) قصّة في نفس الموضوع عن فاطمة الزهراء عليها السلام أنّها «وضعت خمارها على رأسها تريد النبي تشكو إليه عليّاً».

❶ ويكفي ضعفاً في السند وجود شريك، وهو شريك، بن عبد الله، قال السيّد الخوئي رحمته الله في (المعجم): كان قاضياً معاصراً للصادق عليه السلام، قيل للصادق عليه السلام: إن شريكاً يردّ شهادتنا، فقال عليه السلام: لا تذّلوا أنفسكم...، وروى الكشي عن زرارة، قال: شهد أبو كريمة الأزدي ومحمد بن مسلم الثقفي عند شريك بشهادة - وهو قاض - فنظر في وجههما ملياً، ثم قال: جعفران فاطميان!! فبكيا، فقال لهما: ما بيكما؟ قال له: نسبتنا إلى أقوام لا يرضون بأمثالنا أن يكونوا من إخوانهم لما يرون من سخف ورعنا، ونسبتنا إلى رجل لا يرضى بأمثالنا أن يكونوا من شيعته، فإن تفضّل وقبلنا فله المنّ علينا والفضل فينا، فتبسّم شريك، ثم قال: إذا كانت الرجال فليكن أمثالكما بأولئك أجيها هذه المرّة، قال: قال: فحججنا فخبّرنا أبا عبد الله عليه السلام بالقصة فقال: ما لشريك؟ شرکه الله يوم القيامة بشراكين من نار (معجم رجال الحديث - ج ٩ ص ٢١).

وقال السيّد الخوئي رحمته الله: «أقول: المتحصّل من ذلك أنّه كان يوالي عليّاً وينقم على معاوية، وهل كان يفضّله على من تقدّمه؟ فيه ترديد من جهة التهافت فيما روي عنه في ذلك، ثمّ الظاهر من قول أحمد كان شديداً على أهل الريب والبدع، هو ما صرح به في الروايات المتقدّمة من أنّه كان يردّ شهادة من ينتمي إلى جعفر بن محمد عليه السلام فكان له معهم عدا، وإن كان هو يعتقد بجلالة جعفر بن محمد عليه السلام لو صحّ ما ذكره الكشي عن يحيى بن عبد الحميد الحماني» (نفس المصدر السابق: ٢٥)، هذا على مباني الشيعة والمفترض أنّه يبني عليها.

وأما على مباني السنّة ففي السند ليث بن أبي سليم، قال ابن حجر في (تهذيب التهذيب): «قال ابن أبي حاتم سمعت أبي وأبا زرعة يقولان: ليث لا يشتغل به هو مضطرب الحديث، قال: وقال أبو زرعة: ليث بن أبي سليم ليّن الحديث، لا تقوم به الحجّة عند أهل العلم بالحديث» (تهذيب التهذيب - ج ٨ ص ٤١٨).

وفضلاً عن ذلك فهناك عدّة مجهولين في السند، فلا نعرف كيف قطع بمضمون

➤ الرواية، وهل يمثل هذا السند تثبت مؤاخذه على علي عليه السلام.

المورد الخامس:

نقل رواية عن (بحار الأنوار) فيها عن علي عليه السلام: «أنا جنب الله وكلمته، وقلب الله وبابه الذي يؤتى منه، ادخلوا الباب سجداً أغفر لكم خطاياكم وأزيد المحسنين، وبي وعلى يدي تقوم الساعة، وفي يرتاب المبطلون، وأنا الأوّل وأنا الآخر والظاهر والباطن وبكلّ شيء عليم».

ثمّ قال: «ماذا أبقيتم لله؟ ولا شك أنّ هذا الكلام كفر صريح وعلي بريء منه». نقول: لم نفهم كيف عدّ ذلك من المؤاخذات على علي عليه السلام، لأنّ الفرض أنّ الأمر من كتب الشيعة، وهم يرفضون مثل هذا الخبر، فهل لو كذب على أمير المؤمنين بكلام لم يقله يعتبر هذا من أخطائه، فهلاًّ اعتبرت الكذب على رسول الله صلى الله عليه وآله خطأ الرسول، شيئاً من التعقل.

وأما الرواية فقد رواها المجلسي عن (مناقب) ابن شهر آشوب، وهو نقلها مرسلة من دون سند عن علي عليه السلام، ولو فرض أنّ هناك من الشيعة من قبل الخبر فهو يفسره بتفسير لا يتنافى مع التوحيد، فهذا ابن شهر آشوب نقل تفسيراً للرواية بما لا يتنافى مع التوحيد، ولا يعني ذلك قبوله للخبر، وقد تجاهل الكاتب ذكره، قال المجلسي:

«شرح ذلك عن الباقر عليه السلام: (أنا جنب الله وكلمته وأنا قلب الله) يعني أنا سراج علم الله (وأنا باب الله) يعني من توجه بي إلى الله غفر له وقوله: (بي وعلى يدي تقوم الساعة) يعني الرجعة قبل القيامة، ينصر الله في ذريّتي المؤمنين، (وأنا الأوّل) أوّل من آمن برسول الله صلى الله عليه وآله (وأنا الآخر) آخر من نظر فيه لما كان في لحده، (وأنا الظاهر) ظاهر الإسلام، (وأنا الباطن) بطين من العلم (وأنا بكلّ شيء عليم) فأني عليم بكلّ شيء أخبر الله به نبيّه، فأخبرني به» (بحار الأنوار - ج ٣٩ ص ٣٤٩)، فكيف يقال لمثل هذا الشيعي: إنّ هناك مؤاخذه على علي عليه السلام في

### ➤ مصادر.

وألفاظها تشبه إلى حد كبير خطبة (البيان) التي نسبت لـعلي عليه السلام، والمذكورة في كتاب (مشارك أنوار اليقين) وقد سئل السيد الخوئي رحمته الله عنها في (صراط النجاة): «ما رأيكم بخطبة البيان المنسوبة للإمام علي عليه السلام؟ الجواب: لا أساس لها والله العالم» (صراط النجاة - ج ١ ص ٤٧١).

المورد السادس:

قال - بعد أن ذكر رواية في (بحار الأنوار) عن ردّ الشمس لـعلي عليه السلام - : «كيف يؤخّر صلاة العصر حتّى تغيب الشمس؟».

نقول: حادثة ردّ الشمس لـعلي عليه السلام صحيحة، وردت في مصادر السنّة وصحّحها بعض علمائهم.

قال ابن حجر في (فتح الباري):

«وقع في (الأوسط) للطبراني من حديث جابر أنّ النبي أمر الشمس فتأخّرت ساعة من نهار» وإسناده حسن، ووجه الجمع أنّ الحصر محمول على ما مضى للأنبياء قبل نبيّنا صلّى الله عليه وآله فلم تحبس الشمس إلا ليوشع، وليس فيه نفي أنّها تحبس بعد ذلك لنبيّنا صلّى الله عليه وآله، وروى الطحاوي والطبراني في (الكبير) والحاكم والبيهقي في (الدلائل) عن أسماء بنت عميس أنّه صلّى الله عليه وآله دعا لما نام على ركة علي ففاته صلاة العصر، فردّت الشمس حتّى صلّى علي، ثمّ غربت، وهذا أبلغ في المعجزة، وقد أخطأ ابن الجوزي بإيراده له في الموضوعات، وكذا ابن تيميّة في كتاب الردّ على الروافض في زعم وضعه والله أعلم» (فتح الباري - ج ٦ ص ٢٢٢).

وقال ابن حجر الهيثمي في كتابه (الصواعق المحرقة) عند ذكر فضائل علي عليه السلام: «ومن كراماته الباهرة أنّ الشمس ردّت عليه لما كان رأس النبي صلّى الله عليه وآله في حجره، والوحي ينزل عليه، وعلي لم يصلّ العصر فما سري عنه صلّى الله عليه وآله إلا وقد غربت الشمس، فقال النبي صلّى الله عليه وآله: اللهم إنّ كان في طاعتك وطاعة رسولك، فاردد عليه

☉ الشمس، فطلعت بعد ما غربت، وحديث ردها صححه الطحاوي والقاضي في (الشفاء) وحسنه شيخ الإسلام أبو زرعة وتبعه غيره، وردوا على جمع، قالوا: أنه موضوع، وزعم فوات الوقت بغروبها فلا فائدة لردها في محل المنع، بل نقول: كما أن ردها خصوصية، كذلك إدراك العصر الآن أداء خصوصية وكرامة لعلي» (الصواعق المحرقة: ١٩٧).

وقال السيوطي في كتابه (اللآلئ المصنوعة) حينما يتعرض لسند رواية رد الشمس لعلي عليه السلام: «قلت: فضيل الذي أعلى به الطريق الأول ثقة صدوق احتج به مسلم في صحيحه، وأخرج له الأربعة وعبد الرحمن بن شريك، وإن وهاه أبو حاتم، فقد وثقه غيره، وروى عنه البخاري في الأدب... ثم الحديث صرح جماعة من الأئمة والحفاظ بأنه صحيح، قال القاضي عياض في (الشفاء): أخرج الطحاوي في مشكل الحديث عن أسماء بنت عميس من طريقين أن النبي ﷺ كان يوحى إليه ورأسه في حجر علي فذكر هذا الحديث.

قال الطحاوي: وهذان الحديثان ثابتان، ورواهما ثقات، وحكى الطحاوي أن أحمد ابن صالح كان يقول لا ينبغي لمن سبيله العلم التخلف عن حفظ حديث أسماء؛ لأنه من علامات النبوة، انتهى ما في (الشفاء)» (اللآلئ المصنوعة - ج ١ ص ٣٠٨).  
ثم قال السيوطي:

«ومما يشهد بصحة ذلك قول الإمام الشافعي رحمه الله وغيره ما أوتي نبي معجزة إلا أوتي نبيتنا نظيرها، أو أبلغ منها، وقد صح أن الشمس حبست على يوشع ليالي قاتل الجبارين، فلا بد أن يكون لنبيتنا ﷺ نظير ذلك فكانت هذه القصة نظير تلك والله أعلم» (نفس المصدر السابق - ج ١ ص ٣١٢).

هذا وقد ثبت في مصادر الشيعة رد الشمس لعلي عليه السلام مرة أخرى بعد وفاة رسول الله ﷺ سنذكرها عند إيراد كلام الشيخ المفيد في (الإرشاد).

وأما الرواية التي نقلها الكاتب من (البحار) (بحار الأنوار - ج ٤١ ص ١٦٦)، فضعيفة

➤ السند، وليس الحديث فيها عن المرّتين اللتين ذكرهما الشيخ المفيد في الإرشاد، والرواية التي نقلت في طريقها كلّ من: القطّان شيخ الصدوق مجهول، وهو من العائمة غالباً، وعبد الرحمن بن محمّد الحسني مجهول. و فرات بن إبراهيم صاحب التفسير، قال عنه محقّق التفسير: «صفحات التاريخ لم تنقل إلينا من حياته شيئاً، ولم تفرد له الكتب الرجاليّة التي بأيدينا ترجمة لا بقليل ولا كثير، ولم تذكره حتّى في خلال التراجم» (تفسير فرات بن إبراهيم: ١٠)، وقال المحقّق التستري في (قاموس الرجال): «أقول وقد طبع تفسيره في هذه الأعصار إلا أنّ الغريب عدم ذكر الكشي والشيخ في الرجال والفهرست والنجاشي له أصلاً» (قاموس الرجال - ج ٨ ص ٣٧٦). والفزاري هو جعفر بن محمّد بن مالك البرّار الفزاري، تعارض فيه الجرح والتعديل. وابن سعيد الهاشمي في السند الثاني، هو شيخ الصدوق الحسن بن محمّد بن سعيد الهاشمي مجهول.

وأما مسألة تأخير صلاة العصر حتّى تغيب الشمس، فقد وردت في الروايات التي صحّحها علماء السنّة، ولم يشكل الغالب منهم هذا الإشكال عدا ابن تيميّة وأما ابن كثير في تاريخه حينما يشير إلى رواية شاذّة في أنّ علي شغلته قسمة الغنائم عن صلاة العصر، يقول: «فإن كان هذا ثابتاً على ما رواه هؤلاء الجماعة وكان علي متعمّداً لتأخير الصلاة لعذر قسم الغنيمة وأقره عليه الشارع صار هذا وحده دليلاً على جواز ذلك ويكون أقطع في الحجّة» (البداية والنهاية - ج ٦ ص ٩٠).

فمثل ابن كثير يعتبر أنّ فعل علي عليه السلام وحده حجّة وهذا دأب كل من يحسن الأدب أمام أمثال الإمام علي عليه السلام. فعلى قول رسول الله صلى الله عليه وآله: اللهم إنّك كان في طاعتك وطاعة رسوك فاردد عليه الشمس، فهذا إقرار لعلي عليه السلام على فعله.

❦ ولكن مع ذلك كله فالرواية الأسلم من مصادر الشيعة أنّ عليّاً عليه السلام صلّى من جلوس إيماء، وردّت الشمس لكي يصلّي صلاة تامّة من الركوع والسجود، فقد نقل الشيخ المفيد في الإرشاد: «وممّا أظهره الله تعالى من الأعلام الباهرة على يد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ما استفاضت به الأخبار، ورواه علماء السيرة والآثار، ونظمت فيه الشعراء الأشعار: رجوع الشمس له عليه السلام مرّتين: في حياة النبي صلى الله عليه وآله مرّة، وبعد وفاته مرّة أخرى.

وكان من حديث رجوعها عليه في المرّة الأولى ما روته أسماء بنت عميس وأمّ سلمة زوج النبي صلى الله عليه وآله وجابر بن عبد الله الأنصاري وأبو سعيد الخدري في جماعة من الصحابة: أن النبي صلى الله عليه وآله كان ذات يوم في منزله، وعلي عليه السلام بين يديه إذ جاءه جبريل عليه السلام يناجيه عن الله سبحانه، فلما تغشاه الوحي توسّد فخذ أمير المؤمنين عليه السلام فلم يرفع رأسه عنه حتّى غابت الشمس فاضطرّ أمير المؤمنين عليه السلام لذلك أن يصلّي صلاة العصر جالساً يومئ بركوعه وسجوده إيماءً، فلما أفاق من غشيته، قال لأمر المؤمنين عليه السلام: أفاتتك صلاة العصر؟ قال له: لم أستطع أن أصليها قائماً لمكانك يا رسول الله، والحال التي كنت عليها في استماع الوحي فقال له: ادع الله حتّى يردّ عليك الشمس لتصلّيها قائماً في وقتها كما فاتتك، فإنّ الله تعالى يجيبك لطاعتك الله ورسوله فسأل أمير المؤمنين عليه السلام الله في ردّ الشمس فردّت...» (الإرشاد - ج ١ ص ٣٤٥).

ثمّ ذكر المرّة الثانية قائلاً:

«وكان رجوعها بعد النبي صلى الله عليه وآله أنّه لما أراد أن يعبر الفرات ببابل اشتغل كثير من أصحابه بتعبير دوابّهم ورحالهم، فصلّى عليه السلام بنفسه في طائفة معه العصر، فلم يفرغ الناس من عبورهم حتّى غربت الشمس وفاتت الصلاة كثيراً منهم، وفات الجمهور فضل الاجتماع معه، فتكلّموا في ذلك فلما سمع كلامهم فيه سأل الله تعالى أن يردّ الشمس عليه؛ لتجتمع كافّة أصحابه على صلاة العصر في وقتها،

❧

☞ فأجابه الله في ردّها عليه « (الإرشاد - ج ١ ص ٣٤٦).  
وكذلك نقل العلامة المجلسي في (البحار) قول الشيخ الصدوق تعليقاً على رواية  
ظاهرها أنّه لم يصل: «ولعلّه صلى إيماءً قبل ذلك أيضاً» (بحار الأنوار - ج ٤١  
ص ١٦٧).

المورد السابع:

ذكر رواية نقلها العلامة المجلسي في بحار الأنوار، قال: إنّ فيها كلام بذوي منسوب  
للإمام علي عليه السلام.

نقول: الرواية التي نقلها ذكرها المجلسي في (البحار) عن (الاختصاص) و(البصائر)،  
وسند الصفار صاحب (البصائر) عن أحمد بن محمد، عن عمر بن عبد العزيز  
عن غير واحد منهم بكّار بن كردم وعيسى بن سليمان، عن أبي عبد الله عليه السلام قال:  
سمعناه وهو يقول: جاءت امرأة شنيعة إلى أمير المؤمنين عليه السلام، وهو على المنبر،  
وقد قتل أباه وأخاها فقالت: هذا قاتل الأحبة، فنظر إليها فقال لها: يا سلفع  
يا جريئة يا بذية يا مذكرة يا التي لا تحيض كما تحيض النساء يا التي على هنتها  
شي ميين مدلي» (نفس المصدر السابق - ج ٤١ ص ٢٩٣)، والرواية تذكر عند  
ذكر كرامات أمير المؤمنين عليه السلام إذ أخبر المرأة بشيء مستور عن الناس، بل في  
آخر الرواية قالت: «يا ويلها اطّلع منها علي بن أبي طالب عليه السلام على شيء لم يطّلع  
عليه إلا أمّي أو قابليتي».

وفي السند عمر بن عبد العزيز، قال عنه النجاشي: مخلط، ولا معارض لما قاله  
النجاشي إلا على مبنى السيّد الخوئي في تفسير القمي، وبكّار بن كردم وعيسى  
ابن سليمان مجهولان، فالرواية ضعيفة، ولكن هناك عدّة روايات تنقل الواقعة،  
ولكن بتفاصيل متفاوتة يمكن معها القول بأنّها عدّة وقائع، ولكنّه احتمال بعيد،  
منها ما نقله في (البحار) (بحار الأنوار - ج ٢٤ ص ١٢٩)، عن (بصائر الدرجات)  
عن محمد بن مسلم عن الإمام الباقر عليه السلام وفي مورد آخر (نفس المصدر



➤ (السابق: ١٢٦)، عن جابر عن الباقر عليه السلام، وفي ص ٣٥٧، عن الأصبع بن نباتة، قال: كُنَّا وَقُوفًا عَلَى رَأْسِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام بِالْكَوْفَةِ، وَهُوَ يُعْطِي الْعَطَا فِي الْمَسْجِدِ، إِذْ جَاءَتْهُ امْرَأَةٌ...، وفي: ٣٥٩، عن الحارث الأعور، قال: كُنْتُ ذَاتَ يَوْمٍ مَعَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ فِي مَجْلِسِ الْقَضَاءِ إِذَا أَقْبَلَتْ امْرَأَةٌ...، ورواه ابن أبي الحديد في (شرح نهج البلاغة) قال: وروى محمد بن جبلة الخياط عن عكرمة، عن يزيد الأحمسي أَنَّ عَلِيًّا عليه السلام كَانَ جَالِسًا فِي مَسْجِدِ الْكَوْفَةِ وَبَيْنَ يَدَيْهِ قَوْمٌ مِنْهُمْ عَمْرُو بْنُ حَرِيثٍ، إِذْ أَقْبَلَتْ امْرَأَةٌ مَخْتَمِرَةٌ لَا تَعْرِفُ... (شرح ابن أبي الحديد - ج ٢ ص ٢٨٨)، وهذه الكثرة تعطي اطمئناناً بوقوع الحادثة، وأنَّ أمير المؤمنين أخبر عن أمر مغيب عن الناس، لذا في نهاية رواية الأصبع التي في (البصائر) أنَّ عمرو بن حريث سأله: فمن أين علمت ذلك؟ فقال: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم عَلَّمَنِي أَلْفَ بَابٍ مِنَ الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ مِمَّا كَانَ وَمِمَّا كَانَتْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، كُلُّ بَابٍ يَفْتَحُ أَلْفَ بَابٍ حَتَّى عَلِمْتَ عِلْمَ الْمَنِيَا وَالْبَلَايَا وَالْقَضَايَا وَفَصَلَ الْخَطَابِ، وَحَتَّى عَلِمْتَ الْمَذَكَّرَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْمُؤْتَّثِينَ مِنَ الرِّجَالِ.

وأما الألفاظ التي اعتبرها شتماً فهي سلفع، قال العلامة المجلسي: السلفع: الصخابة (بحار الأنوار - ج ٢٤ ص ١٢٧)، قال ابن الأثير في (النهاية): «سلفع في حديث أبي الدرداء (وشر نسائك السلفعة) هي الجريئة على الرجال، وأكثر ما يوصف به المؤمن، وهو بلا هاء أكثر» (النهاية في غريب الأثر - ج ٢ ص ٣٥١)، وأما جرية وبذية فمعناها واضح، ولا يعد ذلك من الشتم إذا كانت كل تلك الصفات تتجاهر بها، وهي معروفة بها بين الناس كما هو واضح من الواقعة.

نعم، كشف أنها لا تحيض كما تحيض النساء، وعلى هذا شيء بين مدلي، وهذا من كرامات أمير المؤمنين عليه السلام التي أراد أن يبين حكمه وعدله، إن صحَّت تلك التفاصيل، وخاصة أنَّ الأمر الثاني لم يرد بأية رواية من الروايات الأخرى التي نقلت الواقعة.

عموماً قال العلامة المجلسي تعليقا على بعض الألفاظ التي وردت في الروايات التي نقلت الحادثة: «ولم أر السلفع والسلسع والمهيع والقردع بتلك المعاني التي وردت في هذه الأخبار، بل بعضها لم يرد بمعنى أصلاً، ولعلها كانت من لغاتهم المولدة، ويحتمل تصحيف الرواة أيضاً» (بحار الأنوار - ج ٤١ ص ٢٩٣).

وفي الختام أنت الذي تريد أن تشكل على الشيعة بأن هناك كلمات يتبادر منها الشتم والسب، وكيف يمكن أن يصدر هذا من علي عليه السلام، وماذا تصنع بالرواية التي ينقلها مسلم في صحيحه، وتقرّون بصحتها ويصرّح فيها أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سب رجلين؟!

فقد روى مسلم في صحيحه، كتاب البرّ والصلّة، باب من لعنه النبي صلى الله عليه وآله وسلم أو سبّه أو دعا عليه وليس هو أهلاً لذلك عن عائشة، قالت: دخل على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم رجلان، فكلماه بشيء لا أدري ما هو، فأغضباه فلعنهما وسبّهما، فلما خرجا، قلت: يا رسول الله، من أصاب من الخير شيئاً ما أصابه هذان، قال: «وما ذاك؟» قالت: قلت: لعنتهما وسببتهما، قال: «أو ما علمت ما شارطت عليه ربّي؟ قلت: اللهم! إنّما أنا بشر فأبّي المسلمين لعنته أو سببته فاجعله له زكاة وأجرًا» (صحيح مسلم - ج ٤ ص ٢٠٧).

والمصيبة ليست فقط في أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يسبّ، بل إنّ سبّه فيها أجر وثواب!! ولكن الأمر واضح، فما وضعت أمثال هذه الروايات إلا كي تحوّل لعنات الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لمثل معاوية إلى فضائل له!!

المورد الثامن:

ذكر خيراً فيه قول الإمام علي عليه السلام لشخص اعترف بأنّه أوقب على غلام وطلب تطهيره: «يا هذا، إنّ الله قد تاب عليك، فقم ولا تعاود شيئاً مما فعلت».

قال: أليس هذا تعطيل لحدود الله؟

نقول: علّق العلامة المجلسي في (مرآة العقول) على الرواية بقوله: «المشهور بين

➤ الأصحاب لو أقرّ بحدّ، ثمّ تاب كان الإمام مخيراً في إقامته رجماً كان أو حدّاً،  
وقيّده ابن إدريس بكون الحدّ رجماً، والمعتمد المشهور» (مرآة العقول -  
ج ٢٣ ص ٣٠٧).

وقد ورد في روايات أهل السنّة أنّ رسول الله قد ترك الحدّ عن رجل اعترف بالحدّ،  
والرواية في صحيح البخاري، وذكرها أحمد بن حنبل في مسنده (مسند أحمد  
ابن حنبل - ج ٥ ص ٢٦٤)، روى البخاري في كتاب المحاربيين من أهل الكفر، باب  
إذا أقرّ بالحدّ ولم يبين هل للإمام أن يستر عليه؟ عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كنت  
عند النبي صلى الله عليه وآله فجاءه رجل، فقال: يا رسول الله، إنّي أصبت حدّاً فأقمه علي، قال:  
ولم يسأله عنه، قال: وحضرت الصلاة فصلّى مع النبي صلى الله عليه وآله فلما قضى  
النبي صلى الله عليه وآله الصلاة قام إليه الرجل فقال: يا رسول الله، إنّي أصبت حدّاً فأقم فيّ  
كتاب الله، قال: أليس قد صلّيت معنا؟ قال: نعم، قال: فإنّ الله قد غفر لك ذنبك، أو  
قال: حدّك» (صحيح البخاري - ج ٨ ص ٢٠٧).

لذا قال ابن حجر في (فتح الباري): «وقد يتمسّك به من قال أنّه إذا جاء تائباً سقط  
عنه الحدّ» (فتح الباري - ج ١٢ ص ١٣٤).

ثمّ قال في الصفحة التالية: «وقد تمسّك بظاهره صاحب الهدى، فقال للناس في  
حديث أبي امامة - أي المذكور قبل - ثلاث مسالك: أحدها أنّ الحدّ لا يجب إلّا  
بعد تعيينه، والإصرار عليه من المقرّ به، والثاني أنّ ذلك يختصّ بالرجل المذكور  
في القصة، والثالث أنّ الحدّ يسقط بالتوبة، قال: وهذا أصحّ المسالك، وقوّاه بأنّ  
الحسنة التي جاء بها من اعترافه طوعاً بخشية الله وحده تقاوم السيئة التي  
عملها؛ لأنّ حكمة الحدود الردع عن العود، وصنيعه ذلك دالّ على ارتداعه،  
فناسب رفع الحدّ عنه لذلك، والله أعلم» (فتح الباري - ج ١٢ ص ١٣٥).

أقول: العاقل يقرأ شيئاً من الفقه قبل المجازفة في الكلام!!

المورد التاسع:

👉 ذكر خبراً عن (بحار الأنوار) في قضاء الإمام علي عليه السلام عن امرأة قد تعلقت برجل من الأنصار كانت تهواه، فأخذت بيضة، وصبت البياض على ثيابها وبين فخذيهما، فقام علي فنظر بين فخذيهما فاتهما، ثم قال: كيف ينظر علي بين فخذي امرأة غريبة عنه؟

نقول: هنا ينكشف لك من يجب أن يوصم بأنه كاذب مفتر، فالنص الأصلي كما ورد في (بحار الأنوار): «فنظر أمير المؤمنين عليه السلام إلى بياض على ثوب المرأة وبين فخذيهما فاتهما» (بحار الأنوار - ج ٤ ص ٣٠٣).

فالنظر كان إلى البياض الذي أخذ من البيضة لا إلى جسم المرأة، والمعنى نظر إلى بياض أخذ من ثيابها ومن بين فخذيهما بقريضة فصبت الماء الحارّ عليه في آخر العبارة، وهل يصبّ الماء الحارّ على فخذ المرأة؟! أتريد أوضح من هذه القريضة؟! لكّنه الدهر، حينما تصبح الجهالة علماً، ويكون لها أتباع.

والناقل حرّف العبارة إلى «فقام علي فنظر بين فخذيهما فاتهما»، ويصعب على المرء ألا يرجع هذا التحريف المتعمّد إلى غير النصب والعداء لعلي عليه السلام والذي أعماه ودعاه إلى بتر مقاطع من الخبر الوارد ليتلائم مع ما في نفسه.

المورد العاشر:

نقل رواية عن حبيب بن ثابت، قال: «كان بين علي وفاطمة كلام فدخل النبي... ولم يزل حتى أصلح بينهما».

نقول: الرواية تشبه ما ورد في المورد الثالث من مأخذه على الإمام علي من كتب الشيعة، وصاحب (كشف الغمّة) ينقل الروايات مرسلّة، وذكرها العلامة المجلسي في (البحار) عن (علل الشرائع) للشيخ الصدوق، قال: عن القطان، عن السكري، عن عثمان بن عمران، عن عبيد الله بن موسى، عن عبد العزيز، عن حبيب بن أبي ثابت، قال: «كان بين علي وفاطمة عليه السلام كلام...» (بحار الأنوار - ج ٤ ص ١٤٦).

ثم نقل العلامة المجلسي تعليق الشيخ الصدوق، قال: قال الصدوق عليه السلام: ليس هذا الخبر عندي بمعتمد، ولا هو لي بمعتقد في هذه العلة لأن علياً وفاطمة عليهما السلام ما كان ليقع بينهما كلام يحتاج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى الإصلاح بينهما، لأنه عليه السلام سيّد الوصيّين، وهي سيّدة نساء العالمين عليها السلام مقتديان بنبي الله صلى الله عليه وآله وسلم في حسن الخلق. فإذا كان علماء الشيعة يردّون مثل هذه الروايات من رأس، فلا وجه للاستدلال بها من قبل باحث منصف.

وأحمد بن حسن القطّان شيخ الصدوق في الرواية، قال عنه السيّد الخوئي في (المعجم): ولا ببعد في أن يكون الرجل من العامّة، كما استظهر بعضهم (معجم رجال الحديث - ج ٢ ص ٨٦)، وباقي السند جلّهم مجهولون، ومنهم الراوي حبيب ابن أبي ثابت، ولكن الأخير له ترجمة وافية في المصادر الرجاليّة لأهل السنّة، قال ابن حجر في (تهذيب التهذيب): قال ابن حبان في (الثقات) كان مدلساً، وكذلك قال ابن خزيمة في صحيحه، وحديثه هذا مرسل، فهو أدرك ابن عمر صبيّاً فكيف ينقل حادثه وقعت بين علي عليه السلام وفاطمة عليها السلام، قال في (التهذيب): وقال سليمان في قول حبيب: رأيت هدايا المختار تأتي ابن عمر: ما علّمه بهذا، وهو صبي، ونافع أعلم منه بأمر ابن عمر (تهذيب التهذيب - ج ٢ ص ١٥٦).

ثم ذكر موارد أخرى اعتبرها مؤاخذات على الإمام من دون تفصيل ودون أن يذكر مصادرها، وقال بعدها: ومع ذلك كلّ لا تجد سنياً واحداً يطعن في علي، أمّا النواصب والخوارج فليسوا من أهل السنّة ولا وجود للنواصب الآن فيما أعلم.

نقول: لا ندري أيّ شيء ترك للنواصب، إن لم يكن ما فعله ينطلق من بغض مكنون في نفسه لأمر المؤمنين علي عليه السلام، فقد ذكر أولاً سلسلة من المؤاخذات المزعومة على الإمام عليه السلام في كتب أهل السنّة، ثم ذكر مثلها من كتب الشيعة دون أن يدرس سنداً أو يحقّق متناً وفق المدارك المعتمدة والأصول الحديثيّة والرجاليّة في تصحيح الأحاديث عند علماء الشيعة، بل اكتفى بكونها موجودة في كتب الشيعة،

❦ ولكن حينما يذكر شيئاً من ذلك في حقِّ عمر أو عثمان يسرع لتضعيف السند والبحث عن الأعذار.

وما دام يؤمن بأنَّ عليّاً عليه السلام من الصحابة فليقرأ معنا هذه الأقوال لعلماء يعتقد بهم ويرى أقوالهم حجّة:

قال أحمد بن حنبل: «إذا رأيت رجلاً يذكر أحداً من الصحابة بسوء فاتّهمه على الإسلام» (البداية والنهاية - ج ٨ ص ١٤٨).

وروى الخطيب البغدادي في (الكفاية) عن أبي زرعة الرازي، قال: «إذا رأيت الرجل ينتقص أحداً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله فاعلم أنَّه زنديق» (الكفاية: ٦٧)، ألم يكن ما سبق انتقاصاً من صحابي، أم هو حرام على الشيعة حلال لكم. وقال الإمام أبو نعيم: «فلا يتتبع هفوات أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وزللهم ويحفظ عليهم ما يكون منهم في حال الغضب والموجدة إلا مفتون القلب في دينه» (الإمامة لأبي نعيم: ٣٤٤).

ثمّ لنتأمل كيف تغيّر وجه النبي صلى الله عليه وآله حينما نال بعض الناس من علي عليه السلام لشئ رأوه منه، فقد روى ابن حبان في (صحيحه) (صحيح ابن حبان - ج ٦ ص ٢٦٩)، والحاكم في (المستدرک) (المستدرک على الصحيحين - ج ٣ ص ١١٠). وصحّحه على شرط مسلم، وأقرّه الذهبي، كما قال الألباني وأقرّهم على الصحّة في: (سلسلة الأحاديث الصحيحة - ج ٥ ص ٢٦١)، وأبي يعلى في (المسند) (مسند أبي يعلى - ج ١ ص ٢٩٣)، وعلّق المحقّق حسين أسد بقوله: رجاله رجال الصحيح، والترمذي في (السنن) (سنن الترمذي - ج ٥ ص ٦٣٢)، قال أبو عيسى الترمذي: هذا حديث حسن غريب، لا نعرفه إلا من حديث جعفر بن سليمان، والنسائي في الخصائص (السنن الكبرى - ج ٥ ص ١٣٢)، وأحمد في (المسند) (مسند أحمد - ج ٣٣ ص ١٥٤)، ونصّ الحديث كما عن أحمد في (فضائل الصحابة): «عن عمران ابن حصين، قال: بعث رسول الله صلى الله عليه وآله سرية وأمّر عليهم علي ابن أبي طالب عليه السلام»

☞ فأحدث شيئاً في سفره، قال عَفَّان: فتعاقد أربعة من أصحاب محمد ﷺ أن يذكروا أمره لرسول الله ﷺ، قال عمران: وكنا إذا قدمنا من سفر بدأنا برسول الله ﷺ فسلمنا عليه، قال: فدخلوا عليه فقام رجل منهم فقال: يا رسول الله، إن علياً فعل كذا وكذا، فأعرض عنه، ثم قام الثاني فقال: يا رسول الله، إن علياً فعل كذا وكذا، فأعرض عنه، ثم قام الثالث فقال: يا رسول الله، إن علياً فعل كذا وكذا، فأعرض عنه، ثم قام الرابع فقال: يا رسول الله، إن علياً فعل كذا وكذا، قال: فأقبل رسول الله ﷺ على الرابع وقد تغير وجهه، فقال: دعوا علياً دعوا علياً إن علياً مني وأنا منه، وهو ولي كل مؤمن بعدي».

علّق عليه محقق الكتاب بقوله: إسناده حسن (فضائل الصحابة - ج ٢ ص ٧٤٩ (١٠٣٥)).

ولنتأمل كيف يطلق رسول الله ﷺ القول بأنّ علياً مع الحقّ، فقد ذكر الهيثمي في مجمع الزوائد عن أبي سعيد يعني الخدري، قال: كنا عند بيت النبي ﷺ في نفر من المهاجرين والأنصار فقال: «ألا أخبركم بخياركم؟ قالوا: بلى، قال: الموفون الطيبون، إن الله يحبّ الخفي التقي، قال: ومّرّ علي بن أبي طالب فقال: «الحقّ مع ذا، الحقّ مع ذا» قال الهيثمي: «رواه أبو يعلى ورجاله ثقات» (مجمع الزوائد - ج ٧ ص ٢٣٤).

ثمّ قوله ﷺ كما رواه أحمد في (فضائل الصحابة) عن أبي سعيد الخدري قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «أيّها الناس، لا تشكوا علياً، فوالله لهو أخيشن في ذات الله وفي سبيل الله»، قال المحقق في الحاشية: إسناده صحيح (فضائل الصحابة - ج ٢ ص ٨٤٥).

وقوله ﷺ لعمر بن شاس الأسلمي، وكان من أصحاب الحديبية كما روى ذلك الهيثمي في (مجمع الزوائد) حينما شكى علياً: «يا عمرو، والله لقد آذيتني، قلت: أعوذ بالله من أذاك يا رسول الله، قال: بلى من آذى علياً فقد آذاني»، قال الهيثمي:

➤ رواه أحمد والطبراني والبرزاري باختصار، ورجال أحمد ثقات (مجمع الزوائد - ج ٩ ص ١٢٩).

لذا فمن الغريب والعجيب أن يتجرأ جاهل ليضع نفسه موقف الناقد لأفعال الإمام علي عليه السلام، ولكنه على دين بني أمية الذين آذوا الله ورسوله ﷺ بإيذاء علي عليه السلام. فقد روى الحاكم في (المستدرک) عن ابن أبي مليكة، قال: جاء رجل من أهل الشام فسب علياً عند ابن عباس، فحصبه ابن عباس فقال: يا عدو الله، آذيت رسول الله ﷺ «إن الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة وأعد لهم عذاباً مهيناً» لو كان رسول الله ﷺ حياً لآذيته» (المستدرک على الصحيحين - ج ٣ ص ١٢١)، والذي يُشعر بأموية الكاتب ترديده لمقولة معاوية مبرراً حربته لعلي عليه السلام من أنه لم يقتص من قتلة عثمان الأمر الذي سنتطرق له في النقطة التالية.

ومن انتقاداته الجريئة على الإمام علي عليه السلام قوله: إن الإمام علي عليه السلام لم يقتل قتلة عثمان.

نقول: إن المقولة السابقة هي أهم ادعاءات معاوية وأتباعه من القاسطين، وهو شعارهم الذي كانوا يرفعونه في وجه الإمام علي عليه السلام، وفي هذا الصدد يتعجب المرء كيف يمكن أن يكون الإنسان أعمى بحيث لا يكتفي في تصحيح موقف علي بما ورد في صحيح البخاري من قول رسول الله ﷺ: «ويح عمّار تقتله الفئة الباغية، عمّار يدعوهم إلى الله ويدعونهم إلى النار» (صحيح البخاري - ج ٤ ص ٢٥)، وما رواه مسلم في باب ذكر الخوارج من كتاب الزكاة من قول رسول الله ﷺ: «تمرق مارقة عند فرقة من المسلمين، يقتلها أولى الطائفتين بالحق» (صحيح مسلم - ج ٢ ص ٧٤٥)، ألا يشمل ذلك في أنها على حق في عدم الانشغال بالاقترصاص من قتلة عثمان.

قال ابن حجر في (فتح الباري): «حديث مسلم ومن وجه آخر عن أبي سعيد» تمرق



☞ مارقة عند الفرقة من المسلمين تقتلها أولى الطائفتين بالحق «أخرجه هكذا مختصراً على وجهين، وفي قوله ﷺ» تقتل عمّار الفئة الباغية» دلالة واضحة على أنّ عليّاً ومن معه كانوا على الحق، وأنّ من قاتلهم كانوا مخطئين في تأويلهم» (فتح الباري - ج ٦ ص ٦١٩).

ألم يكن تأويلهم الخاطئ هو رؤيتهم بأنّ لهم الحقّ في المطالبة بقتلة عثمان، ويقول ابن حجر في (الفتح) حينما يذكر ما قاله الرافعي في (شرح الوجيز): «بأنّ الخوارج هم فرقة من المبتدعة خرجوا على علي حيث اعتقدوا أنّه يعرف قتلة عثمان، ويقدر عليهم ولا يقتصّ منهم لرضاه بقتله ومواطأته إيّاهم» يقول مصحّحاً كلامه: «وليس الوصف الأول في كلامه وصف الخوارج المبتدعة، وإنّما هو وصف النواصب أتباع معاوية بصفين» (نفس المصدر السابق - ج ١٣ ص ٥٣٧).

وننقل لك أيضاً رأي أحد المتعصّبين من علماء السنّة، يقول أبو بكر بن العربي في كتابه (العواصم من القواصم): «قاصمة، ودارت الحرب بين أهل الشام وأهل العراق هؤلاء يدعون إلى علي بالبيعة وتأليف الكلمة على الإمام، وهؤلاء يدعون إلى التمكين من قتلة عثمان، ويقولون: لا نبايع من يأوي القتلة... عاصمة، أمّا وجود الحرب بينهم فمعلوم قطعاً، أمّا كونه بهذا السبب فمعلوم كذلك قطعاً، وأمّا الصواب فيه فمع علي...» (العواصم من القواصم - ص ١٦٢).

ونقول: فلا نعرف من أين استقى هذا آراؤه إلّا أن يكون من الخوارج أو النواصب، ونقول له ولمن هو علي شاكلته: لو تركتم الانكباب على الآراء الأموية لابن تيمية وأقواله لما وقعت في مثل هذه الجناية على علي ﷺ.

وهنا نعرض رأي ابن كثير - وهو أيضاً أموي المشرب - في توضيح موقف علي ﷺ وتصحيحه وفق ما ذكره في تاريخه (البداية والنهاية): «ولما استقرّ أمر بيعة علي دخل عليه طلحة والزبير ورؤوس الصحابة رضي الله عنهم وطلبوا منه إقامة

➤ الحدود والأخذ بدم عثمان، فاعتذر إليهم بأن هؤلاء لهم مدد وأعوان، وأنه لا يمكنه ذلك يومه هذا» (البداية والنهاية - ج ٧ ص ٢٥٥).

ثم حينما ينقل محادثة القعقاع بن عمرو رسول الإمام علي عليه السلام للزبير وطلحة وعائشة: «فذهب القعقاع إلى البصرة فبدأ بعائشة أم المؤمنين فقال: أي أمّاه! ما أقدمك هذا البلد؟ فقالت: أي بني! الإصلاح بين الناس...، ثم قال لطلحة والزبير: فأخبراني ما وجه هذا الإصلاح؟ وعلى أي شيء يكون؟ فوالله لئن عرفناه لنصطلحن ولن انكرناه لا نصطلحن، قالوا: قتلة عثمان، فإنّ هذا إن ترك كان تركاً للقرآن، فقال القعقاع: قتلتما قتلته من أهل البصرة، وأنتما قبل قتلهم أقرب منكم إلى الاستقامة منكم اليوم، قتلتما ستّمائة رجل، فغضب لهم ستة آلاف فاعتزلوكم...، وطلبتم حرقوص بن زهير فمنعه ستة آلاف، فإن تركتموهم وقعتم فيما تقولون، وإن قاتلتموهم فأديلوا عليكم، كان الذي حدّرتهم وفرقتهم من هذا الأمر أعظم ممّا أراكم تدفعون وتجمعون منها» (نفس المصدر السابق - ص ٢٦٥).

وهنا يعلّق ابن كثير: «يعني أنّ الذي تريدونه من قتل قتلة عثمان مصلحة، ولكنّه يترتب عليه مفسدة هي أربى منها، وكما أنكم عجزتم عن الأخذ بثأر عثمان من حرقوص بن زهير لقيام ستة آلاف في منعه ممّن يريد قتله، فعليّ أعذر في تركه الآن قتل قتلة عثمان، وإمّا آخر قتل قتلة عثمان إلى أن يتمكّن منهم فإنّ الكلمة في جميع الأمصار مختلفة» (البداية والنهاية - ج ٧ ص ٢٦٥).

ومن عجيب ما عدّد على الإمام علي عليه السلام أنّه لم يخلق رأسه في الحديدية ولم ينحر. نقول: لا يوجد في كتب التاريخ بأجمعها ما يمكن أن يستدلّ به على مدّعاة بصورة صريحة، نعم الظاهر أنّه اعتمد على الجملة المعروفة التي يذكرها أرباب الحديث والسير حين قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لأصحابه: «قوموا فانحروا، ثمّ احلقوا»، وقول الراوي: فوالله لم يقم منهم أحد»، وهل تلزمتنا بما في كتبكم، ولو صحت العبارة

﴿ فَإِنَّمَا هِيَ وَصْفٌ لِحَالِ جَمْعِ النَّاسِ وَلَا تَشْمَلُ مِنْ نَزَلٍ فِيهِ قَوْلُهُ تَعَالَى «وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ» وَمَنْ قَالَ فِيهِ ﷺ: «عَلِيٌّ مَنِّي وَأَنَا مِنْهُ» مَرَارًا وَفِي مَنَاسِبَاتٍ عَدَّةٍ ، فَعَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ سَاعِدَهُ الْأَيْمَنَ الَّذِي كَتَبَ بِهِ مَعَاهِدَةَ الصَّلْحِ مَعَ الْمُشْرِكِينَ ، وَلَنْ تَتَخَلَّفَ يَمِينُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَنْ مَتَابَعَةِ أَمْرِهِ يَوْمًا .

بل قد ذكرنا سابقا في محلّه رواية الترمذي في كتاب المناقب يصف بها رسول الله ﷺ الإمام عليّ عليه السلام في نفس يوم الحديبية وقبل عقد الصلح مع سهيل بن عمرو، قال عليّ عليه السلام: «لَمَّا كَانَ يَوْمَ الْحَدِيبِيَّةِ خَرَجَ إِلَيْنَا نَاسٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ فِيهِمْ سَهِيلُ بْنُ عَمْرٍو، وَأَنَاسٌ مِنْ رُؤَسَاءِ الْمُشْرِكِينَ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، خَرَجَ إِلَيْكَ نَاسٌ مِنْ أَبْنَائِنَا وَإِخْوَانِنَا وَأَرْقَائِنَا وَلَيْسَ لَهُمْ فَهْمٌ فِي الدِّينِ، وَإِنَّمَا خَرَجُوا فِرَارًا مِنْ أَمْوَالِنَا وَضِيَاعِنَا فَارِدْهُمْ إِلَيْنَا، قَالَ: فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ فَهْمٌ فِي الدِّينِ سَنَفَقَّهُهُمْ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، لَتَنْتَهَيَنَّ أَوْ لِيَبْعَثَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ مَنْ يَضْرِبُ رِقَابَكُمْ بِالسَّيْفِ عَلَى الدِّينِ، قَدْ أَمْتَحَنَ اللَّهُ قَلْبَهُ عَلَى الْإِيمَانِ، قَالُوا: مَنْ هُوَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَقَالَ لَهُ أَبُو بَكْرٍ: مَنْ هُوَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَقَالَ عُمَرُ: مَنْ هُوَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: هُوَ خَاصِفُ النَّعْلِ وَكَانَ أُعْطِيَ عَلِيًّا نَعْلَهُ يَخْصِفُهَا...».

قال أبو عيسى الترمذي: هذا حديث حسن صحيح غريب (سنن الترمذي - ج ٥ ص ٦٣٤).

فإذا وصف النبي ﷺ إرسال عليّ عليه السلام إلى المشركين بأنه بعث من الله تعالى، ثم اتّبعه بوصف «امتحن الله قلبه على الإيمان» فلا يتخيّل عاقل أنّه يتخلّف عن رسول الله ﷺ أو يعصيه، ولا يدخل عليّاً عليه السلام في ذلك العموم إلا أعمى القلب عن أدوار عليّ عليه السلام ومواقفه الواضحة في الاستجابة للرسول ﷺ وعدم التخلّف عنه قيد أنملة.

ومن عجيب ما تقوّه به أيضا قوله: إنّ الإمام عليّ عليه السلام أخطأ حينما صلّى التراويح عشرين ركعة.

☞ نقول: إن كان الكلام على مبنى السنّة فهم يفتون بأن عدد التراويح عشرين ركعة، قال الجزيري في (الفقه على المذاهب الأربعة): «ويتبين أيضاً أنّ عددها - التراويح - ليس مقصوراً على الثمان ركعات التي صلّاها بهم بدليل أنّهم كانوا يكملونها في بيوتهم، وقد بين فعل عمر رضي الله عنه أنّ عددها عشرون حيث إنّّه جمع الناس أخيراً على هذا العدد في المسجد» (الفقه على المذاهب الأربعة - ج ١ ص ٣٢٥).

بل روى البيهقي في سننه الكبرى خبراً عن رسول الله صلى الله عليه وآله عن ابن عباس قال: «كان النبي صلى الله عليه وآله يصلي في شهر رمضان في غير جماعة بعشرين ركعة ووتر» (السنن الكبرى للبيهقي - ج ٢ ص ٦٩٨ (٤٩٦)).

ولكن الصحيح أنّه أمر حدّد من قبل عمر، فقد روى البيهقي في (السنن الكبرى) عن السائب بن يزيد، قال: «كانوا يقرأون على عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه في شهر رمضان بعشرين ركعة، قال: وكانوا يقرأون بالمئين، وكانوا يتوكأون على عصيهم في عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه من شدّة القيام» (السنن الكبرى للبيهقي - ج ٢ ص ٦٩٨).

وقد قال الشيرازي في (المهذب في الفقه الشافعي): «ومن السنن الراتبية قيام رمضان وهو عشرون ركعة بعشر تسليمات»، وقال النووي في شرحه: «أمّا حكم المسألة فصلاة التراويح سنّة بإجماع العلماء، ومذهبا أنّها عشرون ركعة بعشر تسليمات» (المهذب في الفقه الشافعي - ج ٤ - ص ٣٧).

وقال ابن قدامة المقدسي في (الكافي) وهو في فقه الإمام أحمد: «وقام النبي صلى الله عليه وآله بأصحابه ثلاث ليال، ثم تركها خشية أن تفرض، فكان الناس يصلّون لأنفسهم حتّى خرج عمر رضي الله عنه عليهم، وهم أوزاع يصلّون، فجمعهم على أبي ابن كعب، قال السائب بن يزيد: لمّا جمع عمر الناس على أبي بن كعب كان يصلي بهم عشرين ركعة، فالسنّة أن يصلي بهم عشرين ركعة في الجماعة لذلك» (الكافي لابن قدامة

☞ - ج ١ ص ١٨٠).

وأما ما روي من أنّ عليّاً صَلَّى التراويح عشرين ركعة فقد ذكره البيهقي في (السنن الكبرى): «وروي عن شتير بن شكل، وكان من أصحاب علي رضي الله عنه أنّه كان يؤمهم في شهر رمضان بعشرين ركعة، ويوتر بثلاث» (السنن الكبرى للبيهقي - ج ٢ ص ٦٩٩ (٤٦٩))، فالخبر غير مسند كما ترى، وذكر المتقي الهندي في (كنز العمال) عن ابن السائب أنّ عليّاً قام بهم في شهر رمضان، ونسبه لابن شاهين (كنز العمال - ج ٨ ص ٤١٠ رقم ٢٣٤٧٦).

نعم، روى البيهقي في نفس المصدر السابق أنّ عليّاً أمر رجلاً أن يصلي بالناس، قال: «وأما التراويح ففيما أنبأنا أبو عبد الله... عن أبي الحسناء أنّ علي ابن أبي طالب أمر رجلاً أن يصلي بالناس خمس ترويحاً عشرين ركعة، قال البيهقي: وفي هذا الإسناد ضعف والله أعلم» (السنن الكبرى للبيهقي - ج ٢ ص ٦٩٩)، وقال ابن حجر في (التقريب): أبو الحسناء مجهول، وروايته عن علي رضي الله عنه مرسلّة (تقريب التهذيب - ج ٢ ص ٣٨٤).

نعم، ذكر البيهقي نحوه في الخبر السابق على الخبر المذكور لكن في سنده حمّاد بن شعيب، ذكره الذهبي في الميزان وقال: «ضعفه ابن معين وغيره، وقال يحيى مرة: لا يكتب حديثه، وقال البخاري: فيه نظر، وقال النسائي: ضعيف، وقال ابن عدي: أكثر حديثه ممّا لا يتابع عليه» (ميزان الاعتدال - ج ١ ص ٥٩٦).

ومن الواضح أنّ مثل هذه الصلاة لم تكن على عهد رسول الله ﷺ، بل نهى عنها كما ذكر البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب ما يجوز من الغضب، عن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال: «احتجر رسول الله ﷺ حجيرة مخصفة أو حصيراً فخرج رسول الله ﷺ يصلي فيها فتتبع إليه رجال، وجاءوا يصلّون بصلاته - وظاهره المتابعة لا الجماعة - ثمّ جاءوا ليلة فحضروا وأبطأ رسول الله ﷺ عنهم فلم يخرج إليهم، فرفعوا أصواتهم، وحبسوا الباب فخرج إليهم مغضباً فقال لهم

☞

➤ رسول الله ﷺ: ما زال بكم صنيعكم حتى ظننت أنه سيكتب عليكم، فعليكم بالصلاة في بيوتكم فإن خير صلاة المرء في بيته إلا الصلاة المكتوبة» (صحيح البخاري - ج ٨ ص ٣٤).

وقد روى البخاري في كتاب الصوم، باب فضل من قام رمضان، قصة استحداث هذه الصلاة في زمن عمر، وتسمية عمر لها بالبدعة، عن عبد الرحمن بن عبد القارئ أنه قال: «خرجت مع عمر بن الخطاب ليلة في رمضان إلى المسجد فإذا الناس أوزاع متفرقون يصلّي الرجل لنفسه، ويصلّي الرجل فيصلّي بصلاته الرهط، فقال عمر: إنّي أرى لو جمعت هؤلاء على قارئ واحد، ثم عزم فجمعهم على أبي بن كعب، ثم خرجت معه ليلة أخرى، والناس يصلّون بصلاة قارئهم، قال عمر: نعم البدعة هذه، والتي ينامون عنها أفضل من التي يقومون يريد آخر الليل، وكان الناس يقومون أوله» (المصدر السابق - ج ٣ ص ٥٨).

وقد نقل البخاري قبلها قول ابن شهاب: «فتوفّي رسول الله ﷺ والأمر على ذلك، ثم كان الأمر على ذلك في خلافة أبي بكر وصدرًا من خلافة عمر» (المصدر السابق).

وأما إن كان النظر إلى رأي الشيعة، فهم يتفقون مع الرواية التي تصرّح بأن التراويح بدعة أحدثها عمر إذ لا يجوز أن تصلّي النوافل جماعة.

فقد روى الكليني في (روضة الكافي) خطبة لأمير المؤمنين يذكر فيها البدع التي حدثت، إلى أن يقول ﷺ: «والله لقد أمرت الناس أن لا يجتمعوا في شهر رمضان إلا في فريضة، وأعلمتهم أن اجتماعهم في النوافل بدعة، فتنادى بعض أهل عسكري ممّن يقاتل معي: يا أهل الإسلام، غيرت سنّة عمر، ينهانا عن الصلاة في شهر رمضان تطوعًا، ولقد خفت أن يثوروا في ناحية عسكري...» (روضة الكافي - ص ٥٢).

وقال السيّد المرتضى كما عن (تلخيص الشافي): «وقد روي أنّ أمير المؤمنين ﷺ

﴿ لَمَّا اجْتَمَعُوا إِلَيْهِ بِالْكُوفَةِ فَسَأَلُوهُ أَنْ يَنْصِبَ لَهُمْ إِمَامًا يَصَلِّيَ بِهِمْ نَافِلَةَ شَهْرِ رَمَضَانَ، زَجَرَهُمْ وَعَرَّفَهُمْ أَنَّ ذَلِكَ خِلَافُ السُّنَّةِ فَتَرَكُوهُ وَاجْتَمَعُوا لِأَنْفُسِهِمْ، وَقَدَّمُوا بَعْضَهُمْ، فَبَعَثَ إِلَيْهِمُ الْحَسَنَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَدَخَلَ عَلَيْهِمُ الْمَسْجِدَ - وَمَعَهُ الدَّرَّةُ - فَلَمَّا رَأَوْهُ تَبَادَرُوا الْأَبْوَابَ وَصَاحُوا: وَاعْمَرَاهُ » (تلخيص الشافعي - ج ٤ ص ٥٢).  
فوالله لم أستطع أن أعرف بأيّ منطلق يتحدّث حينما يقول: إنّ من المؤاخذات على علي صلواته التروايح عشرين ركعة؟!

ومن عجيب ما تفوّه به أنّ من أخطأ الإمام علي عَلَيْهِ السَّلَامُ أنّه كان يلوذ برسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في بدر.

نقول: إنّما قال علي عَلَيْهِ السَّلَامُ ذلك كما في مسند أحمد (مسند أحمد - ج ٢ ص ٨١ ح ٦٥٤)، لبيان أشجعية رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في المعركة، وإلا فإنّ كتب التاريخ حافلة بما قام به علي عَلَيْهِ السَّلَامُ في بدر وغيرها من معارك الإسلام الخالدة... وقد مرّ ذكر ذلك عند الحديث عن شجاعته.

وإلى ذلك أشار ابن الأثير في تاريخه في بيان شجاعة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وقال علي ابن أبي طالب: كُنَّا إِذَا اشْتَدَّ الْبَأْسُ أَتَقِينَا بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَكَانَ أَقْرَبَنَا إِلَى الْعَدُوِّ»، ثمّ يعلّق ابن الأثير: «وكفى بهذا شجاعة، أنّ مثل علي الذي هو هو في شجاعته يقول هذا، وقد تقدّم في غزواته ما يستدلّ به على تمكّنه من الشجاعة، وأنّه ما يقاربه فيها أحد» (الكامل في التاريخ - ج ٢ ص ١٧٠).

فالكلام قد وضع موضع المثل لبيان شجاعة النبي الأكرم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فهل فاتته فهم ذلك الأمر الواضح، أم كان البحث عمّا ينقص من قدر الإمام عَلَيْهِ السَّلَامُ هو همّه الشاغل؟ ذكر أنّ الإمام علي عَلَيْهِ السَّلَامُ جلس بين رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وعائشة حتّى قالت عائشة: ما وجدت إلاّ فخذي.

لم أعرف كيف يعدّ هذا من المؤاخذات على الإمام علي عَلَيْهِ السَّلَامُ؟! فالمتحدّث إنّ كان يتحدّث على مبنى السنّة فالرواية مكذوبة في نظرهم.

☞ قال ابن حجر في الإصابة في ترجمة ليلى الغفارية قالت: «كنت أغزو مع النبي ﷺ فأداوي الجرحى، وأقوم على المرضى، فلما خرج علي إلى البصرة خرجت معه، فلما رأيت عائشة أتيتها، فقلت: هل سمعت من رسول الله ﷺ فضيلة في علي عليه السلام، قالت: نعم، دخل على رسول الله، وهو معي وعليه جرد قطيفة فجلس بيننا، فقلت: أما وجدت مكاناً هو أوسع لك من هذا، فقال النبي ﷺ: يا عائشة، دعي لي أخي فإنه أول الناس إسلاماً... قال العقيلي: لا يعرف إلا لموسى ابن القاسم، قال البخاري: لا يتابع» (الإصابة في تمييز الصحابة - ج ٨ ص ١٨٣)، والحصيلة أنّ الرواية ضعيفة عندهم.

وإن كان يتحدث على مبنى الشيعة، واعتبرنا أنّ الرواية صحيحة - كما هو المحتمل قوياً لتعدد طرقها - فالخطأ خطأ عائشة في تفوّها بتلك الكلمات التي تعبر عن بغضها لعلي عليه السلام.

فليس هناك خطأ في جلوس علي كما هو صريح الروايات التي أوردت الحادثة، فقد نقلها (البحار) في عدة مواضع، منها عن كتاب (اليقين في إمرة أمير المؤمنين) عن جابر الجعفي قال: أخبرني وصي الأوصياء، قال: «دخل علي عليه السلام على النبي ﷺ وعنده عائشة، فجلس قريباً منها، فقالت: ما وجدت يا بن أبي طالب مقعداً إلا فحذي، فضرب رسول الله ﷺ على ظهرها، فقال: يا عائشة، لا تؤذيني في أمير المؤمنين، وسيّد المسلمين، وأمير الغر المحجلين، يقعه الله غداً يوم القيامة على الصراط، فيدخل أولياءه الجنة وأعداءه النار» (بحار الأنوار - ج ٣٩ ص ٢٠٠).

فالرواية صريحة في أنّه جلس قريباً منها، لا ملاصقاً لها، وإتّما هي بالغت في عبارتها فاعتبرت هذا القرب كأنّه جلوس على فحذها، لذا عنّفها رسول الله ﷺ ولم يعنّف علياً عليه السلام لأنّها هي المخطئة لا علي، كما حاول أن يصوّر هذا الكاتب المتعامي.



❦ ورواه العلامة المجلسي في (البحار) عن (أماي) الطوسي، عن جندب بن عبد الله البجلي، عن علي بن أبي طالب عليه السلام قال: «دخلت على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قبل أن يضرب الحجاب، وهو في منزل عائشة فجلست بينه وبينها، فقالت: يا ابن أبي طالب، ما وجدت لأستك مكاناً غير فخذي! امط عني، فضرب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بين كتفيها، ثم قال لها: ويل لك ما تريدين من أمير المؤمنين، وسيّد المسلمين، وقائد الغر المحجلين» (نفس المصدر السابق - ج ٣٧ ص ٣٣٦)، وهذه الرواية صريحة في أنّ الواقعة كانت قبل أن يضرب الحجاب.

نعم، ما نقله ابن أبي الحديد المعتزلي يظهر منه أنّ عائشة ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كانا متلاصقين، وكانّ مجيء علي عليه السلام، وإدناء الرسول صلى الله عليه وآله وسلم له، وجلوسه بقربه، أوجب ابتعادها عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ممّا أغاضها، فقالت ما قالت، وهي لا تعتبر رواية شيعيّة، فقد صرّح جلّ من ذكر ابن أبي الحديد بأنّه معتزلي، ووصفه بالتشيع لا يعني أنّه لا يعتقد بالشيخين، بل شرّحه ملي بمدح الشيخين والدفاع عنهما، وكثير من محدثي السنة وعلماهم وصفوا بالتشيع، ولكن هذا لم يعن أبدا تركهم للاعتقاد بتقديم الشيخين على علي عليه السلام، قال ابن أبي الحديد في شرحه: «ثم كان بينها وبين علي عليه السلام في حياة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أحوال وأقوال كلّها تقتضي تهيج ما في النفوس نحو قولها له - وقد استدناه رسول الله فجاء حتّى قعد بينه وبينها وهما متلاصقان: أما وجدت مقعدا لكذا - لا تكني - إلا فخذي» (شرح نهج البلاغة لابن أبي حديد - ج ٩ ص ١٩٤)، ونكرر أن الرواية لا تدل إلا على أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم استدناه فأوجب ذلك ابتعاد عائشة وجلوسه عليه السلام مكانها فغضبت وقالت العبارة المنقولة، لا أنّهما تلامسا كما تصور الكاتب المتحامل.

ذكر أن الإمام علي عليه السلام تزوج بعد وفاة فاطمة بتسع ليال.

نقول: إن زواج علي عليه السلام بعد الزهراء عليها السلام كان بوصية منها وحددت أمامة بنت أختها كزوجة له، وقد ذكر ذلك المجلسي في (البحار) عن (روضة الواعظين): «... ثمّ

❖ قالت: جزاك الله عني خير الجزاء يا ابن عمِّ رسول الله أوصيك أولاً أن تتزوج بعدي بابنة أختي أمامة فإنها تكون لولدي مثلي فإن الرجال لا بدَّ لهم من النساء» (بحار الأنوار - ج ٤٣ ص ١٩٢)، ورواه ثانياً عن كتاب سليم (نفس المصدر السابق - ص ١٩٧).

ويُتَّضح من النص الأول أن الزواج لرعاية الأولاد ولم يكن الحديث عن فرح أو بحث عن شهوة وخصوصاً مع لحاظ عمر الحسن والحسين وزينب وأم كلثوم إذ لم يتعد أكبرهم ثمان سنين، لذا لا يستبعد أن يكون الزواج بعد مدة قصيرة من رحيلها عليها السلام.

ولكن الكاتب نقل خبر زواجه بعدها بتسعة أيام من كتاب (بحار الأنوار) للمجلسي ثمَّ علق الكاتب بقوله: «هذا هو المشهور في كتب الشيعة».

رغم أن المجلسي نقله عن (مناقب) ابن شهر آشوب (بحار الأنوار - ج ٤٢ ص ٩٢)، وهو بدوره نقله عن كتاب (قوت القلوب)، الذي عده ابن شهر آشوب من كتب العامة التي نقل منها، قال العلامة المجلسي في (البحار): «قال ابن شهر آشوب في (المناقب): كان جمع ذلك الكتاب بعد ما أن لي جماعة من أهل العلم والديانة بالسمع... فأما طرق العامة فقد صح لنا إسناد البخاري... إسناد (قوت القلوب) عن القطيفي عن أبيه عن أبي القاسم الحسن بن محمد عن أبي يعقوب يوسف بن منصور السيارى... فأما أسانيد كتب أصحابنا فأكثرها عن الشيخ أبي جعفر الطوسي...» (نفس المصدر السابق - ج ١ ص ٦٦).

فالكتاب المنقول عنه ما ذكر هو لأحد علماء أهل السنة، ولا ينتمي للشيعة بأيِّ صلة، ومع ذلك يقول الكاتب بجرأة غريبة: «هذا هو المشهور في كتب الشيعة».

والكتاب ذكره الحاجي خليفة في (كشف الظنون) قال: «(قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المرید إلى مقام التوحيد) في التصوف لأبي طالب بن علي بن عطية العجمي ثمَّ المكي المتوفى سنة ٣٨٦...» (كشف الظنون - ج ٢ ص ١٣٦١).

الصحابة  
في سرية أسامة

---

---

---



### (٣) الصحابة في سرية أسامة

مجمل هذه القصة: أنه ﷺ جهّز جيشاً لغزو الروم قبل وفاته بيومين، وأمر على هذه السرية أسامة بن زيد بن حارثة، وعمره ثمانية عشر عاماً، وقد عبأ ﷺ في هذه السرية وجوه المهاجرين والأنصار، كأبي بكر وعمر وأبي عبيدة وغيرهم من كبار الصحابة المشهورين<sup>(١)</sup>.

(١) قال ابن سعد في الطبقات ٢: ١٤٩، ٤: ٦٦: «إن النبي ﷺ بعث سرية فيهم أبو بكر وعمر فاستعمل عليهم أسامة».

وقال ابن الأثير في الكامل ٢: ٣١٧ في حوادث سنة إحدى عشر: «وأوعب مع أسامة المهاجرون الأولون، منهم: أبو بكر وعمر».

وقال ابن عساکر في تاريخ مدينة دمشق ٨: ٤٦ رقم ٥٩٦ في ترجمة أسامة: «استعمله رسول الله ﷺ على جيش فيه أبو بكر وعمر».

وقال ابن حجر في فتح الباري ٨: ١٩٢ باب ٨٧ «وكان من ندب مع أسامة كبار المهاجرين والأنصار، منهم: أبو بكر وعمر وأبو عبيدة وسعد وسعيد وقتادة ابن النعمان وسلمة بن أسلم»، ثم ردّ على ابن تيمية في إنكار كون أبي بكر من الجيش، وأكد تواجده فيه نقلاً من السيرة لابن اسحاق والمنتظم لابن الجوزي وفي تهذيب الكمال للمزي ٢: ٣٤، وتهذيب التهذيب لابن حجر ١: ١٨٢. وفي السيرة الحلبية ٣: ٢٩١ قال: «فلم يبق أحد من وجوه المهاجرين والأنصار إلا اشتدّ لذلك، منهم أبو بكر وعمر...» هذا ولكتّه ذهب في الصفحة الثانية إلى أنّ الرسول استثنى أبا بكر من الجيش للصلاة، لكن هذا لا يصح فإنّ الرسول ﷺ لم يأمر أبا بكر بالصلاة، فكيف وقد أنفذه مع سائر الصحابة.

وفي تاريخ الإسلام للذهبي ٨: ٧١٤: «فلم يبق أحد من المهاجرين والأنصار إلا انتدب في تلك الغزوة فيهم أبو بكر وعمر وأبو عبيدة».

وفي أنساب الأشراف للبلاذري ٢: ١١٥: «خرج رسول الله ﷺ حتى جلس على

فطعن قوم منهم في تأمير أسامة، وقالوا: كيف يؤمر علينا شاب لا نبات بعارضيه، وقد طعنوا من قبل في تأمير أبيه، وقد قالوا في ذلك وأكثروا التّقد، حتّى غضب ﷺ غضباً شديداً ممّا سمع من طعنهم وانتقادهم، فخرج ﷺ معصب الرأس محموماً، يتهاذى بين رجلين ورجلاه تخطّان في الأرض - بأبي هو وأمّي - من شدّة ما به من لغوب، فصعد المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، ثمّ قال:

«أيّها الناس ما مقالة بلغتني عن بعضكم في تأمير أسامة، ولئن طعنتم في تأميري أسامة فقد طعنتم في تأميري أبيه من قبله، وأيم الله أنّه كان خليفاً بالإمارة، وأنّ ابنه من بعده لخليق بها...»<sup>(١)</sup>.

ثمّ جعل ﷺ يحضّهم على التعجيل، وجعل يقول: «جهّزوا جيش أسامة، أنفذوا جيش أسامة أرسلوا بعث أسامة»، يكرّر ذلك على مسامعهم وهم متناقلون، وعسكروا بالجرف وما كادوا يفعلون.

إنّ مثل ذلك يدفعني إلى أن أتساءل: ما هذه الجرأة على الله ورسوله؟!

➔ المنبر، وكان الناس قد تكلموا في أمره حين أراد توجيههم إلى مؤتته، فكان أشدهم قولاً في ذلك عبّاس بن أبي ربيعة.

فقال: أيّها الناس، انفذوا بعث أسامة، فلعمري لئن قلت في إمرته، لقد قلت في إمرة أبيه من قبله، ولقد كان أبوه للإمارة خليفاً، وإيّاه لخليق بها.

وكان في جيش أسامة: أبو بكر وعمر ووجوه من المهاجرين والأنصار..

وقال ابن الأثير في أسد الغابة ١: ١٩٧: «فإنّ النبي ﷺ استعمله على جيش وأمره أن يسير إلى الشام أيضاً، وفيهم عمر بن الخطّاب».

(١) ورد بألفاظ مختلفة، راجع: مسند أحمد ٢: ٢٠، صحيح البخاري كتاب المغازي

باب ٨٩، صحيح مسلم كتاب فضائل الصحابة في فضائل زيد وأسامه، تاريخ

دمشق لابن عساكر ٨: ٥٩ - ٦٢، السنن الكبرى للبيهقي ٨: ١٥٤، السنن الكبرى

للنسائي ٥: ٥٣، وغيرها من المصادر.

وما هذا العقوق في حقّ الرسول الأكرم الذي هو حريص عليهم بالمؤمنين  
رؤوف رحيم؟  
لم أكن أتصوّر - كما لا يمكن لأحد أن يتصوّر - تفسيراً مقبولاً لهذا العصيان،  
وهذه الجرأة؟!!

وكالعادة، عند قراءة مثل هذه الأحداث التي تمسّ كرامة الصحابة من قريب  
أو بعيد، أحاول تكذيب مثل هذه القضايا وتجاهلها، ولكن لا يمكن تكذيب وتجاهل  
ما أجمع عليه المؤرّخون والمحدّثون من علماء السنّة والشيعّة.  
وقد عاهدت ربّي أن أكون منصفاً، فلا أتعصّب لمذهبي ولا أقيم وزناً لغير  
الحقّ، والحقّ هنا مرّ كما يقال، وقد قال عليه الصلاة والسلام: «قل الحقّ ولو كان  
على نفسك وقل الحقّ ولو كان مرّاً...».

والحقّ في هذه القضية: هو أنّ هؤلاء الصحابة الذين طعنوا في تأمير أسامة قد  
خالفوا أمر ربّهم وخالفوا الصريح من النصوص التي لا تقبل الشكّ ولا تقبل  
التأويل، وليس لهم عذر في ذلك، إلّا ما يلتمسه البعض من أعذار باردة حفاظاً على  
كرامة الصحابة و«السلف الصالح» والعامل الحرّ لا يقبل بحال من الأحوال هذه  
التمحّلات.

اللهم إلّا إذا كان من الذين لا يفقهون حديثاً، ولا يعقلون، أو من الذين  
أعمت العصبية أعينهم، فلم يعودوا يفرّقون بين الفرض الواجب طاعته، والنهي  
الواجب تركه.

ولقد فكّرت مليّاً عساني أجد عذراً لهؤلاء مقبولاً، فلم يسعفني تفكيري  
بطائل، وقرأت اعتذار أهل السنّة على هؤلاء: بأنهم كانوا مشايخ قريش وكبرائها،  
ولهم الأسيّة في الإسلام، بينما أسامة كان حدثاً ولم يشارك في المعارك المصيرية

لعزّة الإسلام، كمعركة بدر وأحد وحنين، ولم تكن له سابقة، بل كان صغير السنّ عندما ولّاه رسول الله إمارة السريّة، وطبيعة النفوس البشرية تأبى بجبّلتها إذا كانت بين كهول وشيوخ أن تنقاد إلى الأحداث، وتنفر بطبعها من النزول على حكم الشبان، ولذلك طعنوا في تأميره، وأرادوا منه ﷺ أن يستبدّله بأحد من وجوه الصحابة وكبرائهم.

إنّه اعتذار لا يستند إلى دليل عقلي ولا شرعي، ولا يمكن لأيّ مسلم قرأ القرآن وعرف أحكامه إلا أن يرفض مثل هذا، لأنّ الله عزّ وجلّ يقول:

﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمُ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾<sup>(١)</sup>، ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا﴾<sup>(٢)</sup>.

فأبيّ عذر بعد هذه النصوص الصريحة يقبله العاقلون، وماذا عساني أن أقول في قوم أغضبوا رسول الله وهم يعلمون أنّ غضب الله في غضبه، وذلك بعد أن رموه بالهجر وقالوا بحضرته ما قالوا، وأكثروا اللّغظ والاختلاف، وهو مريض بأبي هو وأمي، حتّى أخرجهم من حجرته.

أو لم يكفهم كلّ هذا؟! وبدلاً من أن يثوبوا إلى رشدهم، ويتوبوا إلى الله ويستغفروه ممّا فعلوا، ويطلبوا من الرسول أن يستغفر لهم كما علّمهم القرآن، عوضاً عن ذلك فقد زادوا في الطّين بلّة - كما يقول المثل الشعبي عندنا - وتاهوا وتناولوا على من كان بهم رؤوف رحيم، ولم يراعوا له حقّاً، ولم يعرفوا له احتراماً.

فطعنوا في تأميره أسامة بعد يومين من رميه بالهجر، والجرح لئلاّ يندمل، حتّى

(١) سورة الحشر: ٧.

(٢) سورة الأحزاب: ٣٦.



أجبروه أن يخرج ﷺ بتلك الحالة التي وصفها المؤرخون، لا يقدر على المشي من شدة المرض، وهو يتهدى بين رجلين، ثم يقسم بالله بأن أسامة خليف بالإمارة.

ويزيدنا الرسول بأنهم هم أنفسهم الذين طعنوا في تأميره زيد بن حارثة من قبل، ليعلمنا أن هؤلاء لهم معه مواقف سابقة متعددة، وسوابق شاهدة على أنهم لم يكونوا من الذين لا يجدون في أنفسهم حرجاً ممّا قضى ويسلموا تسليماً، بل كانوا من المعاندين المجادلين الذين جعلوا لأنفسهم حقّ النقد والمعارضة، حتّى ولو خالفوا بذلك أحكام الله ورسوله.

ومّا يدلّنا على المعارضة الصريحة، أنّهم رغم ما شاهدوه من غضب رسول الله، ومن عقد اللواء له بيده الشريفة، والأمر لهم بالإسراع والتعجيل، تشاقلوا وتباطأوا، ولم يذهبوا حتّى توفيّ بأبي هو وأمّي، وفي قلبه حسرة على أمّته المنكوبة التي سوف تنقلب على أعقابها، وتهوى في النار، ولا ينجو منها إلاّ القليل الذي شبّهه رسول الله بهمل التعم<sup>(١)</sup>.

وإذا أردنا أن نتمعّن في هذه القضية، فإنّنا سنجد الخليفة الثاني من أبرز عناصرها وأشهر أقطابها، إذ إنّّه هو الذي جاء بعد وفاة رسول الله إلى الخليفة أبي بكر، وطلب منه أن يعزل أسامة ويبدله بغيره، فقال له أبو بكر: ثكلتك أمّك يا بن الخطّاب! أتأمرني أن أعزله وقد ولّاه رسول الله<sup>(٢)</sup>.

فأين هو عمر من هذه الحقيقة التي أدركها أبو بكر، أم أن في الأمر سرّاً آخر خفي عن المؤرخين، أم أنّهم هم الذين أسروه حفاظاً على كرامته، كما هي عادتهم،

(١) صحيح البخاري ٧: ٢٠٩، كتاب الرقاق، النهاية في غريب الحديث ٥: ٢٧٤، كنز العمال ١١: ١٣٣.

(٢) تاريخ الطبري ٣: ٢٢٦، كنز العمال ١٠: ٥٧٩ ح ٣٠٢٦٨، تاريخ دمشق لابن عساكر ٢: ٥٠.

وكما أبدلوا عبارة: « يهجر » بلفظ: « غلبه الوجع »؟!

عجبي من هؤلاء الصحابة الذين أغضبوه يوم الخميس، واتَّهموه بالهجر والهديان، وقالوا: « حسبنا كتاب الله »، وكتاب الله يقول لهم في محكم آياته: ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ ﴾<sup>(١)</sup>!

وكأنهم هم أعلم بكتاب الله وأحكامه من الذي أنزل عليه، وها هم بعد يومين فقط من تلك الرزية المؤلمة، وقبل يومين فقط من لحوقه بالرفيق الأعلى، يغضبونه أكثر فيطعنون في تأميره ولا يطيعون أمره.

وإذا كان في الرزية الأولى مريضاً طريح الفراش، فقد اضطرَّ في الثانية أن يخرج معصَّب الرأس، مدثراً بقطيفة، يتهادى بين رجلين، ورجلاه تخطَّان في الأرض، وخطب فيهم خطبة كاملة من فوق المنبر، بدأها بتوحيد الله والثناء عليه، ليشعرهم بذلك بأنه بعيد عن الهجر، ثم أعلمهم بما عرفه من طعنهم، ثم ذكرهم بقضية أخرى طعنوا فيها من قبل أربع سنوات خلت، أفهل يعتقدون بعد ذلك بأنه يهجر، أو أنه غلبه الوجع، فلم يعد يعي ما يقول؟!

سبحانك اللهم وبحمدك! كيف يجرؤ هؤلاء على رسولك، فلا يرضون بالعقد الذي أبرمه، ويعارضونه بشدة حتى يأمرهم بالنحر والحلق ثلاث مرّات، فلا يستجيب منهم أحد، ومرة أخرى يجذبونه من قميصه، ويمنعونه من الصلاة على عبد الله بن أبي ويقولون له: « إنَّ الله قد نهاك أن تصلِّي على المنافقين »<sup>(٢)</sup>! وكأنهم يعلمونه ما نزل إليه، في حين أنك قلت في قرآنك: ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ

(١) سورة آل عمران: ٣١.

(٢) أنظر صحيح البخاري باب الجنائز ٦:٢، مسند أحمد ١٨:٢، سنن الترمذي

٣٤٣:٤، سنن النسائي ٣٧:٤، السنن الكبرى للبيهقي ٨:١٩٩، صحيح ابن حبان

٤٤٧:٧، الاستيعاب ٣:٩٤١.

مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴿١﴾.

وقلت أيضاً: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ  
اللَّهُ﴾ (٢).

وقلت وقولك الحق: ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا  
وَيُزَكِّيْكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾ (٣).

فجرباً لهؤلاء القوم الذين ينزلون أنفسهم فوق منزلته؛ فمرة لا يمتثلون لأمره،  
ومرة يتهمونه بالهجر، ويكثر اللغظ بحضرة في غير احترام ولا أدب، وأخرى  
يطعنون في تأميره زيد بن حارثة، ومن بعده في تأمير ابنه أسامة بن زيد فكيف يبقى  
بعد كل هذا شك للباحثين من أن الشيعة على حق عندما يحيطون مواقف بعض  
الصحابة بعلاوات الاستفهام، ويمتنعون منها احتراماً وحباً ومودةً لصاحب  
الرسالة وأهل بيته؟!

على أنني لم أذكر من المخالفات غير أربع أو خمس، وذلك للاختصار، ولتكون  
أمثلة فقط، ولكن علماء الشيعة قد أحصوا مئات الموارد التي خالف فيها الصحابة  
النصوص الصريحة، ولم يستدلوا إلا بما أخرجه علماء السنة في صحاحهم  
ومسانيدهم.

وإنني عندما أستعرض بعض المواقف التي وقفها بعض الصحابة من رسول  
الله، أبقى حائراً مدهوشاً، لا من تصرفات هؤلاء الصحابة فحسب، ولكن من  
موقف علماء السنة والجماعة الذين يصورون لنا الصحابة دوماً على حق لا يمكن

(١) سورة النحل: ٤٤.

(٢) سورة النساء: ١٠٥.

(٣) سورة البقرة: ١٥١.

التعرض لهم بأي نقد، وبذلك يمنعون الباحث من الوصول إلى الحقيقة، ويبقى يتخبط في التناقضات الفكرية.

وزيادة على ما سبق أسوق بعض الأمثلة التي تعطينا صورة حقيقية على هؤلاء الصحابة، ونفهم بذلك موقف الشيعة منهم :

أخرج البخاري في صحيحه ٤ : ٤٧ في باب الصبر على الأذى، وقول الله تعالى : ﴿ إِنَّمَا يُؤَقِّي الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ ﴾ من كتاب الأدب، قال : حدثنا الأعمش، قال : سمعت شقيقاً يقول : قال عبد الله : قسم النبي ﷺ قسمة كبعض ما كان يقسم، فقال رجل من الأنصار والله إنها لقسمة ما أريد بها وجه الله، قلت : أما أنا لأقولن للنبي ﷺ، فأتيته وهو في أصحابه فساررتة، فشق ذلك على النبي، وتغير وجهه وغضب، حتى وددت أنني لم أكن أخبرته، ثم قال : « قد أوزي موسى بأكثر من ذلك فصبر »<sup>(١)</sup>.

كما أخرج البخاري في نفس الكتاب، أعني كتاب الأدب في باب التبسّم والضحك، قال : حدثنا أنس بن مالك، قال : كنت أمشي مع رسول الله ﷺ وعليه برد نجراني غليظ الحاشية، فأدركه أعرابي، فجذبه بردائه جذبة شديدة، قال أنس : فنظرت إلى صفحة عاتق النبي ﷺ وقد أثرت بها حاشية الرداء من شدة جذبته، ثم قال : يا محمد، مر لي من مال الله الذي عندك، فالتفت إليه فضحك ثم أمر له بعتاء<sup>(٢)</sup>. كما أخرج البخاري في كتاب الأدب في باب من لم يواجه الناس بالعتاب،

(١) وهو أيضاً في: صحيح مسلم ٣: ١٠٩، باب ذكر الخوارج وصفاتهم، سنن الترمذي ٥: ٣٦٩، السنن الكبرى للبيهقي ٨: ١٦٧، الأدب المفرد: ٩٠، الشفا بتعريف حقوق المصطفى ٢: ٢٢٥.

(٢) وهو أيضاً في: صحيح مسلم ٣: ١٠٣، باب إعطاء من سأل، البداية والنهاية ٤: ٤١٣، السيرة النبوية لابن كثير ٣: ٦٨٢.

قال : قالت عائشة : صنع النبي ﷺ شيئاً فرخص فيه، فتنزه عنه قوم، فبلغ ذلك النبي ﷺ، فخطب فحمد الله ثم قال : « ما بال أقوام يتنزهون عن الشيء أصنعه، فوالله إنني لأعلمهم بالله، وأشدّهم له خشية »<sup>(١)</sup>.

ومن أمعن النظر في مثل هذه الرواية، فسيجدهم ينزلون أنفسهم فوق منزلته، ويعتقدون بأنه يخطئ ويصيبون، بل إن هذا يستتبع تصحيح بعض المؤرخين لأفعال الصحابة حتى لو خالفت فعل النبي، أو إظهار بعض الصحابة بمنزلة من العلم والتقوى أكثر من رسول الله ﷺ، كما حصل ذلك عندما حكموا بأن النبي أخطأ في قضية أسرى بدر، وأصاب عمر بن الخطاب، ويروون في ذلك روايات مكذوبة بأنه ﷺ قال : « لو أصابنا الله بمصيبة لم يكن ينج منها إلا ابن الخطاب »<sup>(٢)</sup>.

وكان لسان حالهم يقول : لولا عمر لهلك النبي ! والعياذ بالله من هذا الاعتقاد الفاسد المشين الذي لا قبح بعده.

ولعمري إن الذي يعتقد هذا الاعتقاد هو بعيد عن الإسلام بعد المشركين، ويجب عليه أن يراجع عقله، أو يطرد الشيطان من قلبه. قال الله تعالى : ﴿ أَفَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَصْلَهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾<sup>(٣)</sup> صدق الله العلي العظيم.

ولعمري إن الذين يعتقدون بأن رسول الله ﷺ يميل به الهوى، ويحيد به عن

(١) وفيه أيضاً في: الأدب المفرد: ٩٨، كشف الخفاء ١: ٢٠٠، تفسير البغوي ٣: ٥٧٠، إمتاع الأسماع ٣: ١٤٩.

(٢) تجد قريب منه في المصادر التالية: صحيح مسلم ٥: ١٥٧، الكامل في التاريخ ٢: ١٣٦، تاريخ الطبري ١: ١٦٩، فتح القدير للشوكاني ١: ٣٩٨، تفسير القرطبي ٨: ٤٧، الدر المنثور للسيوطي ٣: ٢٠٣، المستصفى للغزالي: ٢٤٧.

(٣) سورة الجاثية: ٢٣.

طريق الحق، فيقسم قسمة لا يريد بها وجه الله، وإنما تبعاً لهواه وعاطفته، والذين ينتزّهون عن أشياء يصنعها رسول الله اعتقاداً منهم بأنهم أتقى الله وأعلم به من رسوله، فهؤلاء ليسوا جديرين بأيّ احترام ولا تقدير من المسلمين، فضلاً على أن ينزلونهم منزلة الملائكة، فيحكمون بأنهم أفضل الخلق بعد رسول الله، وأن المسلمين مدعوون لاتباعهم والافتداء بهم، والسير على سنتهم، لا لشيء إلا لأنهم صحابة رسول الله.

وهذا يتناقض مع أهل السنة والجماعة الذين لا يصلّون على محمّد وآله إلاّ ويضيفون إليهم الصحابة أجمعين، وإذا كان الله سبحانه وتعالى قد عرف قدرهم وأنزلهم منزلتهم، فأمرهم بأن يصلّوا على رسوله وأهل بيته الطاهرين، لئلاّ أعناقهم ليخضعوا ويعرفوا مكانة هؤلاء عند الله، فلماذا نجعلهم نحن في منزلة فوق منزلتهم، ونسويهم بمن رفع الله قدرهم وفضّلهم على العالمين.

ودعني أستنتج بأنّ الأمويين والعباسيين الذين نصبوا العداء لأهل البيت النبوي، وأبعدوهم وشرّدوهم وقتلوهم هم وأتباعهم وشيعتهم، تفتنوا لما في هذه المزيّة من الفضل العميم والخطر الجسيم، فإذا كان الله سبحانه لا يقبل صلاة مسلم إلاّ إذا صلّى عليهم، فماذا يبزرون عداءهم وانحرافهم عن أهل البيت؟!

ولذلك تراهم ألحقوا الصحابة بأهل البيت ليموّها على الناس بأنّ أهل البيت والصحابة في الفضل سواء.

وخصوصاً إذا عرفنا بأنّ ساداتهم وكبراءهم هم بعض الصحابة الذين استأجروا ضعفاء العقول ممّن صحبوا رسول الله أو من التابعين ليرووا الأحاديث الموضوعية في فضائل الصحابة، وبالأخصّ في من اعتلوا منصّة الخلافة، وكانوا سبباً مباشراً في وصولهم - أيّ الأمويين والعباسيين - إلى الحكم والتحكّم في رقاب المسلمين.

والتاريخ خير شاهد على ما أقول إذ إنَّ عمر بن الخطَّاب الذي اشتهر بمحاسبة ولاته وعزلهم لمجرّد شبهة، نراه يلين مع معاوية بن أبي سفيان ولا يحاسبه أبداً، وقد ولّاه أبو بكر وأقرّه عمر طيلة حياته، ولم يعترض عليه حتّى بالعتاب واللّوم، رغم كثرة الساعين الذين يشكون من معاوية ويقولون له: بأنّ معاوية يلبس الذهب والحريير اللذين حرّمهما رسول الله على الرجال، فكان عمر يجيبهم: «دعوه فإنّه كسرى العرب»<sup>(١)</sup>.

واستمر معاوية في الولاية أكثر من عشرين عاماً لم يتعرّض له أحد بالنقد ولا بالعزل، ولما ولي عثمان خلافة المسلمين أضاف إليه ولايات أخرى مكنته من الاستيلاء على الثروة الإسلامية، وتعبئة الجيوش وأوباش العرب للقيام بالثورة على إمام الأئمة، والاستيلاء على الحكم بالقوّة والغصب، والتحكّم في رقاب المسلمين، وإرغامهم بالقوّة والقهر على بيعة ابنه الفاسق شارب الخمر يزيد. وهذه قصّة أخرى طويلة لست بصدد تفصيلها في هذا الكتاب، والمهم هو أن

---

(١) راجع بألفاظه المختلفة: تاريخ دمشق لابن عساكر ٥٩: ١١٤، أسد الغابة لابن الأثير ٤: ٣٨٦، سير أعلام النبلاء للذهبي ٣: ١٣٥، الإصابة لابن حجر ٦: ١٢١، الاعلام للزركلي ٧: ٢٦٢، البداية والنهاية لابن كثير ٨: ١٣٤، غريب الحديث لابن سلام ٤: ٢٩٣.

فكان عمر بن الخطَّاب هو الذي وطّد الملك لمعاوية بن أبي سفيان، مع علمه بأنّه من الطلقاء، ولم يولّ بديراً أو أنصارياً أو صحابياً له تاريخ مشرّف على منطقة مثل الشام، بل اختار معاوية، ولم يحاسبه في حياته على فعل من أفعاله، مع أنّه كان تصل إليه الأخبار بتصرفات معاوية المخالفة للدين والعقل، لكن مع ذلك لم يحرك ساكناً وأبقاه على مملكة الشام حتّى إذا جاء عثمان وسّعها له فضمّ إليه فلسطين ومن حولها، لتصبح بذلك مملكة مكتملة الأطراف والأوصاف والتي أدّت إلى حرب صفين وإزهاق لأرواح آلاف من الصحابة الكرام.

أعرف نفسيات هؤلاء الصحابة الذين اعتلوا منصّة الخلافة، ومهدوا لقيام الدولة الأموية بصفة مباشرة نزولاً على حكم قريش التي تأبى أن تكون النبوة والخلافة في بني هاشم<sup>(١)</sup>.

وللدولة الأموية الحقّ - بل من واجبها - أن تشكر أولئك الذين مهدوا لها، وأقلّ الشكر أن تستأجر رواة ماجورين يروون في فضائل أسيادهم ما تسيّر به الركبان، وفي نفس الوقت يرفعون هؤلاء فوق منزلة خصومهم أهل البيت، باختلاق الفضائل والمزايا التي يشهد الله أنّها إذا ما بحثت تحت ضوء الأدلّة الشرعية والعقلية والمنطقية فسوف لن يبقى منها شيء يذكر، اللهم إلا إذا أصاب عقولنا مسّ وآمنا بالتناقضات.

وعلى سبيل المثال لا الحصر: فإننا نسمع الكثير من عدل عمر الذي سارت به الركبان، حتّى قيل: « عدلت فنمت »، وقيل: « دفن عمر واقفاً لئلا يموت العدل معه »، وفي عدل عمر حدّث ولا حرج.

ولكن التاريخ الصحيح يحدثنا بأنّ عمر حين فرض العطاء في سنة عشرين للهجرة لم يتوخّ سنة رسول الله ولم يتقيّد بها، فقد ساوى النبي ﷺ بين جميع المسلمين في العطاء، فلم يفضّل أحداً على أحد، واتّبعه في ذلك أبو بكر مدّة خلافته، ولكنّ عمر بن الخطّاب اخترع طريقة جديدة، وفضّل السابقين على غيرهم، وفضّل المهاجرين من قريش على غيرهم من المهاجرين، وفضّل المهاجرين كافّة على الأنصار كافّة، وفضل العرب على سائر العجم، وفضل الصريح على المولى<sup>(٢)</sup>، وفضّل مضر على ربيعة، وفرض لمضر ثلاثمائة ولربيعه مائتين<sup>(٣)</sup>، وفضّل الأوس على

(١) للتفصيل اقرأ: الخلافة والملك، أبو الأعلى المودودي: ٩٣، الباب الرابع، يوم الإسلام، أحمد أمين: ٦٦، وكتب التاريخ المتعرضة لتلك الحقبة الزمنية.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٨: ١١١.

(٣) تاريخ اليعقوبي ٢: ١٠٦.



الخزرج<sup>(١)</sup>، فأين هذا التفضيل من العدل يا أولي الألباب<sup>(٢)</sup>؟!

ونسلم عن علم عمر بن الخطاب الكثير الذي لا حصر له، حتّى قيل: إنّه أعلم الصحابة، وقيل: إنّه وافق ربّه في كثير من آرائه التي ينزل القرآن بتأييدها في العديد من الآيات التي يختلف فيها عمر والنبي، ولكنّ الصحيح من التاريخ يدلّنا على أنّ عمر لم يوافق القرآن حتّى بعد نزوله، عندما سأله أحد الصحابة أيّام خلافته فقال: يا أمير المؤمنين إنّي أجنت فلم أجد الماء، فقال له عمر: لا تصلّ، واضطر عمّار بن ياسر أن يذكره بالتيّم، ولكنّ عمر لم يقنع بذلك وقال لعمّار: إنّنا نحملك ما تحمّلت<sup>(٣)</sup>.

فأين عمر من آية التيمّم المنزلة في كتاب الله؟! وأين علمه من سنّة النبي الذي علّمهم كيفية التيمّم كما علّمهم الوضوء؟! وعمر نفسه يعترف في العديد من القضايا بأنّه ليس بعالم، بل بأنّ كلّ الناس أفقه منه حتّى ربّات الحجال وبقوله عدة مرّات: «لولا علي لهلك عمر»<sup>(٤)</sup>، ولقد أدركه الأجل ومات ولم يعرف حكم

(١) فتوح البلدان: ٤٣٧.

(٢) قال ابن سعد في الطبقات ٣: ٣٠٠ وهو يحكي عن عمر: «فدوّن الديوان وفرض للمهاجرين الأوّلين في خمسة آلاف خمسة آلاف، وللأنصار في أربعة آلاف أربعة آلاف، ولأزواج النبي ﷺ في اثني عشر ألفاً» السنن الكبرى ٦: ٣٥٠، وفتوح البلدان ٣: ٥٥٥، وتاريخ مدينة دمشق ٤٤: ٣٤٧.

(٣) الرواية منقولة بالمعنى وهي موجودة في مسند أحمد ٤: ٢٦٥، صحيح البخاري ١: ٨٧، كتاب التيمّم، صحيح مسلم ١: ١٩٣، باب التيمّم، سنن ابن ماجّة ١: ١٨٨، سنن النسائي ١: ١٦٦، السنن الكبرى ١: ٢٠٩، قال ابن حجر في فتح الباري ١: ٣٧٦: «وهذا مذهب مشهور عن عمر».

(٤) الاستيعاب ٣: ١١٠٣، كفاية الطالب للكنجي: ٢١٩ وفيه: «كاد يهلك ابن الخطّاب

الكلالة التي حكم فيها بأحكام متعدّدة ومختلفة، كما يشهد بذلك التاريخ<sup>(١)</sup>، فأين هذا العلم يا أولي الأبصار؟

كذلك نسمع عن بطولة عمر وشجاعته وقوّته الشيء الكثير، حتّى قيل: إنّ قريش خافت عندما أسلم عمر، وقويت شوكة المسلمين بإسلامه!

وقيل: إنّ الله أعزّ الإسلام بعمر بن الخطّاب!

وقيل: بأنّ رسول الله لم يجهر بدعوته إلاّ بعد إسلام عمر!

ولكن التاريخ الثابت الصحيح لا يوقفنا على شيء من هذه البطولة والشجاعة، ولا يعرف التاريخ رجلاً واحداً من المشاهير أو حتّى من العاديين الذين قتلهم عمر بن الخطّاب في مبارزة أو في معركة كبدر وأحد والخندق وغيرها، بل العكس هو الصحيح، فالتاريخ يحدثنا أنّه هرب مع الهاريين في معركة أحد، وكذلك هرب يوم حنين، وبعثه رسول الله لفتح مدينة خيبر فرجع مهزوماً، وحتّى السرايا التي شارك فيها كان تابعاً غير متبوع، وآخرها سرية أسامة التي كان فيها مأموراً تحت قيادة الشاب أسامة بن زيد، فأين دعوى البطولات والشجاعة من هذه الحقائق يا أولي العقول؟

ونسمع عن تقوى عمر بن الخطّاب ومخافته وبكائه من خشية الله الشيء

☞ لولا عليّ» وقال: «هذا ثابت عند أهل النقل ذكره غير واحد من أهل السير»، تأويل

مختلف الحديث لابن قتيبة: ١٥٢، فيض القدير للمتاوي ٤: ٤٧٠، نظم درر

السمطين: ١٣٠، أمالي المحاملي: ٢٤٧.

(١) لمعرفة هذا الأمر تراجع المصادر التالية: صحيح مسلم ٥: ٦٠ كتاب الفرائض،

باب الكلالة، مسند أحمد بن حنبل ١: ٤٨، سنن ابن ماجه ٢: ١٦٣، سنن البيهقي ٦:

٢٢٤ و٨: ١٥٠، المستدرک على الصحيحين ٢: ٣٠٣، تفسير القرطبي ٦: ٢٩،

تفسير الطبري ٦: ٣٠، تفسير الدرّ المنثور ٢: ٢٥١، تفسير ابن كثير ١: ٥٩٥.

الكثير، حتّى قيل: إنّه كان يخاف أن يحاسبه الله لو عثرت بغلة في العراق لأنّه لم يعبد لها الطريق، ولكنّ التاريخ الثابت الصحيح يحدثنا بأنّه كان فظاً غليظاً لا يتورّع ولا يخاف، فيضرب من يسأله عن آية من كتاب الله حتّى يدميه بدون ذنب اقترفه، بل وتسقط المرأة حملها لمجرّد رؤيته هيبته ومخافة منه، ولماذا لم يتورّع مخافة من الله عندما سلّ سيفه، وهدّد كلّ من يقول بأنّ محمّداً قد مات، وأقسم بالله أنّه لم يمت، وإنّما ذهب ينجي ربّه كما فعل موسى بن عمران، وتوعّد من يقول بموته بقتله<sup>(١)</sup>.

ولماذا لم يتورّع ولم يخش الله سبحانه في تهديد حرق بيت فاطمة الزهراء بالنار إن لم يخرج المتخلّفون فيه للبيعة<sup>(٢)</sup>، وقيل له: إنّ فيها فاطمة، فقال: وإن؛

(١) صحيح البخاري ٤: ١٩٤، كتاب المناقب، باب مناقب المهاجرين، السنن الكبرى للبيهقي ٨: ١٤٢، المصنّف لابن أبي شيبة ٨: ٥٦٨، صحيح ابن حبان ١٤: ٥٨٨، الدرر لابن عبد البر: ٢٧٢، الطبقات الكبرى ٢: ٢٦٦، تاريخ الطبري ٢: ٤٤٢، أحداث سنة ١١ هـ الكامل في التاريخ ٢: ٣٢٣، تاريخ الإسلام ٣: ٥.

(٢) تاريخ الطبري ٣: ١٩٩، الإمامة والسياسة لابن قتيبة ١: ٣٠، المصنّف لابن أبي شيبة ٨: ٥٧٢ وسنده حسن وقال الباحث السلفي حسن فرحان المالكي في كتابه (قراءة في كتب العقائد، المذهب الحنبلي نموذجاً) ص ٥٢: «كنت أظنّ المداهمة مكذوبه لا تصحّ حتّى وجدت لها أسانيد قويّة، منها ما أخرج ابن أبي شيبة في المصنّف».

وقال ابن عبد ربّه القرطبي في العقد الفريد ٢: ٢٥: «الذين تخلّفوا عن بيعة أبي بكر: علي والعبّاس والزبير وسعد بن عباد، فأما علي والعبّاس والزبير فقعدوا في بيت فاطمة، وقال له: إن أبو فقاتلهم، فأقبل بقبس من نار على أن يضرم عليهم الدار فلقيته فاطمة، فقالت: يا بن الخطّاب أجنّتنا لتحرق دارنا؟ قال: نعم أو تدخلوا فيما دخلت فيه الأُمّة»

وتجرأ على كتاب الله وسنة رسوله، فحكم في خلافته بأحكام تخالف النصوص القرآنية والسنة النبوية الشريفة<sup>(١)</sup>.

❖ وقال أبو الفداء: «ثم إنَّ أبا بكر بعث عمر بن الخطَّاب إلى علي ومن معه ليخرجه من بيت فاطمة - رضي الله عنها - وقال: إنَّ أبو عليك فقاتلهم، فاقبل عمر بشيء من نار علي أن يضرم الدار، فلقيته فاطمة - رضي الله عنها - وقالت: إلى أين يا بن الخطَّاب، أجبَّت لتحرق دارنا؟  
قال: نعم، أو يدخلوا فيما دخل فيه الأمة. فخرج علي حتَّى أتى أبا بكر فبايعه...»  
المختصر في أخبار البشر ١: ١٥٦.

وقال ابن تيميَّة في منهاج السنة ٨: ٢٩١: «كبس البيت لينظر هل فيه شيء من مال الله الذي يقسمه، وأن يعطيه لمستحقه، ثم رأى أنَّه لو تركه لهم لجاز...»  
وابن تيميَّة اعترف بالهجوم على الدار لكنه جاء بشيء عجيب، بعيد كلَّ البعد عن الحقيقة، لأنَّ النبي الأكرم ﷺ لم يكن يضع أموال بيت المال في بيت علي عليه السلام، بل كان له مكانه الخاص المعدَّ لوضعه، فلا ندري من أين جاء بهذا الكلام!!  
وقال المتقي الهندي: «عن أسلم أنَّه حين بويع لأبي بكر بعد رسول الله ﷺ كان علي والزبير يدخلون على فاطمة بنت رسول الله ﷺ ويشاورونها ويرجعون في أمرهم، فلمَّا بلغ ذلك عمر بن الخطَّاب خرج حتَّى دخل على فاطمة فقال: يا بنت رسول الله ما من الخلق أحدٌ أحبَّ إليَّ من أبيك، وما من أحدٍ أحبَّ إلينا بعد أبيك منك، وأيمُّ الله ماذاك بمانعي أن اجتمع هؤلاء النفر عندك ان أمرتهم أن يحرق عليهم الباب» كنز العمال ٥: ٤٤٩، وغير ذلك من المصادر الكثيرة.

(١) راجع: النص والاجتهاد، عبدالحسين شرف الدين. فقد أحصى كثيراً من الموارد التي اجتهد فيها عمر مقابل النصوص مع ذكر المصادر المقبولة لدى الفرق الإسلامية كافة (المؤلف).

وراجع الغدير للشيخ الأميني ٦: ١٩٠ فقد ذكر شذراً من محدثات عمر بن الخطَّاب ومبتدعاته في الدين الإسلامي، والتي أصبحت بعد ذلك من السنن التي تتبع.

فأين هذا الورع والتقوى من هذه الحقائق المرّة المؤلمة يا عباد الله الصالحين؟ وإنما أخذت هذا الصحابي الكبير الشهير كمثال، واختصرت كثيراً لعدم الإطالة، ولو شئت الدخول في التفاصيل لمألت كتباً عديدة، ولكن كما قلت: إنما أذكر هذه الموارد على سبيل المثال لا الحصر.

والذي ذكرته هو نزر يسير يعطينا دلالة واضحة على نفسيات الصحابة، وموقف العلماء من أهل السنة المتناقض، فبينما يمنعون على الناس نقدهم والشك فيهم، يروون في كتبهم ما يبعث على الشك والظن فيهم، وليت علماء السنة والجماعة لم يذكروا مثل هذه الأشياء الصريحة التي تمس كرامة الصحابة وتخدش في عدالتهم، إذن لأراحونا من عناء الارتباك.

وإني أتذكر لقاؤي مع أحد علماء النجف الأشرف - وهو أسد حيدر مؤلف كتاب الإمام الصادق والمذاهب الأربعة - وكنا نتحدث عن السنة والشيعه، فروى لي قصة والده الذي التقى في الحج عالماً تونسياً من علماء الزيتونة، وذلك منذ خمسين عاماً، ودار بينهما نقاش في إمامة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب.

فكان العالم التونسي يستمع إلى والدي، وهو يعدد الأدلة على إمامته عليه السلام وأحقّيته في الخلافة، فأحصى أربعة أو خمسة أدلة، ولما انتهى سأله العالم الزيتوني هل لديك غير هذا؟ قال: لا.

فقال التونسي: أخرج مسبحتك وابدأ في العد، وأخذ يذكر الأدلة حتى عدّ له مائة دليل لا يعرفها والدي، وأضاف الشيخ أسد حيدر: لو يقرأ أهل السنة والجماعة ما في كتبهم، لقالوا مثل مقالتنا، ولانتهى الخلاف بيننا من زمان بعيد. ولعمري إنه الحق الذي لا مفر منه، لو يتحرّر الإنسان من تعصّبه الأعمى وكبريائه، وينصاع للدليل الواضح.



أولاً

رأي القرآن في الصحابة

---

---

---





## (١) رأي القرآن في الصحابة

قبل كل شيء لا بد لي أن أذكر بأن الله سبحانه وتعالى قد مدح في كتابه العزيز في العديد من المواقع صحابة رسول الله الذين أحبوا الرسول وأتبعوه، وأطاعوه في غير مطمع وفي غير معارضة ولا استعلاء ولا استكبار، بل ابتغاء مرضاة الله ورسوله، أولئك رضي الله عنهم ورضوا عنه، ذلك لمن خشي ربه.

وهذا القسم من الصحابة الذين عرف المسلمون قدرهم من خلال مواقفهم وأفعالهم معه ﷺ، فأحبّوهم وأجلّوهم وعظّموا قدرهم، وترضّوا عنهم كلّما ذكروهم.

وبحسبي لا يتعلّق بهذا القسم من الصحابة الذين هم محطّ الاحترام والتقدير من السنّة والشيعة.

كما لا يتعلّق بالقسم الذي اشتهر بالنفاق، والذين هم معرّضون لعن المسلمين جميعاً من السنّة والشيعة.

ولكن بحسبي يتعلّق بهذا القسم من الصحابة الذين اختلف فيهم المسلمون، ونزل القرآن بتوبيخهم وتهديدهم في بعض المواقع، والذين حدّتهم رسول الله ﷺ في العديد من المناسبات، أو حدّ منهم.

نعم، الخلاف القائم بين الشيعة والسنّة هو في هذا القسم من الصحابة، إذ إنّ الشيعة ينتقدون أقوالهم وأفعالهم ويشكّون في عدالتهم، بينما يحترمهم أهل السنّة

والجماعة رغم كل ما ثبت عنهم من مخالفات.

وبحثي إنما يتعلق بهؤلاء - هذا القسم من الصحابة - حتى أتمكن من خلاله للوصول إلى الحقيقة أو بعض الحقيقة.

أقول هذا حتى لا يتوهم أحد أنني أغفلت الآيات التي تمدح أصحاب رسول الله، وأبرزت الآيات القاذحة فقط، بل إنني خلال البحث اكتشفت أن هناك آيات مادحة تتضمن في طيها قدحاً أو بالعكس.

وسوف لن أكلف نفسي جهداً كبيراً كما فعلت ذلك خلال السنوات الثلاث للبحث، بل سأكتفي بذكر بعض الآيات كأمثلة، كما جرت العادة وذلك للاختصار، وعلى الذين يريدون التوسع أن يتكبدوا عناء البحث والتنقيب والمقارنة كما فعلت، لتكون هدايتهم بعرق الجبين وعصارة الفكر، كما يطلبه الله من كل واحد، وما يتطلبه الوجدان لقناعة راسخة لا ترحزها الرياح والعواصف، ومن المعلوم بالضرورة أن الهداية التي تكون عن قناعة نفسية أفضل بكثير من التي تكون بمؤثرات خارجية، قال تعالى يمدح نبيه: ﴿وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى﴾<sup>(١)</sup>، أي: وجدك تبحث عن الحق فهداك إليه، وقال - أيضاً - : ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾<sup>(٢)</sup>.

## ١ - آية الانقلاب :

قال تعالى في كتابه العزيز: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾<sup>(٣)</sup> صدق الله العظيم.

(١) سورة الضحى: ٧.

(٢) سورة العنكبوت: ٦٩.

(٣) سورة آل عمران: ١٤٤.

فهذه الآية الكريمة صريحة وجليّة في أنّ الصحابة سينقلبون على أعقابهم بعد وفاة الرسول مباشرة، ولا يثبت منهم إلا القليل، كما دلّت على ذلك الآية في تعبير الله عنهم أيّ: عن الثابتين الذين لا ينقلبون بالشاكرين، فالشّاكرون لا يكونون إلا قلة قليلة، كما دلّ على ذلك قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾<sup>(١)</sup>، وكما دلّت عليه - أيضاً - الأحاديث النبويّة الشريفة التي فسّرت هذا الانقلاب، والتي سوف نذكر البعض منها.

والله سبحانه لم يبيّن عقاب المنقلبين على أعقابهم في هذه الآية، واكتفى بتمجيد الشاكرين الذين استحقّوا جزاءه سبحانه وتعالى، غير أنّه من المعلوم بالضرورة أنّ المنقلبين على الأعقاب لا يستحقّون ثواب الله وغفرانه، كما أكّد ذلك رسول الله ﷺ في أحاديث متعدّدة سوف نبّحث في البعض منها إن شاء الله في هذا الكتاب.

ولا يمكن تفسير الآية الكريمة صحيحة على مسيلمة، والأسود العنسي، وذلك حفاظاً على كرامة الصحابة، فهؤلاء قد انقلبوا وارتدّوا عن الإسلام، وادّعوا النبوة في حياته ﷺ، وقد حاربهم رسول الله وانصر عليهم.

كما لا يمكن تطبيق الآية الكريمة على مالك بن نويرة وأتباعه الذين منعوا الزكاة في زمن أبي بكر لعدّة أسباب:

منها: إنّهم إنّما منعوها ولم يعطوها إلى أبي بكر تريثاً منهم حتّى يعرفوا حقيقة الأمر، إذ إنّهم حجّوا مع رسول الله ﷺ في حجة الوداع، وقد بايعوا الإمام عليّ بن أبي طالب في غدير خم بعد ما نصّبه رسول الله للخلافة كما بايعه أبو بكر نفسه، ففوجئوا عند قدوم رسول الخليفة بنعي رسول الله وطلبه الزكاة باسم الخليفة الجديد

(١) سورة سبأ: ١٣.

أبي بكر، وهي قضية لا يريد التاريخ الغوص في أعماقها حفاظاً على كرامة الصحابة أيضاً.

ومنها: إن مالكا وأتباعه مسلمون، شهد بذلك عمر وأبو بكر نفسه، وعدة من الصحابة الذين أنكروا على خالد بن الوليد قتله مالك بن نويرة، والتاريخ يشهد أن أبا بكر أدّى دية مالك لأخيه متمم من بيت مال المسلمين، واعتذر له عن قتله، ومن المعلوم أن المرتد عن الإسلام يجب قتله، ولا تؤدّى دية من بيت المال، ولا يعتذر عن قتله<sup>(١)</sup>.

(١) راجع للاطلاع على قصة مالك بن نويرة الإصابة في تمييز الصحابة ٥: ٥٦٠، ت ٧٧١٢ سير أعلام النبلاء ١: ٣٧٦، تاريخ خليفة بن الخياط: ص ٦٨، شرح نهج البلاغة ١: ١٧٩، تاريخ مدينة دمشق ١٦: ٢٥٦، البداية والنهاية لابن كثير ٦: ٣٥٥. قال الزمخشري في الفائق في غريب الحديث ٣: ٦٥، وابن الأثير في النهاية في غريب الحديث ٤: ١٥: «إن مالك بن نويرة رضي الله عنه قال لامرأته يوم قتله خالد بن الوليد: قتلتني. أي عرّضتني بحسن وجهك للقتل لوجوب الدفع عنك، والمحاماة عليك، وكانت جميلة حسناء تزوّجها خالد بعد قتله، فأنكر ذلك عبد الله بن عمر. وقيل فيه:

أفي الحقّ أنا لم تجفّ دماؤنا وهذا عروساً باليمامة خالد»

وفي تاريخ أبي الفداء ١: ٢٢١، ووفيات الأعيان ٦: ١٤، وتاريخ الإسلام ٣: ٣٤: «... فقال خالد: لا أقالني الله ان لم أقتلك، وتقدّم إلى ضرار بن الأزور بضرب عنقه، فالتفت مالك إلى زوجته وقال لخالد: هذه التي قتلتني، وكانت في غاية الجمال، فقال خالد: بل والله قتلك برجوعك عن الإسلام.

فقال مالك: أنا على الإسلام!

فقال خالد: يا ضرار اضرب عنقه! فاضرب عنقه وجعل رأسه أثفية القدر، وكان من أكثر الناس شعراً، وقبض خالد امرأته... ولمّا بلغ ذلك أبا بكر وعمر قال عمر

.....

❖ لأبي بكر: إنّ خالداً قد زنى فارجمه!  
قال: ما كنت أرجمه فإنّه تأوّل فأخطأ،  
قال: فإنّه قتل مسلماً فاقتله!  
قال: ما كنت اقتله فإنّه تأوّل فأخطأ..»  
والملفت للنظر أن حتّى لو قبلنا بأن خالداً تأوّل فأخطأ، لكن أبا بكر كيف عرف أنّ  
خالداً متأوّل مع أنّه لم يسمع حجّة خالد وكلامه في سبب قتل مالك بن نويرة؟!  
وحكم عليه بأنّه متأوّل لسماع قتله لمالك دون سماع السبب! وفي تاريخ الخميس  
٢: ٢٣٣: «اشتدّ في ذلك عمر وقال لأبي بكر: ارجم خالداً فإنّه قد استحل ذلك!  
فقال أبو بكر: والله لا أفعل، إن كان خالد تأوّل أمراً فأخطأ».  
وقال الواقدي في كتاب الردّة ١٦٣: «وكان أبو قتادة قد عاهد الله إلا يشهد مع خالداً  
مشهداً أبداً بعد ذلك اليوم.  
ثمّ قدم خالد مالك بن نويرة ليضرب عنقه، فقال مالك: أتقتلني وأنا مسلم أصليّ إلى  
القبلة؟  
فقال خالد: لو كنت مسلماً لما منعت الزكاة، ولا أمرت قومك بمنعها، والله لما قمت من  
مقامك حتّى أقتلك.  
قال: فالتفت مالك بن نويرة إلى امرأته فنظر إليها ثمّ قال: يا خالد، بهذه تقتلني!  
فقال خالد: بل لله اقتلك برجوعك عن دين الإسلام..  
قال: ثمّ قدّمه خالد فضرب عنقه صبراً.  
فيقال: إنّ خالد بن الوليد تزوج بامرأة مالك، ودخل بها، على ذلك أجمع أهل العلم،  
وقد ذكر ذلك حوى بن سعيد بن زهرة السعدي حيث يقول:  
إلا قل لحي أوطئوا بالسناكب      تناول هذا الليل من بعد مالك  
عدا خالداً بغياً عليه لعرسه      وكان له فيها هوى قبل ذلك  
وأمضى هواه خالد غير عاطف      عنان الهوى عنها ولا متمالك...»

❦ وفي تاريخ الطبري ٢: ٥٠٣: «... وكان ممن شهد لمالك بالإسلام أبو قتادة الحارث بن ربيعي أخو بني سلمة، وقد كان عاهد الله أن لا يشهد مع خالد بن الوليد حرباً أبداً بعدها.

وكان يحدث أنهم لما غشوا القوم رعوهم تحت الليل، فأخذ القوم السلاح، قال: فقلنا: إننا المسلمون.

فقالوا: ونحن المسلمون.

قلنا: فما بال السلاح معكم؟

قالوا لنا: فما بال السلاح معكم؟

قلنا: فإن كنتم كما تقولون فضعوا السلاح.

قال: فوضعوها ثم صلينا وصلوا،

وكان خالد يعتذر في قتله أنه قال وهو يراجعه: ما أخال صاحبكم إلا وقد كان يقول: كذا وكذا!

قال: أو ما تعدّه لك صاحباً! ثم قدّمه فضرب عنقه وأعناق أصحابه، فلما بلغ قتلهم عمر بن الخطّاب تكلم فيه عند أبي بكر فأكثر وقال: عدو الله عدا على امرئ مسلم فقتله، ثم نرى على امرأته...».

وهذه الحجّة التي طرحها خالد بن الوليد أوضعت على لسانه خاوية وباردة لاتصلح للاحتجاج، لأنّه لا يصح قتل المسلم لمجرّد مخاطبته لشخص آخر وهو يتحدّث عن النبي ﷺ بأنّه صاحبك، لأنّها لا تدلّ صراحة ولا التزاماً على الارتداد فإنّ إثبات صحبة النبيّ لشخص مسلم لا تنفي صحبته عمّن سواه.

مع أنّ المصطنع للعبارة لم يكملها، فلم نرى ردّ مالك بن نويرة على خالد بن الوليد حينما خاطبه بقوله أو ما تعدّه لك صاحباً؟! فهذا يكشف عن أنّ العبارة مصطنعة لا واقع لها.

وارجع أيضاً إلى كنز العمال ٥: ٦١٩، أسد الغابة ٤: ٢٩٥، تاريخ ابن خلدون: ق ٢،

والمهم أن آية الانقلاب تقصد الصحابة مباشرة، الذين يعيشون معه ﷺ في المدينة المنورة، وترمي إلى الانقلاب مباشرة بعد وفاته ﷺ بدون فصل، والأحاديث النبوية توّضح ذلك بما لا يدع مجالاً للشك، وسوف نطلع عليها قريباً إن شاء الله.

والتاريخ - أيضاً - خير شاهد على الانقلاب الذي وقع بعد وفاة رسول الله ﷺ، ومن يستعرض الأحداث التي وقعت بين الصحابة في صفوفهم ولم ينج منهم إلا القليل.

## ٢- آية الجهاد :

قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ \* إِلَّا تَنْفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلَ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (١) صدق الله العظيم.

هذه الآية صريحة أيضاً في أن الصحابة تناقلوا عن الجهاد، واختاروا الركون إلى الحياة الدنيا، رغم علمهم بأنها متاع قليل، حتى استوجبوا توبيخ الله سبحانه وتهديده إياهم بالعذاب الأليم، وباستبدالهم بغيرهم من المؤمنين الصادقين. وقد جاء هذا التهديد باستبدالهم غيرهم في العديد من الآيات مما يدلّ دلالة واضحة على أنهم تناقلوا عن الجهاد في مرّات عديدة، فقد جاء في قوله تعالى :

﴿ ج ٢: ٧٤، الاستغاثة ١: ٦، السيرة النبوية لابن كثير ٣: ٥٩٥، الكامل في التاريخ

٢: ٣٥٩، فتوح البلدان ١: ١٠٧، وفيات الأعيان ٦: ١٥.

(١) سورة التوبة: ٣٨ - ٣٩.

﴿وَإِنْ تَوَلَّوْا يَسْتَبَدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ﴾<sup>(١)</sup>، وكقوله تعالى -  
أيضاً -: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ  
يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ  
وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾<sup>(٢)</sup>.

ولو أردنا استقصاء ما هنالك من الآيات الكريمة التي تؤكد هذا المعنى، وتكشف  
بوضوح عن حقيقة هذا التقسيم الذي يقول به الشيعة بخصوص هذا القسم من  
الصحابة؛ لاستوجب ذلك كتاباً خاصاً، وقد عبّر القرآن الكريم عن ذلك بأوجز  
العبارات وأبلغها حين قال: ﴿وَلَتَكُنَّ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ  
بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ \* وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ  
تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ \* يَوْمَ  
تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ  
فَدُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ \* وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ  
هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾<sup>(٣)</sup> صدق الله العظيم.

وهذه الآيات كما لا يخفى على كلِّ باحث مطلع تخاطب الصحابة، وتحذّرهم من  
التفرقة والاختلاف من بعد ما جاءهم البيّنات، وتنوعدهم بالعذاب العظيم،  
وتقسّمهم إلى قسمين: قسم يبعث يوم القيامة بيض الوجوه، وهم الشاكرون  
الذين استحقوا رحمة الله، وقسم يبعث مسودّ الوجوه، وهم الذين ارتدّوا بعد  
الإيمان، وقد توعدّهم الله سبحانه بالعذاب العظيم.

(١) سورة محمد: ٣٨.

(٢) سورة المائدة: ٥٤.

(٣) سورة آل عمران: ١٠٤ - ١٠٧.



ومن البديهي المعلوم أن الصحابة تفرّقوا بعد النبي، واختلّفوا وأوقدوا نار الفتنة، حتّى وصل بهم الأمر إلى القتال والحروب الدامية التي سبّبت انتكاس المسلمين وتخلّفهم، وأطمعت فيهم أعداءهم، والآية المذكورة لا يمكن تأويلها وصرّفها عن مفهومها المتبادر للأذهان.

### ٣- آية الخشوع :

قال تعالى: ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴾<sup>(١)</sup> صدق الله العظيم.

وفي الدر المنثور لجلال الدين السيوطي قال: لما قدم أصحاب رسول الله ﷺ المدينة، فأصابوا من لين العيش ما أصابوا بعد ما كان بهم من الجهد، فكأنّهم فتروا عن بعض ما كانوا عليه، فعوتبوا فنزلت: ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا ﴾<sup>(٢)</sup>.

وفي رواية أخرى عن النبي ﷺ: « إِنَّ اللَّهَ سَبَحَانَهُ اسْتَبْطَأَ قُلُوبَ الْمُهَاجِرِينَ بَعْدَ سَبْعِ عَشْرَةِ سَنَةٍ مِنْ نَزُولِ الْقُرْآنِ فَأَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا ﴾<sup>(٣)</sup>.

وإذا كان هؤلاء الصحابة، وهم خيرة الناس على ما يقوله أهل السنّة والجماعة، لم تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحقّ، طيلة سبعة عشر عاماً، حتّى

(١) سورة الحديد: ١٦.

(٢) الدر المنثور للسيوطي ٦: ٢٥٤ سورة الحديد، لباب النقول للسيوطي: ١٨٨،

تفسير القرآن للصنعاني ٣: ٢٧٦، روح المعاني للألوسي ٢٧: ١٧٩.

(٣) تفسير ابن أبي حاتم ١٠: ٣٣٣٨، تفسير العز بن عبد السلام ٣: ٢٨٦، الدر

المنثور للسيوطي ٦: ٢٥٣ سورة الحديد، فتح القدير للشوكاني ٥: ١٧٤، روح

المعاني للألوسي ٢٧: ١٧٩.

استبطنهم الله وعاتبهم وحذرهم من قسوة القلوب التي تجرّهم إلى الفسوق، فلا لوم على المتأخرين من سراة قريش الذين أسلموا في السنة السابعة للهجرة بعد فتح مكة!

فهذه بعض الأمثلة التي استعرضتها من كتاب الله العزيز، كافية للدلالة على أن الصحابة ليسوا كلهم عدول، كما يقوله أهل السنة والجماعة<sup>(١)</sup>.  
وإذا فتشنا في أحاديث النبي ﷺ فسجد أضعاف الأضعاف من الأمثلة الأخرى، ولكن توخياً للاختصار أسوق بعض الأمثلة، وعلى الباحث أن يتوسّع إذا أراد ذلك.

---

(١) فالغرض إذاً نقض نظرية (عدالة جميع الصحابة) لا الطعن في جميعهم وتفسيقهم - والعياذ بالله - وإلا فهم كغيرهم من المسلمين إن احسنوا مُدحوا وإن اسأؤوا وعوقبوا، بل الأمر عليهم أشدّ والذنب منهم أشنع من غيرهم وعقابه أكثر، كيف وقد قال تعالى لأمهات المؤمنين: ﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُّبِينَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا \* وَمَن يَفْعَلْ مِثْلَ مَا تُفْعَلُونَ يَأْتِهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ أَلْفَ سَلْوَةٍ مِّنْ أَلْفِ نَارٍ وَتُذَوَّبُ فِيهَا وَلَهُمْ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (الأحزاب: ٣٠ - ٣١) فكيف بغيرهنّ، فكما كانت الحجة أتمّ كان العقاب أو الثواب أكثر.

ثانياً

رأي الرسول في الصحابة

---

---

---



## (٢) رأي الرسول في الصحابة

### ١ - حديث الحوض :

قال رسول الله ﷺ: « بينما أنا قائم فإذا زمرة حتى إذا عرفتهم خرج رجل من بيني وبينهم فقال: هلمّ. فقلت إلى أين؟ فقال: إلى النار والله. قلت: ما شأنهم؟ قال: إنهم ارتدوا بعدك على أدبارهم القهقري، فلا أرى يخلص منهم إلا مثل همل النعم»<sup>(١)</sup>.

وقال ﷺ: « إنني فرطكم على الحوض، من مرّ عليّ شرب، ومن شرب لم يظماً أبداً، ليردنّ عليّ أقوام أعرفهم ويعرفونني، ثمّ يحال بيني وبينهم، فأقول: أصحابي، فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك، فأقول: سحقاً سحقاً لمن غير بعدي»<sup>(٢)</sup>.

(١) صحيح البخاري ٢٠٩:٧، كتاب الرقاق باب في الحوض، وبألفاظ قريبة منه في مسند أحمد ١٨:٣، تاريخ دمشق لابن عساكر ٨: ١٠٩، النهاية في غريب الحديث ٢٧٤:٥.

(٢) صحيح البخاري ٨٧:٨، كتاب الفتن، صحيح مسلم ٦٧:٧، كتاب الفضائل باب إثبات حوض نبينا ﷺ، ونحوه في مسند أحمد ٢: ٣٠٠، ٤٠٨، ٣: ٢٨، ٥: ٣٣٣.

فالتمتعن في هذه الأحاديث العديدة التي أخرجها علماء أهل السنة في صحاحهم ومسانيدهم لا يتطرق إليه الشك في أن أكثر الصحابة قد بدلوا وغيروا، بل ارتدوا على أديبارهم بعده ﷺ إلا القليل الذي عبّر عنه بهمل النعم، ولا يمكن بأي حال من الأحوال حمل هذه الأحاديث على القسم الثالث وهم المنافقون؛ لأن النص يقول: « فأقول أصحابي ».

كما أن هذه الأحاديث هي مصداق وتفسير ما سجلناه مسبقاً من الآيات الكريمة التي تحدثت عن انقلابهم وارتدادهم وتوعدهم بالعذاب العظيم.

## ٢ - حديث التنافس على الدنيا :

قال ﷺ: « إني فرط لكم، وأنا شهيد عليكم، وإني والله لأنظر إلى حوضي الآن، وإني أعطيت مفاتيح خزائن الأرض (أو مفاتيح الأرض)، وإني والله ما أخاف عليكم أن تشركوا بعدي، ولكن أخاف عليكم أن تنافسوا فيها »<sup>(١)</sup>.

صدق رسول الله ﷺ، فقد تنافسوا على الدنيا حتى سلّت سيوفهم وتحاربوا

➤ ٣٣٩، السنن الكبرى للبيهقي ٤: ٧٨، المعجم الأوسط للطبراني ٨: ٣٠٧، المعجم الكبير ٢٣: ٤١٤، الاستيعاب ١: ١٦٣، التمهيد ٢: ٣٠١، تفسير القرطبي ٤: ١٦٨.

(١) مسند أحمد ٤: ١٤٩، صحيح البخاري ٢: ٩٤، باب الجنائز و٤: ١٧٦، كتاب بدء الخلق، باب علامات النبوة في الإسلام و٥: ٤٠، كتاب المغازي، باب غزوة الرجيع و٧: ١٧٣، كتاب الرقاق باب ٥٣ في الحوض، صحيح مسلم ٧: ٦٨، كتاب الفضائل باب إثبات الحوض، السنن الكبرى للبيهقي ٤: ١٤، صحيح ابن حبان ١١: ٤٧٢، المعجم الكبير للطبراني ١٧: ٢٧٨، تركة النبي ﷺ للبغدادي: ٥٥، ما روي في الحوض للقرطبي: ٧، الاستذكار ٥: ١٠٥، التمهيد ٢١: ٢٢٩، رياض الصالحين للنووي: ٧١٩، الطبقات الكبرى ٢: ٢٠٥، سير أعلام النبلاء ٦: ٢٣، البداية والنهاية ٦: ٢١٠، الشفا بتعريف حقوق المصطفى ١: ١٦٩، سبل الهدى والرشاد ١٢: ٢٣٤.

وكفر بعضهم بعضاً، وقد كان بعض هؤلاء الصحابة المشهورين يكتنز الذهب والفضة، ويحدثنا المؤرخون كالمسعودي في مروج الذهب والطبري وغيرهم: أن ثروة الزبير وحده بلغت خمسين ألف دينار، وألف فرس، وألف عبد، وضياعاً كثيرة في البصرة، وفي الكوفة، وفي مصر وغيرها<sup>(١)</sup>.

كما بلغت غلّة طلحة من العراق وحده كل يوم ألف دينار، وقيل أكثر من ذلك<sup>(٢)</sup>.

---

(١) ففي سير أعلام النبلاء ١: ٦٥: «أنّ الزبير ترك من العروض بخمسين ألف درهم، ومن العين خمسين ألف درهم.. واقتسم مال الزبير على أربعين ألف ألف».

وفي الطبقات الكبرى لابن سعد ٣: ١١٠: «اقتسم ميراث الزبير على أربعين ألف.. وعن هشام بن عروة عن أبيه قال: كانت قيمة ما ترك الزبير أحداً وخمسين أو اثنين وخمسين ألف ألف».

وفي الطبقات الكبرى ٣: ١١٠: «عن عروة قال: كان للزبير بمصر خطط، وبالإسكندرية خطط، وبالكوفة خطط، وبالبصرة دور، وكانت له غلاة تقدم عليه من أعراض المدينة».

وفي صحيح البخاري ٤: ٥٢، باب دعاء النبي ﷺ أن الزبير كان له: «إحد عشرة داراً بالمدينة، ودارين بالبصرة، وداراً بالكوفة، وداراً بمصر. وكان للزبير أربع نسوة ورفع الثلث فأصاب كل امرأة ألف ألف ومائتا ألف، فجميع ماله خمسون ألف ألف ومائتا ألف».

وقال المسعودي في مروج الذهب ٢: ٣٥٠: «خلف ألف فرس، وألف عبد، وألف أمة وخططاً».

(٢) في سير أعلام النبلاء ١: ٤٠: «وقد خلف طلحة ثلاثمائة حمل من الذهب». وفي طبقات ابن سعد ٣: ٢٢٢: «قال عمرو بن العاص: حدثت أنّ طلحة بن عبيد الله

وكان لعبد الرحمن بن عوف مائة فرس، وله ألف بعير وعشرة آلاف شاة، وبلغ ربع ثمن ماله الذي قسم على زوجاته بعد وفاته أربعة وثمانين ألفاً<sup>(١)</sup>. وترك عثمان بن عفان يوم مات مائة وخمسين ألف دينار عدا المواشي والأراضي والضياع مما لا يحصى<sup>(٢)</sup>.

➡ ترك مائة بهار في كل بهار ثلاث قناطر ذهب. وسمعت أن البهار جلد ثور». وفي مستدرک الحاكم ٣: ٣٦٩ والطبقات الكبرى ٣: ٣٣٣ وسیر أعلام النبلاء ١: ٤٠٠ واللفظ للأول: «قتل طلحة بن عبيد الله وفي يد خازنه ألف ألف درهم ومئتا ألف درهم وقومت أصوله وعقاره بثلاثين الف الف درهم». وفي الطبقات الكبرى لابن سعد ٣: ٢٢٢: «كانت قيمة ما ترك طلحة بن عبيد من العقار والأموال، وما ترك من الناضح ثلاثين ألف ألف درهم، ترك من العين ألفي ألف ومائتي ألف درهم ومائتي ألف دينار والباقي عروض». (١) قال الحاكم في المستدرک ٣: ٣٠٩: «عن عثمان بن الشريد قال: ترك عبد الرحمن بن عوف ألف بعير، وثلاثة آلاف شاة بالنقيع، ومائة فرس ترعى بالنقيع، وكان يزرع بالجرف على عشرين ناضحاً». وفي الدراية في تخريج أحاديث الهداية ٢: ١٨١ والطبقات الكبرى لابن سعد ٣: ١٣٦ وأسد الغابة ٣: ٣١٧ والبدایة والنهاية ٧: ١٨٤: «أن عبد الرحمن بن عوف توفي وكان فيما ترك ذهب قطع بالفؤوس حتى مجلت أيدي الرجال منه، وترك أربع نسوة، فأخرجت امرأة من ثمنها بثمانين ألفاً». وفي تخريج الأحاديث والآثار للزيلعي ٢: ٨٩: «فبلغ ثمن ماله مائة وستين ألف درهم».

(٢) قال الحلبي في السيرة الحلبية ٢: ٢٧٢: «وكان من جملة ما تقم به على عثمان رضي الله تعالى عنه أنه أعطى ابن عمه مروان بن الحكم مائة ألف وخمسين أوقية، وأعطى الحارث عشر ما يباع في السوق، أي سوق المدينة، وأنه جاء إليه



وترك زيد بن ثابت من الذهب والفضة ما كان يكسر بالفؤوس حتى مجلت أيدي الناس، ما عدا الأموال والضياع بقيمة مائة ألف دينار<sup>(١)</sup>.  
هذه بعض الأمثلة البسيطة، وفي التاريخ شواهد كثيرة لا نريد الدخول في بحثها الآن، ونكتفي بهذا القدر للدلالة على صدق الحديث، وأنهم حليت الدنيا في أعينهم وراقهم زبرجها.

➤ أبو موسى بكيلة ذهب وفضة فقسمها بين نسائه وبناته، وأنه أنفق أكثر بيت المال في عمارة ضياعه ودوره، وأنه حمى لنفسه دون إبل الصدقة...  
وفي تاريخ الإسلام ٣: ٤٦١، والبداية والنهاية ٧: ٢١٤: «كان لعثمان عند خازنه يوم قتل ثلاثون ألف ألف درهم، وخمسون ومائة ألف دينار، فانتهبت وذهبت، وترك ألف بغير بالربذة، وترك صدقات بقيمة مائتي ألف دينار».  
وقال الذهبي في دول الإسلام ١: ٢٢: «وكان قد صار له أموال عظيمة.. وله ألف مملوك .

وقال المسعودي في مروج الذهب ١: ٤٣٣: «بنى في المدينة وشيّد بها بالحجر والكلس، وجعل أبوابها من الساج والعرعر، وأقتنى أموالاً وجناناً وعيوناً بالمدينة».

وذكر عبد الله بن عتبة: إنَّ عثمان يوم قتل كان عند خازنه من المال خمسون ومائة ألف دينار، وألف ألف درهم بقيمة ضياعه بوادي القرى وحنين وغيرهما مائة ألف دينار، وخلف خيلاً كثيرة وإبلًا».

(١) قال المسعودي في مروج الذهب ١: ٤٣٤: «خلف من الذهب والفضة ما كان يكسر بالفؤوس غير ما خلف من الأموال والضياع بقيمة مائة ألف دينار».  
ومن أصحاب الأموال سعد بن أبي وقاص في طبقات ابن سعد ٣: ١٤٩: «وترك سعد يوم مات مائتي ألف وخمسين ألف درهم».  
وقال المسعودي في مروج الذهب ١: ٤٣٤: «بنى داره بالعقيق فرفع سمكها ووسّع فضائها، وجعل أعلاها شرفاً».



ثالثاً

رأي الصحابة بعضهم في بعض

---

---

---



### (٣) رأي الصحابة بعضهم في بعض

#### ١ - شهادة تهم على أنفسهم بتغيير سنة النبي :

عن أبي سعيد الخدري قال : كان رسول الله ﷺ يخرج يوم الفطر والأضحى إلى المصلّى، فأول شيء يبدأ به الصلاة، ثمّ ينصرف فيقوم مقابل الناس، والناس جلوس على صفوفهم، فيعظهم ويوصيهم ويأمرهم، فإن كان يريد أن يقطع بعضاً قطعه أو يأمر بشيء أمر به ثمّ ينصرف.

قال أبو سعيد : فلم يزل الناس على ذلك حتّى خرجت مع مروان - وهو أمير المدينة - في أضحى أو فطر، فلما أتينا المصلّى إذا منبر بناه كثير بن الصلت، فإذا مروان يريد أن يرتقيه قبل أن يصلّي، فجذبت بثوبه، فجذبتني، فارتفع، فخطب قبل أن يصلّي، فقلت له : غيرتم والله؟!

فقال : أبا سعيد قد ذهب ما تعلم.

فقلت : ما أعلم والله خير ممّا لا أعلم.

فقال : إنّ الناس لم يكونوا يجلسون لنا بعد الصلاة فجعلتها قبل الصلاة<sup>(١)</sup>.

---

(١) صحيح البخاري ٤:٢، كتاب العيدين، باب الخروج إلى المصلّى بغير منبر، المصنّف للصنعاني ٣:٢٨٤، الاستذكار ٢:٣٨٣، إرواء الغليل ٣:٩٨، الإصابة في تمييز الصحابة ٦:٢٠٣، وكذلك ابن عبد البر في الاستيعاب في ترجمته، وأثبت له

### ➤ الرؤية والصحة.

قال الحافظ ابن حجر بعد ذكر الحديث: «وأما مروان فراعى مصلحتهم في إسماعهم الخطبة، لكن قيل: إنهم كانوا في زمن مروان يتعمدون ترك سماع خطبته لئلا فيها من سب من لا يستحق السب [يعني علي بن أبي طالب]، والإفراط في مدح بعض الناس [وهو عثمان] فعلى هذا إنما راعى مصلحة نفسه..» فتح الباري ٢: ٣٧٦.

وقد ذكر العلامة الحفظي في أرجوزته هذا الحديث فقال:

«وفي البخاري عند أبي سعيد	خطبة مروان بيوم العيد
قبل الصلاة حين كان الناس	بعد الصلاة ينفر الجلاس
لأنه كما حكاه المنذري	يذكر فيها المرتضى ويجتري
سحقاً له من وزغ ملعون	وكُل من في صلبه يكون»

النصائح الكافية لمن يتولّى معاوية: ١٠١.

وقال الترمذي: «والعمل على هذا عند أهل العلم من أصحاب النبي ﷺ وغيرهم أن صلاة العيدين قبل الخطبة، ويقال: إن أول من خطب قبل الصلاة مروان بن الحكم» سنن الترمذي ٢: ٢٢.

وهناك خلاف بين المحدثين في تحديد من سنّ هذه البدعة، فبعضهم يذكر عثمان وبعضهم يذكر مروان، قال الحافظ ابن حجر: «اختلف في أول من غيّر ذلك، فرواية طارق بن شهاب عن أبي سعيد عند مسلم بلفظ أول من بدأ بالخطبة يوم العيد قبل الصلاة مروان، فقام إليه رجل.. الحديث صريح في أنه مروان. وقيل: بل سبقه إلى ذلك عثمان. وروى ابن المنذر بإسناد صحيح إلى الحسن البصري قال: أول من خطب قبل الصلاة عثمان؛ صلى بالناس ثم خطبهم، يعني على العادة، فرأى ناساً لم يدركوا الصلاة، ففعل ذلك، أي صار يخطب قبل الصلاة..» فتح الباري ٢: ٣٧٦.

قال الصنعاني في سبل السلام ٢: ٦٦ بعد إيراد هذا الخلاف: «وعلى كل تقدير فإنّه

### ❖ بدعة مخالف لهدية ﷺ.

وقد اعتذر لعثمان بآته كثر الناس في المدينة وتنادت البيوت فكان يقدم الخطبة ليدرك من بعد منزله الصلاة!

وهو رأي مخالف لهدية ﷺ.

ولأجل إكمال البحث نذكر نقاط وجيزة عن رأي الصحابة في بعضهم البعض:

١ - عن علي بن أبي طالب قال: «كذب المغيرة بن شعبة» جامع بيان العلم وفضله: ٤٦٦.

٢ - عن الحسن بن علي أنه سئل عن قول الله عز وجل: (وشاهد ومشهود)، فأجاب فيه، فقيل له: إن ابن عمر وابن الزبير قالوا كذا وكذا، خلاف قوله؟ فقال: كذبا، المصدر السابق.

٣ - عن عبادة بن الصامت أنه قال: «كذب أبو محمد - يعني في وجوب الوتر، وأبو محمد هذا اسمه مسعود بن أوس الأنصاري، بدري، قد ذكرناه في الصحابة ونسبناه -

وتكذيب عبادة له من رواية مالك وغيره في قصة الوتر، واستشهد عبادة بقول رسول الله: «خمس صلوات كتبهن الله على عباده» المصدر السابق.

٤ - أسامة بن قتادة أبو سعدة، ذكره الحافظ ابن حجر في الصحابة وقال: «أبو سعدة العبسي له إدراك، وهو الذي شهد على سعد بن أبي وقاص لما عزله عمر عن إمرة الكوفة، والقصة مشهورة» الإصابة ١: ٣٣٨.

والقصة في صحيح البخاري ١: ١٨٤: «عن جابر بن سمرة قال: شكوا أهل الكوفة سعداً إلى عمر رضي الله عنه، فعزله واستعمل عليهم عمّاراً، فشكوا حتى ذكروا أنه لا يحسن أن يصلي، فارسل إليه فقال: يا ابا إسحاق، إن هؤلاء يزعمون أنك لا تحسن تصلي؟

قال أبو إسحاق أما أنا والله فأني كنت أصلي بهم صلاة رسول الله ﷺ ما أحرَم

عنها..

قال: ذاك الظن بك يا أبا إسحاق، فارسل معه رجلاً أو رجلاً إلى الكوفة، فسأل عنه أهل الكوفة، ولم يدع مسجداً إلا سأل عنه، ويثنون عليه معروفاً، حتى دخل مسجد بني عيس، فقام رجل منهم يقال له أسامة بن قتادة، يكنى أبا سعدة فقال: أما إذا نشدتنا فإن سعداً كان لا يسير بالسريّة، ولا يقسم بالسويّة، ولا يعدل في القضيّة».

٥ - عن ابن عباس قال: «يقول أحدهم: أبي صحب رسول الله ﷺ، وكان مع رسول الله ﷺ، ولنعل خلق خير من أبيه» مجمع الزوائد ١: ١١٣ وقال: «رواه البرزّار ورجاله رجال الصحيح».

٦ - أخرج البلاذري في الأنساب ٥: ٣٦ قال: «حدثني عباس بن هشام عن أبيه عن أبي مخنف وعوانه في إسنادهما: إنَّ عبد الله بن مسعود حين ألقى مفاتيح بيت المال إلى الوليد بن عقبة قال: من غير غير الله ما به، ومن بدل أسخط الله عليه، وما أرى صاحبكم إلا وقد غير وبدل أيعزل مثل سعد بن أبي وقاص ويولي الوليد؟ وكان يتكلم بكلام لا يدعه وهو؛ إنَّ أصدق القول كتاب الله، وأحسن المهدي هدي محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وشرّ الأمور محدثاتها، وكلّ محدث بدعة، وكلّ بدعة ضلالة، وكلّ ضلالة في النار».

فكتب الوليد إلى عثمان بذلك وقال: إنّه يعيبك ويطعن عليك! فكتب إليه عثمان يأمره باشخاصه، فاجتمع الناس فقالوا: أقم ونحن نمنعك أن يصل إليك شيء تكرهه؟ فقال: إنَّ له علي حق الطاعة، ولا أحب أن أكون أوّل من فتح باب الفتن!

وقدم ابن مسعود المدينة وعثمان يخطب على منبر رسول الله ﷺ فلما رآه قال: إلاّ إنّه قد قدمت عليكم دويبة سوء، من يمشي على طعامه يقيء ويسلح! فقال ابن مسعود: لست كذلك، ولكنّي صاحب رسول الله ﷺ يوم بدر ويوم بيعة الرضوان.

ع



❦ ونادت عائشة: أيّ عثمان! أتقول هذا لصاحب رسول الله ﷺ؟  
ثمّ امر عثمان به فأخرج من المسجد إخراجاً عنيفاً.

٧- في السير ١: ٤٢٥، والمجمع ٩: ٢٩٨، والتاريخ الصغير ١: ١٨٩ وغيرها عن أبي الغادية (وهو يسار بن سبع، صحابي، قاتل عمار) قال: «سمعت عماراً يقع في عثمان، يشتمه، فتوعدّته بالقتل، فلمّا كان يوم صفين جعل عمّار يحمل على الناس، فقيل: هذا عمّار، فطعنته في ركبته، فوقع فقتلته، فقيل: قتل عمّار، وأخبر عمرو بن العاص فقال: سمعت رسول الله يقول: إن قاتله وسالبه في النار».

٨- أخرج الحاكم في المستدرک ٣: ٣٧٢، وسكت عنه وصحّحه الذهبي في تلخيص المستدرک والذهبي في السير ١: ٣٤ عن علقمة بن وقاص قال: «.. رأيت طلحة وأحبّ المجالس إليه أخلاها، وهو ضارب بلحيته على زوره، فقلت: يا ابا محمّد، إيّ أراك وأحبّ المجالس إليك أخلاها إن كنت تكره هذا الأمر فدعه؟ فقال: يا علقمة، لا تلمني، كنّا أمس يداً واحدة على من سوانا، فاصبحنا اليوم جبلين من حديد، يزحف أحدهما إلى صاحبه، ولكنه كان مئّي في أمر عثمان ممّا لا أرى كفارته إلاّ سفك دمي وطلب دمه».

وقد علقّ الذهبي على الرواية بقوله: «قلت: الذي كان منه في حق عثمان تمغفل وتألّيب!»

٩- في حادثة السقيفة قال عمر بن الخطّاب: «فقلت وأنا مغضب: قتل الله سعداً؛ فإنّه صاحب فتنة وشرّ» صحيح ابن حبّان ٢: ١٥٧، البداية والنهاية ٤: ١٣، فتح الباري ٧: ٢٥.

١٠- ما فعله الصحابة بعثمان بن عفّان، من قيامهم عليه، وتألّيب الناس عليه إلى أن قتلوه، وهذا عثمان نفسه يشهد عليهم ويدعو عليهم بالشرّ، قال الذهبي في السير في ترجمة الخلفاء، ترجمة عثمان بن عفّان: ١٨٤ قال: «لما نزل أهل مصر الجحفة، وأتوا يعاتبون عثمان، صعد عثمان المنبر فقال: جزاكم الله يا أصحاب

﴿ محمدٌ عني شرًّا! أذعتم السيئة وكتتمت الحسنة، وأغريتم بي سفهاء الناس... ﴾. وهذا عبد الرحمن بن عوف الصحابي المشهور، وأحد الستة الذين اختارهم عمر للشورى، وهو الذي عقد الخلافة لعثمان بن عفان، ينقم على عثمان ويكون المحرض الأول عليه، قال الذهبي في المصدر السابق: ١٨٦: «وعن أبي وائل إن عبد الرحمن بن عوف كان بينه وبين عثمان كلام، فأرسل إليه لم فررت يوم أحد، وتخلفت عن بدر، وخالفت سنة عمر؟»

فأرسل إليه: تخلفت عن بدر لأن بنت رسول الله ﷺ شغلتنى بمرضها، وأما يوم أحد فقد عفا الله عني، وأما سنة عمر فوالله ما استطعتها أنا ولا أنت.»

وقال الطبري في تاريخه ٤: ٣٦٥: «... قدمت إيل من إيل الصدقة على عثمان، فوهبها لبعض بني الحكم، فبلغ ذلك عبد الرحمن بن عوف، فأرسل إلى المسور بن مخرمة، وإلى عبد الرحمن بن الأسود بن عبد يغوث فأخذها، فقسمها عبد الرحمن في الناس وعثمان في الدار.»

وكذلك كان بين عثمان وعلي بن أبي طالب كلام وجفوة، يظهر منه أن عثمان أراد حمله على مخالفة كتاب الله تعالى قال الذهبي في المصدر السابق: ١٦: «وقد كان بين علي وعثمان شيء، فمشى بينهما العباس، فقال علي: والله لو أمرني أن أخرج من داري لفعلت، فاما أداهن أن لا يقام بكتاب الله فلم أكن لأفعل.»

وكذلك كان بين عثمان بن عفان وعمار بن ياسر كلام وجفوة، قال الذهبي في المصدر السابق: ١٨٨: «وقد روي أنه كان بين عمار بن ياسر وبين عباس بن عتبة بن أبي لهب كلام، فضربهما عثمان.. وعن محمد بن سعد بن أبي وقاص قال: قدم عمار بن ياسر من مصر وأبي شاك، فبلغه، فبعثني إليه أدعوه، فقام معي وعليه عمامة وسخة وجبة فراء، فلما دخل على سعد قال له: ويحك يا أبا اليقظان، إن كنت فينا لمن أهل الخير، فالذي بلغني عنك من سعيك في فساد بين المسلمين والتأليب على أمير المؤمنين، أمعك عقلك أم لا؟ فأهوى عمار إلى

◉ عمامته وغضب فنزعها، وقال: خلعت عثمان كما خلعت عمامتي هذه!  
فقال سعد: «إنا لله وإنا إليه راجعون»، ويحك! حين كثرت شيبتك، ورقّ عظمك، ونفد  
عمرك خلعت ربقة الإسلام من عنقك، وخرجت من الدين عرياناً!  
فقام عمّار مغضباً مولياً وهو يقول: أعود بربي من فتنة سعد.  
فقال سعد: ألا في الفتنة سقطوا، اللهم زد عثمان بعفوه وحلمه عندك درجات.  
حتّى خرج عمّار من الباب، فأقبل على سعد يبكي حتّى اخضلت لحيته وقال: من  
يأمن الفتنة يا بني لا يخرج منك ما سمعت منه، فإنّه من الأمانة، وإنّي أكره أن  
يتعلق به الناس عليه يتأولونه، وقد قال رسول الله ﷺ: «الحقّ مع عمّار ما لم  
تغلب عليه دلّة الكبر»، فقد دله وخرف».

والرواية في غاية البيان لمعانٍ كثيرة ولا تحتاج إلى تعليق.  
وقال ابن كثير الدمشقي في كتابه البداية والنهاية ٧: ١٢٢، بعد أن قدم المصريون:  
«أمر عثمان علي بن أبي طالب أن يخرج إليهم ليردّهم إلى بلادهم قبل أن يدخلوا  
المدينة، ويقال: ندب الناس إليهم، فانتدب علي لذلك فبعثه، وخرج معه جماعة  
الأشراف، وأمره أن يأخذ معه عمّار بن ياسر. فقال عليّ لعّمّار، فأبى عمّار أن  
يخرج معه، فبعث عثمان سعد بن أبي وقاص أن يذهب إلى عمّار ليحرّضه على  
الخروج مع عليّ إليهم، فأبى عمّار كلّ الإباء، وامتنع أشدّ الامتناع، وكان متعصّباً  
على عثمان لسبب تأديبه له فيما تقدّم على أمر وضربه إياه في ذلك، وذلك  
بسبب شتمه عبّاس بن عتبة بن أبي لهب، فأدّبهما عثمان، فتأمر عمّار عليه لذلك،  
وجعل يحرّض الناس عليه...».

وهذا الصحابي جبلة بن عمرو الساعدي يجترأ على عثمان ويفتح الباب عليه يقول  
الطبري ٤: ٣٦٥: «... كان أوّل من اجترأ على عثمان بالمنطق السيّء جبلة بن  
عمرو الساعدي، مرّ به عثمان وهو جالس في ندى قومه، وفي يدي جبلة بن  
عمرو جامعة، فلما مرّ عثمان سلّم، فرد القوم، فقال جبلة: لم تردون على رجلٍ

وقد بحثت كثيراً عن الدوافع التي جعلت هؤلاء الصحابة يغيرون سنة رسول الله ﷺ، واكتشفت أن الأمويين هم الذين فعلوا ذلك، وكان أغلبهم من صحابة النبي، وعلى رأسهم معاوية بن أبي سفيان (كاتب الوحي) كما يسمونه، كان يحمل الناس ويجبرهم على سب علي بن أبي طالب ولعنه من فوق منابر المساجد، كما ذكر ذلك المؤرخون، وقد أخرج مسلم في صحيحه في باب « فضائل علي بن أبي طالب » مثل ذلك<sup>(١)</sup>؛ وأمر عماله - يعني معاوية - في كل الأمصار باتخاذ ذلك اللعن

### ❖ فعل كذا وكذا!

قال: ثم أقبل على عثمان فقال: والله لأطرحن هذه الجامعة في عنقك او لتتركن بطانتك هذه!

قال عثمان: أي بطانة! فوالله إنني لأتخير الناس!؟

فقال: مروان تخيرته! ومعاوية تخيرته! وعبد الله بن عامر بن كريز تخيرته! وعبد الله

ابن سعد تخيرته! منهم من نزل القرآن بدمه وأباح رسول الله ﷺ دمه!؟

وهذا الصحابي عمرو بن العاص يشهد على عثمان بالمخالفة، وينصحه بالتوبة فيقول: «يا أمير المؤمنين، إنك قد ركبت نهابير، وركبنا معك، فتب نتب...». تاريخ

الطبري ٤: ٣٦٦.

(١) أسس الأمويون دولتهم على أساس محاربة أهل البيت ﷺ والنيل منهم، وتفتيش منزلتهم بين المسلمين، وسبهم ولعنهم على رؤوس الأشهاد، وقد بدؤوا هذا الأمر من حين انتزاع معاوية على كرسي الخلافة، فقد أخرج ابن ماجة في سننه عن سعد بن أبي وقاص قال: «قدم معاوية في بعض حجّاته، فدخل عليه سعد، فذكروا علياً، فنال منه، فغضب سعداً وقال: تقول هذا لرجل سمعت رسول الله ﷺ يقول فيه: «من كنت مولاه فعلي مولاه»، وسمعته يقول: «أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي»، وسمعته يقول: «لأعطين الراية اليوم رجلاً يحب الله ورسوله».

وقد علّق الشيخ محمّد ناصر الدين الألباني في كتابه صحيح ابن ماجّة ١: ٧٦ ح ١٢٠ بقوله: «صحيح: الصحيحة ٤: ٣٣٥ (فنال منه)، أي: نال معاوية من علي وتكلّم فيه».

وقال العلامة الشيخ محمّد فؤاد عبد الباقي في تعليقه على الحديث: «قوله: (فنال منه) أي: نال معاوية من علي ووقع فيه وسبّه» سنن ابن ماجّة، تحقيق عبد الباقي ١: ٨٢ ح ١٢١.

وفي صحيح مسلم ٧: ١٢٠: «أمر معاوية بن أبي سفيان سعداً فقال: ما منعك أن تسبّ أبا تراب؟

فقال: أما ذكرت ثلاثاً قالهنّ رسول الله ﷺ فلن أسبّه، لأنّ تكون لي واحدة منهن أحبّ إليّ من حمر النعم، سمعت رسول الله ﷺ يقول له:..» فذكر حديث المنزلة والراية والمباهلة.

وفي تاريخ دمشق لابن عساكر ٤٢: ١١٩ قال: «لمّا حجّ معاوية أخذ بيد سعد ابن أبي وقاص فقال: يا ابا إسحاق، إنّنا قوم قد أجفانا هذا الغزو عن الحجّ حتّى كدنا أن ننسى بعض سننّه، فطف نطف بطوافك.

قال: فلمّا فرغ أدخله في دار الندوة فأجلسه معه على سريره ثمّ ذكر علي بن أبي طالب فوق فيه!

قال: أدخلتني دارك، واقعدتني على سريرك، ثمّ وقعت فيه تشتمه؟ والله لأنّ أكون في إحدى خلاله الثلاث أحبّ إليّ من أن يكون لي ما طلعت عليه الشمس.. لا أدخل عليك داراً بعد اليوم، ثمّ نفص رداءه، ثمّ خرج».

وفي سنن أبي داود ٢: ٤٠١ عن عبد الله بن ظالم المازني قال: «سمعت سعيد بن زيد ابن عمرو بن نفيل قال: لمّا قدم فلان الكوفة أقام فلان خطيباً، فأخذ بيدي سعيد ابن زيد، فقال: ألا ترى إلى هذا الظالم..».

قال العظيم آبادي في عون المعبود ١٢: ٢٦١: «قال في فتح الودود: ولقد أحسن أبو

☞ داود في الكناية عن اسم معاوية والمغيرة بفلان، سترأ عليهما في مثل هذا المحل، لكونهما صاحبين فيه، (فاخذ بيدي سعيد بن زيد) هذا مقول عبد الله بن ظالم، (فقال) أي سعيد، (إلى هذا الظالم) يعني الخطيب.  
قال بعض العلماء: كان في الخطبة تعريضاً بسب علي عليه السلام.

وقال الإمام الذهبي في ترجمة عمر بن عبد العزيز: «..كان الولاة من بني أمية قبل عمر بن عبد العزيز يشتمون رجلاً رضى الله عنه! فلما ولي هو أمسك عن ذلك فقال كثير عزة الخزاعي:

وليت فلم تشتم علياً ولم تخفِ      برياً ولم تتبع مقالة مجرم»  
سير أعلام النبلاء ٥: ١٤٧

وقال ابن تيمية الحراني: «وأما عليّ فأبغضه وسبّه أو كفره الخوارج وكثير من بني أمية وشيعتهم الذين قاتلوه وسبّوه..»

وأما شيعة علي الذين شايعوه بعد التحكيم، وشيعة معاوية التي شايعته بعد التحكيم؛ فكان بينهما من التقابل وتلاعن بعضهم ما كان.  
وكذلك تفضيل علي عليه لم يكن مشهوراً فيها، بخلاف سبّه علي فإنه كان شائعاً في أتباع معاوية» مجموعة الفتاوى ٤: ٢٦٧.

أما الإمام الأوزاعي صاحب المذهب المنتشر في الشام إلى سنة ٣٤٠ هـ والذي ولي القضاء ليزيد بن الوليد الأموي، يصف الحال الذي كانت عليه الشام وولاتها فيقول: «يقول عيسى بن يونس: سمعت الأوزاعي يقول ما أخذنا العطاء حتى شهدنا على علي بالنفاق!! وتبرأنا منه!! وأخذ علينا بذلك الطلاق والعتاق وأيمان البيعة».

سير أعلام النبلاء، ترجمة الإمام الأوزاعي ٧: ١٣٠

وقال ابن الأثير في أحداث سنة ٥١ هـ «وفي هذه السنة قتل حجر بن عدي وأصحابه.

➤ وسبب ذلك: إنَّ معاوية استعمل المغيرة بن شعبة على الكوفة سنة احدى وأربعين، فلمَّا أمره عليها دعاه وقال له: أمَّا بعد؛ فإنَّ لذي الحلم قبل اليوم ما تفرع العصا، وقد يجتري عنك الحكيم بغير التعليم، وقد أردت إيصاءك بأشياء كثيرة أنا تاركها اعتماداً على بصرك، ولست تاركاً إيصاءك بخصلة: لا تترك شتم عليٍّ ودِّمه، والترحم على عثمان والاستغفار له، والعيب لأصحاب عليٍّ والاقصاء لهم»  
الكامل في التاريخ ٣: ٤٧٢، تاريخ الطبري ٣: ٢١٨،

وقال ابن كثير الدمشقي في حوادث سنة ١٠٦: «وحجَّ بالناس في هذه السنة أمير المؤمنين هشام بن عبد الملك، وكتب إلى أبي الزناد قبل دخوله المدينة ليتلقَّاه، ويكتب له مناسك الحجِّ، ففعل، فتلقَّاه الناس من المدينة إلى أثناء الطريق، وفيهم أبو الزناد قد امتثل ما أمر به، وتلقاه فيمن تلقاه سعيد بن عبدالله ابن الوليد بن عثمان بن عفَّان، فقال له: يا أمير المؤمنين، إنَّ أهل بيتك في مثل هذه المواطن الصالحة! لم يزالوا يلعنون أبا تراب، فالعنه أنت أيضاً.»

البداية والنهاية ٩: ١٧١، الكامل في التاريخ ٥: ١٣٠، تاريخ الطبري ٤: ١١٨  
فكانت سياسة معاوية هي النيل من سيِّد أهل البيت والخط من منزلته، وتنقيصه بين عموم المسلمين.

ولم يقف أمره عند هذا الحدِّ، بل أخذ يتبع شيعة علي بن أبي طالب عليه السلام ومحبيِّه والنيل منهم سجنًا وتعذيباً وقتلاً.

قال ابن عساكر في تاريخه ٨: ٢٥ بعد إلقاء القبض على حجر بن عديٍّ ومن معه وارسالهم إلى معاوية: «فقال لهم رسول معاوية: إنا قد أمرنا أن نعرض عليكم البراءة من علي، إن فعلتم تركناكم وإن أبيتم قتلناكم؛ إنَّ أمير المؤمنين يزعم أنَّ دماءكم قد حلت له بشهادة أهل مصركم عليكم غير أنَّه قد عفى عن ذلك، فابروا من هذا الرجل نخلَّ سبيلكم.»

وفي الكامل لابن الأثير ٣: ٤٨٥ حوادث سنة ٥١: «قالوا لهم قبل القتل: إنا قد أمرنا أن

سنة يقولها الخطباء على المنابر.

ولما استاء لذلك بعض الصحابة، واستنكر هذا الفعل أمر معاوية بقتلهم وحرقتهم، وقد قتل من مشاهير الصحابة حجر بن عدي الكندي وأصحابه، ودفن بعضهم أحياء لأنهم امتنعوا عن لعن علي واستنكروه.

وقد أخرج أبو الأعلى المودودي في كتابه «الخلافة والملك» نقلاً عن الحسن البصري قال: أربع خصال كن في معاوية لو لم تكن فيه إلا واحدة لكانت موبقة له:

☞ نعرض عليكم البراءة من علي واللعن له، فإن فعلتم تركناكم، وإن أبيتم قتلناكم».

وفي سير أعلام النبلاء للذهبي ٦: ٤٦٦ قال: «لما أتى معاوية بحجر قال: السلام عليك يا أمير المؤمنين، قال: أوامير المؤمنين أنا! اضربوا عنقه.

وقيل: إن رسول معاوية عرض عليهم البراءة من رجل والتوبة»

وقد ذكر الذهبي اسم ذلك الرجل في تاريخ الإسلام ٤: ١٩٤، وهو علي بن أبي طالب. وقال الذهبي - أيضاً - في السير ٣: ١٣٧: «ورجع معاوية بالألفة والاجتماع وبايعه أهل الشام بالخلافة.. فكان يبعث الغارات فيقتلون من كان في طاعة علي».

وفي الإصباة ١: ٤٢٢ في ترجمة بسر بن أرطاة قال: «وكان من شيعة معاوية، وكان معاوية وجهه إلى اليمن والحجاز.. وأمره أن ينظر من كان في طاعة علي فيوقع بهم، ففعل ذلك».

وفي أسد الغابة ١: ١٨٠: «وكان معاوية سيّره إلى الحجاز واليمن ليقتل شيعة علي». وفي الإمامة والسياسة لابن قتيبة ١: ٢٠٣ كتب الإمام الحسن إلى معاوية كتاباً قال فيه: «أولست قاتل الحضرمي الذي كتب اليك فيه زياد أنه على دين علي».

وقال الجاحظ في البيان والتبيين ١: ٢٦٦: «وجلس معاوية رضي الله تعالى عنه بالكوفة يبايع الناس على البراءة من علي بن أبي طالب كرم الله تعالى وجهه، فجاءه رجل من بني تميم، فأراده على ذلك، فقال: يا أمير المؤمنين، نطيع أحياءكم، ولا نبرأ من موتاكم...».



- ١ - أخذهُ الأمر من غير مشورة، وفيهم بقايا الصحابة ذوو الفضيلة.
- ٢ - استخلافه بعده ابنه سكيراً خميراً يلبس الحرير ويضرب الطنابير.
- ٣ - ادّعاؤه زياداً، وقد قال رسول الله ﷺ: «الولد للفراش وللعاهر الحجر».

٤ - قتله حجراً وأصحاب حجر، فيا ويلاً له من حجر، ويا ويلاً له من حجر وأصحاب حجر<sup>(١)</sup>.

وكان بعض المؤمنين من الصحابة يفرّون من المسجد بعد الفراغ من الصلاة حتّى لا يحضروا الخطبة التي تختتم بلعن علي وأهل بيته، ومن أجل ذلك غير بنو أمية سنّة رسول الله، وقدّموا الخطبة على الصّلاة حتّى يحضرها الناس ويرغموا بذلك أنوفهم.

مرحباً لهؤلاء الصحابة الذين لا يتورّعون عن تغيير سنة الرسول وحتّى أحكام الله للوصول إلى أغراضهم الدنيئة، وأحقادهم الدفينة، ومطامعهم الخسيصة، ويلعنون رجلاً أذهب الله عنه الرّجس وطهّره تطهيراً وأوجب الصلاة عليه كالصلاة على رسوله، وأوجب الله ورسوله موّدته وحبّه حتّى قال النبي: «حبّ علي إيمان وبغضه نفاق»<sup>(٢)</sup>.

(١) كتاب الخلافة والملك لأبي الأعلى المودودي: ١٠٦، وانظر تاريخ الطبري ٤:

٢٠٨، شرح النهج لابن أبي الحديد ٢: ٢٦٢، والغدير ١٠: ٢٢٥.

(٢) صحيح مسلم كتاب الأيمان ح ١٣١، ونصّ الحديث: «قال عليّ: والذي فلق الحبة

وبرأ النسمة أنّه لعهد النبي الأميّ إليّ أن لا يحبّني إلّا مؤمن ولا يبغضني إلّا

منافق»، وانظر: سنن النسائي ٨: ١١٧، المصنّف لابن أبي شيبة ٧: ٤٩٤ ح ١،

السنّة لابن أبي عاصم: ٥٨٤ ح ١٣٢٥، صحيح ابن حبان ١٥: ٣٦٧ وغيرها من

المصادر.

ولكن هؤلاء الصحابة بدّلوا وغيروا، وقالوا: سمعنا وعصينا، وبدلاً من أن يصلّوا عليه ويحبّوه ويطيعوه، شتموه ولعنوه طيلة ستين عاماً، كما جاء في كتب التاريخ<sup>(١)</sup>.

(١) قد أخبر النبي ﷺ علياً بأنّ هناك الكثير من الصحابة يحملون في صدورهم الغلّ عليه، فعن علي بن أبي طالب قال: بينا رسول الله ﷺ آخذ بيدي ونحن نمشي في بعض سكك المدينة إذ أتينا حديقة، فقلت: يا رسول الله، ما أحسنها من حديقة!

فقال: إنّ لك في الجنة أحسن منها.

ثمّ مررنا بأخرى فقلت: يا رسول الله، ما أحسنها من حديقة!

قال: لك في الجنة أحسن منها! حتّى مررنا بسبع حدائق كلّ ذلك أقول ما أحسنها، ويقول: لك في الجنة أحسن منها. فلمّا خلا لي الطريق اعتنقني ثمّ أجهد باكياً!

قلت: يا رسول الله، ما يبكيك؟!

قال: ضغائن في صدور أقوام لا يبدونها لك إلّا من بعدي!

قلت: يا رسول الله في سلامة من ديني؟

قال: في سلامة من دينك» مجمع الزوائد للهيتمي ٩: ١١٨، مسند أبي يعلى ١: ٤٢٧،

المعجم الكبير للطبراني ١١: ٦١، كنز العمال للمتقي الهندي ١٣: ١٧٦، الكامل لابن

عدي ٧: ١٧٣، تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ١٢: ٣٩٤، تاريخ مدينة دمشق ٤٢:

٣٢٢.

ويكفيها ما اعترف به ابن تيمية في عدّة مواضع من كتابه منهاج السنة حيث قال في

٢٠١: ٦ «وقد كان من شيعة عثمان من سبّ علياً ويجهر بذلك على المنابر

وغيرها لأجل القتال الذي كان بينهم وبينه»،

وفي ٧: ١٣٧ قال: «إنّ كثيراً من الصحابة والتابعين كانوا يبغضونه ويسبّونه

ويقاتلونه...».

فإذا كان أصحاب موسى قد تأمروا عليّ هارون وكادوا يقتلونه، فإنّ بعض أصحاب محمّد قتلوا هارونه، وتنبّعوا أولاده وشيعته تحت كلّ حجر ومدر، ومحوا أسماءهم من الديوان، ومنعوا أن يتسمّى أحد باسمه، ولم يكتفوا بكُلّ ذلك بل لعنوه وحملوا الصحابة المخلصين عليّ ذلك قهراً وظلماً.

وإنّي والله لأفّف حائراً مبهوتاً عندما أقرأ صحاحنا، وما سجّل فيها من حبّ الرسول ﷺ لأخيه وابن عمّه عليّ عليه السلام، وتقديمه عليّ كلّ الصحابة حتّى قال فيه: «أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلاّ أنّه لا نبي بعدي»<sup>(١)</sup>.

❦ وقال في ٧: ١٤٧ «وقد علم قدح كثير من الصحابة في عليّ».

وقال في ٤: ٣٣٦: «فما ظهر من عائشة وجمهور الصحابة وجمهور المسلمين من الملام لعليّ أعظم ممّا ظهر من الملام لعثمان».

وقال الذهبي في ترجمة معاوية بن أبي سفيان في السير ٣: ١٢٨: «وخلف معاوية خلق كثير يحبّونه ويتغالون فيه ويفضّلونه، إمّا قد ملكهم بالكرم والحلم والعتاء، وإمّا قد ولدوا في الشام عليّ حبّه، وتربّي أولادهم عليّ ذلك، وفيهم جماعة يسيرة من الصحابة، وعدد كثير من التابعين والفضلاء، وحاربوا معه أهل العراق، ونشؤوا عليّ النّصب، نعوذ بالله من الهوى».

(١) صحيح البخاري كتاب الفضائل، فضائل أصحاب النبي ﷺ ٤: ٢٠٨، ٥: ١٢٩، صحيح مسلم ٧: ١٢٠ - ١٢١، فضائل الصحابة ٧: ١٢٠ - ١٢١، سنن الترمذي ٥: ٣٠٢، وقال في بعضها: «حديث حسن»، وفي بعضها: «حديث صحيح»، المستدرک للحاكم ٣: ١٠٩ و ١٣٣ وقال: «حديث صحيح»، ووافقه الذهبي في التلخيص، سنن ابن ماجه ١: ٤٢، ٤٥، مسند أحمد بن حنبل ١: ١٧٠ و ١٧٣ و ١٧٥ و ١٧٧ و ١٧٩ و ١٨٢ و ١٨٤ و ١٨٥، مجمع الزوائد للهيتمي ٩: ١٠٩ و ١١١ و وثق رجال بعض طرقه، حلية الأولياء ٧: ١٩٤ - ١٩٦ وقال: «صحيح مشهور»، خصائص النسائي: ح ١١ و ١٢ و ٢٤ و ٤٤ و ٦٤ و ١٢٦، فضائل الصحابة لأحمد بن

وقال له: «أنت مني وأنا منك»<sup>(١)</sup>.

وقال: «حبّ علي إيمان وبغضه نفاق»<sup>(٢)</sup>.

وقال: «أنا مدينة العلم وعليّ بابها»<sup>(٣)</sup>.

◉ حـنبل: ح ٩٥٤ و٩٥٦ و٩٥٧ و١٠٠٥ و١٠٠٦ و١٠٤١ و١٠٤٥ و١٠٧٩ و١٠٩١ و١١٤٣ و١١٥٣، مسند أبي داود الطيالسي: ٢٩، ح ٢٠٩ و٢١٣، البداية والنهاية لابن كثير ٧: ٣٤٧ و٣٥١ و٣٥٤.

(١) السنن الكبرى للنسائي ٥: ١٢٧ ح ٨٤٥٥، والخصائص للنسائي: ٨٨، وورد بألفاظ متقاربة في مسند أحمد ٥: ٣٥٦، المستدرک للحاكم ٣: ١١١ وقال: «هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرّجاه»، صحيح ابن حبان ١٥: ٣٧٤، سنن الترمذي ٥: ٣٠٠ باب مناقب عليّ بن أبي طالب، المصنّف لابن أبي شيبة ٧: ٥٠٤ ح ٥٨، السنة لابن أبي عاصم ٥٥٠ ح ١١٨٧، مسند أبي يعلى ١: ٢٩٣ ح ٣٥٥.

(٢) ورد هذا الحديث بهذا اللفظ في بشارة المصطفى للطبراني الشيعي: ٢٧١، وكشف اليقين للعلامة الحلّي: ٣٢١، ورد في صحيح مسلم ١: ٦١ كتاب الإيمان عن عليّ عليه السلام: «أنّه لعهد النبي الأمّي أن لا يحبّني إلّا مؤمن ولا يبغضني إلّا منافق»، وكذلك في صحيح ابن حبان ١٥: ٣٦٧، سنن النسائي ٥: ٤٧، ١٣٧، المصنّف لابن أبي شيبة ٧: ٤٩٤، وفي كتاب حجة الله البالغة لشاه وليّ الله الدهلوي ١: ٣٠٤ «حبّ عليّ آية الإيمان وبغض عليّ آية النفاق».

(٣) المستدرک للحاكم ٣: ١٢٦ وقال: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرّجاه»، المعجم الكبير للطبراني ١١: ٥٥، الجامع الصغير للسيوطي ١: ٤١٥، وتاريخ الخطيب ١١: ٥٠ وقال: «قال القاسم: سألت يحيى بن معين عن هذا الحديث؟ فقال: هو صحيح»، ونحوه تاريخ دمشق ٤٢: ٣٨٠.

وقال السيّد حسن السقّاف في تحقيقه على كتابه تناقضات الألباني الواضحات ٣: ٨٢: «صحّ عنه عليه السلام أنّه قال: «أنا مدينة العلم وعليّ بابها»، صحّحه الحافظ يحيى

وقال: « علي وليّ كلِّ مؤمن بعدي »<sup>(١)</sup>.

➤ ابن معين كما في تاريخ بغداد (تاريخ بغداد ٤٩/١١)، والإمام الحافظ ابن جرير الطبري في تهذيب الآثار مسند سيّدنا علي (ص ١٠٤ حديث ٨)، والحافظ العلاء في النقد الصحيح، والحافظ ابن حجر، والحافظ السيوطي كما في اللآلئ المصنوعة ٣٣٤/١، والحافظ السخاوي كما في المقاصد الحسنة.

(١) المصنّف لابن أبي شيبة ٧: ٥٠٤ ح ٥٨، السنن الكبرى للنسائي ٥: ١٣٢، السنّة لابن أبي عاصم: ٥٥٩ ح ١١٨٧ وقال محقق الكتاب محمد ناصر الدين الألباني: «إسناده صحيح ورجاله ثقات على شرط مسلم، والحديث أخرجه الترمذي ٢: ٢٩٧، وابن حبان: ٢٢٠٣، والحاكم ٣: ١١٠ - ١١١، وأحمد ٤: ٤٣٧ وقال الترمذي: حديث حسن غريب، وقال الحاكم: صحيح على شرط مسلم وأقرّه الذهبي...».

وفي سلسلة الأحاديث الصحيحة للشيخ الألباني ٥: ٢٦١ ح ٢٢٢٣ قال: «ما تريدون من علي؟ إنّ عليّاً منّي وأنا منه، وهو وليّ كلّ مؤمن بعدي».

أخرجه الترمذي (٣٧١٣)، والنسائي في الخصائص (ص ١٣ و ١٦ و ١٧)، وابن حبان (٢٢٠٣)، والحاكم (١١٠/٣)، والطيالسي في مسنده (٨٢٩)، واحمد (٤٣٧/٤ - ٤٣٨)، وابن عدي في الكامل (٥٦٨/٢ - ٥٦٩) من طريق جعفر بن سليمان الضبعي عن يزيد الرشد عن مطرف عن عمران بن حصين رضي الله تعالى عنه قال: «بعث رسول الله جيشاً واستعمل عليهم علي بن أبي طالب، فمضى في السريّة فأصاب جارية، فأنكروا عليه، وتعاهد أربعة من أصحاب رسول الله ﷺ فقالوا: إن لقينا رسول الله أخبرناه بما صنع علي، وكان المسلمون إذا رجعوا من سفرٍ بدؤوا برسول الله ﷺ فسلموا عليه، ثم انصرفوا إلى رحالهم، فلما قدمت السريّة سلموا على النبي ﷺ، فقام أحد الأربعة فقال: يا رسول الله، ألم تر إلى علي بن أبي طالب صنع كذا وكذا، فأعرض عنه رسول الله ﷺ، ثم قام الثاني، فقال مثل مقالته، فأعرض عنه، ثم قام الثالث، فقال مثل مقالته، فأعرض عنه، ثم قام الرابع فقال مثل ما قالوا، فأقبل إليه رسول الله ﷺ والغضب يعرف في وجهه فقال...»

## ➔ فذكره.

وقال الترمذي: «حديث حسن غريب، لا نعرفه إلا من حديث جعفر بن سليمان». قلت: وهو ثقة من رجال مسلم، وكذلك سائر رجاله، ولذلك قال الحاكم: «صحيح على شرط مسلم» وأقرّه الذهبي.

وللحديث شاهد يرويه أجليح الكندي عن عبدالله بن بريدة عن أبيه بريدة قال: بعث رسول الله ﷺ بعثتين إلى اليمن، على أحدهما علي بن أبي طالب.. فذكر القصة بنحو ما تقدّم وفي آخره: «لا تقع في علي فانه منّي وأنا منه، وهو وليكم بعدي، وإنّه منّي وأنا منه، وهو وليكم بعدي»، أخرجه أحمد (٣٥٦/٥).

قلت: وإسناده حسن، رجاله ثقات رجال الشيخين غير الأجليح، وهو ابن عبد الله الكندي مختلف فيه، وفي التقريب: «صدوق شيعي».

فان قال قائل: راوي هذا الشاهد الشيعي، وكذلك في سند المشهور له شيعي آخر، وهو جعفر بن سليمان، أفلا يعتبر ذلك طعنًا في الحديث وعلّة فيه؟!

فأقول: كلاً؛ لأنّ العبرة في رواية الحديث إنّما هو الصدق والحفظ، أمّا المذهب فهو بينه وبين ربّه، فهو حسبه، ولذلك نجد صاحبي الصحيحين وغيرهما قد أخرجوا لكثير من الثقات المخالفين كالخوارج والشيعة وغيرهم، وهذا هو المثل بين أيدينا؛ فقد صحّ الحديث ابن حبان كما رأيت، مع أنّه قال في رواية جعفر في كتابه مشاهير علماء الأمصار (١٢٦٣/١٥٩): «كان يتشيع ويغلو فيه»، بل إنّه قال في ثقاته (١٤٠/٦): «كان يبغض الشيخين».

وهذا وإن كنت في شكّ من ثبوته عنه، فإنّ ممّا لا ريب فيه أنّه شيعي، لإجماعهم على ذلك، ولا يلزم من التشيع بغض الشيخين - رضي الله عنهما - وإنّما مجرد التفضيل.

والإسناد الذي ذكره ابن حبان برواية تصريحه ببغضهما فيه جرير بن يزيد بن هارون، ولم أجد له ترجمة ولا وقفت على إسناد آخر بذلك إليه ومع ذلك فقد قال

وقال: « من كنت مولاه فهذا علي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه »<sup>(١)</sup>.

❶ ابن حبان عقب ذلك التصريح: «وكان جعفر بن سليمان من الثقات المتقنين في الروايات، غير أنه كان ينتحل الميل إلى أهل البيت، ولم يكن بداعية إلى مذهبه، وليس بين أهل الحديث من أئمتنا خلاف أن الصدوق المتقن إذا كان فيه بدعة، ولم يكن يدعو إليها، أن الاحتجاج بأخباره جائز». على أن الحديث قد جاء مفروقاً من طرق أخرى ليس فيها شيعي. أما قوله: «إن علياً مني وأنا منه». فهو ثابت في «صحيح البخاري» (٢٦٩٩) من حديث البراء بن عازب في قصة اختصام علي وزيد وجعفر في إبنة حمزة، فقال ﷺ لعلي رضي الله عنه: «أنت مني وأنا منك».

وروي من حديث حبشي بن جنادة، وقد سبق تخريجه تحت الحديث (١٩٨٠). وأما قوله: «وهو ولي كل مؤمن بعدي». فقد جاء من حديث ابن عباس، فقال الطيالسي (٢٧٥٢): حدّثنا أبو عوانة عن أبي بلج عن عمرو بن ميمون عنه، أن رسول الله ﷺ قال لعلي: «أنت ولي كل مؤمن بعدي».

وأخرجه أحمد (٣٣٠/١ - ٣٣١)، ومن طريقه الحاكم (١٣٢/٣ - ١٣٣)، وقال: «صحيح الإسناد»، ووافقه الذهبي، وهو كما قال. وهو بمعنى قوله ﷺ: «من كنت مولاه فعلي مولاه...»، وقد صحّ من طرق كما تقدّم بيانه في المجلد الرابع برقم (١٧٥٠).

فمن العجيب حقاً أن يتجرأ شيخ الإسلام ابن تيمية على إنكار هذا الحديث وتكذيبه في «منهاج السنة» (١٠٤/٤)، كما فعل بالحديث المتقدم هناك...».

(١) هذا الحديث من الأحاديث المتواترة كما صرح بذلك جمع من علماء أهل السنة، وللحديث زيادات في الألفاظ كقول النبي ﷺ «أتعلمون أنني أولى بالمؤمنين من

➤ أنفسهم»، أو قوله: «اللهم وال من والاه وعاد من عاداه، وانصر من نصره واخذل من خذله»، وغير ذلك.. ونحن هنا نورد طرق الأحاديث لإثبات صحته مع الزيادات التي ذكرت فيها:

أخرج النسائي في الخصائص: ٧١ - ٧٢ بسنده إلى زيد بن أرقم قال: «لما رجع رسول الله ﷺ من حجة الوداع ونزل غدير خم، أمر بدوحات فقممن، ثم قال: «كأنني قد دعيت فأجبت، إني تركت فيكم الثقلين، أحدهما أكبر من الآخر، كتاب الله وعترتي أهل بيتي، فانظروا كيف تحلفوني فيهما، فإنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض»، ثم قال: «إن الله مولاي وأنا ولي كل مؤمن»، ثم أخذ بيد علي فقال: «من كنت وليه فهذا وليه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه».

فقلت لزيد: سمعته من رسول الله ﷺ؟

فقال: ما كان في الدوحات أحد إلا رآه بعينه وسمعه بأذنيه».

وأخرجه الحاكم في المستدرک ١٠٩:٣. وقال: «هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه بطوله».

وأخرجه ابن كثير في البداية والنهاية ٥: ٢٨٨ وقال: «قال شيخنا أبو عبدالله الذهبي: وهذا حديث صحيح».

وعن أبي الطفيل (عامر بن واثلة) قال: «جمع علي - رضي الله تعالى عنه - الناس في الرحبة ثم قال لهم: أنشد الله كل امرئ مسلم سمع رسول الله ﷺ يقول يوم غدير خم ما سمع لما قام؟

فقام ثلاثون من الناس - وفي رواية: فقام ناس كثير - فشهدوا حين أخذ بيده، فقال للناس: أتعلمون أني أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟

قالوا: نعم يا رسول الله. قال: من كنت مولاه فهذا مولاه، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه.

قال: [يعني أبو الطفيل] فخرجت وكأن في نفسي شيئاً، فلقيت زيد بن أرقم فقلت له:



❦ إني سمعت علياً عليه السلام يقول: كذا وكذا؟  
قال: فما تنكر، قد سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول ذلك»  
وقد أخرج هذا الحديث أحمد في مسنده ٤: ٣٧٠، وابن حبان في صحيحه ١٥: ٣٧٦،  
والهيثمي في موارد الضمان: ٥٤٤.  
قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٩: ١٠٤: «رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح غير فطر  
ابن خليفة وهو ثقة».  
وقال الشيخ الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة ٤: ٣٣١ ح ١٧٥٠: «وإسناده  
صحيح على شرط البخاري».  
وقال الشيخ آل الزهوي محقق خصائص أمير المؤمنين عليه السلام ص ٨٢: «إسناده  
صحيح».  
وعن رباح بن الحارث قال: «جاء رهط إلى علي بالرحبة، فقالوا السلام عليك يا  
مولانا!  
قال: كيف أكون مولاكم وأنتم قوم عرباً؟!  
قالوا: سمعنا رسول الله صلى الله عليه وآله يوم غدیر خم يقول: من كنت مولا فإِنَّ هذا مولا.  
قال رباح: فلما مضوا تبعتم فسالتم من هؤلاء؟  
قالوا: نفر من الأنصار، فيهم أبو أيوب الأنصاري».  
أخرجه أحمد في مسنده ٥: ٤١٩، والطبراني في الكبير ٤: ١٧٤، والهيثمي في المجمع  
٩: ١٠٤ وقال: «رواه أحمد والطبراني.. ورجال أحمد ثقات».  
وقال الشيخ الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة ٤: ٣٤٠ ح: «وهذا إسناد جيد  
رجاله ثقات».  
ولهذا الحديث تكملة ذكرها الحافظ الثقة إبراهيم بن ديزيل في كتابه وقعة صقّين  
فقال: «حدّثنا يحيى بن سليمان الجعفي، قال: حدّثنا ابن فضيل، قال: حدّثنا  
الحسن بن الحكم النخعي، عن رباح بن الحارث النخعي، قال: كنت جالساً عند

❦ علي ﷺ إذ قدم عليه قوم متلثمون، فقالوا: السلام عليك يا مولانا؟

فقال لهم: أولستم قوماً عرباً؟

قالوا: بلى، ولكننا سمعنا رسول الله صلى الله وسلم يقول يوم غدیر خمّ: «من كنت مولاة فعلي مولاة، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه، وأنصر من نصره، وأخذل من خذله».

قال: فلقد رأيت علياً ﷺ ضحك حتى بدت نواجذه، ثم قال: اشهدوا.

ثم إن القوم مضوا إلى رحالهم فتبعتهم، فقلت لرجل منهم: من القوم؟

قالوا: نحن رهط الأنصار، وذاك - يعنون رجالاً منهم - أبو أيوب، صاحب منزل رسول الله ﷺ، قال: فأتيته فصافحته» نقل هذا الحديث عن كتاب إبراهيم بن ديزيل، ابن أبي الحديد في شرح النهج ٣: ٢٠٨.

وسند هذا الحديث صحيح وإليك تفصيل الكلام في رواته:

١ - إبراهيم بن ديزيل: قال عنه الذهبي في السير ١٣: ١٨٤ - ١٨٨: «الإمام الحافظ الثقة العابد»، و«قال صالح بن أحمد الحافظ: سمعت أبي، سمعت علي بن عيسى يقول: إن الإسناد الذي يأتي به إبراهيم لو كان فيه ان لا يؤكل الخبز لوجب ان لا يؤكل لصحة إسناده».

٢ - يحيى بن سليمان الجعفي: قال عنه الذهبي في الكاشف ٣: ٢٤٤: «صويلح».

وقد وثقه الشيخ الألباني في إرواء الغليل ٤: ١٩٤ باعتباره من رجال البخاري الذي أخرج لهم.

٣ - محمد بن فضيل: وثقه الذهبي في الكاشف ١: ١٧٥، وقال عنه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة ٢: ٨٩: «هو ثقة من رجال الشيخين».

٤ - الحسن بن الحكم النخعي ورباح بن الحارث النخعي: قال عنه أبو حاتم: «صالح الحديث» الكاشف ١: ١٧٥، ووثقه الهيثمي في مجمع الزوائد ٥: ٢٤٦.

فالحديث صحيح.

➤ فحديث الغدير له طرق عديدة، وبعض فقراته متواتره كما صرح بذلك جمع من أعلام السنّة.

قال الذهبي في السير ٨: ٣٣٥ معقّباً على أحد طرقه: «هذا حديث حسن عالٍ جداً، ومنتنه متواتر».

وقال شمس الدين الجزري في كتابه أسنى المطالب في مناقب سيّدنا علي بن أبي طالب: ٤٨ عقيب أحد طرقه: «هذا حديث حسن من هذا الوجه، صحيح من وجوه كثيرة، تواتر عن أمير المؤمنين علي، وهو متواتر - أيضاً - عن النبي ﷺ، رواه الجَمّ الغفير عن الجَمّ الغفير، ولا عبرة بمن حاول تضعيفه ممّن لا اطلاع له في هذا العلم...».

وقال الشيخ الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة ٤: ٣٤٣ - ٣٤٤ ح ١٧٥٠ عقيب ذكر الحديث: «وجملة القول: إنّ حديث الترجمة حديث صحيح بشرطيه، بل الأوّل منه متواتر عنه ﷺ كما يظهر لمن تتبع أسانيده وطرقه، وما ذكرت منها كفاية.

إذا عرفت هذا فقد كان الدافع لتحرير الكلام على الحديث وبيان صحّته أنّي رأيت شيخ الإسلام ابن تيمية قد ضعف الشطر الأوّل من الحديث، وأما الشطر الآخر فزعم أنّه كذب.

وهذا من مبالغاته الناتجة في تقديري من تسرّعه في تضعيف الأحاديث قبل أن يجمع طرقها ويدقّق النظر فيها».

وقال الداني بن منير آل الزهوي في تحقيقه لخصائص أمير المؤمنين: ٧٨: «فحديث الموالاتة حديث صحيح ثابت، بل هو متواتر كما قال الألباني في الصحيحة ٣٤٣/٤.

أمّا قول ابن تيمية في المنهاج ١٠٤/٤: «إنّه كذب مخالف للقواعد الحديثية» فهو مردود عليه».

❶ ولا بأس بالإشارة إلى النقص في التحقيق الذي وقع فيه الشيخ الألباني في هذا الحديث، فهو بعد أن صحّ الحديث وردّ على ابن تيمية تكذيبه له قال: «قوله: «وانصر من نصره وأخذل من خذله» ففي ثبوته عندي وقفة لعدم ورود ما يجبر ضعفه، وكأنّه رواية بالمعنى للشطر الآخر من الحديث: «اللهم وال من والاه وعاد من عاداه».

ومثله قول عمر لعلي «أصبحت وأمسيت مولى كل مؤمن ومؤمنة» لا يصحّ - أيضاً - لتفرد علي بن زيد به كما تقدّم «سلسلة الأحاديث الصحيحة ٤: ٣٤٤. فهذا الكلام ناشيء من قلّة الاطلاع وعدم تتبع المصادر التي ذكرت هذا الحديث، وإلا فقد وردت هذه الزيادة في كتاب صفين لابن ديزيل، ونقله عنه ابن أبي الحديد في شرح النهج كما تقدم.

ووردت هذه الزيادة في طرق أخرى منها ما نقله الهيتمي في مجمع الزوائد ٩: ١٠٥ بسنده إلى عمرو بن ذي مرّة وسعيد بن وهب وزيد بن يثيع قالوا: «سمعنا علياً يقول: نشدت الله رجلاً سمع رسول الله ﷺ يقول يوم غدیر خمّ لما قام؟ فقام ثلاثة عشر رجلاً فشهدوا أنّ رسول الله ﷺ قال: ألسنت أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟

قالوا: بلى يا رسول الله.

قال: فأخذ بيد علي فقال: من كنت مولاه فهذا مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه، وأحبّ من أحبّه، وأبغض من يبغضه، وأنصر من نصره، وأخذل من خذله».

وعقب الهيتمي عليه بقوله: «رواه البزار ورجاله رجال الصحيح غير فطر بن خليفة وهو ثقة».

وأما مقولة عمر لعلي رضي الله عنه فلم يتفرد بها علي بن زيد كما ذكر الشيخ الألباني، بل رواها غيره - أيضاً - قال ابن كثير في البداية والنهاية ٥: ٢٢٩: «قال الحافظ أبو

❶ يعلى الموصلي والحسن بن سفيان، ثنا هدية، ثنا حماد بن سلمة، عن علي ابن زيد وأبي هارون عن عدي بن ثابت عن البراء. وذكر الحديث والذي فيه: «فلقيه عمر بن الخطاب فقال: هنيئاً لك أصبحت وأمست مولى كل مؤمن ومؤمنة».

وأخرجه الخطيب في تاريخه ٨: ٢٨٤ بسنده إلى أبي هريرة قال: «فقال عمر بن الخطاب: بخّ بخّ لك يا بن أبي طالب أصبحت مولاي ومولى كل مسلم». وقد صحّ العلامة سبط ابن الجوزي في تذكرة الخواص: ٣٦ مقولة عمر بن الخطاب.

وقال الغزالي في كتابه سرّ العالمين: «قال رسول الله ﷺ لعلي يوم غدیر خم: «من كنت مولاه فعلي مولاه»، فقال عمر بن الخطاب: بخّ بخّ يا أبا الحسن أصبحت مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة».

وهذا تسليم ورضاً وتحكيم، ثمّ بعد هذا غلب الهوى حبّاً للرئاسة، وعقد البنود، وخفقان الرايات، وازدحام الخيول في فتح الأمصار، وأمر الخلافة ونهيتها، فحملهم على الخلاف فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمناً قليلاً، فبئس ما يشترون» تذكرة الخواص: ٦١.

والاعتراض على الحديث من قبل أهل السنّة معروف ومشهور، إذ يقولون: إن الحديث يدلّ على النصرّة لا على الموالاة التي تدعيها الشيعة، وهي بمعنى التصرّف في شؤون الأُمّة.

والجواب على ذلك: إنّ الحديث يدلّ على ما تذهب إليه الشيعة من أنّ المراد بالولاية هي الأولوية في شؤون التصرّف لا النصرّة فقط، والدليل على ذلك:

١- إنّ النبي ﷺ قرن حديث الغدير بحديث الثقلين، وحديث الثقلين واضح الدلالة على وجوب التمسك بالعترة، فقرن حديث الغدير به قرينة على لزوم التمسك بسيدّ العترة وأولها علي بن أبي طالب عليه السلام.

ولو أردنا استقصاء الفضائل التي ذكرها النبي في علي، والتي أخرجها علماءنا معترفين بصحتها؛ لاستوجب كتاباً خاصاً، فكيف يا ترى يتجاهل الصحابة هذه

٢ - تأكيد النبي ﷺ لألويته على المؤمنين قبل الحكم بالولاية لعلي بن أبي طالب عليه السلام، إذ قال: «أتعلمون أنني أولى بالمؤمنين من أنفسهم»، وهذا يشكل دليلاً على كون النبي ﷺ أعطى الولاية لعلي بالمستوى الذي كانت عنده، وبنفس الدرجة.

٣ - تقدّم في بعض الروايات أنّ الصحابي أبا الطفيل (عامر بن واثلة) عندما سمع شهادة الصحابي لعلي بالولاية استنكر الأمر في نفسه واستعظمه، فذهب واستفهم من زيد بن أرقم، وأخبره زيد بصحة ما سمع! وهذا الاستنكار ينسجم مع فهم الولاية بمعنى الأولوية كما تقول به الشيعة، ولهذا استغرب الصحابي، ولا وجه له لو فسّرت الولاية بمعنى النصرة. ففهم الصحابي أبي الطفيل للولاية بمعنى الأولوية فلذلك استنكر الحديث واستفهم عنه!

٤ - في بعض الأخبار المتقدمة سلام الصحابة على أمير المؤمنين بقولهم: «السلام عليك يا مولانا»، وأجابهم أمير المؤمنين بشكل ملفت لانتباه الناس، وذكرهم بأنّه الولي والخليفة فقال: «كيف أكون مولاكم وأنتم قوم عرب؟»، أو «أولستم قوماً عرباً».

والمعنى هو: إنكم قوم عرب أحرار ولستم عبيد فكيف أكون ولياً عليكم، وسيّداً ومتولياً لأموركم؟

فقالوا: سمعنا رسول الله ﷺ يقول يوم غدير خم.. وذكروا الحديث. ولا معنى لأن يشهدهم أمير المؤمنين على أنّه ناصر المؤمنين طيلة هذه السنين من جهاده عليه السلام ومعرفته كلّ الناس أنّ المؤمنين بعضهم أولياء بعض، ولم يشكّ أحدٌ في أن عليّاً ناصر المؤمنين، فمن سلامهم عليه، وجوابه لهم بتلك الطريقة الملفتة للنظر، ثمّ اشهادهم على ذلك يظهر أنّ المراد من الولاية والمفهوم منها عند الصحابة هي الأولوية في التصرف بالنفس، وهي تعني الإمامة الإسلامية العامة.

النصوص ويسبّون علياً وينصبون له العداة ويلعنونه فوق المنابر، وكيف يقاتلونه ويقتلونه؟!

وإني أحاول عبثاً أن أجد مبرراً لهؤلاء، فلا أجد غير حبّ الدنيا والتنافس فيها، أو النفاق أو الارتداد والانقلاب على الأعقاب، وأحاول - أيضاً - الصاق هذه المسؤولية بحتالة الصحابة وبعض المنافقين، ولكن للأسف الشديد أن هؤلاء معدودون من أكابرهم وأفاضلهم ومشاهيرهم، فأول من هدّد بحرق بيته - بمن فيه - هو عمر بن الخطّاب، وأول من حاربه هو طلحة والزبير وأمّ المؤمنين عائشة بنت أبي بكر ومعاوية بن أبي سفيان وعمر وبن العاص وأمثالهم كثيرون.

وإنّ عجبى لكبير وسوف لن ينتهي، كما يؤيّدني في ذلك كلّ مفكّر حرّ عاقل، كيف يجمع علماء أهل السنّة والجماعة على عدالة الصحابة كافة، وبترضون عليهم بل ويصلّون عليهم أجمعين، لا يستثنون منهم واحداً، حتّى قال بعضهم: «إلّعن يزيد ولا تزيد»، فأين يزيد من هذه المآسي التي لا يقترّها دين ولا عقل؟!

وإنتي أربأ بأهل السنّة والجماعة إن كانوا حقاً يتبعون سنّة الرسول، أن يحكموا بعدالة من حكم القرآن والسنّة بفسقه وارتداده وكفره، وقد قال رسول الله ﷺ: «من سبّ علياً فقد سبّني، ومن سبّني فقد سبّ الله، ومن سبّ الله أكبه علي منخريه في النار»<sup>(١)</sup>.

(١) بهذا اللفظ في نظم درر السمطين: ١٠٥، ذخائر العقبى: ٦٦، وفي مستدرک الحاكم ٣: ١٢١ بلفظ: «من سبّ علياً فقد سبّني»، وقال الحاكم: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخّرجاه، وقد رواه بكير بن عثمان البجلي عن أبي اسحاق بزيادة ألفاظ» ووافقه الذهبي في تلخيص المستدرک، وانظره أيضاً بألفاظه المختلفة: السنن الكبرى للنسائي ٥: ١٣٣ ح ٨٤٧٦، الجامع الصغير للسيوطي ٢:

هذا جزاء من سبّ علياً، فما بالك بمن لعنه وحاربه وقاتله، فأين علمائنا من كل هذه الحقائق، أم على قلوب أبقالها؟! ﴿وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ \* وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ﴾<sup>(١)</sup>.

## ٢- الصحابة غيروا حتى في الصلاة :

قال أنس بن مالك : ما عرفت شيئاً ممّا كان على عهد النبي ﷺ !  
قيل : الصلاة.

قال : أليس ضيِّعتم ما ضيِّعتم فيها.

وقال الزهري : دخلت على أنس بن مالك بدمشق وهو يبكي، فقلت : ما يبكيك؟

فقال : لا أعرف شيئاً ممّا أدركت إلا هذه الصلاة وهذه الصلاة قد ضيِّعت<sup>(٢)</sup>.  
وحتى لا يتوهّم أحد أنّ التابعين هم الذين غيروا ما غيروا بعد تلك الفتن والحروب أو أنّ أذكر بأنّ أوّل من غير سنّة الرسول في الصلاة هو خليفة المسلمين

---

➡ ٦٠٨ ح ٨٧٣٦، تاريخ دمشق ١٤ : ١٣١، ٢٦ : ٣٠٥، ٣٠ : ١٧٩، ٤٢ : ٢٦٦٠، مسند أحمد ٦ : ٣٢٣، عنه مجمع الزوائد ٩ : ١٣٠ وقال : «رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح غير أبي عبدالله الجدلي وهو ثقة»، والنسائي في الخصائص : ٧٦ ح ٨٦ وقال محقق الكتاب العلامة الحويني الأثري : «إسناده صحيح».

ومنه يتّضح بطلان ما ذكره عثمان الخميس في كتابه كشف الجاني ٨٦ من تضعيف الحديث. فهو كشيخه ابن تيمية يتسارع في إنكار الفضائل الثابتة معاندة للشيعه!  
(١) المؤمنون : ٩٧ - ٩٨.

(٢) صحيح البخاري ١ : ١٣٤، كتاب مواقيت الصلاة، الصلوات الخمس، تعليق التعليق ٢ : ٢٥٠، التعديل والتجريح ٢ : ١٠١٦، البداية والنهاية ٩ : ١٠٦.



نفسه عثمان بن عفان، وكذلك أم المؤمنين عائشة، فقد أخرج الشيخان البخاري ومسلم في صحيحيهما: أن رسول الله ﷺ، صَلَّى بِنِي رَكَعَتَيْنِ، وَأَبُو بَكْرٍ بَعْدَهُ، وَعَمْرٌ بَعْدَ أَبِي بَكْرٍ، وَعُثْمَانُ صَدْرًا مِنْ خِلاَفَتِهِ، ثُمَّ إِنَّ عُثْمَانَ صَلَّى بَعْدَ أَرْبَعًا<sup>(١)</sup>.

كما أخرج مسلم في صحيحه، قال الزهري: قلت لعروة: ما بال عائشة تتم الصلاة في السفر؟

قال: إنها تأوّلت كما تأوّلت عثمان<sup>(٢)</sup>.

وكان عمر بن الخطاب يجتهد ويتأوّل مقابل النصوص الصريحة من السنن النبويّة، بل في مقابل النصوص الصريحة من القرآن الحكيم فيحكم برأيه، كقوله: «متعتان كانتا علي عهد رسول الله وأنا أنهى عنهما وأعاقب عليهما»<sup>(٣)</sup>، ويقول لمن

---

(١) صحيح البخاري ٣٥:٢ كتاب تقصير الصلاة باب الصلاة بمنى، صحيح مسلم ١٤٦:٢ كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب قصر الصلاة بمنى، سنن الدارمي ٥٦:٢، سنن الترمذي ١٨٣:٢، السنن الكبرى ١٢٦:٣، المصنّف للصنعاني ٥١٦:٢.  
(٢) صحيح مسلم ١٤٣:٢، كتاب صلاة المسافرين، صحيح البخاري ٣٦:٢، كتاب الكسوف، باب صلاة التطوّع على الدواب، السنن الكبرى ١٤٣:٣، المصنّف للصنعاني ٥١٦:٢، صحيح ابن خزيمة ١٥٦:١.

(٣) الروايات الواردة عن تحريم عمر لمتعة الحجّ والنساء عنه كثيرة وألفاظها مختلفة نذكر قسماً منها:

١ - عبد الرزاق، عن ابن جريح قال: «أخبرني عبد الله بن عثمان بن خيثم: إنَّ محمّد ابن الأسود بن خلف أخبره أنّ عمرو بن حوشب، استمتع بجارية بكر من بني عامر بن لؤي، فذكر ذلك لعمر، فسألها فقالت: استمتع منها عمرو بن حوشب، فسأله، فاعترف، فقال عمر: من أشهدت؟ قال: لا أدري، قال: أمّها، أو أختها، أو أخاها وأمها؟

أجنب ولم يجد ماء: لا تصل! رغم قول الله تعالى في سورة المائدة: ﴿لَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا﴾ (١).

أخرج البخاري في صحيحه في باب: (إذا خاف الجنب على نفسه) قال: سمعت شقيق بن سلمة قال: كنت عند عبد الله وأبي موسى، فقال له أبو موسى: رأيت يا أبا عبد الرحمن إذا أجنب فلم يجد ماء كيف يصنع؟ فقال عبد الله: لا يصلّي حتى يجد الماء.

☞ فقام عمر على المنبر فقال: ما بال رجال يعملون بالمتعة ولا يشهدون عدولاً، ولا أجد رجلاً من المسلمين متمتعاً إلا جلدته مائة جلدة).

قال: وأخبرني هذا القول عن عمر من كان تحت منبره، سمعه منه يقوله.  
قال: فتلقاه الناس منه» المصنّف لعبد الرزاق ٧: ٥٠٠ و٥٠١، وكنز العمال ٢٢: ٩٤ و١٦: ٥٢٠. وسند الحديث صحيح.

٢ - عن مالك بن أنس عن نافع عن ابن عمر قال: قال عمر: «متعتان كانتا على عهد رسول الله ﷺ أنا أنهى عنهما وأعاقب عليهما، متعة النساء ومتعة الحج» وعن سعيد بن حماد بن زيد، عن أيوب عن أبي قلابة قال: قال عمر بن الخطاب: «متعتان كانتا على عهد رسول الله ﷺ وأنا أنهى عنهما وأعاقب عليهما». وزاد في نص آخر: رواه سعيد بن هشيم عن خالد عن أبي قلابة قوله: «متعة النساء، ومتعة الحج».

وهذا النص فضلاً عن صحته، بل متواتر عن عمر راجع: التمهيد ١٠: ١١٢، والمنتقى للفي ٢: ٥١٩، سنن سعيد بن منصور القسم الأول من المجلد الثالث ٢١٩ والاستذكار ١٦: ٢٩٤، والأمّ للشافعي ٧: ٢١٩، سنن البيهقي ٧: ٢٠٦، منتخب كنز العمال ٦: ٤٠٤، والأوائل لأبي هلال العسكري ١: ٢٣٨، تفسير النيسابوري ٥: ١٧، وزاد المعاد لابن القيم ٢: ١٨٤، والمغني لابن قدامة ٧: ٥٢٧، والدرّ المنثور ٢: ١٤٠، والمطلى لابن حزم ٧: ١٠٧.

(١) سورة المائدة: ٦.

فقال أبو موسى: فكيف تصنع بقول عمار حين قال له النبي ﷺ: كان يكفيك.

قال: ألم تر عمر لم يقنع بذلك.

فقال أبو موسى: فدعنا من قول عمار، كيف تصنع بهذه الآية، فما درى عبد الله ما يقول.

فقال: إننا لو رخصنا لهم في هذا لأوشك إذا برد على أحدهم الماء أن يدعه ويتيمّم.

فقلت لشقيق: فإنما كره عبد الله لهذا، قال: نعم<sup>(١)</sup>.

### ٣- الصحابة يشهدون على أنفسهم:

روى أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال للأَنْصار: «إنكم سترون بعدي إثرة شديدة، فاصبروا حتّى تلقوا الله ورسوله على الحوض». قال أنس: فلم نصبر<sup>(٢)</sup>.

وعن العلاء بن المسيّب عن أبيه قال: لقيت البراء بن عازب - رضي الله عنهما - فقلت: طوبى لك، صحبت النبي ﷺ وبايعته تحت الشجرة، فقال: يا ابن

(١) صحيح البخاري ٩٠:١ كتاب التيمّم، باب ٧، صحيح مسلم ١:١٩٣، كتاب التيمّم باب التيمّم سنن أبي داود ٨١:١، المصنّف لابن أبي شيبة ١:١٨٤، السنن للنسائي ١:٣٦٦، التمهيد ١٩:٢٧٢، إرواء الغليل ١:١٨٤.

(٢) مسند أحمد ٣:١٦٦، صحيح البخاري ١٠٥:٥ باب غزوة الطائف، صحيح مسلم ٣:١٠٥، باب ذكر الخوارج وصفاتهم، السنن الكبرى ٥:٨٩، مسند أبي يعلى ٦:٢٨٣، صحيح ابن حبان ١٦:٢٦٧، تاريخ الإسلام ٢:٦٠١.

أخي إنك لا تدري ما أحدثنا بعده<sup>(١)</sup>.

وإذا كان هذا الصحابي من السابقين الأولين الذين بايعوا النبي ﷺ تحت الشجرة، ورضي الله عنهم وعلم ما في قلوبهم فأثابهم فتحاً قريباً، يشهد على نفسه وعلى أصحابه بأنهم أحدثوا بعد النبي، وهذه الشهادة هي مصداق ما أخبر به ﷺ وتنبأ به من أن أصحابه سيحدثون بعده ويرتدون على أدبارهم، فهل يمكن لعاقل بعد هذا أن يصدّق بعدالة الصحابة كلّهم أجمعين - أكتعين أبصعين - على ما يقول به أهل السنّة والجماعة؟

والذي يقول هذا القول، فإنّه يخالف العقل والنقل، ولا يبقى للباحث أيّ مقاييس فكرية يعتمدها للوصول إلى الحقيقة.

#### ٤- شهادة الشيخين على نفسيهما :

أخرج البخاري في صحيحه في باب مناقب عمر بن الخطّاب، قال: لما طعن عمر جعل يألّم، فقال له ابن عبّاس وكأنّه يجزعه: يا أمير المؤمنين ولئن كان ذاك لقد صحبت رسول الله فأحسنت صحبتته، ثمّ فارقتّه وهو عنك راض، ثمّ صحبت أبا بكر فأحسنت صحبتته، ثمّ فارقتّه وهو عنك راض، ثمّ صحبت صحبتهم فأحسنت صحبتهم، ولئن فارقتهم لتفارقنهم وهم عنك راضون.

قال: أما ما ذكرت من صحبة رسول الله ورضاه فإنّما ذاك من منّ الله تعالى منّ به عليّ، وأما ما ذكرت من صحبة أبي بكر ورضاه، فإنّما ذاك من منّ الله جلّ ذكره منّ به عليّ، وأما ما ترى من جزعي فهو من أجلك وأجل أصحابك، والله لو

(١) صحيح البخاري ٥: ٥٦ باب غزوة الحديبية، وفي الإصابة ٣: ٦٧، وتاريخ

دمشق ٢٠: ٣٩١، عن أبي سعيد الخدري.

أن لي طلاع الأرض ذهباً لافتديت به من عذاب الله عز وجل قبل أن أراه<sup>(١)</sup>.  
وقد سجّل التاريخ له أيضاً قوله: «ليتني كنت كبش أهلي يسمّونني ما بدا  
لهم، حتى إذا كنت أسمن ما أكون زارهم بعض من يحبّون، فجعلوا بعضي سواء  
وقطّعوني قديداً، ثمّ أكلوني وأخرجوني عذرة، ولم أكن بشراً»<sup>(٢)</sup>.

كما سجّل التاريخ لأبي بكر مثل هذا، قال لما نظر أبو بكر إلى طائر على  
شجرة: «طوبى لك يا طائر تأكل الثمر، وتقع على الشجر، وما من حساب ولا  
عقاب عليك، لو ددت أني شجرة على جانب الطريق مرّ عليّ جمل فأكلني وأخرجني  
في بعره، ولم أكن من البشر»<sup>(٣)</sup>.

وقال مرة أخرى: «ليت أمي لم تلدني، ليتني كنت تينة في لبنة»<sup>(٤)</sup>.

---

(١) صحيح البخاري ٤: ٢٠١، كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، باب مناقب عمر بن  
الخطّاب، تعليق التعليق ٤: ٦٥ تاريخ المدينة ٣: ٩١٣.

(٢) حلية الأولياء ١: ٨٨ رقم ١٣٦ عنه كنز العمال ١٢: ٦١٩ ح ٣٥٩١٢، تاريخ دمشق  
٣٠: ٣٣١، شعب الإيمان للبيهقي ١: ٤٨٥ ح ٧٨٧.

(٣) تاريخ دمشق ٣٠: ٣٣٠، كنز العمال ١٢: ٥٢٨، ح ٣٥٦٩٩، المصنّف لابن أبي  
شيبه ٨: ١٤٤ ح ٢، شعب الإيمان للبيهقي ١: ٤٨٥ ح ٧٨٧.

(٤) الطبقات الكبرى لابن سعد ٣: ٣٦٠، شعب الإيمان للبيهقي ١: ٤٨٦ ح ٧٨٩، كنز  
العمال ١٢: ٦١٩ ح ٣٥٩١٤، عن عمر بن الخطّاب، وورد عن أبي بكر - أيضاً - قوله:  
«طوبى لك يا طائر! تأكل الثمر وتقع على الشجر لو ددت أني ثمرة ينقرها الطائر»  
كنز العمال ١٢: ٥٢٨ ح ٣٥٦٩٨ وقال: «ابن المبارك ما هي» وعند قوله: «وددت  
إنّي شعرة في جنب عبد مؤمن» المصدر السابق ح ٣٥٧٠٠ وقال: «حم في  
الزهد».

وعن معاذ بن جبل قال: «دخل أبو بكر حائطاً وإذا بدبسي في ظل شجرة، فتنقّس

تلك بعض النصوص أوردتها على نحو المثال لا الحصر.

وهذا كتاب الله يبشّر عباده المؤمنين بقوله: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ \* الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ \* لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾<sup>(١)</sup>، ويقول أيضاً: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ \* نَحْنُ أَوْلِيَائُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ \* نُزِّلَا مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ﴾<sup>(٢)</sup> صدق الله العلي العظيم.

فكيف يتمنى الشيخان أبو بكر وعمر أن لا يكونا من البشر الذي كرمه الله على سائر مخلوقاته؟!

وإذا كان المؤمن العادي الذي يستقيم في حياته تتنزل عليه الملائكة وتبشّره بمقامه في الجنة، فلا يخاف من عذاب الله ولا يحزن على ما خلف وراءه في الدنيا، وله البشري في الحياة الدنيا قبل أن يصل إلى الآخرة، فما بال عظماء الصحابة الذين هم خير الخلق بعد رسول الله - كما تعلمنا ذلك - يتمنون أن يكونوا عذرة، وبعرة، وشعرة، وتبنة؟!

➤ الصعداء ثم قال: طوبى لك يا طير تأكل من الشجر! وتستظل بالشجر، وتصير إلى غير حساب، ياليت أبا بكر مثلك» كنز العمال ١٢: ٥٢٩ ح ٣٥٧٠١ وقال: «أبو أحمد، الحاكم».

وعن قتادة قال: «بلغني أن أبا بكر قال: وددت أنني خضرة تأكلني الدواب» طبقات ابن سعد ٣: ١٩٨.

(١) سورة يونس: ٦٢ - ٦٤.

(٢) سورة فصلت: ٣٠ - ٣٢.

ولو أن الملائكة بشرتهم بالجنة ما كانوا ليتمنوا أن لهم مثل طلاع الأرض  
ذهباً ليفتدوا به من عذاب الله قبل لقاءه.

قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي الْأَرْضِ لَافْتَدَتْ بِهِ وَأَسْرُوا  
النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾<sup>(١)</sup>.

وقال - أيضاً - : ﴿وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً وَمِثْلَهُ مَعَهُ  
لَافْتَدَوْا بِهِ مِنْ سُوءِ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَبَدَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ \*  
وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾<sup>(٢)</sup>.

وإنني أتمنى من كل قلبي أن لا تشمل هذه الآيات صحابة كباراً أمثال أبي بكر  
الصديق وعمر الفاروق.

بيد أنني أتوقف كثيراً عند مثل هذه النصوص؛ لأطلع على مقاطع مثيرة من  
علاقتهم مع الرسول ﷺ، وما شهدتها تلك العلاقة من تخلف عن إجراء أوامره،  
وتلبية طلبه في اللحظات الأخيرة من عمره المبارك الشريف، ممّا أغضبه ودفعه إلى  
أن يأمر الجميع بمغادرة المنزل وتركه.

كما أنني أستحضر أمامي شريط الحوادث التي جرت بعد وفاة الرسول، وما  
جرى مع ابنته الزهراء الطاهرة عليها السلام من إيذاء وهضم وغمط، وقد قال عليها السلام: « فاطمة  
بضعة مني فمن أغضبها أغضبني »<sup>(٣)</sup>.

(١) سورة يونس: ٥٤.

(٢) سورة الزمر: ٤٧ - ٤٨.

(٣) صحيح البخاري ٤: ٢١٠، كتاب فضائل الصحابة باب مناقب قرابة رسول  
الله ﷺ، فضائل الصحابة: ٧٨، المصنّف لابن أبي شيبة ٧: ٥٢٦، الأحاد والمثاني  
٥: ٣٦١ خصائص أمير المؤمنين للنسائي: ١٢١، المعجم الكبير ٢٢: ٤٠٤.

وقالت فاطمة لأبي بكر وعمر: « نشدتكما الله تعالى ألم تسمعا رسول الله ﷺ يقول: رضا فاطمة من رضي، وسخط فاطمة من سخطي، فمن أحب ابنتي فاطمة فقد أحببني، ومن أَرْضَى فاطمة فقد أَرْضَانِي، ومن أسخط فاطمة فقد أسخطني؟

قالا: نعم سمعناه من رسول الله ﷺ، فقالت: فأني أشهد الله وملائكته أنكما أسخطتماني وما أرضيتماني، ولئن لقيت النبي لأشكونكما إليه»<sup>(١)</sup>.

ودعنا من هذه الرواية التي تدمى القلوب، فلعل ابن قتيبة وهو من علماء أهل السنة المبرزين في كثير من الفنون، وله تأليف عديدة في التفسير والحديث واللغة والنحو والتاريخ، لعله تشييع هو الآخر كما قال لي أحد المعاندين مرة عندما أطلعت على كتابه تاريخ الخلفاء، وهذه هي الدعاية التي يلجأ إليها بعض علمائنا بعدما تعيهم الحيلة.

فالطبري عندنا تشييع، والنسائي الذي ألف كتاباً في خصائص الإمام علي تشييع، وابن قتيبة تشييع، وحتى طه حسين من المعاصرين لما ألف كتابه الفتنة الكبرى، وذكر حديث الغدير واعترف بكثير من الحقائق الأخرى فهو أيضاً تشييع!!

والحقيقة إن كل هؤلاء لم يتشيّعوا وعندما يتكلمون عن الشيعة لا يذكرون عنهم إلا ما هو مشين، وهم يدافعون عن عدالة الصحابة بكل ما أمكنهم، ولكن

---

(١) الإمامة والسياسة لابن قتيبة ١: ٣١، وفضل آل البيت للمقرئزي: ٦٦. وهذه الأحاديث تصرّح بأنها **كذب** بضعة النبي ﷺ وبما أنّ النبي لا يغضب إلا بحق فهي أيضاً لا تغضب إلا بحق، وبما أنّها بضعتة صار إغضابها إغضاباً للنبي ﷺ.



الذي يذكر فضائل علي بن أبي طالب، ويعترف بما فعله كبار الصحابة من أخطاء  
نتهمه بأنه تشييع؟!!

ويكفي أن تقول أمام أحدهم عند ذكر النبي: صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أَوْ تَقُولُ:  
علي عليه السلام، فيقال: إنك شيعي.

وعلى هذا الأساس قلت يوماً لأحد علمائنا وأنا أحاوره: ما رأيك في  
البخاري؟

قال: هو من أئمة الحديث، وكتابه أصح الكتب بعد كتاب الله عندنا، وقد أجمع  
على ذلك علماؤنا.

فقلت له: إنه شيعي.

فضحك مستهزئاً وقال: حاشى الإمام البخاري أن يكون شيعياً!!

قلت: أو ليس إنك ذكرت بأن كل من يقول: علي عليه السلام فهو شيعي؟

قال: بلى.

فأطلعته ومن حضر معه على صحيح البخاري، وفي عدة مواقع عندما يأتي  
باسم علي يقول عليه السلام<sup>(١)</sup>؛ وفاطمة عليها السلام<sup>(٢)</sup>، والحسين بن علي عليهما السلام<sup>(٣)</sup>، فبهت وما درى ما  
يقول.

وأعود إلى رواية ابن قتيبة التي ادعى فيها أن فاطمة غضبت على أبي بكر  
وعمر، فإذا شككت فيها فإنه لا يمكنني أن أشك في صحيح البخاري الذي هو عندنا  
أصح الكتب بعد كتاب الله، وقد ألزمتنا أنفسنا بأنه صحيح، وللشيعية أن يحتجوا به

(١) صحيح البخاري ٦: ٤٨، كتاب التفسير، سورة الذاريات.

(٢) صحيح البخاري ٣: ٢٢٩، كتاب المغازي باب غزوة خيبر في مطالبة فاطمة عليها السلام

إرث النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

(٣) صحيح البخاري ٦: ١٢٤، كتاب النكاح.

علينا ويلزمونا بما ألزمتنا به أنفسنا، وهذا هو الإنصاف للقوم العاقلين.

فها هو البخاري يخرج من باب مناقب قرابة رسول الله، أن رسول الله ﷺ قال: «فاطمة بضعة مني فمن أغضبها أغضبني» (١).

كما أخرج في باب غزوة خيبر، عن عائشة أن فاطمة بنت النبي أرسلت إلى أبي بكر تسأله ميراثها من رسول الله، فأبى أبو بكر أن يدفع إلى فاطمة منه شيئاً، فوجدت فاطمة على أبي بكر في ذلك، فهجرت فلم تكلمه حتى توفيت (٢).

والنتيجة في النهاية هي واحدة ذكرها البخاري باختصار، وذكرها ابن قتيبة بشيء من التفصيل، ألا وهي أن رسول الله ﷺ يغضب لغضب فاطمة ويرضى لرضاها، وأن فاطمة ماتت وهي غاضبة على أبي بكر وعمر.

وإذا كان البخاري قد قال: «ماتت وهي واجدة على أبي بكر فلم تكلمه حتى توفيت» فالمعنى واحد كما لا يخفى، وإذا كانت فاطمة سيّدة نساء العالمين، كما صرح بذلك البخاري في كتاب الاستئذان باب من ناجى بين يدي الناس، وإذا كانت فاطمة هي المرأة الوحيدة في هذه الأمة، التي أذهب الله عنها الرجس وطهرها تطهيراً، فلا يكون غضبها لغير الحق، ولذلك يغضب الله ورسوله لغضبها.

ولهذا قال أبو بكر: أنا عائد بالله تعالى من سخطه وسخطك يا فاطمة، ثم انتحب أبو بكر باكياً حتى كادت نفسه أن تزهق، وهي تقول: والله لأدعون الله عليك في كل صلاة أصليها، فخرج أبو بكر يبكي ويقول: لا حاجة لي في بيعتكم،

(١) صحيح البخاري ٤: ٢١٠، كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، باب مناقب قرابة رسول الله ﷺ.

(٢) صحيح البخاري ٥: ٨٢، كتاب المغازي، باب غزوة خيبر، صحيح مسلم ٥: ١٥٤، كتاب الجهاد، باب قول النبي ﷺ: لا نورث، السنن الكبرى ٦: ٣٠٠، صحيح ابن حبان ١١: ١٥٣.

أقبلوني بيعتي<sup>(١)</sup>.

غير أن كثيراً من المؤرخين ومن علمائنا يعترفون بأن فاطمة عليها السلام خاصمت أبا بكر في قضية النحلة والإرث وسهم ذي القربى، فرددت دعواها حتى ماتت وهي غاضبة عليه، إلا أنهم يمرّون بهذه الأحداث مرور الكرام، ولا يريدون التكلم فيها حفاظاً على كرامة أبي بكر، كما هي عادتهم في كل ما يمسه من قريب أو بعيد.

ومن أعجب ما قرأته في هذا الموضوع، قول بعضهم - بعد ما ذكر الحادثة بشيء من التفصيل - : « حاشى لفاطمة من أن تدّعي ما ليس لها بحق، وحاشى لأبي بكر من أن يمنعها حقّها ».

وبهذه السفسطة ظنّ هذا العالم أنّه حلّ المشكلة، وأفنع الباحثين، وكلامه هذا كقول القائل : « حاشى للقرآن الكريم أن يقول غير الحقّ، وحاشى لبني إسرائيل أن يعبدوا العجل ».

لقد ابتلينا بعلماء يقولون ما لا يفقهون، ويؤمنون بالشيء ونقيضه في نفس الوقت، والحال يقتضي أنّ فاطمة ادّعت وأبا بكر رفض دعواها، فأما أن تكون كاذبة - والعياذ بالله حاشاها - أو أن يكون أبو بكر ظالماً لها، وليس هناك حلاً ثالثاً للقضية، كما يريد بها بعض علمائنا.

وإذا امتنع بالأدلة العقلية والنقلية أن تكون سيدة النساء كاذبة، لما ثبت عن أبيها رسول الله قوله : « فاطمة بضعة مني من آذاها فقد آذاني »، ومن البديهي أنّ الذي يكذب لا يستحق مثل هذا النصّ من قبل الرسول صلى الله عليه وآله، فالحديث بذاته دالٌّ على عصمتها من الكذب وغيره من الفواحش، كما أنّ آية التطهير دالة هي

---

(١) تاريخ الخلفاء المعروف بالإمامة والسياسة لابن قتيبة الدينوري ١: ٣١.

الأخرى على عصمتها، وقد نزلت فيها وفي بعلمها وابنيها بشهادة عائشة نفسها<sup>(١)</sup>،

(١) روى حديث الكساء ونزول آية التطهير في الخمسة أصحاب الكساء خمسة عشر صحابياً، ويوجد نص الحديث باختلاف ألفاظه في: صحيح مسلم ٧: ١٢١، ١٣٠، مسند أحمد ٦: ٢٩٢، ٣٢٣، سنن الترمذي ٥: ٦٢١، ٦٥٦، كتاب المناقب، جامع الأصول ١٠: ١٠٠، الخصائص للنسائي: ٨١، المستدرک للحاكم ٢: ٤١٦ كتاب التفسير.

وهذه الأحاديث توضّح وتشرح لنا معنى الآية الكريمة واختصاصها بالخمسة أصحاب الكساء ﷺ كما اعترف بذلك الطحاوي في مشكل الآثار ١: ٣٣٢ - ٣٣٩. وتدل هذه النصوص أيضاً على نزول آية التطهير لوحدها غير منضمة إلى غيرها، ولم يرد حتى في رواية واحدة نزولها ضمن آيات نساء النبي ﷺ، ولا ذكره أحد، فهي لم تكن بحسب النزول جزء من آيات نساء النبي ﷺ ولا متصلة بها وإنما وضعت بينها أمّا بأمر من النبي ﷺ أو عند التأليف بعد الرحلة. (انظر: تفسير الميزان ١٦: ٣١١).

والإرادة هنا تكوينية من قبيل قوله تعالى: «إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ» وليست تشريعية، لأنّ تشريعية تتنافى مع نص الآية بالحصص بقوله «إِنَّمَا» وتتنافى مع الأحاديث، إذ إنّ النبي ﷺ طبق الآية عليهم دون غيرهم. قال ابن حجر في الصواعق ٢: ٤٢٤ «وأشار المحبّ الطبري إلى أنّ هذا الفعل تكرر منه ﷺ في بيت أم سلمة وبيت فاطمة وغيرهما، وبه جُمع بين اختلاف الروايات...».

وقال أيضاً في الصواعق ٢: ٤٢٧ باب الآيات الواردة فيهم: «ثم أكدّ ﷺ ذلك كله بتكرير طلب ما في الآية لهم بقوله: «اللهم هؤلاء أهل بيتي» إلى آخر ما مرّ، وبإدخاله نفسه معهم في العِدّة لتعود عليهم بركة اندراجهم في سلكه، بل في رواية أنّه اندرج معهم جبريل وميكائيل إشارة إلى علوّ قدرهم، وأكّده أيضاً بطلب الصلاة عليهم بقوله: «فاجعل صلاتك...» إلى آخر ما مرّ، وأكّده أيضاً

فلم يبق إذن إلا أن يعترف العقلاء بأنها ظلمت فليس تكذيبها في دعواها إلا أمراً ميسوراً لمن استباح حرقها إن لم يخرج المتخلفون في بيتها لبيعتهم<sup>(١)</sup>.

ولكل هذا تراها - سلام الله عليها - لم تأذن لهما في الدخول عليها عندما استأذنها أبو بكر وعمر، ولما أدخلهما علي أدارت بوجهها إلى الحائط وما رضيت أن تنظر إليهما<sup>(٢)</sup>.

وقد توفيت ودفنت في الليل سراً بوصية منها حتى لا يحضر جنازتها أحد منهم<sup>(٣)</sup>، وبقي قبر بنت الرسول مجهولاً حتى يوم الناس، هذا وإني أتساءل لماذا يسكت علماءنا عن هذه الحقائق، ولا يريدون البحث فيها ولا حتى ذكرها، ويصورون لنا صحابة رسول الله ﷺ وكأنهم ملائكة لا يذنبون، وإذا ما سألت أحدهم كيف يقتل خليفة المسلمين سيدنا عثمان ذو النورين، فسيجيبك بأن المصريين - وهم كفرة - جاؤوا وقتلوه، وينهي الموضوع كله بجملتين.

ولكن عندما وجدت الفرصة للبحث وقراءة التاريخ، وجدت أن قتلة عثمان بالدرجة الأولى هم الصحابة أنفسهم، وفي مقدمتهم أم المؤمنين عائشة التي كانت

☞ بقوله: «أنا حرب لمن حاربهم» إلى آخر ما مرّ أيضاً...».

أقول: ومما يدل على عظيم شرفهم ما في بعض ألفاظ الحديث من أن الآية نزلت عقب دعاء النبي ﷺ لهم بالطهارة وإذهاب الرجس، ولعله الأصح.

(١) الإمامة والسياسة لابن قتيبة ١: ٢٠.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) صحيح البخاري ٥: ٨٣ كتاب المغازي، باب غزوة خيبر، صحيح مسلم ٥: ١٥٤،

كتاب الجهاد والسير، صحيح ابن حبان ١٤: ٥٧٣، وفيه: «فوجدت فاطمة على أبي بكر في ذلك فهجرته فلم تكلمه حتى توفيت... فلما توفيت دفنها زوجها علي ليلاً،

ولم يؤذن بها أبا بكر وصلى عليها...».

تنادي بقتله وإباحة دمه على رؤوس الأشهاد، فكانت تقول: «اقتلوا نعتلاً فقد كفر»<sup>(١)</sup>.

(١) النعتل: الشيخ الأحمق، والنعتلة: أن يمشي الرجل مفاجئاً ويقلب قدميه، كأنه يغرق بهما وهو من التبخر.

ونعتل: رجل من أهل مصر كان طويل اللحية، قيل: إنّه كان يشبه عثمان، وشاتمو عثمان يسمونه نعتلاً تشبيهاً بالرجل المصري، وفي حديث عائشة: «اقتلوا نعتلاً، قتل الله نعتلاً» تعني عثمان، وكان هذا منها لما غاضبته وذهبت إلى مكة. لسان العرب ١١: ٦٦٩ مادة نعتل.

يروى الطبري في تاريخه ٣: ٣٩٩ عن عثمان بن الشريد قال: مرّ عثمان على جبلة ابن عمرو الساعدي وهو بفناء داره ومعه جامعة، فقال: يا نعتل والله لاقتلنك ولاحملنك على قلوب جرباء ولأخرجتك إلى حرة النار، ثمّ جاءه مرّة أخرى وعثمان على المنبر فأنزله عنه.

ويروي أيضاً ٣: ٤٢٣ عن عبد الرحمن بن محمّد: إنّ محمّد بن أبي بكر تسوّر على عثمان من دار عمرو بن حزم ومعه كنانة بن بشر بن عتاب وسودان بن حمران وعمرو بن الحمق، فوجدوا عثمان عند امرأته نائلة وهو يقرأ في المصحف، فتقدّمهم محمّد بن أبي بكر فأخذ بلحية عثمان، فقال: قد أخزك الله يا نعتل، فقال عثمان: لست بنعتل، ولكني عبد الله وأمير المؤمنين، قال محمّد: ما أغنى عنك معاوية وفلان وفلان. فقال عثمان: يابن أخي، دع عنك محبّتي فما كان أبوك ليقبض على ما قبضت عليه، فقال محمّد: لو رآك أبي تعمل هذه الاعمال أنكرها عليك.

وقال الذهبي في السير في ترجمة الخلفاء، ترجمة عثمان بن عفّان ١٩٦: «روى بشر ابن شغاف، عن عبد الله بن سلام، قال: بينما عثمان يخطب، فقام رجل فنال منه، فودأته فأتدأ، فقال رجل: لا يمنعك مكان ابن سلام أن تسب نعتلاً، فإتّه من شيعته!

❖ فقلت له: لقد قلت القول العظيم في الخليفة من بعد نوح.

وذاته: زجرته وقمعته.

وقالوا: لعثمان: «نعتلاً» تشبيهاً له برجل مصري اسمه نعتل كان طويل اللحية.

والنعتل: الذكر من الضباع، وكان عمر يشبه بنوح في الشدة»

وكانت عائشة من خصوم عثمان، لكنها ما إن سمعت بمقتله وتولية علي بن أبي

طالب عليه السلام الخلافة قامت بالنوح على عثمان والطلب بدمه، قال ابن الأثير:

«وخرجت عائشة من مكة تريد المدينة بعدما خرجت منها لحاجة، فلما كانت

بسرف لقيها رجل من أحوالها من بني ليث يقال له عبيد بن أبي سلمة، وهو ابن

أم كلاب، فقالت له: مهيم؟

قال: قتل عثمان وبقوا ثمانياً.

قالت: ثم صنعوا ماذا؟

قال: اجتمعوا على بيعة علي فقالت: ليت هذه انطبقت على هذه إن تم الأمر لصاحبك!

ردوني ردوني! فانصرفت إلى مكة وهي تقول: قتل والله عثمان مظلوماً والله

لاطلبن بدمه!

فقال لها: ولم؟ والله إن أول من أمال حرفه لأنت، ولقد كنت تقولين: اقتلوا نعتلاً فقد

كفر. قالت: إنهم استتابوه ثم قتلوه، وقد قلت وقالوا، وقولي الأخير خير من قولي

الأول

فقال لها ابن أم كلاب:

ومنك الرياح ومنك المطر

وقلت لنا إنه قد كفر

وقاتله عندنا من أمر

ولم تنكسف شمسنا والقمر

يزيل الشبه ويقيم الصعر

❖

فمنك البداء ومنك الغير

وأنت أمرت بقتل الإمام

فهبنا أطعناك في قتله

ولم يسقط السقف من فوقنا

وقد بايع الناس ذا مرة

❦ ويلبس للحراب أثوابها وما من وفي مثل من قد غدر

فانصرفت إلى مكة فقصدت الحجر فسترت فيه، فاجتمع الناس حولها، فقالت: أيها الناس، إن الغوغاء من أهل الأمصار وأهل المياه، وعبيد أهل المدينة، اجتمعوا على هذا الرجل المقتول ظلماً بالأمس ونقموا عليه استعمال من حدث سنّه، وقد استعمل أمثالهم من قبله، ومواضع من الحمى حماها لهم فتابعهم ونزع لهم عنها، فلما لم يجدوا حجة ولا عذراً بادروا بالعدوان فسفكوا الدم الحرام، واستحلوا البلد الحرام، والشهر الحرام وأخذوا المال الحرام، والله لإصبع من عثمان خير من طباق الأرض أمثالهم ووالله لو أن الذي اعتدوا به عليه كان ذنباً لمخلص منه كما يخلص الذهب من خبثه والثوب من درنه إذ ماصوه كما يماص الثوب بالماء، أي يغسل» الكامل في التاريخ ٣: ٢٠٦، تاريخ الطبري ٣: ٤٧٦.

وقال ابن قتيبة: «إن عائشة لما أتتها ببيع لعلي عليه السلام، وكانت خارجة من المدينة فقيل لها: قتل عثمان، وبياع الناس علياً فقالت: ما كنت أبالي أن تقع السماء على الأرض، قتل والله مظلوماً، وأنا طالبة بدمه، فقال لها عبيد: إن أول من طعن عليه وأطمع الناس فيه لأنت ولقد قلت: اقتلوا نعتلاً فقد فجر.

فقالت عائشة: قد والله قلت وقال الناس، وآخر قولي خير من أوله فقال عبيد: عذري والله ضعيف يا أم المؤمنين» الإمامة والسياسة ٧١.

وقال ابن أبي الحديد: «قال كل من صنف في السير والأخبار: إن عائشة كانت من أشد الناس على عثمان، حتى إنّها أخرجت ثوباً من ثياب رسول الله ﷺ، فنصبته في منزلها، وكانت تقول للداخلين إليها: هذا ثوب رسول الله ﷺ لم يبيل، وعثمان قد أبلى سنّته.

قالوا: أول من سمى عثمان نعتلاً عائشة، والنعتل: الكثير شعر اللحية والجسد.

وكانت تقول: اقتلوا نعتلاً، قتل الله نعتلاً!

وروى المدائني في كتاب الجمل قال: لما قتل عثمان كانت عائشة بمكة، وبلغ قتله



كذلك نجد طلحة والزبير ومحمد بن أبي بكر وغيرهم من مشاهير الصحابة والتابعين، وقد حاصروه ومنعوه من شرب الماء ليجبروه على الاستقالة، ويحدثنا المؤرخون أن الصحابة هم الذين منعوا دفن جثته في مقابر المسلمين، فدفن في (حش كوكب) بدون غسل ولا كفن<sup>(١)</sup>.

☞ إليها وهي بشراف، فلم تشك في أنّ طلحة هو صاحب الأمر وقالت: بعداً لنعتل وسحقاً! إيه ذا الأصبع! إيه أبا شبل! إيه يابن عم! لكأني أنظر إلى إصبعه وهو يبايع له: حثوا الإبل ودعدعوها.

قال: وقد كان طلحة حين قتل عثمان أخذ مفاتيح بيت المال، وأخذ نجائب كانت لعثمان في داره، ثمّ فسد أمره، فدفعها إلى علي بن أبي طالب عليه السلام شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٦: ٢١٥.

فكانت عائشة من ألدّ الخصوم لعثمان بن عفّان، وهي التي أطلقت عليه كلمة نعتل، لكنّه لما قتل وبويع علي بن أبي طالب عليه السلام طالبت بدم عثمان، بغضاً لعلي بن أبي طالب وطعناً في إمارته التي لا ترضاها عائشة.

ومن أراد الإطلاع على قول عائشة بألفاظه المختلفة من قبيل: «فقد كفر، فقد فجر، لعن الله نعتلاً، قتل الله نعتلاً» فليرجع إلى كلّ من تاريخ الطبري ٤: ٤٠٧، الكامل لابن الأثير ٣: ٢٠٦، في وقعة الجمل، الفتوح لابن أعمش ٢: ٢٤٩، شرح النهج لابن أبي الحديد ٢٠: ١٧، النهاية لابن الأثير ٥: ٨٠، الإمامة والسياسة لابن قتيبة ١: ٥١، العقد الفريد ٤: ٢٩٠، تذكرة الخواص: ٦١ - ٦٤، لسان العرب ١٤: ١٩٣.

(١) من يراجع المصادر التاريخية يلحظ بوضوح أنّ الصحابة هم الذين ثاروا على الخليفة عثمان بن عفّان وألبوا الناس ضده، ومن بعد ذلك قتلوه.

ويلحظ وجود شخصيات كبيرة وبارزة شاركت في ذلك أمثال: عمّار بن ياسر (البداية والنهاية ٧: ١٢٢)، وطلحة بن عبيد (سير أعلام النبلاء ١: ٣٥)، وعمرو بن الحمق الخزاعي (الإصابة ٤: ٥١٤)، وعمرو بن بديل بن ورقاء (الإصابة ٤: ٤٩٩)،

👉 وجبلة بن عمرو الساعدي (الإصابة ١: ٥٦٦)، بل بعضهم ممن بايع بيعة  
الرضوان كالجهاه الغفاري (الإصابة ١: ٦٢٢)، وعبد الرحمن بن عديس البلوي  
(الإصابة ٤: ٢٨١).

فلا مجال لإنكار هذه البديهة التاريخية وإلا لم يبق للحقيقة مجال، وشاء لكل  
شخص أن يقول ما يشاء.

ونورد هنا باختصار حادثة مقتل عثمان والثورة عليه.

إذا رجعنا إلى التاريخ نجد أنّ الخليفة عثمان يشهد على الصحابة بأنهم المحرّضين  
ضدّه، فلذلك يدعو عليهم بالشرّ، قال الذهبي في السير في ترجمة عثمان بن  
عقّان ٣: ١٨٤: «لما نزل أهل مصر الجحفة، وأتوا يعاتبون عثمان، صعد عثمان  
المنبر فقال: جزاكم الله يا أصحاب محمد عنّي شرّاً، أنعمتم السيئة وكنتم  
الحسنة، وأغرّيتم بي سفهاء الناس؟! أيكم يذهب إلى هؤلاء القوم فيسألهم ما  
نقموا وما يريدون؟ قال ذلك ثلاثاً ولا يجيبه أحد... فقام علي فقال: أنا.. فأتاهم  
فرحبوا به، فقال: ما الذي نقمتم عليه؟»

قالوا: نقمنا عليه أنّه محا كتاب الله، وحمى الحمى، واستعمل اقرباءه، وأعطى مروان  
مائة الف، وتناول أصحاب رسول الله ﷺ.

وقال في المصدر السابق ٢٠٠: «وقال الزبير بن بكار: حدثني محمد بن الحسن،  
قال: لما كثر الطعن على عثمان تنحى عليّ إلى ماله بينبع، فكتب إليه عثمان: أمّا  
بعد؛ فقد بلغ الحزام الطّبيين وخلف السبيل الزبيّ، وبلغ الأمر فوق قدره، وطمع  
في الأمر من لا يدفع عن نفسه:

فان كنت مأكولاً فكن خير آكلٍ وإلا فادركني ولمّا أمزق

الطبي: موضع الثدي من الخيل.»

وفي موضع آخر يشهد عثمان على أهل المدينة عامة بالكفر وفيهم صحابة رسول  
الله ﷺ، يقول الطبري في تاريخه ٤: ٣٦٨: «فلما رأى عثمان ما قد نزل به، وما

☞ قد انبعث عليه من الناس، كتب إلى معاوية بن أبي سفيان بالشام:

بسم الله الرحمن الرحيم

أما بعد؛ فإنَّ أهل المدينة قد كفروا! واخلفوا الطاعة! ونكثوا البيعة؛ فابعث إليَّ من قبلك من مقاتلة أهل الشام على كلِّ صعب وذلول.

فلما جاء معاوية الكتاب تربصَّ به، وكره إظهار مخالفة أصحاب رسول الله ﷺ، وقد علم اجتماعهم، فلما أبطأ أمره على عثمان كتب إلى يزيد بن أسد بن كرز والي أهل الشام يستنفرهم ويعظم حقَّه عليهم، ويذكر الخلفاء وما أمر الله عزَّ وجلَّ به من طاعتهم».

فهذه الكلمات من لسان عثمان بن عفَّان، وهو يشهد بأنَّ الصحابة هم الذين ثاروا ضده وألبوا الناس عليه، فلذلك تارة يدعو عليهم بالشرِّ، وأُخرى ينعتهم بالكفر؟! وأما الروايات التي رواها الصحابة وهي تدلُّ على أنَّ الصحابة أنفسهم هم الذين قاموا على عثمان بن عفَّان حتَّى قتلوه فهي ما أخرج الطبري في تاريخه ٤: ٤٠١: «... عن عبد الرحمن بن يسار أنَّه قال: لَمَّا رأى الناس ما صنع عثمان كتب من المدينة من أصحاب النبي ﷺ إلى من بالآفاق منهم - وكانوا قد تفرَّقوا في الثغور: إنَّكم إنَّما خرجتم أن تجاهدوا في سبيل الله عزَّ وجلَّ، تطلبون دين محمد ﷺ، فإنَّ دين محمد قد أُفسد من خلفكم وترك، فهلموا فأقيموا دين محمد ﷺ، فأقبلوا من كان أفق حتَّى قتلوه».

وفي المصدر السابق ٣٦٩: «... وكتب أهل المدينة إلى عثمان يدعونه إلى التوبة، ويحتجُّون ويقسمون له بالله لا يمسون عنه أبداً حتَّى يقتلوه، أو يعطيهم ما يلزمهم من حقِّ الله.

فلما خاف القتل شاور نصحاءه وأهل بيته، فقال لهم: قد صنع القوم ما رأيتم فما المخرج؟ فاشاروا عليه أن يرسل إلى علي بن أبي طالب فيطلب إليه أن يردهم عنه».

❦ وقال الذهبي في السير في ترجمة عثمان ٣: ٢٠٧: «عن الزهري قلت لسعيد ابن المسيب: هل أنت مخبري كيف كان قتل عثمان؟

قال: قتل مظلوماً، ومن خذله كان معذوراً، ومن قتله كان ظالماً، وإيّه لما استخلف كره ذلك نفر من الصحابة، لأنّه كان يحبّ قومه ويوليهم، فكان يكون منهم ما تنكره الصحابة فيستعتب فيهم، فلا يعزلهم، فلما كان في الست الحجيج الأواخر استأثر ببني عمّه فولاهم وما أشرك معهم، فولّى عبدالله بن أبي سرح مصر، فمكث عليها، فجاء أهل مصر يشكونه ويتظلمون منه.

وقد كان قبل ذلك من عثمان هنات إلى ابن مسعود وأبي ذر وعمّار فحنق عليه قومهم، فجاء المصريون يشكون ابن أبي سرح، فكتب إليه يتهدّده، فأبى أن يقبل، وضرب بعض من أتاه ممّن شكاه فقتله.

فخرج من أهل مصر سبعمائة رجل، فنزلوا المسجد، وشكوا إلى الصحابة ما صنع ابن أبي سرح بهم، فقام طلحة فكلّم عثمان بكلام شديد، وأرسلت إليه عائشة تقول له: أنصفهم من عاملك، ودخل عليه عليّ، وكان متكلم القوم فقال: إنّما يسألونك رجلاً مكان رجل، وقد ادّعوا قبله دماً، فاعزله، واقض بينهم! فقال: اختاروا رجلاً أوّله!

فأشار عليه بمحمّد بن أبي بكر، فكتب عهده، وخرج معهم عدد من المهاجرين والأنصار ينظرون فيما بين أهل مصر وابن أبي سرح، فلما كان محمّد على مسيرة ثلاث من المدينة إذا هم بغلام أسود على بعير مسرعاً، فسألوه، فقال: وجهتي أمير المؤمنين إلى عامل مصر!

فقالوا له: هذا عامل أهل مصر، وجاؤوا به إلى محمّد بن أبي بكر وفتشوه فوجدوا أدواته تتقلقل، فشقوها، فإذا فيها كتاب من عثمان إلى ابن أبي سرح، فجمع محمّد من عنده من الصحابة، ثمّ فكّ الكتاب، فاذا فيه: إذا أتاك محمّد وفلان وفلان فاستحل قتلهم، وأبطل كتابه، وأثبت على عملك! فلما قرؤوا الكتاب رجعوا إلى

المدينة، وجمعوا طلحة وعلياً والزبير وسعداً، وفضّوا الكتاب، فلم يبق أحد إلا حنق على عثمان، وزاد ذلك غضباً وحنقاً أعوان أبي ذر وابن مسعود وعمّار». وفي الكامل لابن الأثير ٣: ١٥٠: «.. تكاتب نفر من أصحاب رسول الله ﷺ وغيرهم بعضهم إلى بعض: إن أقدموا فإنّ الجهاد عندنا، وعظم الناس على عثمان ونالوا منه، وليس أحد من الصحابة ينهى ولا يذّب إلا نفر يسير». وهناك صحابة مشهورون كان لهم الدور الكبير في التحريض على عثمان بن عفّان نذكر عدداً منهم:

١ - عبد الرحمن بن عوف:

قال الطبري في التاريخ ٤: ٣٦٥: «.. قدمت إبل من إبل الصدقة على عثمان، فوهبها لبعض بني الحكم، فبلغ ذلك عبد الرحمن بن عوف، فأرسل إلى المسور بن مخرمة وإلى عبد الرحمن بن الأسود بن عبد يغوث فأخذها، فقسمها عبد الرحمن في الناس وعثمان في الدار».

٢ - عمرو بن العاص:

أخرج الطبري في تاريخه ٤: ٣٦٦: «عن أبي حبيبة قال: خطب عثمان الناس في أيامه، فقال عمرو بن العاص: يا أمير المؤمنين، إنك قد ركبت نهابير وركبنا معك، فتب نتب».

وفي تاريخ ابن عساكر ٥٥: ٢٦: «.. كتب عبد الله بن سعد إلى عثمان أنّ عمراً قد كسر عليّ الخراج، وكتب عمرو بن العاص إلى عثمان أنّ عبد الله بن سعد قد كسر عليّ مكيدة الحرب، فعزل عثمان عمرو بن العاص عن الجنّد والصلاة وولّى ذلك عبد الله بن سعد مع الخراج، فانصرف عمرو مغضباً فقدم المدينة، فجعل يطعن على عثمان ويعيبه، ودخل عليه يوماً وعليه جبّة له يمانية محشوّة بقطن، فقال له عثمان: ما حشوّ جبّتك هذه يا عمرو؟

قال: حشوّها عمرو قال عثمان: قد علمت أن حشوّها عمرو ولم أرد هذا يابن النابغة،

☞ ما أسرع قتل جربان جبّتك، وإنّما عهدك بالعمل عام أوّل تطعن عليّ وتأتيني  
بوجه وتذهب عني بآخر؟!  
فقال عمرو: إنّ كثيراً مما ينقل الناس إلى ولاتهم باطل!  
فقال عثمان: قد استعملتك على ضلّك..

فخرج عمرو من عند عثمان وهو محتقن عليه، فجعل يؤلّب عليه الناس ويحرّضهم،  
فلما حصر عثمان الحصر الأوّل خرج عمرو من المدينة حتّى انتهى إلى أرض له  
بفلسطين يقال لها السبع، فنزل في قصر يقال له العجلان، فلما أتاه قتل عثمان  
قال: أنا أبو عبد الله إذا أحكّ قرحة نكأتها، يعني: إنّي قتلتته بتحريض عليه وأنا  
بالسبع..».

وذكره الطبري في تاريخه ٤: ٣٥٦.

وأضاف: «قال: وخرج عمرو ودخل مروان، فقال: يا أمير المؤمنين، وقد بلغت مبلغاً  
يذكر عمرو بن العاص أباك! قال: فخرج عمرو من عند عثمان وهو محتقن عليه،  
يأتي عليّاً مرّة فيؤلّبه على عثمان، ويأتي الزبير مرّة فيؤلّبه على عثمان، ويأتي  
طلحة مرّة فيؤلّبه على عثمان، ويعترض الحاج فيخبرهم بما أحدث عثمان، فلما  
كان حصر عثمان الأوّل خرج من المدينة حتّى انتهى إلى أرض له بفلسطين يقال  
لها السبع، فنزل في قصر له يقال له العجلان وهو يقول: العجب ما يأتينا عن ابن  
عقّان؟!»

قال: فبينما هو جالس في قصره ذلك ومعه أبناءه محمّد وعبد الله وسلامة بن روح  
الجدامي، إذ مرّ بهم راكب، فناداه عمرو: من أين قدم الرجل؟  
فقال: من المدينة!

قال: ما فعل الرجل، يعني عثمان؟

قال: تركته محصوراً شديد الحصر.

قال عمرو: أنا أبو عبد الله، قد يضطر العير والمكواة في النار! فلم يبرح مجلسه ذلك

﴿ حَتَّى مَرَّ بِهِ رَاكِبٌ آخَرَ، فَنَادَاهُ عَمْرُو: مَا فَعَلَ الرَّجُلُ، يَعْنِي عُثْمَانَ؟

قال: قتل.

قال: أنا أبو عبد الله إذا حككت قرحة نكأتها، إن كنت لا حرضنَّ عليه، حَتَّى إِيَّيَ لَأَحْرَضَنَّ عَلَيْهِ الرَّاعِي فِي غَنَمِهِ فِي رَأْسِ الْجَبَلِ...».

وقال ابن عبد البر في الاستيعاب ٣: ٣٦٩: «... وكان محمّد بن أبي حذيفة أشدّ الناس تأليباً على عثمان، وكذلك كان عمرو بن العاص مذعزله عن مصر، يعمل حيلة في التأليب والطعن على عثمان...».

٣ - جبلة بن عمرو الساعدي:

قال الطبري في تاريخه ٤: ٣٦٥: «كان أوّل من اجترأ على عثمان بالمنطق السيِّء جبلة بن عمرو الساعدي، مرّ به عثمان وهو جالس في ندئ قوم، وفي يد جبلة ابن عمرو جامعة، فلمّا مرّ عثمان سلم، فرّد القوم، فقال جبلة: لم تردّون على رجلٍ فعل كذا وكذا؟!»

قال: ثمّ أقبل على عثمان فقال: والله لأطرحنّ هذه الجامعة في عنقك أو لتتركنّ بطانتك هذه!

قال عثمان: أيّ بطانة؟ فوالله إِيَّيَ لَأُتْخِرَ النَّاسَ!

فقال: مروان تخيرته! ومعاوية تخيرته! وعبد الله بن عامر بن كريز تخيرته! وعبد الله ابن سعد تخيرته! منهم من نزل القرآن بدمه، وأباح رسول الله ﷺ دمه»  
وقال ابن حجر في الإصابة ١: ٥٦٦ ت ١٠٨١: «جبلة بن عمرو بن أوس بن عامر.. الساعدي الانصاري.

قال ابن السكن: شهد أحداً..

قال: وروي ابن شبة في أخبار المدينة من طريق عبد الرحمن بن أزهر أنهم لمّا أرادوا دفن عثمان فانتهوا إلى البقيع فمنعهم من دفنه جبلة بن عمرو الساعدي، فانطلقوا إلى حش كوكب ومعهم معبد بن معمر فدفنوه به.»

## ④ - ٤ - جهجاه الغفاري:

قال ابن حجر في الإصابة ١: ٦٢ ت ١٢٤٧: «جهجاه بن سعيد وقيل: ابن قيس، وقيل: ابن مسعود، شهد بيعة الرضوان بالحديبية..»

وعاش جهجاه إلى خلافة عثمان، فروى البارودي من طريق الوليد بن مسلم، عن مالك وغيره، عن نافع، عن ابن عمر قال: قدم جهجاه الغفاري إلى عثمان وهو على المنبر، فأخذ عصاه فكسرها، فما حال على جهجاه الحول حتى، أرسل الله في يده الأكلة فمات منها.

ورواه ابن السكن من طريق سليمان بن بلال وعبد الله بن إدريس عن عبيد الله ابن عمر عن نافع بن عمر مثله.

ورواه من طريق فليح بن سليمان عن عمته وأبيها وعمها أنهما حضرا عثمان قال: فقام إليه جهجاه بن سعيد الغفاري حتى أخذ القضيب من يده، فوضعها على ركبته، فكسرها، فصاح به الناس، ونزل عثمان فدخل داره، ورمى الله الغفاري في ركبته، فلم يحل عليه الحول حتى مات» وراجع أيضاً إلى تاريخ دمشق ٣٩: ٣٢٩، وتاريخ الطبري ٤: ٣٦٧، وفتح الباري ٦: ١٤٨، المعارف لابن قتيبة: ص ٣٢٣. وفي تاريخ المدينة لابن شبة النميري ٣: ١١١١: «عن هشام بن عروة عن أبيه قال: خرج عثمان رضي الله عنه من داره يوم جمعه، عليه حلّة حبرة، ومعه فأس من مواليه قد صقّر لحيته، فدخل المسجد فجذب الناس ثيابه يميناً وشمالاً، وناداه بعضهم: يا نعثل، وكان حليماً حياً فلم يكلمهم حتى صعد المنبر فشتموه فسكت حتى سكتوا، ثم قال: أيّها الناس، اسمعوا واطيعوا، فإنّ السامع المطيع لا حجة عليه، والسامع العاصي لا حجة له!

فناداه بعضهم: أنت السامع العاصي. وقام جهجاه بن سعد الغفاري - وكان ممّن بايع تحت الشجرة - فقال: هلم إلى ما ندعوك إليه.

قال: وما هو؟



☞ قال: نملك على مشارف جرباء، ونلحقك بجبل الدخان. لست هناك لأأم لك. وتناول جهجاه عصا كانت في يد عثمان رضي الله عنه، وهي عصا رسول الله صلى الله عليه وسلم فكسرها على ركبته، ودخل عثمان داره، وصلى بالناس يوم الجمعة سهل بن حنيف، ووقعت في رجل جهجاه الأكلة».

٥ - عمّار بن ياسر:

قال ابن شبة النميري في تاريخ المدينة ٣: ١١٢٢: «.. دعا عثمان رضي الله عنه عمّار بن ياسر - رضي الله عنهما - فقال: يا أبا اليقظان، إنّ لك سابقة وقدماً، وقد عرفك الناس بذلك، وقد استمرح أهل مصر واستعلى أمرهم وبينهم علي، فأنا أحب أن أبعثك إليهم، فتعتبهم من كلّ ما عتبوا، وتضمن ذلك علي... فخرج عمّار إلى مصر وهو عاتب على عثمان رضي الله عنه، فألب الناس عليه، وأشعل أهل مصر على عثمان رضي الله عنه..».

وفي المصدر السابق: «..عن إبراهيم بن محمّد بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه قال: بعثني أبي إلى عمّار رضي الله عنه حين قدم من مصر وبلغه ما كان من أمره، فأتيته فقام وليس عليه رداء، وعليه قلنسوة من شعر معتمّ عليها بعمامة وسخة، وعليه جبّة فراء يمانيّة، فأقبل معي حتّى دخل على سعد، فقال: يا أبا اليقظان، إنّ كنت عندنا لمن أهل الفضل، وكنت فينا مرجّواً قبل هذا، فما الذي بلغني عنك من سعيك في فساد المسلمين، والتأليب على أمير المؤمنين؟ فأهوى عمار بعمامته فنزعها عن رأسه!

فقال: ويحك يا عمّار، أحين كبرت سنك، ونفذ عمرك، واقترب أجلك خلعت بيعة الإسلام من عنقك، وخرجت من الدين عرياناً؟! فقام عمّار مغضباً وهو يقول: أعوذ بالله من الفتنة! فقال سعد: (إلا في الفتنة سقطوا وإن جهنم لمحيطه بالكافرين)، إلا في الفتنة سقطت يا عمّار».

وقال ابن كثير في البداية والنهاية ٧: ١٢٢ وهو يروي حادثة مقتل عثمان وقدم

➤ المصريين عليه قال: «فلما اقتربوا من المدينة أمر عثمان علي بن أبي طالب أن يخرج إليهم ليردّهم إلى بلادهم قبل أن يدخلوا المدينة، ويقال بل ندب الناس إليهم جميعاً، فانتدب علي ذلك فبعثه، وخرج معه جماعة الأشراف وأمره أن يأخذ معه عمّار بن ياسر، فقال علي لعمار، فأبى عمّار أن يخرج معه، فبعث عثمان سعد بن أبي وقاص أن يذهب إلى عمّار ليحرّضه على الخروج مع علي إليهم، فأبى عمّار كلّ الإباء، وامتنع أشدّ الامتناع، وكان متعصباً على عثمان بسبب تأديبه له فيما تقدم على أمر وضربه إيّاه في ذلك، وذلك بسبب شتمه عبّاس بن عتبة بن أبي لهب، فأدّبهما عثمان، فتأمر عمّار عليه لذلك، وجعل يحرّض الناس عليه، فنهاه سعد بن أبي وقاص عن ذلك ولامه عليه، فلم يقع عنه ولم يرجع ولم ينزع».

وقال الذهبي في سير أعلام النبلاء ١: ٤١٦: «وقد كان عمّار ينكر على عثمان أموراً، لو كفّ عنها لأحسن، فرضي الله عنهما».

وفي السير أيضاً ١: ٤٣٥: «.. عن أبي الغادية، قال سمعت عمّاراً يقع في عثمان يشتمه، فتوعّده بالقتل..»، وأخرجه ابن سعد في الطبقات ٣: ٢٦٠، وتاريخ المدينة لابن شبة ٣: ١١٠٢، والإصابة ٧: ٢٥٩.

٦ - طلحة بن عبيد:

أخرج الحاكم في المستدرک ٣: ٣٧١: «عن علقمة بن وقاص قال: لما خرج طلحة والزبير وعائشة لطلب دم عثمان - رضي الله عنهم - عرضوا من معهم بذات عرق، فاستصغروا عروة بن الزبير وأبا بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام فردّوهم».

قال: ورأيتَه وأحبّ المجالس اليه أخلاها، وهو ضارب بلحيته على زوره!  
فقلت: يا أبا محمّد، إنّي أراك وأحبّ المجالس اليك أخلاها، وإن كنت تكره هذا الأمر فدعه ليس يكرهك عليه أحد!

❖ فقال: يا علقمة، لا تلمني، كئنا أمس يداً واحدة على من سوانا، فأصبحنا اليوم جبلين من حديد، يزحف أحدهما إلى صاحبه، ولكنه كان منّي في أمر عثمان ممّا لا أرى كفّارته إلا أن يسفك دمي في طلب دمه»

وأخرجه الذهبي في السير ١: ٣٥، والسند صحيح، والطبري في التاريخ ٣: ٤٩٢ وعلّق الذهبي على الرواية بعد ذكرها فقال: «قلت: كان منه في حقّ عثمان تمغفل وتأليب...».

وأخرج ابن سعد في الطبقات ٣: ٢٢٢، والذهبي في السير ١: ٣٥ عن طلحة قوله: «إنا داهنا في أمر عثمان، فلا نجد اليوم أمثل من أن ينزل دماءنا فيه، اللهم خذ لعثمان منّي اليوم حتّى ترضى».

وقال ابن حجر في الإصابة ٣: ٢٩٢ في ذكر قتل طلحة على يد مروان: «وأخرج يعقوب بن سفيان بسند صحيح عن قيس بن أبي حازم أنّ مروان بن الحكم رأى طلحة في الخيل فقال: هذا أعان على عثمان، فرماه بسهم في ركبتيه، فما زال يسيح حتّى مات».

وفي سير أعلام النبلاء ١: ٣٦ بعد ذكر الكلام السابق قال مروان لأبان: «قد كفيناك بعض قتلة أبيك».

وفي الكامل لابن الاثير ٣: ١٦٦: «ولم يعد علي يعمل ما كان يعمل إلى أن منع عثمان الماء، فقال علي لطلحة: أريد أن تدخل عليه الرواية، وغضب غضباً شديداً حتّى دخلت الرواية على عثمان».

٧ - عمرو بن الحمق الخزاعي:

قال ابن حجر في الإصابة ٤: ٥١٤: «عمرو بن الحمق..»

قال أبو عمر: سكن الشام، ثمّ كان يسكن الكوفة، ثمّ كان ممّن قام على عثمان مع أهلها، وشهد مع علي حروبه..»

وقال الذهبي في كتابه الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة ٢: ٧٥:

«عمرو بن الحمق الخزاعي صحابي.. قتل بالموصل سنة ٥١ بعثمان..»  
 وفي الطبقات الكبرى لابن سعد ٦: ٢٥: «عمرو بن الحمق بن الكاهن بن حبيب..  
 صحب النبي ﷺ، ونزل الكوفة، وشهد مع علي - رضي الله تعالى عنه - مشاهده،  
 وكان فيمن سار إلى عثمان، وأعان على قتله، ثم قتل عبد الرحمن بن أمّ الحكم  
 بالجزيرة».

وفي الطبقات الكبرى لابن سعد ٣: ٦٥: «عن جابر بن عبد الله: إنّ المصريين لما  
 أقبلوا من مصر يريدون عثمان، ونزلوا بذي خشب، دعا عثمان محمّد بن مسلمة  
 فقال: اذهب إليهم فأردهم عني، وأعطهم الرضى، وأخبرهم أنّي فاعل بالأمر  
 التي طلبوا، ونازع عن كذا بالأمر التي تكلموا فيها!  
 فركب محمّد بن مسلمة إليهم إلى ذي خشب، قال جابر: وأرسل معه عثمان خمسين  
 راكباً من الأنصار أنا فيهم.

وكان رؤسائهم أربعة: عبد الرحمن بن عديس البلوي، وسودان بن حمران المرادي،  
 وابن البياع، وعمرو بن الحمق الخزاعي، لقد كان الاسم غلب حتى يقال: جيش  
 عمرو بن الحمق..».

وفي الطبقات الكبرى: «قال عبد الرحمن بن عبد العزيز: فسمعت أبي عون يقول:  
 ضرب كنانة بن بشر جبينه ومقدم رأسه بعمود حديد فخرّ لجنبه، وضربه  
 سودان بن حمران المرادي بعدما خرّ لجنبه فقتله.

أمّا عمرو بن الحمق فوثب على عثمان فجلس على صدره وبه رمق، فطعنه تسع  
 طعنات وقال: أما ثلاث منهنّ فأنّي طعنتهنّ لله، وأما ستّ فأنّي طعنت إياهنّ لما  
 كان في صدري عليه»، وكذلك في تاريخ مدينة دمشق ٣٩: ٤٠٩، تاريخ المدينة  
 لابن شبة ٤: ١٢٣٣، وتاريخ الطبري ٣: ٤٢٤، والبداية والنهاية لابن كثير ٧: ٢٠٧.

٨ - عمير بن ضابي ء:

كسر ضلعين من أضلاع الخليفة عثمان بعد مقتله، وقد عدّه ابن حجر العسقلاني هو

❦ وأبيه من الصحابة قال في الإصابة ٣: ٤٠٣ ت ٤٢٥ في ترجمة ضابيء بن الحارث: «.. له إدراك، وجنى جناية في خلافة عثمان، فحبسه، فجاء ابنه عميرة ابن ضابيء فأراد الفتك بعثمان، ثم جبن عنه..

لما قتل عثمان وثب عمير بن ضابيء عليه فكسر ضلعين من أضلاعه، فلما قدم الحجاج الكوفة أميراً ندب الناس إلى قتال الخوارج، وأمر منادياً فنادى: من أقام بعد ثلاث قتل، فجاءه بعد ثلاثة عمير بن ضابيء، وهو شيخ كبير، فقال: إني لا حراك بي ولي ولد أشب مني فاجزه بدلاً مني، فأجابه الحجاج لذلك، فقال له عنبسة بن سعيد بن العاص: هذا عمير بن ضابيء القائل كذا، وأنشده الشعر، فأمر به فضرب عنقه وكان الحجاج قال له: ما حملك على ما فعلت بعثمان؟

قال: حبس أبي وهو شيخ كبير!

فقال: هلاً بعثت أيها الشيخ إلى عثمان بديلاً..

قلت: من يكون شيخاً في زمن عثمان، ويكون له ابن شيخ كبير في أول ولاية الحجاج يكون له إدراك لا محالة» وارجع إلى ترجمته في المصادر الأخرى.

٩ - عمرو بن بديل بن ورقاء:

قال ابن حجر في الإصابة ٤: ٤٩٩ ت ٥٧٩٢: «عمرو بن بديل بن ورقاء الخزاعي، قال الطبراني: له صحبة، وهو أحد من جاء مصر في أثر عثمان».

وقال الدكتور حسن فرحان المالكي في كتابه نحو إنقاذ التاريخ ١٤٨ في معرض كلامه عن الخارجين على عثمان: «كذلك نعرف لأبناء بديل بن ورقاء رضي الله عنهم صحبتهم، وهم من الخارجين» أي على عثمان.

وقال الطبري في تاريخه ٣: ٤٠٢: «..وكان أهل مصر الذين ساروا إلى عثمان ستمائة رجل على أربعة ألوية، لها رؤوس أربع مع كل رجل منهم لواء، وكان إجماع أمرهم جميعاً إلى عمرو بن بديل بن ورقاء الخزاعي، من أصحاب

النبي ﷺ».

وقال ابن شبة النميري في تاريخه ٤: ١٣٠٨: «.. حدثني جهيم قال: أنا شاهد، دخل عليه عمرو بن بديل الخزاعي والتجبيي يطعنه أحدهما بمشقص في أوداجه، وعلاه الآخر بالسيف فقتلاه».

وقال ابن كثير في البداية والنهاية ٧: ١٩١: «ونشأ بمصر طائفة من أبناء الصحابة يؤلبون الناس على حربه والإنكار عليه، وكان عظم ذلك مسنداً إلى محمد بن أبي بكر، ومحمد بن أبي حذيفة، حتى استنفروا نحواً من ستمائة راكب يذهبون إلى المدينة في صفة معتمرين في شهر رجب لينكروا على عثمان فساروا إليه تحت أربع رفاق وأمر الجميع إلى عمرو بن بديل بن ورقاء الخزاعي..».

١٠ - كنانة بن بشر:

قال ابن حجر في الإصابة ٥: ٤٨٦ ت ٧٥١٧: «كنانة بن بشر بن غياث بن عوف بن حارثة بن قتيبة... التجبيي».

قال ابن يونس: شهد فتح مصر، وقتل بفلسطين سنة ست وثلاثين، وكان ممن قتل عثمان، وإتما ذكرته لأنّ الذهبي ذكر عبد الرحمن بن ملجم لأنّه له إدراكاً، وينبغي أن ينزّه عنهما كتاب الصحابة».

وفي عمدة القاريء للعيني ٥: ٢٣١ قال: «.. وقال ابن وضّاح: إمام الفتنة هو عبد الرحمن بن عديس البلوي، وهو الذي جلب على عثمان - رضي الله تعالى عنه - أهل مصر».

وقال ابن الجوزي: وقد صلّى كنانة بن بشر أحد رؤوس الخوارج بالناس - أيضاً - وكان هؤلاء لما هجموا على المدينة كان عثمان يخرج فيصلي بالناس شهراً، ثمّ خرج يوماً فحصبوه حتى وقع على المنبر ولم يستطع الصلاة يومئذٍ، فصلّى بهم أبو إمامة بن سهل بن حنيف فمنعوه، فصلّى بهم عبد الرحمن بن عديس تارة، وكنانة بن بشر تارة».

وفي الطبقات الكبرى لابن سعد ٣: ٧٣: «.. إنّ محمد بن أبي بكر تسوّر على عثمان

من دار عمرو بن حزم ومعه كنانة بن بشر بن عتاب وسودان بن حمران وعمرو ابن الحمق، فوجدوا عثمان عند امرأته نائلة، وهو يقرأ المصحف، سورة البقرة، فتقدمهم محمد بن أبي بكر، فأخذ بلحية عثمان، فقال: قد أخزك الله يا نعتل!

فقال عثمان: لست بنعتل، ولكن عبد الله وأمير المؤمنين.

فقال محمد: ما أغنى عنك معاوية وفلان؟!

فقال عثمان: يابن أخي، دع عنك لحيتي، فما كان أبوك ليقبض على ما قبضت عليه!

فقال محمد: ما أريد بل أشد من قبضي على لحيتك!

فقال عثمان: استنصر الله عليك، واستعين به، ثم طعن جبينه بمشقص في يده، ورفع كنانة بن بشر بن عتاب مشاقص كانت في يده فوجأ بها أصل أذن عثمان، فمضت حتى دخلت في حلقه ثم علاه بالسيف حتى قتله».

وارجع أيضاً إلى تاريخ ابن عساكر ٣٩: ٤٠٩، والطبري ٣: ٤٢٣، وتاريخ الإسلام للذهبي ٣: ٤٥٦، والبداية والنهاية لابن كثير ٧: ٢٠٧.

١١ - جرول أو جرو بن مالك:

قال في الإصابة ١: ٥٨٠ ت ١١٣٢: «جرول أو جرو بن مالك بن عمر بن عويمر.. الأنصاري.

ذكره ابن الكلبي، وأن بسر بن ارطأة هدم دار ولده زرارة بن جرول بالمدينة لما غزاها من قبل معاوية في أواخر خلافة علي - رضي الله تعالى عنه - لأنه كان ممن أعان على عثمان...».

١٢ - محمد بن أبي حذيفة:

قال ابن حجر في الإصابة ٦: ١٠ ت ٧٧٨٣: «محمد بن أبي حذيفة بن عتبة بن ربيعة.. ولد بأرض الحبشة، وكان أبوه من السابقين الأولين، وهو مشهور بكنيته.. وذكره الواقدي فيمن كان يكنى أبا القاسم واسمه محمد من الصحابة واستشهد

☞ أبوه أبو حذيفة باليمامة، فضّم عثمان محمّداً هذا إليه وربّاه، فلما كبر واستخلف عثمان استأذنه في التوجّه إلى مصر، فأذن له، فكان من أشدّ الناس تأليباً عليه..

وفي نسخة بن مالك فوثب محمّد بن أبي حذيفة على عقبة فأخرجه من مصر وذلك في شوال، ودعا إلى خلع عثمان، وأسعر البلاد وحرّض الناس على عثمان. وأخرج من طريق الليثي عن عبد الكريم بن الحارث الحضرمي: أن أبي حذيفة كان يكتب الكتب على السنة أزواج النبي ﷺ في الطعن على عثمان، كان يأخذ الرواحل فيحصرها ثمّ يأخذ الرجال الذين يريد أن يبعث بذلك معهم، فيجعلهم على ظهور بيت في الحر، فيستقبلون بوجوههم الشمس ليلوحهم تلويح المسافرين، ثمّ يأمرهم أن يخرجوا إلى طريق المدينة، ثمّ يرسلوا رسلاً يخبروا بقدمهم، فيأمر بتلقيهم فاذا أتوا الناس قالوا لهم: ليس عندنا خبر الخبر في الكتب فيتلقاهم ابن أبي حذيفة ومعه الناس فيقول لهم الرسل: عليكم بالمسجد، فيقرأ عليهم الكتب من أمهات المؤمنين؛ إنّنا نشكوا إليكم بأهل الإسلام كذا وكذا من الطعن على عثمان، فيضجّ أهل المسجد بالبكاء..

وذكر خليفة بن خياط في تاريخه أنّ عليّاً لما ولي الخلافة أقرّ محمّد بن أبي حذيفة على إمرة مصر، ثمّ ولاها محمّد بن أبي بكر..

وارجع إلى الاستيعاب لابن عبد البرّ ٣: ١٣٦٩، الطبقات الكبرى لابن سعد ٣: ٨٤، تاريخ مدينة دمشق ٢٩: ٤١، سير أعلام النبلاء للذهبي ٣: ٤٨٠، الأعلام للزركلي ٦: ٧٩، أنساب الأشراف للبلاذري: ٣٨٧، تاريخ الطبري ٣: ٣٤١، الكامل في التاريخ لابن الاثير ٣: ١١٨، تاريخ الإسلام للذهبي ٣: ٥٣، والوافي بالوفيات للصفدي ٢: ٢٤٣.

١٣ - عبد الرحمن بن عديس البلوي:

قال ابن حجر في الإصابة ٤: ٢٨١ ت ٥١٧٩: «عبد الرحمن بن عديس.. البلوي.



☞ قال ابن سعد: صحب النبي ﷺ، وسمع منه، وشهد فتح مصر، وكان فيمن سار إلى عثمان.

وقال ابن البرقي والبغوي وغيرهما: كان ممن بايع تحت الشجرة.  
وقال ابن يونس: بايع تحت الشجرة، وشهد فتح مصر، واختط بها، وكان من الفرسان، ثم كان رئيس الخيل التي سارت من مصر إلى عثمان في الفتنة..  
كان ابن عديس ممن أخره معاوية في الرهن، فسجنه بفلسطين فهربوا من السجن، فأدرك فارس ابن عديس، فأراد قتله، فقال له ابن عديس: ويحك اتق الله في دمي فأني من أصحاب الشجرة!؟

قال: الشجر بالجبل كثير فقتله..».

وفي عمدة القارئ للعيني ٥: ٢٣١: «... وقال ابن وضاح: إمام الفتنة هو عبد الرحمن بن عديس البلوي، وهو الذي جلب على عثمان - رضي الله تعالى عنه - أهل مصر..».  
وارجع إلى الاستيعاب لابن عبد البر، وتاريخ مدينة دمشق ١٢: ٢٥٣، تاريخ خليفة بن الخياط: ١٢٤، الثقات لابن حبان ٢: ٢٥٦، إكمال الإكمال لابن ماكولا ٧: ٤٤، أسد الغابة لابن الأثير ٣: ٣٠٩، الأعلام للزركلي ٣: ٣١٦، تاريخ المدينة لابن شبة ٣: ١١٢٥، تاريخ الطبري ٣: ٣٨٥، الكامل في التاريخ ٣: ١٦١، تاريخ الإسلام للذهبي ٣: ٤٣٨، البداية والنهاية لابن كثير ٧: ١٩١، تاريخ ابن خلدون ٢: ١٤٦ ق ١.  
١٤ - زاهر بن الأسود بن حجاج بن قيس الأسلمي:

قال ابن حجر في الإصابة ٢: ٤٥١ ت ٢٧٨٤: «كان من أصحاب الشجرة، وسكن الكوفة..».

قال محمد بن إسحاق كان من أصحاب عمرو بن الحمق يعني لما كان بمصر..»، وذكر نحوه ابن سعد في الطبقات ٤: ٣١٩، وأسد الغابة لابن الأثير ٢: ١٩٢، وتهذيب التهذيب لابن حجر ٣: ٣٦٣.

هذه بعض أسماء الصحابة الذين خرجوا على عثمان، وهم من المشاهير

➤ المعروفين، وبعضهم ممّن أيدّ خلافة عثمان بعد موت عمر وأوصله إلى سدّة الخلافة، وهو عبد الرحمن بن عوف.

فإذن يثبت من كلام عثمان نفسه، ومن كلمات الصحابة، ومن تراجم بعضهم أنّ الذين تأروا على الخليفة عثمان هم الصحابة، فألبوا الناس ضدّه، وحرّكوا المجتمع الإسلامي عليه سواء المدني أو الكوفي أو المصري، وبعد ذلك اجتمعوا عليه إلى أن أردوه قتيلاً، ونبذ في العراء ثلاثة أيّام يمنعون من دفنه والتقرب إليه حتّى استنجدوا بعليّ عليه السلام ومن ثمّ أجازوهم دفنه لكن ليس في مقابر المسلمين، بل في (حش كوكب) مقبرة اليهود.

أخرج الطبري في تاريخه ٤: ٤١٢ عن أبي بشر العابدي قال: «نبذ عثمان عليه السلام ثلاثة أيّام لا يدفن، ثمّ إنّ حكيم بن حزام القرشي، بني أسد بن عبد العزّي، وجبير بن مطعم بن عدي بن نوفل بن عبد مناف، كلّما عليّاً في دفنه، وطلبوا إليه أن يأذن لأهله في ذلك، ففعل، وأذن لهم، فلمّا سمعوا بذلك قعدوا له في الطريق بالحجارة، وخرج به ناس يسير من أهله، وهم يريدون به حائطاً بالمدينة، يقال له: حش كوكب كانت اليهود تدفن فيه موتاهم، فلمّا خرج به على الناس رجموا سريره، وهمّوا بطرحه، فبلغ ذلك عليّاً، فأرسل إليهم يعزم عليهم ليكفوا عنه، ففعلوا، فانطلق حتّى دفن عليه السلام في حش كوكب، فلمّا ظهر معاوية بن أبي سفيان على الناس أمر بهدم ذلك الحائط حتّى أفضى به إلى البقيع، فأمر الناس أن يدفنوا موتاهم حول قبره حتّى اتصل ذلك بمقابر المسلمين».

وقال ابن كثير في البداية والنهاية ٧: ١٣٥: «كانت مدة حصار عثمان عليه السلام في داره أربعين يوماً على المشهور، وقيل: كانت بضعاً وأربعين يوماً، وقال الشعبي: كانت اثنتين وعشرين ليلة..»

وأما موضع قبره فلا خلاف أنّه دفن في حش كوكب، شرقي البقيع، وقد بنى عليه زمن بني أمية قبة عظيمة، وهي باقية إلى اليوم.

وذكر الواقدي أنه لما وضع ليصلّى عليه - عند مصلىّ الجنائز - أراد بعض الأنصار أن يمنعهم من ذلك، فقال أبو جهم بن حذيفة: ادفنوه فقد صلى الله وملائكته، ثم قالوا: لا يدفن في البقيع، ادفنوه وراء حائط، فدفنوه شرقي البقيع تحت نخلٍ هناك..

وقد اعتنى معاوية في أيام إمارته بقبر عثمان، رفع الجدار بينه وبين البقيع، وأمرّ الناس أن يدفنوا موتاهم حوله حتى اتصلت بمقابر المسلمين..

وفي الاستيعاب لأبي عمر ٣: ١٠٤٧ قال: «لما قتل عثمان رضي الله عنه ألقى على المزبلة ثلاثة أيام، فلما كان من الليل أتاه اثنا عشر رجلاً فيهم حويطب بن عبد العزّي، وحكيم بن حزام، وعبد الله بن الزبير فاحتملوه، فلما صاروا به إلى المقبرة ليدفنوه، ناداهم قوم من بني مازن؛ والله لأن دفتنموه هنا لنخبرنّ الناس غداً، فاحتملوه، وكان على باب، وإن رأسه على الباب ليقول: طق طق، حتى صاروا به إلى حش كوكب، فاحتفروا له..»، ومثله في تهذيب الكمال للمزي ١٩: ٤٥٧.

ومن شاء فليرجع إلى طبقات ابن سعد ٣: ٧٧، أنساب الاشراف ٨٣، الكامل لابن الأثير ٣: ١٨٠، صفوة الصفوة ١: ١١٧، السيرة الحلبية ٢: ٨٥، تاريخ الخميس ٢: ٥٦٥، وفاء الوفاء للسمهودي ٢: ٩٩، تاريخ مدينة دمشق ٣٩: ٥١٦، أسد الغابة ١: ٧٥، الإصابة لابن حجر ١: ٥٦٦، معجم البلدان ٢: ٢٦٢، تاريخ المدينة لابن شبة ١: ١١٢.

أمّا الصحابة الذين منعوا من دفن عثمان فهم: جبلة بن عمرو بن أوس، أسلم بن بحيرة، أسلم بن أوس الانصاري. انظر ترجمتهم في كتب التراجم كالطبقات والإصابة والاستيعاب وأسد الغابة وغيرها.

قال العلامة الأميني في الغدير ٩: ٢٩٥ بعد ذكر حصر الخليفة عثمان ومقتله وموضع دفنه: «إنّ هاهنا صحيفة غامضة، أقف تجاهها موقف السادر، لا تطاوعني النفس على الركون إلى أيّ من شقي الاحتمال الذين يختلجان في

الصدر، وذلك: إنَّ ما ارتكب من الخليفة من التضييق عليه، وقتله بتلك الصور المشددة، ثم ما نيل منه بعد القتل من المنع عن تجهيزه وتغسيله ودفنه والصلاة عليه، والوقية فيه بالسباب المقدع، وتحقيره برمي جنازته بالحجارة وكسر بعض أضلاعه، يستدعي إمَّا فسق الصحابة أجمع؛ فإنَّهم كانوا بين مباشر لهاتيك الأحوال، وبين خاذل للمؤدي به، وبين مؤلِّب عليه، إلى مثبِّط عنه، إلى راضٍ بما فعلوا، إلى محبِّد لتلكم الأحوال، وكان يرنُّ في مسامعهم قوله تعالى: ﴿لَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾، وقوله تعالى: ﴿مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا﴾، وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءُ لَهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾.

وما جاء في ذلك من السنة أكثر، وما يؤثر عن نبي العظمة ﷺ من وجوب دفن موتى المؤمنين وتغسيلهم وتكفينهم والصلاة عليهم، وإنَّ حرمة المؤمن ميتاً كحرمة حيّاً، فالقوم إن كانوا متعمدين في مخالفة هذه النصوص فهم فساق، إن لم نقل إنَّهم مرّاق عن الدين بخروجهم على الإمام المفترض طاعته. أو أنّ هذه الأحوال تستدعي انحراف الخليفة عن الطريق المثلى، وأنَّ القوم اعتقدوا بخروجه عن مصاديق تلكم الأوامر والنواهي المؤكدة التي تطابق عليها الكتاب والسنة.

وليس من السهل الهين البخوع إلى أيّ من طرفي التهديد. أمّا الصحابة فكُلُّهم عدول عند القوم يركن اليهم ويحتج بأقوالهم وأفعالهم، ويوثق بإيمانهم، وقد كهربتهم صحبة الرسول ﷺ، فأخرج درن نفوسهم، وكان في المعمة منهم بقايا العشرة المبشّرة كطلحة والزبير، وطلحة خاصّة فُظاظات حول ذلك الجلاء، إلى أناس آخرين من ذوي المآثر نظراء؛ عمّار بن ياسر، ومالك الأشتر، وعبد الله بن بديل، وكان بين ظهرائهم إمام المسلمين أمير

➤ المؤمنون علي عليه السلام، وهو المرموق يومئذٍ للخلافة، وقد انتنت إليه الخناصر، والأمة أطوع له من الظلّ لذيه.

أفتراه والحالة هذه سكت عن تلکم الفضاء وهو مطلق عليها من كتب وهو أعلم الناس بنواميس الشريعة، وأهداهم إلى طريقها المهيع، وهو يعلم أن من المحذور ارتكابها؟ لاها الله.

أو أنه عليه السلام أخذ الحياد في ذلك المأزق الحرج، وهو مستبيح للحياد أو لما يعملون به؟ أنا لا أدري.

وليس من المستطاع القول بأن معظم الصحابة ما كانوا عالمين بتلكم الوقائع، أو أنهم ما كانوا يحسبون أن الأمر يبلغ ذلك المبلغ، أو أنهم كانوا غير راضين بهاتيك الأحداث، فإن الواقعة ما كانت مباغته ولا غيلة حتى يعزب عن أحد علمها، فإن الحوار استدام أكثر من شهرين، وطيلة هذه المدة لم يكن طلبهم من الخليفة إلا الإقلاع عن أحداثه، أو التنازل عن عرش الخلافة، وكانوا يهدّدونه بالقتل إن لم يخضع لإحدى الطلبتين، وكانت نعرات القوم في ذلك تتموج بها الفضاء، وعقيرة عثمان في التوبة تارة وعدم التنازل أخرى، وتخويفهم بمغبات القتل ثلاثة تتسرّب في فجوات الجوّ، فلو كان معظم الصحابة منحازين عن ذلك الرأي لكان في وسعهم تفريق الجمع بالقهر أو الموعظة، لكن بالرغم مما يزعم عليهم لم يؤثر عن أحد منهم ما يثبت ذلك أو يقرّ به، وما أسلفناه من الأحاديث الجمّة النامّة عن معتقدات الصحابة في الخليفة وفي التوثب عليه تفنّد هذه المزعمة الفارغة، إن لم نقل إنّها تثبت ما يعلمه الكلّ من الإجماع على مقت الخليفة والتصافق على ما نعموا عليه والرضا بما نيل منه، حتى إنّ احداً لم يرو عنه أنّه ساء نداء قاتله حين طاف بالمدينة ثلاثاً قائلاً: أنا قاتل نعتل».

وقال الباحث الإسلامي حسن فرحان المالكي في كتابه نحو إنقاذ التاريخ الإسلامي ١٤٨ - ١٤٩: «... فالخارجون على عثمان أصناف كثيرة وليسوا متفقين في

سبحان الله، كيف يقال لنا أنه قتل مظلوماً، وأن الذين قتلوه ليسوا مسلمين<sup>(١)</sup>، وهذه القضية هي الأخرى كقضية فاطمة وأبي بكر، فأما أن يكون عثمان

☉ الأهداف (تحسبهم جميعاً وقلوبهم شتى)، مع جزمنا بأنهم على باطل، وأن عثمان رضي الله عنه على حق، لكن في الوقت نفسه لعبد الرحمن بن عديس البلوي رضي الله عنه صحبته وبيعته تحت الشجرة، وهو من الخارجين على عثمان، ونعرف للأشتر مالك بن حارث النخعي حقه وتدينه وندمه وكراهيته لمقتل عثمان، وهو من الخارجين، لكنه أعتزل عنهم آخر الأمر، فلم يكن من محاصري عثمان يوم مقتله وقد ندم، كل هذا بأسانيد صحيحة وليس هنا مجال ذكرها، كذلك نعرف لأبناء بديل بن ورقاء - رضي الله عنهم - صحبتهم، وهم من الخارجين، ونعرف لعمر بن الحماق الخزاعي رضي الله عنه صحبته وهجرته، وهو من الخارجين.

والعجب فيمن يعذر معاوية في الخروج على علي رضي الله عنه ولا يعذر عبد الرحمن بن عديس البلوي في الخروج على عثمان - رضي الله عنهما؟! مع أن عبد الرحمن ابن عديس أفضل من معاوية، فهو من أصحاب بيعة الرضوان الذين شهد لهم النبي صلى الله عليه وسلم بالجنة، أما معاوية فلم يكن أسلم يومئذٍ ولا عمرو بن العاص، ولا كل أهل الشام الذين حاربوا علياً بصقين، فابن عديس خير منهم، جميعاً ومع هذا نجد المؤرخين يتهمون ابن عديس - تبعاً لسيف بن عمر - بأنه من السبئية، سبحان الله!! أصحاب رسول الله سبئية؟! أصحاب بيعة الرضوان سبئية؟!..

(١) بل لاحظنا أنهم يسمونهم خوارج قال في عمدة القارئ ٥: ٢٣١: «... وقال ابن وضاح إمام الفتنة هو عبد الرحمن بن عديس البلوي...»، وقال البيهقي: «وبلغني عن محمد بن يحيى الذهلي أنه قال: عبد الرحمن البلوي هو رأس الفتنة لا يحل أن يحدث عنه بشيء...» إمتاع الأسماع للمقرئزي ١٣: ٢٠٩، تاريخ الإسلام ٥٣٢:٣.

وفي تفسير الجلالين ١: ٤٦٧: «... وأول من كفر به قتلة عثمان رضي الله عنه، فصاروا يقتلون بعد أن كانوا إخواناً».

مظلوماً وعند ذلك نحكم على الصحابة الذين قتلوه أو شاركوا في قتله بأنهم قتلة مجرمون؛ لأنهم قتلوا خليفة المسلمين ظلماً وعدواناً، وتبعوا جنازته يحصبونها بالحجارة وأهانوه حياً وميتاً، أو أن هؤلاء الصحابة استباحوا قتل عثمان لما اقترفه من أفعال تتنافى مع الإسلام، كما جاء ذلك في كتب التاريخ، وليس هناك احتمال

❖ وفي تفسير النسفي ٣: ١٥٥: «قالوا: أول من كفر هذه النعمة قتلة عثمان (ﷺ)». وفي شرح سنن ابن ماجه ١: ١١: «١٢ - فأراد المنافقون.. الخ فيه دليل على أن قتلة عثمان كانوا منافقين، إما في الإيمان، وإما في الأعمال..». وقال ابن كثير في البداية والنهاية ٧: ٢٧٠: «.. ووصلت النبال إلى هودج أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - فجعلت تنادي: الله الله! يا بني اذكروا يوم الحساب، ورفعت يدها تدعو على أولئك نفر من قتلة عثمان، فضج الناس معها بالدعاء، حتى بلغت الضجة إلى علي فقال: ما هذا؟ فقالوا: أم المؤمنين تدعو على قتلة عثمان وأشياعهم. فقال: اللهم العن قتلة عثمان..»، وأرجع أيضاً إلى تاريخ دمشق لابن عساكر ٢٥: ١١١، وتاريخ المدينة لابن شبة النميري ٤: ١٢٦١، وتاريخ الطبري ٣: ٥٢٣، والكامل في التاريخ ٣: ٢٤٥، وإمتاع الأسماع للمقريزي ١٣: ٢٤٤. وقال ابن تيمية في منهاج السنة في رده على العلامة الحلي ٤: ٣٢٢: «أما قوله: (ان المسلمين أجمعوا على قتل عثمان).

جوابه من وجوه:

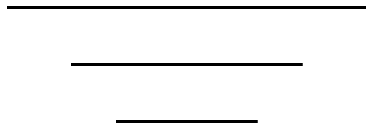
أحدها: أن يقال - أولاً - هذا من أظهر الكذب وأبينه؛ فإن جماهير المسلمين لم يأمرؤا بقتله ولا شاركوا في قتله، ولا رضوا بقتله. أمّا أولاً: فلأن أكثر المسلمين لم يكونوا بالمدينة، بل كانوا بمكة واليمن والشام والكوفة والبصرة ومصر وخراسان، وأهل المدينة بعض المسلمين. وأمّا ثانياً: فلأن خيار المسلمين لم يدخل واحد منهم في دم عثمان، ولا قتل ولا أمر بقتله وإنما قتله طائفة من المفسدين في الأرض، من أوباش القبائل وأهل الفتن».

وسط إلا إذا كذبنا التاريخ وأخذنا بالتمويه « بأن المصريين - وهم - كفرة هم الذين قتلوه ».

وفي كلاً الاحتمالين نفى قاطع لمقولة عدالة الصحابة أجمعين دون استثناء، فأما أن يكون عثمان غير عادل أو يكون قتلته غير عدول، وكلهم من الصحابة، وبذلك تبطل دعوانا، وتبقى دعوى شيعة أهل البيت القائلين بعدالة البعض منهم دون الآخر.



حرب الجمل





## [ حرب الجمل ]

ونتسأل عن حرب الجمل التي أشعلت نارها أم المؤمنين عائشة، إذ كانت هي التي قادتها بنفسها، فكيف تخرج أم المؤمنين عائشة من بيتها التي أمرها الله بالاستقرار فيه بقوله تعالى: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى﴾ (١)؟!

ونسأل بأي حق استباح أم المؤمنين قتال خليفة المسلمين علي بن أبي طالب، وهو ولي كل مؤمن ومؤمنة؟!

وكالعادة وبكل بساطة يجيبنا علماؤنا: بأنها لا تحب الإمام علياً (٢)، لأنه أشار

---

(١) سورة الأحزاب: ٣٣.

قال ابن حجر في فتح الباري ١٣: ٤٩ «وقد أخرج الطبري بسند صحيح عن أبي يزيد المدني قال: قال عمّار بن ياسر لعائشة لما فرغوا من الجمل: أما بعد هذا المسير من العهد الذي عهد إليكم، يشير إلى قوله تعالى: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾. فقالت: أبو اليقظان،

قال: نعم.

قالت: والله إنك ما علمت لقوال بالحق،

قال: الحمد لله الذي قضى لي على لسانك، وهو في الكامل في التاريخ ٣: ٢٥٨، وإمتاع الأسماع للمقريزي ١٣: ٢٥٠.

(٢) بغض عائشة لعلي عليه السلام ورد في روايات أهل السنة بأسانيد صحيحة، ففي إرواء

على رسول الله بتطبيقها في حادثة الإفك.

ويريد هؤلاء إقناعنا بأن هذه الحادثة - إن صحّت -، وهي إشارة علي علي النبي بتطبيقها كافية بأن تعصي أمر ربّها، وتهتك ستراً ضربه عليها رسول الله،

---

➤ الغليل ١: ١٧٧ في قصة خروج النبي ﷺ في مرضه الأخير للصلاة: «ثم إن النبي ﷺ وجد من نفسه خفة، فخرج بين رجلين أحدهما العباس لصلاة الظهر.. وقال عبيد الله: فدخلت على عبد الله بن عباس فقال: ألا أعرض عليك ما حدّثني عائشة عن مرض النبي ﷺ؟

قال: هات.

فعرضت عليه حديثها فما أنكر فيه شيئاً، غير أنه قال: أسمّت لك الرجل الذي كان مع العباس؟

قلت: لا.

قال: هو علي بن أبي طالب..»

قال الشيخ العلامة الألباني في تعليقه على الإرواء: «رواه البخاري ١/١٧٩، ومسلم ٢٠/٢ - ٢١، وكذا أبو عوانة ١١٢/٢ - ١١٣، ورواه أحمد ٦/٢٢٨ مختصراً وزاد في آخره:

«ولكن عائشة لا تطيب له نفساً» وسنده صحيح»

وكذلك روي في الطبقات الكبرى لابن سعد ٢: ٢٣٢، بزيادة اللفظ الأخير.

وفي مجمع الزوائد للهيثمي ٧: ٢٣٤: «عن أبي رافع: أن رسول الله ﷺ قال لعلي بن أبي طالب: سيكون بينك وبين عائشة أمرٌ.

قال: أنا يا رسول الله؟

قال: نعم.

قال: أنا أشقاهم يا رسول الله؟

قال: لا، ولكن إذا كان ذلك فاردها إلى مأمّنها».

رواه أحمد والبخاري والطبري ورجاله ثقات».

وتركب جملاً نهاها رسول الله أن تركبه، وحذّرها أن تنبجها كلاب الحوآب<sup>(١)</sup>،

(١) في الاستيعاب لابن عبد البر ٤: ١٨٨٥ قال: «... قال رسول الله ﷺ: «أَيْتَكْنَ صاحبة الجمل الأدب، يقتل حولها قتلى كثير وتنجو بعدما كادت» وهذا الحديث من أعلام نبوته، وعصام بن قدامة ثقة، وسائر الإسناد أشهر من أن يحتاج لذكره».

وقال ابن حجر في الفتح ١٣: ٥٥: «... فلما قتل عثمان، وكان يعلى قدم حاجاً فأعان طلحة والزبير بأربعمائة الف، وحمل سبعين رجلاً من قریش، واشترى لعائشة جملاً يقال له عسكر بثمانين ديناراً، ومن طريق عاصم بن كليب عن أبيه قال: قال علي: أتدرون بمن بليت أوع الناس في الناس عائشة، وأشدّ الناس الزبير، وأدهى الناس طلحة، وأيسر الناس يعلى بن أمية..

ومن طريق قيس بن أبي حازم قال: لما أقبلت عائشة فنزلت بعض مياه بني عامر نبحت عليها كلاب.

فقلت: أيّ ماء هذا؟

قالوا: الحوآب. بفتح الحاء المهملة وسكون الواو بعدها همزة ثمّ موحدة.

قلت: ما أظنني إلا راجعة!

فقال لها بعض من كان معها: بل تقدمين فيراك المسلمون فيصلح الله ذات بينهم! فقلت: إنّ النبي ﷺ قال لها ذات يوم: «كيف بأحداكنّ تنبج عليها كلاب الحوآب»، وأخرج هذا أحمد وأبو يعلى والبرّار، وصحّحه ابن حبان والحاكم، وسنده على شرط الصحيح..

ومن طريق عصام بن قدامة عن عكرمة عن ابن عباس أنّ رسول الله ﷺ قال لنسائه: «أَيْتَكْنَ صاحبة الجمل الأدب.. تخرج حتّى تنبجها كلاب الحوآب، يقتل عن يمينها وعن شمالها قتلى كثير وتنجو بعدما كادت». وهذا رواه البرّار ورجاله ثقات.

وأخرج البرّار من طريق زيد بن وهب قال: بيّنا نحن حول حذيفة إذ قال: كيف أنتم

وقد خرج أهل بيت نبيكم فرقتين يضرب بعضهم وجوه بعض بالسيف؟  
قلنا: يا أبا عبد الله فكيف نصنع إذا أدركنا ذلك؟  
قال: انظروا إلى الفرقة التي تدعو إلى أمر علي بن أبي طالب فإنّها على الهدى.  
وأخرج الطبراني من طريق محمد بن قيس قال: ذكر لعائشة يوم الجمل، قالت: الناس  
يقولون يوم الجمل؟  
قالوا: نعم.

قالت: وددت إنّي جلست كما جلس غيري فكان أحب إلي من أن أكون ولدت من  
رسول الله ﷺ عشرة، كلهم مثل عبد الرحمن بن الحارث بن هشام..  
وأخرج إسحاق بن راهويه من طريق سالم المرادي، سمعت الحسن يقول: لما قدم  
علي البصرة في أمر طلحة وأصحابه، قام قيس بن عباد وعبد الله بن الكواء فقالا  
له: أخبرنا عن مسيرك هذا؟  
فذكر حديثاً طويلاً في مبايعته أبا بكر ثم عمر ثم عثمان ثم ذكر طلحة والزبير فقال:  
بايعاني بالمدينة وخالفاني بالبصرة، ولو أنّ رجلاً ممّن بايع أبا بكر خالفه  
لقاتلناه وكذلك عمر.

وأخرج أحمد والبرّار بسند حسن من حديث أبي رافع أنّ رسول الله ﷺ قال لعلي  
ابن أبي طالب: «إنّه سيكون بينك وبين عائشة أمرٌ».  
قال: فأنا أشقاهم يا رسول الله!

قال: «لا، ولكن إذا كان ذلك فأردها إلى مأمّنها».  
وأخرج أبو بكر بن أبي شبة من طريق عمر بن الهيثم..  
عن أبي بكر وقيل له: ما منعك أن تقاتل مع أهل البصرة يوم الجمل؟  
فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يخرج قوم هلكى لا يفلحون قائدهم امرأة في  
الجنة»، فكان أبا بكر أشار إلى هذا الحديث فامتنع من القتال معهم، ثمّ  
استصوب رأيه في ذلك الترك لما رأى غلبة علي.

وقد أخرج الترمذي والنسائي الحديث المذكور من طريق حميد الطويل عن الحسن البصري عن أبي بكره بلفظ عصمني الله بشيء سمعته من رسول الله ﷺ فذكر الحديث، قال: فلما قدمت عائشة ذكرت ذلك فعصمني الله. وأخرج عمر بن شبة من طريق مبارك بن فضالة عن الحسن أن عائشة أرسلت إلى أبي بكره فقال: إِنَّكَ لَأُمٌّ، وَإِنَّ حَقَّكَ لِعَظِيمٍ، وَلَكِنْ سَمِعْتَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «لَنْ يَفْلَحَ قَوْمٌ تَمْلِكُهُمْ امْرَأَةٌ».

وفي مستدرک الحاكم ٣: ٣٣٢ بسنده عن أم سلمة قالت: «ذكر النبي ﷺ خروج بعض أمهات المؤمنين، فضحكت عائشة فقال: «انظري يا حميراء أن لا تكون أنت»، ثم التفت إلى علي فقال: «إن وليت من أمرها شيئاً فارق بها» وصححه. وفي مستدرک الحاكم ٤: ٤٧١ في كتاب الفتن: «عن خثيمة بن عبد الرحمن قال: كنّا عند حذيفة رضي الله عنه فقال بعضنا حدثنا يا أبا عبد الله ما سمعت من رسول الله ﷺ!

قال: لو فعلت لرجمتوني!

قلنا: سبحان الله نحن نفعل ذلك؟!

قال: أرايتكم لو حدثتكم أنّ بعض أمهاتكم تأتيكم في كتيبة كثير عددها، شديد بأسها صدقتم به؟!

قالوا: سبحان الله ومن يصدق بهذا؟!

ثم قال حذيفة: «أتتكم الحميراء في كتيبة يسوقها أعلاجها حيث تسوء وجوهكم»، ثم قال فدخل مخدعاً.

قال الحاكم: «هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه» ووافقه الذهبي في تلخيص المستدرک.

ولأجل مخالفتها لأوامر النبي ﷺ، والتسبب في إزهاق آلاف المسلمين؛ طلبت منهم أن تدفن في البقيع، بعدما كانت تريد الدفن في بيتها، فعن قيس قال: «قالت عائشة، وكانت تحدّث نفسها أن تدفن في بيتها، فقالت: إنّي أحدثت بعد

وتقطع المسافات البعيدة من المدينة إلى مكة ومنها إلى البصرة، وتستبيح قتل الأبرياء ومحاربة أمير المؤمنين والصحابة الذين بايعوه، وتتسبب في قتل ألوف المسلمين كما ذكر ذلك المؤرّخون<sup>(١)</sup>، كل ذلك لأنها لا تحبّ الإمام عليّاً الذي أشار بتطبيقها ومع ذلك لم يطلقها النبي ﷺ.

فلماذا كل هذه الكراهية؟!

وقد سجّل المؤرّخون لها مواقف عدائيّة للإمام علي لا يمكن تفسيرها، فقد كانت راجعة من مكة عندما أعلموها في الطريق بأنّ عثماناً قتل، وفرحت فرحاً شديداً، ولكنها عندما علمت بأنّ الناس بايعوا عليّاً غضبت وقالت: وددت أنّ السماء انطبقت على الأرض قبل أن يليها ابن أبي طالب، وقالت: ردّوني<sup>(٢)</sup>. وبدأت تشعل نار الفتنة للثورة على عليّ الذي لا تريد ذكر اسمه، كما سجّله المؤرّخون عليها.

أفلم تسمع أم المؤمنين قول الرسول ﷺ: «بأن حبّ علي إيمان وبغضه نفاق» حتّى قال بعض الصحابة: «كنا لا نعرف المنافقين إلاّ ببغضهم لعلي»<sup>(٣)</sup>.

---

➤ رسول الله ﷺ حدثاً، ادفنوني مع أزواجه، فدفنت بالبقيع رضي الله عنها»، المستدرک علی الصحیحین ٤: ٧ وقال: «هذا حديث صحيح علی شرط الشيخين ولم يخرّجاه»، وسیر أعلام النبلاء للذهبي ٢: ٣.

(١) تاريخ الطبري ٣: ٤٦٣، والكامل لابن الأثير ٣: ٨، والبداية والنهاية لابن كثير ٦: ٢٣٨، في أحداث سنة ست وثلاثين للهجرة، والوافي بالوفيات للصفدي ١٣: ٨٠، وتاريخ الإسلام للذهبي ٣: ٤٨٥.

(٢) تاريخ الطبري ٣: ٤٧٧، الكامل لابن الأثير ٣: ٢٠٦.

(٣) سنن الترمذي ٥: ٢٩٨، الإكمال في أسماء الرجال للخطيب التبريزي: ١٥٢،



أولم تسمع أم المؤمنين قول النبي : « من كنت مولاه فعلي مولاه »<sup>(١)</sup>؟!

❦ وقال: «إسناده ليس بجيد لأجل العبدى، وقد تابعه عليه عطية وأبو صالح عن أبي سعيد الخدرى، والحديث صحيح لغيره»، وارجع إلى المصادر التي أوردت الحديث.

(١) هذا الحديث من الأحاديث المتواترة والمتسالم عليه بين الطرفين، فهو مروى بطرق كثيرة عن النبي ﷺ، نشير إلى بعضها:

أخرج النسائي في خصائصه: ٧١ - ٧٢ عن زيد بن أرقم قوله: «لما رجع رسول الله ﷺ من حجة الوداع ونزل غدیر خمّ أمر بدوحات فقممن، ثمّ قال: «كأنى دعيت فأجبت، إني تركت فيكم الثقلين أحدهما أكبر من الآخر: كتاب الله وعترتي أهل بيتي، فانظروا كيف تخلّفوني فيهما، فإنّهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض»، ثمّ قال: «إنّ الله مولاي وأنا ولي كلّ مؤمن».

ثمّ أخذ بيد علي فقال: «من كنت وليّه فهذا وليّه، اللّهم وال من والاه، وعاد من عاداه». فقلت لزيد: سمعته من رسول الله ﷺ؟

فقال: ما كان في الدوحات أحدٌ إلّا رآه بعينيه وسمعه بأذنيه».

وقد أخرجه الحاكم في المستدرک ٣: ١٠٩ وقال: «هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه بطوله».

وأورده ابن كثير في البداية والنهاية ٥: ٢٢٨ وقال: «قال شيخنا أبو عبد الله الذهبي: وهذا حديث صحيح».

وعن أبي الطفيل قال: جمع علي - رضي الله تعالى عنه - الناس في الرحبة ثمّ قال لهم: أنشد الله كلّ امرئ سمع رسول الله ﷺ يقول يوم غدیر خمّ ما سمع لما قام! فقام ثلاثون من الناس - وفي رواية: فقام ناس كثير - فشهدوا حين أخذ بيده فقال للناس: «أتعلمون أنّي أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟»

قالوا: نعم يا رسول الله.

قال: «من كنت مولاه فهذا مولاه، اللّهم وال من والاه وعاد من عاداه».

☞ قال: فخرجت وكأَنَّ في نفسي شيئاً؛ فلقيت زيد بن أرقم فقلت له: إِنِّي سمعت عليّاً عليه السلام يقول: كذا وكذا؟

قال: فما تنكر، قد سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول ذلك» أخرجه أحمد في المسند ٤: ٣٧٠، والنسائي في خصائص الإمام علي: ٧٢، وابن حبان في صحيحه ١٥: ٣٧٦، والهيثمي في موارد الضمان: ٥٤٤، والهيثمي في مجمع الزوائد ٩: ١٠٤ وقال عنه: «رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح غير فطر بن خليفة وهو ثقة»، والألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة ٤: ٣٣١ ح ١٧٥٠ وقال عنه: «وإسناده صحيح على شرط البخاري».

وعن رباح بن الحارث قال: «جاء رهط إلى علي بالرحبة، فقالوا: السّلام عليك يا مولانا!

قال: كيف أكون مولاكم وأنتم قوم عرباً؟!

قالوا: سمعنا رسول الله صلى الله عليه وآله يوم غدیر خم يقول: «من كنت مولاه فإنّ هذا مولاه». قال رباح: فلما مضوا تبعتم فسألت من هؤلاء؟

قالوا: نفر من الأنصار فيهم أبو أيوب الأنصاري» أخرجه أحمد في المسند ٥: ٤١٩، والطبراني في المعجم الكبير ٤: ١٧٤، والهيثمي في مجمع الزوائد ٩: ١٠٤ وقال عنه: «رواه أحمد والطبراني.. ورجال أحمد ثقات»، والشيخ الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة ٤: ٣٤٠ وقال عنه: «وهذا إسناد جيّد، رجاله ثقات».

وفي وقعة صفين للحافظ إبراهيم بن ديزل: ١٦٥ قال: «حدّثنا يحيى بن سليمان الحيفي، قال: حدّثنا ابن فضيل، قال: حدّثنا الحسن بن الحكم النخعي، عن رباح ابن الحارث النخعي، قال: كنت جالساً عند علي عليه السلام إذ قدم عليه قوم متلثمون فقالوا: السّلام عليك يا مولانا!

فقال لهم: أولستم قوماً عرباً؟!

قالوا: بلى ولكنا سمعنا رسول الله صلى الله عليه وآله يقول يوم غدیر خم: «من كنت مولاه فعلي

☞ مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله».

قال: فلقد رأيت علياً عليه السلام ضحك حتى بدت نواجذه، ثم قال: اشهدوا.  
ثم إنَّ القوم مضوا إلى رحالهم، فتبعتهم فقلت لرجل منهم: من القوم؟  
قالوا: نحن رهط من الأنصار، وذاك - يعنون رجلاً منهم - أبو أيوب صاحب منزل  
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.  
قال: فأتيتَه فصافحته».

وهذه الرواية سندها صحيح لوثاقة جميع رجال سندها.  
وقد نقل الخبر ابن أبي الحديد في شرح النهج ٣: ٢٠٨، فراجع.  
قال شمس الدين الجزري في أسنى المطالب في مناقب سيّدنا علي بن أبي طالب: ٤٨:  
«هذا حديث حسن من هذا الوجه، صحيح من وجوه كثيرة، تواتر عن أمير  
المؤمنين علي، وهو متواتر أيضاً عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم، رواه الجَمّ الغفير عن الجَمّ  
الغفير، ولا عبرة بمن حاول تضعيفه ممن لا إطلاع له في هذا العلم...».  
وقال الشيخ الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة ٤: ٣٤٣ ح ١٧٥٠ بعد تصحيحه  
للحديث: «وجملة القول: إنَّ حديث الترجمة صحيح بشرطيه - يعني من كنت  
مولاه فهذا علي مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه - بل الأوّل منه متواتر  
عنه صلى الله عليه وآله وسلم كما يظهر لمن تتبّع أسانيدَه وطرقه، وما ذكرت منها كفاية».  
إلى أن يقول: «إذا عرفت هذا فقد كان الواقع لتحريّر الكلام على الحديث وبيان  
صحّته أنني رأيت شيخ الإسلام ابن تيميّة قد ضعّف الشطر الأوّل من الحديث،  
وأما الشطر الآخر فزعم أنّه كذب، وهذا من مبالغاته الناتجة - في تقديري - من  
تسرّعه في تضعيف الأحاديث قبل أن يجمع طرقها ويدقّق النظر فيها».  
وقال الشيخ السلفي الداني بن منير آل زهوي في تحقيقه لخصائص النسائي: ٧٨:  
«فحديث الموالاتة حديث صحيح ثابت، بل هو متواتر كما قال الألباني في

أَنَّهَا لَا شَكَّ سَمِعَتْ كُلَّ ذَلِكَ وَلَكِنَّهَا لَا تَحِبُّهُ وَلَا تَذُكُرُ اسْمَهُ، بَلْ إِنَّهَا لَمَّا سَمِعَتْ بِمَوْتِهِ سَجَدَتْ شُكْرًا لِلَّهِ (١).

ودعني من كلِّ هذا فأنا لا أريد البحث عن تاريخ أم المؤمنين عائشة، ولكن أريد الاستدلال على مخالفة كثير من الصحابة لمبادئ الإسلام، وتخلّفهم عن أوامر رسول الله ﷺ، ويكفيني من فتنة أم المؤمنين دليلاً واحداً أجمع عليه المؤرّخون، قالوا: لما جازت عائشة ماء الحوآب ونبحتها كلابها، تذكّرت تحذير زوجها رسول الله ونهيه إيّاها أن تكون هي صاحبة الجمل، فبكت وقالت: ردّوني، ردّوني. ولكن طلحة والزبير جاءها بخمسين رجلاً جعلوا لهم جعلاً، فأقسموا بالله أن هذا ليس بماء الحوآب، فواصلت مسيرها حتّى البصرة، ويذكر المؤرّخون أنّها أوّل شهادة زور في الإسلام (٢).

#### ➤ الصحيحة (٣٤٣/٤).

أمّا قول ابن تيميّة في المنهاج (١٠٤/٤): «أنّه كذب مخالف للقواعد الحديثيّة» فهو مردود عليه..

أقول: من تتبّع طرق هذا الحديث علم أنّها صحيحة كالشمس في أغلبها، ومنها الحسن، والضعيف فيها قليل، والحديث صحيح لا شكّ في ذلك كما مرّ. (١) ذكر أبو الفرج الأصفهاني في مقاتل الطالبين: ٢٧ سجودها عند سماعها مقتل عليّ، وذكر الطبري في التاريخ ٤: ١١٥ وابن الأثير في الكامل ٣: ٣٩٤ تمثّلها بالبيت التالي عند سماعها مقتل عليّ ﷺ:

فالقت عصاها واستقر بها النوى كما قرّ عينا بالإياب المسافر

(٢) ذكر المسعودي في مروج الذهب ١: ٦٤٧، وابن أبي الحديد في شرح النهج ٩: ٣١٠، أنّ طلحة والزبير فعلوا هذا، وفي تاريخ يعقوبي ٢: ٧٩ والطبري ٣: ٤٨٥، والإمامة والسياسة لابن قتيبة ١: ٨٢، والبداية والنهاية ٧: ٢٥٨، وأنساب

دلّونا أيّها المسلمون يا أصحاب العقول النيرة على حل لهذا الإشكال، أهؤلاء هم الصحابة الأجلّاء الذين نحكم نحن بعدالتهم، ونجعلهم أفضل البشر بعد رسول الله ﷺ! فيشهدون شهادة الزور التي عدّها رسول الله ﷺ من الكبائر الموبقة التي تقود إلى النار.

ونفس السؤال نفسه يعود دائماً ويتكرّر، أيّهم على الحقّ وأيّهم على الباطل، فإمّا أن يكون عليّ ومن معه ظالمين وعلى غير الحقّ، وإمّا أن تكون عائشة ومن معها وطلحة والزبير ومن معهم ظالمين وعلى غير الحقّ، وليس هناك احتمال ثالث. والباحث المنصف لا أراه إلاّ مائلاً لأحقّية علي الذي يدور الحقّ معه حيث دار<sup>(١)</sup>، نابذاً فتنه (أمّ المؤمنين عائشة) وأتباعها الذين أوقدوا نارها، وما أطفأوها

➤ الاشراف للبلاذري: ٢٢٤، أنّ عبدالله بن الزبير هو الذي جاء بالشهود وحلف أنّه ليس بماء الحوآب.

(١) أخرج أبو يعلى في مسنده ٢: ٣١٨ عن أبي سعيد أنّ عليّاً مرّ، فقال النبي ﷺ: «الحقّ مع ذا الحقّ مع ذا»، وأخرجه ابن عساكر في تاريخه ٤٢: ٤٤٩، والمتقي الهندي في كنز العمال ١: ٦٢١، والهيتمي في مجمع الزوائد ٧: ٢٣٥ وقال عنه: «رواه أبو يعلى ورجاله ثقات».

وورد عن عليّ عليه السلام قوله: «قال رسول الله ﷺ: رحم الله عليّاً، اللهم أدر الحقّ معه حيث دار» أخرجه الترمذي في السنن ٥: ٢٩٧، وابن عساكر في تاريخ دمشق ٣٠: ٦٣، وأبو يعلى في مسنده ١: ٤١٩، والطبراني في المعجم الأوسط ٦: ٩٥، والحاكم في المستدرک ٣: ١٢٤ وصحّحه.

وقد صحّح الحديث أبو منصور الشافعي في كتابه الأربعين في مناقب أمّهات المؤمنين: ٨٦ ح ٢٤، والسيوطي في الجامع الصغير كما ذكر المناوي في فيض القدير ٤: ٢٥.

حتى أكلت الأخضر واليابس، وبقيت آثارها إلى اليوم.

ولمزيد البحث وليطمئن قلبي أقول أخرج البخاري في صحيحه من كتاب الفتن باب الفتنة التي تموج كموج البحر، قال: لما سار طلحة والزبير وعائشة إلى البصرة بعث علي عمّار بن ياسر والحسن بن علي، فقدموا علينا الكوفة فصعدا المنبر، فكان الحسن بن علي فوق المنبر في أعلاه، وقام عمّار أسفل من الحسن فاجتمعنا إليه، فسمعت عمّاراً يقول: «إنّ عائشة قد سارت إلى البصرة، ووالله إنّها لزوجة نبيكم في الدنيا والآخرة ولكن الله تبارك وتعالى ابتلاكم ليعلم إياها تطيعون أم

❖ وأرسله الفخر الرازي إرسال المسلمات فقال في تفسيره ٢٠٥/١: «ومن اقتدى في دينه بعلي بن أبي طالب فقد اهتدى، والدليل عليه قوله ﷺ: اللهم أدر الحق مع علي حيث دار».

وأخرج الخطيب في تاريخ بغداد ١٤: ٣٢٢ بسنده إلى أبي ثابت مولى أبي ذر قال: «دخلت على أم سلمة فرأيتها تبكي وتذكر علياً فقالت: سمعت رسول الله يقول: علي مع الحق والحق مع علي، ولن يفترقا حتى يردا علي الحوض يوم القيامة»، وأخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق ٤٢: ٤٤٩.

وورد عن سعد بن أبي وقاص قال: إنني سمعت رسول الله يقول: «علي مع الحق والحق مع علي حيث كان».

فقال له رجل (وهو معاوية): من سمع ذلك؟

قال سعد: قاله في بيت أم سلمة، فأرسل إلى أم سلمة فسألها، فقالت: قد قال رسول الله ﷺ في بيتي.

فقال رجل لسعد: ما كنت عندي قط ألوم منك الآن.

فقال: ولم؟

قال: لو سمعت هذا من النبي ﷺ لم أزل خادماً لعلي حتى أموت»

مجمع الزوائد للهيتمي ٧: ٢٣٥.

هي»<sup>(١)</sup>.

كما أخرج البخاري - أيضاً - في كتاب الشروط باب ما جاء في بيوت أزواج النبي، قال: قام النبي ﷺ خطيباً فأشار نحو مسكن عائشة، فقال: «ههنا الفتنة، ههنا الفتنة، ههنا الفتنة من حيث يطلع قرن الشيطان»<sup>(٢)</sup>.

كما أخرج البخاري في صحيحه عنها أشياء عجيبة وغريبة في سوء أدبها مع النبي ﷺ، حتى ضربها أبوها فأسال دمها، وفي تظاهرها على النبي ﷺ حتى هددها الله بالطلاق، وأن يبده له ربّه خيراً منها، وهذه قصص أخرى يطول شرحها. وبعد كلّ هذا أتسأل: كيف استحققت عائشة كلّ هذا التقدير والاحترام من

---

(١) صحيح البخاري ٨: ٩٧، كتاب الفتن، ونحوه تاريخ دمشق لابن عساكر ٤٣: ٤٥٨، كنز العمال ١٣: ٦٩٤ ح ٣٧٧٧٧، البداية والنهاية ٨: ١٠١.

(٢) صحيح البخاري ٤: ٤٦، كتاب فرض الخمس، وفي صحيح مسلم ٨: ١٨١، كتاب الفتن باب ١٦، وكذلك مسند أحمد ٢: ٢٣، واللفظ لمسلم: «خرج رسول الله ﷺ من بيت عائشة فقال: رأس الكفر من هاهنا من حيث يطلع قرن الشيطان، يعني المشرق»، وفي رواية أخرى عن صحيح مسلم ٨: ١٨١، كتاب الفتن: «إنّ رسول الله ﷺ قام عند باب حفصة فقال بيده نحو المشرق: الفتنة هاهنا من حيث يطلع قرن الشيطان». فما ورد في الرواية الأولى: «يعني المشرق» والثانية: «فقال بيده نحو المشرق» إنّما هو من استنباط الراوي وليس من النبي ﷺ، لأنّه ﷺ أشار إلى مسكن عائشة أو حفصة وقال: إنّ الفتنة من هاهنا، فنحن نأخذ الرواية وندع دراية الراوي للحديث.

ثمّ هناك روايات أخرى لم يرد فيها اسم عن عائشة أو حفصة، بل فيها مجرد الإشارة إلى المشرق، فهذه الروايات المطلقة تحمل على تلك الروايات المقيّدة، ولو راموا إبقاءها على إطلاقها فإنّها ستشمل عائشة أيضاً بإطلاقها، لأنّها أوّل من أشعل الفتنة من المشرق، فشمّلها الحديث.

أهل السنّة والجماعة، ألاّنها زوج النبي؟! فزوجاته كثيرات، وفيهن من هي أفضل من عائشة بتصريح النبي نفسه ﷺ<sup>(١)</sup>.

أم لأنها ابنة أبي بكر! أم لأنها هي التي لعبت الدور الكبير في إنكار وصيّة النبي ﷺ لعليّ عليه السلام، حتّى قالت عندما ذكروا عندها أن النبي ﷺ أوصى لعلي، قالت: «من قاله، لقد رأيت النبي ﷺ وإني لمسندته إلى صدري، فدعا بالطست فانخث فمات فما شعرت، فكيف أوصى إلى علي»<sup>(٢)</sup>.

أم لأنها حاربتة حرباً لا هوادة فيها وأولاده من بعده، حتّى اعترضت جنازة الحسن سيّد شباب أهل الجنة، ومنعت أن يدفن بجانب جدّه رسول الله ﷺ قائلة: «لا تدخلوا بيتي من لأحب»<sup>(٣)</sup>، ونسيت أو تجاهلت قول الرسول فيه وفي أخيه:

(١) راجع فتح الباري لابن حجر ٧: ١١٦ كتاب مناقب الأنصار باب ٢٠ فيه ذكر أقوال العلماء في تفضيل خديجة على عائشة وسائر أمهات المؤمنين وقال: «زعم ابن العربي أنّه لا خلاف في أنّ خديجة أفضل من عائشة».

ولابن حجر إشارة لطيفة عند شرحه لحديث تبشير النبي ﷺ خديجة ببيت في الجنّة، قال ٧: ١٧٣: «وفي ذكر البيت معنى آخر، لأنّ مرجع أهل بيت النبي ﷺ إليها، لما ثبت في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ﴾ قالت أم سلمة: لما نزلت دعا النبي ﷺ فاطمة وعليّاً والحسن والحسين فجلّهم بكساء فقال: «اللهم هؤلاء أهل بيتي» ومرجع أهل البيت هؤلاء إلى خديجة، لأنّ الحسين من فاطمة وفاطمة بنتها، وعليّ نشأ في بيت خديجة وهو صغير، ثمّ تزوج بنتها بعدها، فظهر رجوع أهل البيت النبوي إلى خديجة دون غيرها».

(٢) صحيح البخاري ٥: ١٤٣، كتاب المغازي، باب مرض النبي ووفاته.

(٣) راجع: الإرشاد للشيخ المفيد ٢: ١٨، كتاب التعجب للكراچكي: ٥٦، الخرائج



« الحسن والحسين سيّدا شباب أهل الجنّة »<sup>(١)</sup>، أو قوله ﷺ: « أحبّ الله من أحبّهما وأبغض الله من أبغضهما »، أو قوله: « أنا حرب لمن حاربكم وسلم لمن سالمكم »<sup>(٢)</sup>، وغير ذلك كثير لست في معرض الكلام عنه... كيف لا وهما ريحانته من هذه الأُمَّة. ولا غرابة، فقد سمعتُ في حق عليّ أضعاف ذلك، ولكنها ورغم تحذير النبي ﷺ لها أبت إلا محاربتة، وتأليب الناس عليه، وإنكار فضله وفضائله، ومن أجل ذلك أحبّها الأمويّون وأنزلوها تلك المنزلة العظيمة التي تقصر عنها المنازل، ورووا في فضلها ما ملأ المطامير، وسارت به الركبان، حتّى جعلوها المرجع الأكبر للأُمَّة الإسلامية، لأنّ عندها وحدها نصف الدين.

- والجرائح للراوندي ١: ٢٤٢، كشف الغمّة ٢: ٢٠٨، البحار ٤٤: ١٥٤، ١٥٧.
- وانظر بالنسبة إلى امتناعها عن دفنه عند جدّه ﷺ تاريخ دمشق لابن عساكر ١٣: ٢٩٣، أنساب الأشراف للبلاذري ٣: ٢٩٨، مقاتل الطالبين لأبي الفرج: ٨٢، تاريخ أبي الفداء ١: ٢٥٥، تاريخ اليعقوبي ٢: ١٣٤.
- (١) مسند أحمد ٣: ٦٢، ٦٤، ٨٢، سنن الترمذي ٥: ٢٢١ ح ٣٨٥٦، المستدرک للحاكم ٣: ١٦٧، وقال: «هذا حديث قد صحّ من أوجه كثيرة وأنا أتعجب أنّهما لم يخرّجاه» مجمع الزوائد ٩: ١٨٢، نظم المتناثر من الحديث المتواتر: ١٩٦، سير أعلام النبلاء للذهبي ٥: ٦٣، وقال النووي في شرح مسلم ١٦: ٤١: «وثبت أنّه ﷺ أخبر بأنّ الحسن والحسين سيّدا شباب أهل الجنّة»، والمصنّف لابن أبي شيبة ٧: ٥١٢، صحيح ابن حبان ١٥: ٤١١.
- (٢) مسند أحمد بن حنبل ٢: ٤٤٢، سنن ابن ماجّة ١: ٥٢، سنن الترمذي ٥: ٣٦٠، المصنّف لابن أبي شيبة ٧: ٥١٢، صحيح ابن حبان ١٥: ٤٣٤، المعجم الكبير للطبراني ٣: ٤٠، تاريخ بغداد ٧: ١٤٤، تاريخ دمشق ٣: ٢١٨، مستدرک الحاكم ٣: ١٤٩ وقال: «هذا حديث حسن» وسكت عنه الذهبي في التلخيص، مشكاة المصابيح للتبريزي ٣: ١٧٣٥.

ولعل نصف الدين الثاني خصّوا به أبا هريرة الذي روى لهم ما يشتهون، فقرّبوه وولّوه إمارة المدينة، وبنوا له قصر العقيق بعد ما كان معدماً، ولقّبوه براوية الإسلام، وبذلك سهل على بني أمية أن يكون لهم دين كامل جديد، ليس فيه من كتاب الله وسنة رسوله إلا ما تهواه أنفسهم، ويتقوى به ملكهم وسلطانهم.

وخلق بهذا الدين أن يكون لعباً وهزواً مليئاً بالمتناقضات والخرافات، وبذلك طمست الحقائق، وحلّت محلّها الظلمات، وقد حملوا الناس عليها وأغروهم إليها، حتّى أصبح دين الله عندهم مهزلة من المهازل، لا يقيمون له وزناً، ولا يخافون من الله كخوفهم من معاوية.

وعندما نسأل بعض علمائنا عن حرب معاوية لعلي، وقد بايعه المهاجرون والأنصار.. تلك الحرب الطاحنة التي سببت انقسام المسلمين إلى سنة وشيعة، وانصدع الإسلام ولم يلتئم حتّى اليوم، فإنّهم يجيبون كالعادة وبكل سهولة قائلين: إنّ عليّاً ومعاوية صحابيّان جليلان اجتهدا، فعليّ اجتهد وأصاب فله أجران، أمّا معاوية فاجتهد وأخطأ وله أجر واحد، وليس من حقنا نحن أن نحكم لهم أو عليهم، وقد قال الله تعالى: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾<sup>(١)</sup>.

هكذا - وللأسف - تكون إجاباتنا، وهي كما ترى سفسطة لا يقول بها عقل ولا دين، ولا يقرّ بها شرع.

اللهم إني أبرأ إليك من خطل الآراء، وزلل الأهواء، وأعوذ بك من همزات الشياطين، وأعوذ بك ربّ أن يحضرون.

كيف يحكم العقل السليم باجتهاد معاوية، ويعطيه أجراً على حربه إمام

(١) سورة البقرة: ١٣٤.

المسلمين، وقتله المؤمنين الأبرياء، وارتكابه الجرائم والآثام التي لا يحصى عددها إلا الله، وقد اشتهر عند المؤرخين بقتله معارضييه وتصفيتهم بطريقته المشهورة، وهو إطعامهم عسلاً مسموماً وكان يقول: «إن لله جنوداً من عسل»<sup>(١)؟!</sup>

كيف يحكم هؤلاء باجتهاده ويعطونه أجراً وقد كان إمام الفئة الباغية، ففي الحديث المشهور الذي أخرجه كلُّ المحدثين، والذي جاء فيه: «ويح عمّار تقتله الفئة الباغية»<sup>(٢)</sup>، وقد قتله معاوية وأصحابه، كيف يحكمون باجتهاده وقد قتل حجر بن عدي وأصحابه صبراً، ودفنهم في مرج عذراء ببادية الشام، لأنهم امتنعوا عن سبّ علي بن أبي طالب<sup>(٣)</sup>.

(١) المصنّف لعبد الرزاق ٥: ٤٦٠، التاريخ الكبير للبخاري ٧: ٣١١، تاريخ دمشق ٥٦: ٣٨٩، سير أعلام النبلاء ٤: ٣٥، تاريخ الطبري ٣: ٢١٨، البداية والنهاية لابن كثير ٧: ١٢٦، شرح نهج البلاغة ٧: ١٦٠.

(٢) مسند أحمد ٣: ٩١، صحيح البخاري ٣: ٢٠٧ كتاب الجهاد والسير، باب مسح الغبار عن الناس في السبيل، صحيح مسلم ٨: ١٨٦، كتاب الفتن، باب لا تقوم الساعة حتّى يمرّ الرجل بقبر الرجل...، مسند أحمد ٥: ٢١٤ و٦: ٣١١، سنن الترمذي ٥: ٣٣٣، السنن الكبرى للبيهقي ٨: ٧٢، مجمع الزوائد ٣: ١٨٢، مسند أبي داود الطيالسي ٨٤: المصنّف للصنعاني ١١: ٢٤٠، المصنّف لابن أبي شيبة ٨: ٧٢٣، المستدرک للحاكم ٢: ١٤٩، صحيح ابن حبان ١٥: ٥٥٥، الجامع الصغير للسيوطي ٢: ٧١٨، كنز العمال ١١: ٧٢٢ ح ٣٣٥٣١، وغيرها.

(٣) بعد قتل علي بن أبي طالب عليه السلام تتبّع معاوية شيعته في كلّ بلد وبادية، وأمرهم بالبراءة منه، وإظهار سبّه ولعنه، وقتل أصحابه المبرزين، ومن أولئك حجر بن عدي الكندي وأصحابه، فقد قتلهم معاوية صبراً قال ابن حجر في الإصابة ٢: ٣٣ ت ١٦٣٤: «حجر بضم أوّله وسكون الجيم بن عدي.. الأكرمين الكندي..»

روى أحمد في الزهد والحاكم في المستدرک من طریق ابن سيرین قال: أطال زياد الخطبة، فقال حجر: الصلاة فمضى في خطبته، فحصبه حجر والناس، فنزل زياد، فكتب إلى معاوية، فكتب إليه أن سرّح به إليّ، فلما قدم قال: السلام عليك يا أمير المؤمنين!  
فقال: أو أمير المؤمنين أنا؟  
قال: نعم.

فأمر بقتله، فقال: لا تطلقوا عني حديداً، ولا تغسلوا عني دماً، فإنّي لاق معاوية بالجابّة، وإني مخاصم...».

وقال ابن خلدون في تاريخه ٣: ١٣: «... بعث معاوية هديّة بن فيّاض القضاعي، والحسن بن عبد الله الكلابي، وأبا شريف البدري إلى حجر وأصحابه ليقتلوا منهم من أمرهم بقتله، فأتوهم وعرض عليهم البراءة من عليّ! فأبوا، وصلّوا عامّة ليلتهم، ثمّ قدّموا من الغد للقتل، وتوضّأ حجر وصلّى وقال: لولا أنّ يظنوا بيّ الجزع من الموت لاستكثرت منها، اللهم إنّنا نستعديك على إمشاء أهل الكوفة يشهدون علينا، وأهل الشام يقتلوننا، ثمّ مشى إليه هديّة بن فيّاض بالسيف، فارتعد، فقالوا: كيف وأنت زعمت أنّك لا تجزع من الموت، فابراً من صاحبك وندعك! فقال: ومالي لا أجزع وأنا بين القبر والكفن والسيف، وإن جزعت من السيف لا أقول ما يسخط الربّ، فقتلوه وقتلوا ستة معه، وهم: شريك بن شداد وصفي بن فضيل وقبيصة بن حنيفة ومحرز بن شهاب وكرام بن حبان، وعبد الرحمن بن حسان العنزي ودفنواهم وصلّوا عليهم وحيء بكريم بن الخثعمي إلى معاوية فطلب منه البراءة من عليّ، فسكت واستوهبه سمرة بن عبد الله الخثعمي من معاوية فوهبه له على أن لا يدخل الكوفة، فنزل إلى الموصل، ثمّ سأل عبد الرحمن بن حسان عن عليّ، فأثنى عليه خيراً، ثمّ عن عثمان؟ فقال: أوّل من فتح باب الظلم وغلق باب الحقّ، فردّه إلى زياد ليقتله شرّاً قتلة، فدفنه حيّاً، وهو سابع

﴿ القوم.. ﴾ وارجع أيضاً إلى تاريخ الطبري ٤: ٢٠٦، والكامل في التاريخ ٣: ٤٨٥، وفي مصنف عبد الرزاق ٥: ٢٧٣ قال: «.. أمر معاوية بقتل حجر بن عدي الكندي، فقال حجر: لا تحلّوا عني قيدا - أو قال - حديداً، وكفّوني بدمي وثيابي». وفي المصنف لابن أبي شيبة الكوفي ٣: ١٣٩ قال: «عن ابن سيرين قال: كان إذا سئل عن غسل الشهيد حدّث بحديث حجر بن عدي قال: قال حجر بن عدي لمن حضره من أهل بيته: لا تغسلوا عني دماً، ولا تطلقوا عني حديداً، وادفنوني في ثيابي، فإنّي التقى أنا ومعاوية على الجادة غداً».

وفي الطبقات الكبرى لابن سعد ٦٠: ٢١٩: «.. فقال معاوية: لا أحب أن أراهم ولكن إعرضوا عليّ كتاب زياد، فقريء عليه الكتاب، وجاء الشهود فشهدوا، فقال معاوية بن أبي سفيان: أخرجوهم إلى عذراء فاقتلوهم هنالك..». وفي تاريخ خليفة بن خياط: ١٦٠ في أحداث سنة ٥١ قال: «فيها قتل معاوية ابن أبي سفيان حجر بن عدي بن الأدبر..».

وفي تاريخ دمشق ١٢: ٢٣١ قال: «قال معاوية: ما قتلت أحداً إلّا وأنا أعرف فيم قتلته وما أردت به، ما خلا حجر بن عدي فإنّي لا أعرف فيما قتلته». وفي سير أعلام النبلاء ٣: ١٣٧: «وادّعى زياداً أنّه أخوه، فولّاه الكوفة بعد المغيرة، فكتب إليه في حجر بن عدي وأصحابه، وحملهم إليه، فقتلهم بمرج عذراء..». وفي السير - أيضاً - ٣: ٤٦٤ في ترجمة حجر: «.. وأتي به إلى زياد وبأصحابه فقال: ويلك مالك؟

قال: إنّي على بيعتي لمعاوية، فجمع زياد سبعين فقال: اكتبوا شهادتكم على حجر وأصحابه، ثمّ أوفدهم على معاوية، وبعث بحجر وأصحابه إليه، فبلغ عائشة الخبر، فبعثت عبد الرحمن بن الحارث بن هشام إلى معاوية تسأله أن يخلي سبيلهم، فقال معاوية: لا أحبّ أن أراهم، هاتوا كتاب زياد، فقريء عليه، وجاء الشهود، فقال معاوية: اقتلوهم عند عذراء».

كيف يريدونه صحابياً عادلاً وقد دسّ السم للحسن بن علي سيّد شباب أهل  
الجنة وقتله<sup>(١)</sup>؟!؟

❶ وقال ابن كثير في البداية والنهاية ٨: ٥٧: «فكتب معاوية إلى زياد كتاباً آخر في  
أمرهم، فأشار عليه بقتلهم لمن كان له حاجة في ملك العراق، فعند ذلك أمر  
بقتلهم..».

وفي البداية والنهاية ٨: ٥٨: «روى ابن جرير: إنّ معاوية جعل يغرغر بالموت وهو  
يقول: إنّ يومي بك يا حجر بن عدي لطويل..».

وقد قتل معه في مرج عذراء لأنّهم رفضوا التبرّأ من علي عليه السلام وهم:

١ - الأرقم بن عبد الله الكندي من بني الأرقم.

٢ - شريك بن شداد الحضرمي.

٣ - صفي بن فسيل.

٤ - قبيصة بن ضبيعة بن حرملة العبسي.

٥ - كريم بن عفيف الخثعمي.

٦ - عاصم بن عوف البجلي.

٧ - ورقاء بن سمي البجلي.

٨ - كرام بن حبان.

٩ - عبد الرحمن بن حسان العرياني.

١٠ - محرز بن شهاب التميمي.

١١ - عتبة بن الأحنس.

١٢ - سعد بن عمران الهمداني.

راجع: البداية والنهاية ٨: ٥٦، تاريخ ابن خلدون ٣: ١٢، تاريخ الطبري ٤: ٥٩.

(١) راجع: الاستيعاب لابن عبد البر ١: ٣٨٩ في ترجمة معاوية، شرح النهج لابن

أبي الحديد، مقاتل الطالبين: ٤٨، تذكرة الخواص: ٢١١، ٢١٣، وفي الطبقات لابن

سعد: «سمّه معاوية مراراً»، وفي تاريخ ابن كثير ٨: ٤٣، وتاريخ ابن عساكر ٤:

كيف ينزّهونه وقد أخذ البيعة من الأمة بالقوة والقهر لنفسه أولاً، ثم لابنه الفاسق يزيد من بعده، وبدل نظام الشورى بالملكية القيصريّة<sup>(١)</sup>.

كيف يحكمون باجتهاده ويعطونه أجراً، وقد حمل الناس عليّ لعن عليّ وأهل البيت ذرية المصطفى من فوق المنابر، وقتل الصحابة الذين امتنعوا عن ذلك، وأصبحت سنّة متبّعة يهرم عليها الكبير، ويشيب عليها الصغير، فلا حول ولا قوة إلا بالله العليّ العظيم؟!

والسؤال يعود دائماً ويتكرّر ويلحّ: ترى أيّ الفريقين عليّ الحقّ وأيهما عليّ الباطل؟ فإمّا أن يكون عليّ وشيعته ظالمين وعليّ غير الحقّ، وإمّا أن يكون معاوية وأتباعه ظالمين وعليّ غير الحقّ، وقد أوضح رسول الله ﷺ كلّ شيء. وفي كلا الحالين فإنّ عدالة الصحابة كلّهم من غير استثناء أمر مستحيل، لا ينسجم مع المنطق السليم.

➤ ٢٢٩ «يقال: إنّ معاوية قد تلطّف لبعض خدمه أن يسقيه سمّاً»، مروج الذهب ٢: ٥٠، تاريخ الخلفاء للسيوطي: ١٩٢ وفيه «أن يزيد أرسل السمّ إلى زوجة الإمام الحسن عليه السلام فسمّته»، تاريخ الإسلام للذهبي ٤: ٤٠.

(١) قال ابن حجر في فتح الباري ١٢: ٣٤٦: «وأما معاوية ومن بعده فكان أكثرهم على طريقة الملوك ولو سمّوا خلفاء، والله أعلم»، وقال الذهبي في سير أعلام النبلاء ٣: ١٥٧: «كان معاوية أوّل من اتّخذ الديوان للختن، وأمر بالنيروز والمهرجان... وكان يقول: أنا أوّل الملوك»، وكذلك في إمتاع الأسماع للمقرئزي ١٢: ١١١، وفي المصنّف لابن أبي شيبة ٧: ٢٧٩: «قال معاوية: أنا أوّل الملوك»، وكذلك الاستيعاب ٣: ١٤٢٠، درر السمط في خبر السبط: ٤٨، تخريج الأحاديث والآثار ٢: ٤٤٨، فيض القدير في شرح الجامع الصغير ٣: ٦٧٩، تهذيب الكمال ٦: ٥٠٩، سير أعلام النبلاء ٣: ١٥٧ تاريخ اليعقوبي ٢: ٢٣٢، البداية والنهاية ٨: ١٤٤.

ولكلّ هذه المواضيع أمثلة كثيرة لا يحصي عددها إلا الله، ولو أردت الدخول في التفصيل وبحث هذه المواضيع من كلّ جانبها لاحتجت إلى مجلدات كثيرة، ولكنني رمت الاختصار، وأخذت في هذا البحث بعض الأمثلة - وهي بحمد الله كافية - لإبطال مزاعم قومي الذين جمّدوا فكري ردحاً من الزمن، وحجروا عليّ أن أفقه الحديث، أو أحلّل الأحداث التاريخية بميزان العقل والمقاييس الشرعية التي علّمنا إياها القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة.

ولذلك سوف أتمرّد على نفسي، وأنفض عنّي غبار التعصّب الذي غلّفوني به، وأتحرّر من القيود والأغلال التي كبّلوني بها أكثر من عشرين عاماً، ولسان حاله يقول لهم: يا ليت قومي يعلمون بما غفر لي ربّي وجعلني من المكرمين، يا ليت قومي اكتشفوا العالم الذي يجهلونه ويعادونه دون أن يعرفونه.



بداية التحول

---

---

---



## بداية التحول

بقيت متحيراً ثلاثة أشهر مضطرباً حتى في نومي، تتجاذبني الأفكار وتموج بي الظنون والأوهام، خائفاً على نفسي من بعض الصحابة الذين أحقق في تاريخهم، فأقف على بعض المفارقات المذهلة في سلوكهم، لأن التربية التي تلقيتها طيلة حياتي تدعوني إلى احترام وتقديس أولياء الله والصالحين من عباده الذين (يؤذون) من يتكلم في حقهم سوءاً، أو يسيء إليهم الأدب حتى في غيابهم وإن كانوا موتى.

ولقد قرأت في ما سبق في كتاب حياة الحيوان الكبرى للدميري<sup>(١)</sup>: إن رجلاً كان يشتم عمر بن الخطاب، وكان أصحابه في القافلة ينهونه، فلما ذهب يتبول لدغه أسود سالخ فمات لحينه، وحفروا له لدفنه، فوجدوا في القبر أسود سالخ، ثم حفروا قبوراً أخرى وفي كل مرة يجدون أسود سالخ، فقال لهم أحد العارفين: ادفنوه أنى شئتم، فلو حفرتم الأرض كلها لوجدتم أسود سالخ، ذلك ليعذبه الله في الدنيا قبل الآخرة على شتمه سيّدنا عمر.

ولذلك وجدتني وأنا أقحم نفسي في هذا البحث العسير خائفاً محتاراً، وخصوصاً لأنني تعلمت في الفرع الزيتوني بأن أفضل الخلفاء على التحقيق سيّدنا أبو بكر الصديق، ثم يأتي بعده سيّدنا عمر بن الخطاب الفاروق الذي يفرق الله به بين الحق والباطل، ثم بعده سيّدنا عثمان بن عفان ذو النورين الذي استتحت منه ملائكة

---

(١) كتاب حياة الحيوان الكبرى للدميري. هذه القصة توجد في حديثه عن الأسود

السالخ (المؤلف).

الرحمن، ثم بعده سيّدنا علي باب مدينة العلم.

ثم يأتي بعد هؤلاء الأربعة الستة الباقون من العشرة المبشرين بالجنة وهم : طلحة، والزبير، وسعد، وسعيد، وعبد الرحمن، وأبو عبيدة، ثم يأتي بعد هؤلاء الصحابة جميعاً.

وكثيراً ما كانوا يعلموننا الاستدلال بالآية الكريمة : ﴿لَا تُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ﴾<sup>(١)</sup> على وجوب النظر إلى بقية الصحابة بالمنظار نفسه دون خدش أي واحد منهم.

وعلى هذا خشيت على نفسي واستغفرت ربّي مرّات عديدة، أردت فيها الانقطاع عن البحث في مثل هذه الأمور التي تشكّكتني في صحابة رسول الله ﷺ، وبالتالي تشكّكتني في ديني، ولكّني وجدت من خلال الحديث مع بعض العلماء طيلة تلك المدة تناقضات لا يقبلها العقل، وبدأوا يحذرونني أنّي إن واصلت البحث في أحوال الصحابة فسوف يسلب الله نعمته عليّ ويهلكني، ومن كثرة معاندتهم وتكذيبهم كلّ ما أقول دفعني فضولي العلمي وحرصني على بلوغ الحقيقة إلى أن أقحم نفسي من جديد في البحث، ووجدت قوّة داخلية تدفعني دفعاً.

## محاورة مع عالم

قلت لأحد علمائنا: إذا كان معاوية قتل الأبرياء، وهتك الأعراض، وتحكمون بأنّه اجتهد وأخطأ وله أجر واحد، وإذا كان يزيد قتل أبناء الرسول، وأباح المدينة لجيشه، وتحكمون بأنّه اجتهد وأخطأ وله أجر واحد، حتّى قال بعضكم: « قُتل الحسين بسيف جدّه »<sup>(١)</sup> لتبرير فعل يزيد.

(١) قال المناوي في فيض القدير في شرح الجامع الصغير ١: ٢٦٥: «... وقد غلب على ابن العربي الغض من أهل البيت حتّى قال: قتله بسيف جدّه». وقال الألويسي في روح المعاني ٢٦: ٧٣: «وأبو بكر بن العربي المالكي عليه من الله تعالى ما يستحق أعظم الفرية، فزعم أنّ الحسين قتل بسيف جدّه ﷺ، وله من الجهلة موافقون على ذلك».

وفي خلاصة عبقات الأنوار ٤: ٢٣٧: «... قال ابن حجر المكي: في ذكر يزيد بن معاوية: «قال أحمد بن حنبل بكفره، وناهيك به ورعاً وعلماً يقضيان بأنّه لم يقل ذلك إلا لقضايا وقعت منه صريحة في ذلك ثبتت عنده، وان لم تثبت عند غيره كالغزالي، فإنّه أطال في ردّ كثير ممّا نسب إليه كقتل الحسين، فقال: لم يثبت من طريق صحيح أنّه قتله ولا أمر بقتله، ثمّ بالغ في تحريم سبّه ولعنه، وكابن العربي المالكي، فإنّه نقل عنه ما يقشعر منه الجلد، أنه قال: لم يقتل يزيد الحسين إلا بسيف جدّه، أيّ بحسب اعتقاده الباطل أنّه الخليفة والحسين باغ عليه، والبيعة سبقت ليزيد، ويكفي فيها بعض أهل الحلّ والعقد، وبيعته كذلك؛ لأنّ كثيرين أقدموا عليها مختارين لها، هذا مع عدم النظر إلى استخلاف أبيه له، أمّا مع النظر

فلماذا لا اجتهد أنا في البحث وهو ما يجزني للشك في الصحابة وتعزية البعض منهم، وهذا لا يقاس بالنسبة للقتل الذي فعله معاوية وابنه يزيد في العترة الطاهرة، فإن أصبت فلي أجران وإن أخطأت فلي أجر واحد.

على أن انتقاصي لبعض الصحابة لا أريد منه السبّ والشتم واللعن، وإنما أريد الوصول إلى الحقيقة لمعرفة الفرقة الناجية من بين الفرق الضالة، وهذا واجبي وواجب كل مسلم، والله سبحانه يعلم السرائر وما تخفي الصدور.

أجابني العالم قائلاً: يا بني لقد أغلق باب الاجتهاد من زمان.

فقلت: ومن أغلقه؟

قال: الأئمة الأربعة.

فقلت متحرراً: الحمد لله إذ لم يكن الله هو الذي أغلقه، ولا رسول الله، ولا الخلفاء الراشدون الذين أمرنا بالاعتداء بهم، فليس عليّ حرج إذا اجتهدت كما اجتهدوا.

فقال: لا يمكنك الاجتهاد إلا إذا عرفت سبعة عشر علماً، منها: علم التفسير، واللغة، والنحو، والصرف، والبلاغة، والأحاديث، والتاريخ وغير ذلك.

وقاطعته قائلاً: أنا لن اجتهد لأبين للناس أحكام القرآن والسنة، ولا لأكون صاحب مذهب في الإسلام.. كلاً، ولكن لأعرف من على الحق ومن على الباطل، ولمعرفة إن كان الإمام عليّ هو الحق أو معاوية مثلاً، ولا يتطلب ذلك الإحاطة بسبعة عشر علماً، ويكفي أن أدرس حياة كل منهما وما فعلاه حتى أتبين الحقيقة<sup>(١)</sup>.

❖ لذلك فلا يشترط موافقة أحد من أهل الحلّ والعقد على ذلك.

وارجع إلى كتاب نحو إنقاذ التاريخ الإسلامي لحسن فرحان المالكي: ٢٣٩.

(١) وقد افترى الدكتور إبراهيم الرحيلي في كتابه الانتصار للصحب والآل ص ١٥٦

قال : وما يهّمك أن تعرف ذلك : ﴿ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلكُمْ مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾<sup>(١)</sup> .  
قلت : أتقرأ ولا تسألون بفتح التاء أم بضمّها؟

☞ على المؤلف إذ ذكر أنّ التيجاني جاهل بأمور الشريعة ويريد الاجتهاد فيها وقد اعترف بذلك!!

وهذا خلط ولعب في الأوراق، لأنّ المؤلف لم يقل هذا الكلام أصلاً، فهو ذكر بأنّه يريد البحث في حياة الصحابة والأفعال التي صدرت منهم، ثمّ يزنّها بعد ذلك بالميزان الشرعي، ليرى مدى موافقتها للشريعة من عدمه، وبعد ذلك يتّضح له المصيب من المخطيء، والصالح من الطالح، والتقوي الورع الذي يمكن الاعتماد عليه واتّباعه من الفاجر الخبيث الذي يجب اجتنابه والابتعاد عنه. وهذا الأمر لا يتطلب من الباحث فيه أن يكون مطلعاً على سبعة عشر علماً، إذ لا ربط للغة في عدالة معاوية من فسقه، أو أحقيّة علي بن أبي طالب من غيره، وكذلك الصرف، والبلاغة، والتفسير.. وغير ذلك من العلوم، فلا ربط بين كون معاوية باغ لأنّه قتل عمّار بن ياسر وبين كون الفاعل مرفوعاً، ولا ربط بين كون معاوية منافقاً لأنّه يسبّ علي بن أبي طالب ويأمر بسبه وبين كون فعل ضرب على وزن فعل.. إلى غير ذلك ممّا يزيد الشجون ويديمي الجفون.

وأين هذا ممّا رامه الرحيلي بقوله: «وقد اعترف المؤلف في موطن آخر من كتابه «ثمّ اهتديت» بأنّه ليست عنده معرفة بعلوم الشريعة، زاعماً - لفرط جهله - أنّه لا يحتاج إليها في بحثه عن أحوال الصحابة»!! من أنّ المؤلف جاهل بعلوم الشريعة فكيف يتسنّى له البحث عن الصحابة!؟

وهذا جهل أو تجاهل مركب من الرحيلي للطعن بالمؤلف عن طريق التلاعب بالألفاظ والتمويه على القاريء بأمور يحسبها متناقضة، وهي ليست كذلك، وإنّما التناقض إن وجد فهو في ذهن الرحيلي لا غير.

قال : تسألون بالضم.

قلت : الحمد لله، لو كانت بالفتح لأمتنع البحث، وما دامت بالضم فمعناها أنّ الله سبحانه سوف لن يحاسبنا عمّا فعلوا وذلك كقوله تعالى : ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾<sup>(١)</sup>، و﴿وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾<sup>(٢)</sup>.

وقد حثنا القرآن الكريم على استطلاع أخبار الأمم السابقة ولنتخلص منها العبرة، وقد حكى الله لنا عن فرعون وهامان ونمرود وقارون وعن الأنبياء السابقين وشعوبهم، لا للتسلية ولكن ليعرّفنا الحقّ من الباطل، أمّا قولك : وما يهمني من هذا البحث؟

نعم يهمني :

أولاً: لكي أعرف وليّ الله فأواليه، وأعرف عدوّ الله فأعاديّه، وهذا ما طلبه منّي القرآن بل أوجبه عليّ.

ثانياً: يهمني أن أعرف كيف أعبد الله، وأتقرّب إليه بالفرائض التي افترضها، وكما يريدّها هو جلّ وعلا لا كما يريدّها مالك أو أبو حنيفة أو غيرهم من المجتهدين؛ لأنّي وجدت مالكا يقول بکراهة البسملة في الصلّاة، بينما يقول أبو حنيفة باستحبابها، ويقول غيره ببطلان الصلّاة بدونها<sup>(٣)</sup>، وبما أنّ الصلّاة هي عمود الدّين،

(١) سورة المدثر: ٣٨.

(٢) سورة النجم: ٣٩.

(٣) تحفة الأحوذني في شرح سنن الترمذي ٢: ٤٧ قال: «إعلم أنّ في قراءة البسملة في الصلّاة ثلاثة أقوال:

أحدها: أنّها واجبة كمذهب الشافعي وإحدى الروايتين عن أحمد وطائفة من أهل الحديث، بناءً على أنّها من الفاتحة.



إن قبلت قبل ما سواها وإن رُدت ردّ ما سواها، فلا أريد أن تكون صلاتي باطلة.  
 كما أن الشيعة يقولون بمسح الرجلين في الوضوء، ويقول السنة بغسلهما، بينما  
 نقرأ في القرآن: ﴿وَأَمْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلِكُمْ﴾<sup>(١)</sup> وهي صريحة في المسح، فكيف  
 تريد يا سيدي أن يقبل المسلم العاقل قول هذا ويردّ قول ذاك بدون بحث ودليل.  
 قال: بإمكانك أن تأخذ من كلّ مذهب ما يعجبك، لأنهم مذاهب إسلامية،  
 وكلّهم من رسول الله ملتمس.

قلت: أخاف أن أكون ممن قال الله فيهم: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ  
 وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَن يَهْدِيهِ  
 مِن بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾<sup>(٢)</sup>.

يا سيدي، أنا لا أعتقد بأن المذاهب كلّها على حقّ، ما دام الواحد منهم يبيح

➤ والثاني: أنّها مكروهة سرّاً وجهرّاً، وهو المشهور عن مالك.

والثالث: إنّها جائزة، بل مستحبّة وهو مذهب أبي حنيفة..».

وقال ابن حزم في المحلّي ٣: ٢٥١: «مسألة: ومن كان يقرأ برواية من عدّ من القراء  
 بسم الله الرحمن الرحيم آية من القرآن لم تجزه الصلاة إلا بالبسملة، وهم  
 عاصم بن أبي النجود، وحمزة، والكسائي، وعبد الله بن كثير وغيرهم من  
 الصحابة والتابعين ومن كان يقرأ برواية من لا يعدها آية من أمّ القرآن فهو  
 مخير بين أن يبسم وبين أن لا يبسم وهو ابن عامر وأبي عمر ويعقوب، وفي  
 بعض الروايات عن نافع.

وقال مالك: لا يبسم المصلّي إلا في صلاة التراويح في أوّل ليلة من الشهر.

وقال الشافعي: لا تجزىء الصلاة إلا ببسم الله الرحمن الرحيم..».

وراجع الى سبل السلام ١: ٨٨، نيل الأوطار ٢: ٢٢٤، فقه السنة: ١٢٦.

(١) سورة المائدة: ٦.

(٢) سورة الجاثية: ٢٣.

الشيء ويحرّمه الآخر، فلا يمكن أن يكون الشيء حراماً وحلالاً في آن واحد، والرسول ﷺ لم يتناقش في أحكامه لأنه وحي من القرآن: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾<sup>(١)</sup>، وبما أن المذاهب الأربعة فيها اختلاف كثير، فليست من عند الله ولا من عند رسوله؛ لأن الرسول لا يناقض القرآن.

ولما رأى الشيخ العالم كلامي منطقيّاً وحجتي مقبولة، قال: أنصحك لوجه الله تعالى مهما شككت فلا تشكّ في الخلفاء الراشدين، فهم أعمدة الإسلام الأربعة إذا هدمت عموداً منها سقط البناء.

قلت: استغفر الله يا سيدي، فأين رسول الله إذن إذا كان هؤلاء هم أعمدة الإسلام؟

أجاب: رسول الله هو ذاك البناء! هو الإسلام كلّ.

ابتسمت من هذا التحليل وقلت: استغفر الله مرّة أخرى يا سيدي الشيخ، فأنت تقول من حيث لا تشعر بأن رسول الله ﷺ لم يكن ليستقيم إلاّ بهؤلاء الأربعة، بينما يقول الله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾<sup>(٢)</sup>.

فقد أرسل محمداً ﷺ بالرسالة ولم يشركه فيها أحداً من هؤلاء الأربعة ولا من غيرهم، وقد قال الله تعالى في هذا الصدد: ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾<sup>(٣)</sup>.

(١) سورة النساء: ٨٢.

(٢) سورة الفتح: ٢٨.

(٣) سورة البقرة: ١٥١.

قال : هذا ما تعلمناه نحن من مشايخنا وأئمتنا، ولم نكن نحن في جيلنا نناقش ولا نجادل العلماء مثلكم اليوم الجيل الجديد، أصبحتم تشكون في كل شيء، وتشكون في الدين، وهذه من علامات الساعة فقد قال ﷺ : « لا تقوم الساعة إلا على شرار الخلق »<sup>(١)</sup>.

فقلت : يا سيدي لماذا هذا التهويل، أعود بالله أن أشك في الدين أو أشكك فيه، فقد آمنت بالله وحده لا شريك له، وملائكته وكتبه ورسله، وآمنت بأن سيدنا محمداً عبده ورسوله، وهو أفضل الأنبياء والمرسلين، وخاتمهم وأنا من المسلمين، فكيف تتهمني بهذا؟

قال : أتهمك بأكثر من هذا؛ لأنك تشكك في سيدنا أبي بكر وسيدنا عمر، وقد قال ﷺ : « لو وزن إيمان أبي بكر مع إيمان جميع الخلق لرجح إيمان أبي بكر »<sup>(٢)</sup>،

(١) مسند أحمد ١: ٢٩٤ الاستيعاب ٣: ١٢٤٥ عن النبي ﷺ، وفي صحيح مسلم ٥٤: ٦ كتاب الإمارة، باب مراعاة مصلحة الدواب في السير، المستدرک للحاكم ٤: ٥٦٦، فتح الباري ١٣: ٦٧ صحيح ابن حبان ١٥: ٢٥٠ عن عبد الله بن عمر.

(٢) عمدة القاري للعيني ١: ١٠٨، المستصفى للغزالي: ٧٠، المحصل للرازي ٦: ١٣٣، تاريخ مدينة دمشق ٣٠: ١٢٦، الكامل لابن عدي ٤: ٢٠١ وهو من طريق عبد الله بن عبد العزيز الذي وصفه بقوله: «يحدث عن أبيه عن نافع عن ابن عمر بأحاديث لا يتابعه أحد عليه»، وفي ميزان الاعتدال ٢: ٢٥٥ بعد نقله الحديث قال: «قال أبو حاتم وغيره: أحاديثه منكرة. وقال ابن الجنيد: لا يساوي فلساً» وفي لسان الميزان ٣: ٣١٠ بعد أن ذكره قال: «كلام ابن الجنيد يحدث بأحاديث كذب».

وقد روي في مصادر أخرى عن عمر بن الخطاب كما في مسند ابن راهوية ٣: ٦٧٢ وتخريج الأحاديث والآثار ١: ٢٤٨ وتذكرة الموضوعات وما دام أن الرواية عن عمر بن الخطاب موقوفة عليه فلا تحتاج إلى تعليق بعد ما عقد له البيعة مراعيًا

وقال في حق سيدنا عمر: « رأيتني في المنام والناس يعرضون عليّ عليهم قميص منها إلى كذا ومنها إلى كذا، ومر عليّ عمر بن الخطّاب يجرّ قميصه، قيل: يا رسول الله ما أولته؟ قال: الدين»<sup>(١)</sup>، وتأتي أنت اليوم في القرن الرابع عشر لتشكّك في عدالة الصحابة وبالخصوص أبي بكر وعمر؟! ألم تعلم بأنّ أهل العراق هم أهل الشقاق، هم أهل الكفر والنفاق!!

ماذا أقول لهذا العالم المدّعي العلم الذي أخذته العزّة بالإثمّ، فتحوّل من الجدل بالتي هي أحسن إلى التهريج والافتراء، وبثّ الإشاعات أمام مجموعة من الناس المعجيين به، والذين احمرّت أعينهم، وانتفخت أوداجهم، ولاحظت في وجوههم الشر.

فما كان منّي إلا أن أسرعت للبيت، وأتيتهم بكتاب الموطأ للإمام مالك وصحيح البخاري، وقلت: يا سيدي، إنّ الذي بعثني على هذا الشك هو رسول الله نفسه، وفتحت كتاب الموطأ وفيه: روى مالك أنّ رسول الله ﷺ قال لشهداء أحد: «هؤلاء أشهد عليهم، فقال أبو بكر الصديق: ألسنا يا رسول الله إخوانهم، أسلمنا كما أسلموا، وجاهدنا كما جاهدوا؟

فقال رسول الله ﷺ: بلى ولكن لا أدري ما تحدثون بعدي! فيكئ أبو بكر ثم بكئ، ثم قال: إنّنا لكائنون بعدك»<sup>(٢)</sup>.

➤ أفضليته على أمة الإسلام بينما أبو بكر لا يعتقد بأفضلية نفسه، وصدع في أوّل

مقالة بقوله: إن لي شيطاناً يعتريني.

(١) مسند أبي داود الطيالسي: ٣٠٩، الاستيعاب ٣: ١١٤٨، تهذيب الكمال ٢١: ٣٢٥،

الوافي بالوفيات ٢٢: ٢٨٥.

(٢) موطأ مالك ٢: ٤٦٢ ح ٣٢ كتاب الجهاد، باب الشهداء، الاستنكار ٥: ١٠٤، التمهيد

ثمّ فتحت صحيح البخاري وفيه : « دخل عمر بن الخطاب على حفصة  
وعندها أسماء بنت عميس، فقال - حين رآها - : من هذه؟

قالت : أسماء بنت عميس.

قال عمر : الحبشيّة هذه، البحرية هذه.

قالت أسماء : نعم.

قال : سبقناكم بالهجرة، فنحن أحقّ برسول الله منكم.

فغضبت وقالت : كلاً والله، كنتم مع رسول الله يطعم جائعكم، ويعظ  
جاهلكم، وكنا في دار أو في أرض البعداء البغضاء بالحبشة، وذلك في الله وفي رسوله،  
وأيم الله لا أطعم طعاماً ولا أشرب شراباً حتّى أذكر ما قلت لرسول الله ﷺ، ونحن  
كنا نؤذى ونخاف، وسأذكر ذلك للنبيّ أسأله والله لا أكذب ولا أزيغ ولا أزيد عليه.

فلما جاء النبي ﷺ قالت : يا نبي الله، عمر قال كذا وكذا،

قال : فما قلت له؟

قالت : كذا وكذا،

قال : ليس بأحقّ بي منكم، وله ولأصحابه هجرة واحدة، ولكم أنتم أهل

---

➤ ٢٢٨:٢١ وقال: «هذا الحديث مرسل هكذا، منقطع عند جميع الرواة للموطأ، ولكن  
معناه يستند من وجوه صحاح كثيرة.

ومعنى قوله: أشهد عليهم، أي أشهد لهم بالإيمان الصحيح، والسلامة من الذنوب  
الموبقات، ومن التبديل والتغيير والمنافسة في الدنيا ونحو ذلك، والله أعلم.  
وقليل من الفقه دليل على أنّ شهداء أحد ومن مات من أصحاب رسول الله ﷺ قبله  
أفضل من الذين تخلفهم بعده والله أعلم.

وهذا عندي في الجملة المحتملة للتخصيص؛ لأنّ من أصحابه من أصاب من الدنيا  
بعده وأصاب منه...». شرح النهج لابن أبي الحديد ١٥:٣٨.

السفينة هجرتان،

قالت : فلقد رأيت أبا موسى وأصحاب السفينة يأتونني إرسالاً يسألونني عن هذا الحديث، ما من الدنيا شيء هم به أفرح ولا أعظم ما في أنفسهم مما قال لهم النبي ﷺ « (١) ».

وبعد ما قرأ الشيخ العالم والحاضرون معه الأحاديث تغيرت وجوههم، وبدأ ينظر بعضهم إلى البعض، ينتظرون ردّ العالم الذي صدم، فما كان منه إلا أن رفع حاجبيه علامة التعجب وقال : «.. وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا » (٢).

فقلت : إذا كان رسول الله ﷺ هو أوّل من شكّ في أبي بكر، ولم يشهد عليه، لأنه لا يدري ماذا سوف يحدث من بعده، وإذا كان رسول الله ﷺ لم يقرّ بتفضيل عمر بن الخطّاب على أسماء بنت عميس بل فضّلها عليه، فمن حقّي أن أشكّ وأن لا أفضل أحداً حتّى أتبيّن وأعرف الحقيقة.

ومن المعلوم أن هذين الحديثين يناقضان كلّ الأحاديث الواردة في فضل أبي بكر وعمر ويبطلانها، لأنهما أقرب إلى الواقع المعقول من أحاديث الفضائل المزعومة.

قال الحاضرون : وكيف ذلك؟

قلت : إن رسول الله ﷺ لم يشهد على أبي بكر وقال له : « إني لا أدري ما

(١) صحيح البخاري ٣: ٣٨٧، كتاب المغازي، باب غزوة خيبر، صحيح مسلم ١٧٢: ٧ كتاب الفضائل، باب من فضائل جعفر، مسند أبي يعلى الموصلي ١٣: ٣٠، المصنّف لابن أبي شيبة ٧: ٥١٥، السنن الكبرى للنسائي ٥: ١٠٤، المعجم الأوسط ٦: ٢٣١، الطبقات الكبرى ٨: ٢٨١، سير أعلام النبلاء ٢: ٢٨٣، تاريخ الإسلام ٢: ٤٣١، الوافي بالوفيات ٩: ٣٤، البداية والنهاية ٤: ٢٣٣.

(٢) سورة طه: ١١٤.

تحدثون بعدي»<sup>(١)</sup>! فهذا معقول جداً، وقد قرّر ذلك القرآن الكريم، والتاريخ يشهد أنّهم بدّلوا بعده، ولذلك بكى أبو بكر، وقد بدّل وأغضب فاطمة الزهراء بنت الرسول - كما سبق -، وقد بدّل حتّى ندم قبل وفاته وتمنّى أن لا يكون بشراً.

أمّا الحديث الذي يقول: «لو وزن إيمان أبي بكر مع إيمان جميع الخلق لرجح إيمان أبي بكر» فهو باطل وغير معقول، ولا يمكن أن يكون رجل قضى أربعين سنة من عمره يشرك بالله ويعبد الأصنام أرجح إيماناً من أمة محمّد بأسرها، وفيها أولياء الله الصالحين والشهداء، والأئمّة الذين قضوا أعمارهم كلّها جهاداً في سبيل الله. ثمّ أين أبو بكر من هذا الحديث؟ لو كان صحيحاً لما كان في آخر حياته يتمنّى أن لا يكون بشراً<sup>(٢)</sup>.

(١) موطأ مالك ٤:٦٢، المصنّف للصنعاني ٣:٥٤١، الاستذكار ٥:١٠٤ الإكمال في أسماء الرجال: ١٩.

(٢) يؤثر عن أبي بكر أمنيات كثيرة نذكر منها ما قدرنا عليه.  
أ - في مصنّف ابن أبي شيبة ٨:١٤٤ بسنده عن الضحاك قال: «رأى أبو بكر طيراً واقفاً على شجرة فقال: طوبى لك يا طير، والله لو ددت أني كنت مثلك، تقع على الشجرة، وتأكل من الثمرة، ثمّ تطير وليس عليك حساب ولا عذاب، والله لو ددت إنّي كنت شجرة إلى جانب الطريق مرّ عليّ جمل فأدخلني في فيه فلاكني ثمّ أخرجني بعراً ولم أكن بشراً».

ب - في كنز العمال ١٢:٥٢٩ عن الضحاك قال: «قال أبو بكر الصديق ونظر إلى عصفور: طوبى لك يا عصفور، تأكل من الثمار، وتطير في الأشجار، لا حساب عليك ولا عذاب والله لو ددت أني كبش يسمّي أهلي، فإذا كنت أعظم ما كنت وأسمنه يذبحوني فيجعلوني بعضي شواء وبعضي قديداً، ثمّ أكلوني ثمّ ألقوني عذرة في الحشّ، وإنّي لم أكن خلقت بشراً».

ولو كان إيمانه يفوق إيمان الأمة ما كانت سيّدة النساء فاطمة بنت الرسول ﷺ تغضب عليه وتدعو الله عليه في كل صلاة تصلّيها؟! ولم يردّ العالم بشيء، ولكن بعض الجالسين قالوا: لقد بعث - والله - هذا الحديث الشك فينا.

عند ذلك تكلم العالم ليقول لي: أهدأ ما تريده، لقد شككت هؤلاء في دينهم؟ وكفاني أحدهم الردّ عليه إذ قال: كلاً، إنّ الحقّ معه، نحن لم نقرأ في حياتنا كتاباً كاملاً، واتبعناكم واقتدينا بكم في ثقة عمياء بدون نقاش، وقد تبين لنا الآن أن ما يقوله الحاج صحيح، فمن واجبنا أن نقرأ ونبحث!! ووافقته على رأيه بعض الحاضرين، وكان ذلك انتصاراً للحق والحقيقة، ولم يكن انتصاراً بالقوّة والقهر، ولكنّه انتصار العقل والحجّة والبرهان ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾<sup>(١)</sup>.

ذلك ما دفعني وشجّعني على الدخول في البحث وفتح الباب على مصراعيه، فدخلته باسم الله وبالله وعلى ملّة رسول الله ﷺ، راجياً منه سبحانه وتعالى التوفيق والهداية، فهو الذي وعد بهداية كلّ باحث عن الحقّ وهو لا يخلف وعده.

ج - وفي كنز العمال ٢٨:١٢ عن أبي بكر قال: «وددت أنّي شعرة في جنب عبد مؤمن».

د - وفي الطبقات الكبرى ٣:١٩٨ بسنده عن قتادة قال: «بلغني أنّ أبا بكر قال: وددت أنّي خضرة تأكلني الدواب».

إلى غير ذلك من أمانى أبي بكر التي لا تعدّ ولا تحصى .

والإنسان - مهما كان - إذا كان عارفاً بالقدر الإنساني، وبعظمة الكيان الربّاني المتجسّد في الهيكل الناسوتي لا يمكنه تمّني أن يكون عذرة أو كبشاً أو طيراً، لكن أبا بكر تمّني فهنيئاً له!

(١) سورة البقرة: ١١١.



وتواصل البحث - بكلّ دقّة - ثلاث سنوات، وذلك لأنّي أُعيد ما أقرأ وأكرّر - في بعض الأحيان - قراءة الكتاب من الصفحة الأولى إلى آخر صفحة.

قرأت كتاب «المراجعات» للإمام شرف الدين وراجعته عدّة مرات، وقد فتح أمامي آفاقاً سبّبت هدايتي، وشرحت صدري لحبّ أهل البيت ومودّتهم.

وقرأت كتاب «الغدير» للشيخ الأميني، وأعدته ثلاث مرّات لما فيه من حقائق دامغة واضحة جليّة، وقرأت كتاب «فدك في التاريخ» للسيد محمّد باقر الصدر، وكتاب «السقيفة» للشيخ محمّد رضا المظفر، وفهمت منهما أسراراً غامضة اتّضحت، كما قرأت كتاب «النصّ والاجتهاد» فازددت يقيناً.

ثمّ قرأت كتاب «أبي هريرة» لشرف الدين، و«شيخ المضيرة» للشيخ محمود أبو ريّة المصري، وعرفت بأنّ الصحابة الذين غيروا بعد رسول الله قسماً، قسم غير الأحكام بما له من السلطة والقوة الحاكمة، وقسم غير الأحكام بوضع الأحاديث المكذوبة على رسول الله ﷺ.

ثمّ قرأت كتاب «الإمام الصادق والمذاهب الأربعة» لأسد حيدر، وعرفت الفرق بين العلم الموهوب والعلم المكسوب، عرفت الفرق بين حكمة الله التي يؤتيها من يشاء، وبين التطفّل على العلم والاجتهاد بالرأي الذي أبعده الأئمة عن روح الإسلام.

وقرأت كتباً أخرى عديدة للسيد جعفر مرتضى العاملي، والسيد مرتضى العسكري، والسيد الخوئي، والسيد الطباطبائي، والشيخ محمّد أمين زين الدين، وللفيروزآبادي، ولابن أبي الحديد المعتزلي في شرحه لنهج البلاغة، والفتنة الكبرى لطفه حسين.

ومن كتب التاريخ قرأت «تاريخ الطبري»، و«تاريخ ابن الأثير»، و«تاريخ

المسعودي»، و«تاريخ يعقوبي»، وقرأت الكثير حتى اقتنعت بأن الشيعة الإمامية على حق، فتشيعت وركبت على بركة الله سفينة أهل البيت عليهم السلام، وتمسكت بحبل ولائهم؛ لأنني وجدت بحمد الله البديل عن بعض الصحابة الذين ثبت عندي أنهم ارتدوا على أعقابهم القهقري ولم ينج منهم إلا القليل، وأبدلتهم بأئمة أهل البيت النبوي الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً، وافترض مودتهم على الناس أجمعين.

فالشيعة ليسوا كما يدعي بعض علمائنا هم الفرس والمجوس الذين حطم سيدنا عمر كبرياءهم ومجدهم وعظمتهم في حرب القادسية ولذلك يبغضونه ويكرهونه!

وأجبت هؤلاء الجاهلين بأن التشيع لأهل البيت النبوي لا يختص بالفرس، بل الشيعة في العراق، وفي الحجاز، وفي سوريا، ولبنان، وكل هؤلاء عرب، كما يوجد الشيعة في باكستان والهند، وفي أفريقيا وأمريكا، وكل هؤلاء ليسوا من العرب ولا من الفرس.

ولو اقتصرنا على شيعة إيران، فإن الحجّة تكون أبلغ إذ إنني وجدت الفرس يقولون بإمامة الأئمة الاثني عشر، وكلهم من العرب من قريش من بني هاشم عترة النبي صلى الله عليه وآله، فلو كان الفرس متعصبين ويكرهون العرب - كما يدعي البعض - لآخذوا سلمان الفارسي إماماً لهم؛ لأنه منهم، وهو صحابي جليل، عرف قدره كل من الشيعة والسنة على حدّ سواء؟!!

بينما وجدت أهل السنة والجماعة ينقطعون في الإمامة إلى الفرس، فأغلب أئمتهم من الفرس: كأبي حنيفة، والإمام النسائي، والترمذي، والبخاري، ومسلم، وابن ماجه، والرازي، والإمام الغزالي، وابن سينا، والفارابي، وغيرهم كثيرون يضيق بهم المقام.

فإذا كان الشيعة من الفرس يرفضون عمر بن الخطاب لأنه حطّم كبرياءهم وعظمتهم، فماذا نفسّر رفض الشيعة له من العرب وغير الفرس؟!

فهذه دعوى لا تقوم على دليل، وإثما رفض هؤلاء عمر للدور الذي قام به في إبعاد أمير المؤمنين وسيد الوصيين علي بن أبي طالب عن الخلافة بعد رسول الله ﷺ، وما سبب ذلك من فتن ومحن وقلقل وإنحلال لهذه الأمة، ويكفي أن يزاح الحجاب عن أيّ باحث حر، وتكشف له الحقيقة حتّى يرفضه بدون عداوة سابقة. والحقّ إنّ الشيعة سواء كانوا من الفرس أم من العرب أم من غير هؤلاء، قد خضعوا للنصوص القرآنية والنصوص النبويّة، واتبعوا إمام الهدى وأولاده مصايح الدجى، ولم يرضوا بغيرهم رغم سياسة الترغيب والترهيب التي قادها الأمويون، ومن بعدهم العبّاسيون طيلة سبعة قرون، تتبّعوا خلالها الشيعة تحت كلّ حجر ومدبر، وقتلوهم وشرّدوهم، ومنعوهم العطاء، ومحو آثارهم، وأثاروا حولهم الإشاعات والدعايات التي تنفر الناس منهم، وبقيت هذه الآثار حتّى اليوم.

ولكن الشيعة ثبتوا وصمدوا وصبروا وتمسّكوا بالحقّ، لا تأخذهم في الله لومة لائم، وهم يدفعون حتّى اليوم ثمن هذا الصمود، وإنّي أتحدّى أيّ عالم من علمائنا أن يجلس مع علمائهم ويجادلهم، فلا يخرج إلّا مستبصراً بالهدى الذي هم عليه. نعم، وجدت البديل - والحمد لله - الذي هداني لهذا وما كنت لا هتدي لولا أن هداني الله.

الحمد لله والشكر له على أن دلّني على الفرقة الناجية التي كنت أبحث عنها بلهفة، ولم يبق عندي أيّ شك في أن المتمسك بعليّ وأهل البيت قد تمسّك بالعروة الوثقى لا انفصام لها، والنصوص النبويّة على ذلك كثيرة أجمع عليها المسلمون، والعقل وحده خير دليل لمن ألقى السمع وهو شهيد.

فعليّ كان أعلم الصحابة وأشجعهم على الإطلاق<sup>(١)</sup>، وذلك بإجماع

(١) ورد عن النبي ﷺ أنه قال: «أنا مدينة العلم وعلي بابها»، فعليّ باب مدينة علم النبي ﷺ، فهو العلم ومنه العلم.

وإليك مصادر الحديث: قال السيوطي في تاريخ الخلفاء: ١٣١: «وأخرج البزار والطبراني في الأوسط عن جابر بن عبد الله وأخرج الترمذي والحاكم عن علي قال: قال رسول الله - عليه الصلاة والسلام - «أنا مدينة العلم وعليّ بابها»، هذا حديث حسن على الصواب، لا صحيح كما قال الحاكم، ولا موضوع كما قاله جماعة منهم ابن الجوزي والنووي، وقد بيّنت حاله في التعقبات على الموضوعات».

وقال السيّد حسن السقّاف في كتاب تناقضات الألباني الواضحات ٣: ٨٢: «صحّ عنه ﷺ أنه قال: «أنا مدينة العلم وعلي بابها»، صحّحه الحافظ ابن معين كما في تاريخ بغداد ١١: ٤٩، والإمام الحافظ ابن جرير الطبري في تهذيب الآثار، مسند سيّدنا علي: ١٠٤ حديث ٨، والحافظ العلائي في النقد الصحيح، والحافظ ابن حجر، والحافظ السيوطي كما في اللآلئ المصنوعة ١: ٣٣٤، والحافظ السخاوي كما في المقاصد الحسنة».

وفي فيض القدير في شرح الجامع الصغير للمتأوي ٣: ٦٠: ٢٧٠٥: «أنا مدينة العلم وعليّ بابها، فمن أراد العلم فليأت الباب» فإنّ المصطفى ﷺ المدينة الجامعة لمعاني الديانات كلّها، ولا بدّ للمدينة من باب، فأخبر أنّ بابها هو عليّ كرم الله وجهه، فمن أخذ طريقه دخل المدينة، ومن أخطأه أخطأ طريق الهدى.

وقد شهد له بالأعلمية الموافق والمخالف، والمعادي والمخالف، أخرج الكلاباذي أنّ

رجلاً سأل معاوية عن مسألة فقال: سل عليّاً هو أعلم منّي!

فقال: أريد جوابك!

قال: ويحك أكرهت رجلاً كان رسول الله ﷺ يغرّه بالعلم غراً.

وقد كان أكابر الصحب يعترفون له بذلك، وكان عمر يسأله عمّا أشكل عليه، جاءه

.....

➔ رجل فسأله، فقال: هاهنا عليّ فاسأله.

فقال: أريد اسمك يا أمير المؤمنين!

قال: قم، لا أقام الله رجلك، ومحي اسمي من الديوان.

وصح عنه من طرق أنّه كان يتعوّذ من قوم ليس هو فيهم، حتّى أمسكه عنده ولم يولّه شيئاً من البعوث، لمشاورته في المشاكل.

وأخرج الحافظ عبد الملك بن سليمان قال: ذكر لعطاء أكان أحد من الصحب أفقه من

عليّ؟

قال: لا والله.

قال الحرالي: قد علم الأولون والآخرون أنّ فهم كتاب الله منحصر إلى علم علي، ومن

جهل ذلك فقد ضلّ عن الباب الذي من ورائه يرفع الله عن القلوب الحجاب، حتّى

يتحقّق اليقين الذي لا يتغيّر بكشف الغطاء، إلى هاهنا كلامه (عق عد طب ك)

وصحّحه، وكذا أبو الشيخ [ابن حبان] في السنّة كلّهم (عن ابن عباس) ترجمان

القرآن (عد ك عن جابر) بن عبد الله، ورواه أحمد بدون فمن..الخ.

قال الذهبي كابين الجوزي: موضوع.

وقال أبو زرعة: كم خلق افتضحوا به.

وقال ابن معين: لا أصل له.

وقال الدارقطني: غير ثابت.

وقال الترمذي عن البخاري: منكر،

وتعقّب جمع أئمّة منهم الحافظ العلّائي فقال: من حكم بوضعه فقد أخطأ، والصواب

أنّه حسن باعتبار طريقه، لا صحيح ولا ضعيف، وليس هو من الألفاظ المنكرة

الذي تاباه العقول..

وقال الزركشي: الحديث ينتهي إلى درجة الحسن المحتجّ به، ولا يكون ضعيفاً

فضلاً عن كونه موضوعاً.

❦ وفي لسان الميزان: هذا الحديث له طرق كثيرة في المستدرک، أقل أحوالها أن يكون للحديث أصل فلا ينبغي إطلاق القول عليه بالوضع اهـ ورواه الخطيب في التاريخ باللفظ المزبور من حديث ابن معاوية عن الأعمش عن مجاهد عن ابن عباس، ثم قال: قال القاسم: سألت ابن معين عنه فقال: هو صحيح.

قال الخطيب: قلت أراد أنه صحيح من حديث أبي معاوية، وليس بباطل إذ رواه غير واحد عنه، وافتى بمسند ابن حجر وتبعه البخاري فقال: هو حديث حسن». وفي عمدة القاريء للعيني ١٦: ٢١٥: «وفي التلويح: ومن خواصه، أي خواص علي رضي الله تعالى عنه) فيما ذكره أبو الشاء: أنه كان أفضى الصحابة، وأن رسول الله ﷺ تخلف عن أصحابه لأجله، وأنه باب مدينة العلم..».

وفي الاستيعاب لابن عبد البر ٣: ١١٠٢: «وروي عن النبي ﷺ أنه قال: «أنا مدينة العلم وعلي بابها، فمن أراد العلم فليأتها من بابها»، وقال ﷺ في أصحابه: «أفضاهم علي بن أبي طالب»، وقال عمر بن الخطاب: علي أفضانا..». وقد ألف علماء أهل السنة كتباً في هذا الحديث، وبيان طرقه، منها كتاب (فتح الملك العلي بصحة حديث باب مدينة العلم علي) لأحمد بن الصديق الغماري. وفي مجمع الزوائد للهيثمي ٩: ١١٤: «أن النبي ﷺ قال لفاطمة: أما ترضين أنني زوجتك أقدم أممي سلماً، وأكثرهم علماً، وأعظمهم حلاًماً»، قال: «رواه أحمد والطبراني برجال وثقوا» وراجع في أسد الغابة لابن الأثير ٥: ٥٢٠، والذرية الطاهرة للدولابي: ٦٣.

وفي مستدرک الحاكم ٣: ١٢٥ بسنده إلى أبي إسحاق قال: «سألت قثم بن العباس: كيف ورث علي رسول الله ﷺ دونكم؟ قال: لأنه أولنا به لحوقاً، وأشدنا به لزوقاً».

قال الحاكم: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه» ووافقه الذهبي في التلخيص،

الأمة، وهذا وحده كاف للدلالة على أحقيته ﷺ للخلافة دون غيره، قال الله تعالى : ﴿ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾<sup>(١)</sup>.

وقد قال رسول الله ﷺ : « إِنْ عَلِيًّا مِنِّي وَأَنَا مِنْهُ وَهُوَ وَلِيَّ كُلِّ مُؤْمِنٍ مِنْ بَعْدِي »<sup>(٢)</sup>.

ثم قال: «سمعت قاضي القضاة أبا الحسن محمد بن صالح الهاشمي... سمعت إسماعيل بن إسحاق القاضي يقول، وذكر له قول قثم هذا فقال: إنما يرث الوارث بالنسب وبالولاء، ولا خلاف بين أهل العلم أن ابن العم لا يرث مع العم، فقد ظهر بهذا الإجماع، أن علياً ورث العلم من النبي ﷺ دونهم».

وروي عن رسول الله ﷺ قوله: «عليّ عيبة علمي» تاريخ دمشق لابن عساكر ٤٢: ٣٨٥، جمع الجوامع للسيوطي ٦: ١٥٣، وقال ﷺ: «أعلم أمتي من بعدي عليّ بن أبي طالب» المناقب للخوارزمي: ٨٢، كفاية الطالب للكنجي: ٣٣٢، فرائد السمطين للجويني ١: ٩٧، كنز العمال للمتقي الهندي ٦: ١٥٣، وقالت عائشة: «انّ عليّاً أعلم الناس بالسنة» ذخائر العقبى: ٧٨، نظم درر السمطين: ١٣٣، تاريخ دمشق ٤٢: ٤٠٨، الصواعق المحرقة ٢: ٣٧٢، الاستيعاب ٣: ٤٠، وقال عمر: «أقضانا عليّ» الطبقات لابن سعد ٢: ٣٣٩، المستدرک للحاكم ٣: ٣٠٥، الاستيعاب ٣: ٣٨، تاريخ دمشق ٣: ٢٨، تاريخ ابن كثير ٧: ٣٥٩.

وأما كونه ﷺ أشجع الناس فقد قال الشعبي: «كان عليّ أشجع الناس» أنساب الأشراف للبلاذري: ١٢١، وهو ﷺ القائل: «والله لو تظاهرت العرب على قتالي لما وليت عنها» نهج البلاغة ١٦: ٢٨٩، ويكفيه ما ثبت عنه في السرايا والغزوات وما وسمه النبي ﷺ يوم خيبر في حديث الراية.

(١) سورة البقرة: ٢٤٧.

(٢) المصنّف لابن أبي شيبة ٧: ٥٠٤، مسند أبي داود الطيالسي: ١١١، السنن

➤ الكبرى للنسائي ٥: ٤٥ ح ٨١٤٦ و ٨٤٥٣، كتاب السنة لابن أبي عاصم: ٥٥٠ ح ١١٨٧ وقال الشيخ محمد ناصر الدين الألباني محقق الكتاب: «إسناده صحيح، رجاله ثقات على شرط مسلم، والحديث أخرجه الترمذي ٢: ٢٩٧، وابن حبان: ٢٢٠٣، والحاكم ٣: ١١٠ - ١١١، وأحمد ٤: ٤٣٧، وقال الترمذي: حديث حسن غريب. وقال الحاكم: صحيح على شرط مسلم، وأقره الذهبي، وأخرجه أحمد ٥: ٣٥٦، من طريق أجح الكندي... وإسناده جيد، رجاله ثقات، رجال الشيخين غير أجح... وهو شيعي صدوق»،

وقال الشيخ الألباني في الصحيحة ٥: ٢٦١ ح ٢٢٢٣: «ما تريدون من علي إن علياً مني وأنا منه وهو ولي كل مؤمن بعدي».

أخرجه الترمذي (٣٧١٣)، والنسائي في الخصائص (ص ١٣ و ١٦ - ١٧)، وابن حبان (٢٢٠٣)، والحاكم (١١٠/٣)، والطيالسي في مسنده (٨٢٩)، وأحمد (٤/٤٣٧ - ٤٣٨)، وابن عدي في الكامل (٥٦٨/٢ - ٥٦٩) من طريق جعفر بن سليمان الضبيعي، عن يزيد الرشك، عن مطرف، عن عمران بن حصين رضي الله عنه قال: «بعث رسول الله ﷺ جيشاً، واستعمل عليهم علي بن أبي طالب، فمضى في السرية، فأصاب جارية، فأنكروا عليه، وتعاهد أربعة من أصحاب رسول الله ﷺ فقالوا: إن لقينا رسول الله ﷺ أخبرناه بما صنع علي، وكان المسلمون إذا رجعوا من سفر بدوا برسول الله ﷺ فسلموا عليه، ثم انصرفوا إلى رحالهم، فلما قدمت السرية سلموا على النبي ﷺ، فقام أحد الأربعة فقال: يا رسول الله، ألم ترى إلى علي بن أبي طالب صنع كذا وكذا، فأعرض عنه رسول الله ﷺ، ثم قام الثاني، فقال مثل مقالته، فأعرض عنه، ثم قام إليه الثالث، فقال مثل مقالته، فأعرض عنه، ثم قام الرابع فقال مثل ما قالوا، فأقبل إليه رسول الله والغضب يعرف في وجهه فقال... فذكره.

وقال الترمذي: «حديث حسن غريب، لا نعرفه إلا من حديث جعفر بن سليمان».



وقال الزمخشري في أبيات له :  
 كثر الشك والخلاف وكلُّ  
 يدعي أنه الصراط السوي  
 فتمسكت بلا إله إلا الله  
 وحسبي لأحمد وعلي  
 فاز كلب بحب أصحاب كهف  
 كيف أشقى بحب آل النبي<sup>(١)</sup>

قلت: وهو ثقة من رجال مسلم، وكذلك سائر رجاله، ولذلك قال الحاكم: «صحيح على شرط مسلم»، وأقرّه الذهبي.

وللحديث شاهد يرويه أجليح الكندي عن عبد الله بن بريدة عن أبيه بريدة قال: بعث رسول الله ﷺ بعثاً إلى اليمن، على أحدهما علي بن أبي طالب.. فذكر القصة بنحو ما تقدّم، وفي آخره: «لا تقع في عليّ؛ فإنه مني وأنا منه، وهو وليكم بعدي، وإنّه منّي وأنا منه، وهو وليكم بعدي».

أخرجه أحمد (٣٥٦/٥).

قلت: وإسناده حسن، رجاله ثقات رجال الشيخين غير الأجليح، وهو ابن عبد الله الكندي مختلف فيه، وفي التقريب: «صدوق، شيعي»...

على أن الحديث قد جاء مفرّقاً من طرق أخرى ليس فيها شيعي.

أمّا قوله: «إن عليّاً منّي وأنا منه» فهو ثابت في صحيح البخاري (٢٦٩٩) من حديث البراء بن عازب في قصة اختصام علي وزيد وجعفر في ابنة حمزة، فقال لعليّ ﷺ: «أنت منّي وأنا منك».

وروي من حديث حبشي بن جنادة، وقد سبق تخريجه تحت الحديث (١٩٨٠).

وأمّا قوله: «وهو وليّ كلّ مؤمن بعدي» فقد جاء من حديث ابن عباس، فقال الطيالسي (٧٥٢)

حدّثنا أبو عوانة عن أبي بلج عن عمرو بن ميمون عنه أنّ رسول الله ﷺ قال لعليّ: «أنت وليّ كلّ مؤمن بعدي».

وأخرجه أحمد (٣٣٠/١ - ٣٣١)، ومن طريقه الحاكم (١٣٢/٣ - ١٣٣)، وقال: «صحيح وهو كما قال».

(١) الكنى والألقاب ٢: ٢٩٩، شرح إحقاق الحق ٢: ١٥٧.

نعم، وجدت البديل بحمد الله، وصرت أقتدي - بعد رسول الله - بأمر المؤمنين، وسيد الوصيين، وقائد الغر المحجلين، أسد الله الغالب، الإمام علي ابن أبي طالب، وبسيدي شباب أهل الجنة، وريحانتي النبي من هذه الأمة الإمام أبي محمد الحسن الزكي، والإمام أبي عبد الله الحسين، وبيضة المصطفى، سلالة النبوة، وأمّ الأئمة، معدن الرسالة، ومن يغضب لغضبها رب العزة والجلالة سيّدة النساء فاطمة الزهراء عليها السلام.

وأبدلت الإمام مالك بأستاذ الأئمة ومعلم الأمة الإمام جعفر الصادق عليه السلام.  
وتمسكت بالأئمة التسعة المعصومين من ذرية الحسين، أئمة المسلمين وأولياء الله الصالحين.

وأبدلت الصحابة المنقلين على أعقابهم أمثال معاوية، وعمرو بن العاص، والمغيرة بن شعبة، وأبي هريرة، وطلحة والزبير، وعبد الرحمن بن عوف، وأبو غادية الجهني، وغيرهم، بالصحابة الشاكرين الذين لم ينقضوا عهد النبي، أمثال عمّار بن ياسر، وسلمان الفارسي، وأبي ذر الغفاري، والمقداد بن الأسود، وخزيمة بن ثابت ذي الشهادتين، وأبي بن كعب، وغيرهم والحمد لله على هذا الاستبصار.

وأبدلت علماء قومي، الذين جمّدوا عقولنا وأتبع كثير منهم السلاطين والحكام في كلّ زمان بعلماء الشيعة الأبرار الذين ما أغلقوا يوماً باب الاجتهاد، ولا وهنوا ولا استكانوا للأمرء والسلاطين الظالمين.

نعم، أبدلت أفكاراً متحجرة متعصبة تؤمن بالتناقضات بأفكار نيرة متحررة ومتفتحة تؤمن بالدليل والحجة والبرهان.

وكما يقال في عصرنا الحاضر: غسلت دماغي من أوساخ رانت عليها - طوال ثلاثين عاماً - أضاليل بني أمية، وطهرته بعقيدة المعصومين الذين أذهب الله

عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً لما تبقي من حياتي.

اللهم أحينا على ملتهم، وأمتنا على سنتهم، واحشرنا معهم، فقد قال نبيك ﷺ  
« يُحشر المرء مع من أحبَّ »<sup>(١)</sup>.

وبذلك أكون قد رجعت إلى أصلي، فقد كان أبي وأعمامي يحدّثونا حسب  
الشجرة التي يعرفونها أنّهم من السادة الذين هربوا من العراق تحت الضغط  
العبّاسي، ولجأوا إلى شمال أفريقيا حيث أقاموا في تونس، وبقيت آثارهم حتى اليوم.  
وهناك في شمال أفريقيا كثيرون مثلنا يسمّون الأشراف؛ لأنّهم من السلالة  
الطاهرة، ولكنهم تاهوا في ضلالات الأمويين والعبّاسيين، ولم يبق عندهم من  
الحقيقة شيء إلا ذلك الاحترام والتقدير الذي يكتّنه لهم الناس، فالحمد لله على  
هدايته، والحمد لله على استبصاري وفتح بصري وبصيرتي على الحقيقة.

---

(١) الثاقب في المناقب: ٢٦٠، بحار الأنوار ٦٦: ٨١، العهود المحمّدية: ٤٢.



# أسباب الاستبصار

---

---

---



## أسباب الاستبصار

أما الأسباب التي دعنتني للاستبصار فكثيرة جداً، ولا يمكن لي في هذه العجالة إلا ذكر بعض الأمثلة منها :

### ١- النَّصُّ عَلَى الْخِلاَفَةِ :

لقد آليت على نفسي عند الدخول في هذا البحث أن لا أعتد إلا ما هو موثوق عند الفريقين، وأن أطرح ما انفردت به فرقة دون الأخرى، وعلى ذلك أبحث في فكرة التفضيل بين أبي بكر وعلي بن أبي طالب، وأن الخلافة إنما كانت بالنص على علي كما يدعي الشيعة، أو بالانتخاب والشورى كما يدعي أهل السنة والجماعة.

والباحث في هذا الموضوع إذا تجرّد للحقيقة فإنه سيجد النص على علي بن أبي طالب واضحاً جلياً، كقوله ﷺ: « من كنت مولاه فهذا علي مولاه » قال ذلك بعدما انصرف من حجّة الوداع، فعقد لعلي موكب للتهنئة، حتّى إن أبا بكر نفسه وعمر كانا من جماعة المهنيين للإمام ﷺ ويقولان: « بنّ بنّ لك يا بن أبي طالب أصبحت وأمسيت مولى كل مؤمن ومؤمنة »<sup>(١)</sup>.

---

(١) راجع كلامهما في التهنئة لعلي بالولاية: المصنّف لابن أبي شيبة ٧: ٥٠٣ ح ٥٥، مسند أحمد ٤: ٢٨١، شرح النهج لابن أبي الحديد ٥: ٨، نظم درر السمطين: ١٠٩،

وهذا النَّصُّ مجمع عليه من الشيعة والسنة، ولم أخرج أنا في البحث - هذا - إلا مصادر أهل السنة والجماعة، ومع ذلك لم أذكر المصادر كلها فهي أكثر بكثير مما ذكرت، وللإطلاع على مزيد من التفصيل أدعو القاريء إلى مطالعة كتاب الغدير للعلامة الأميني، وقد طبع منه ثلاثة عشر مجلداً، يحصي فيها المصنّف رواية هذا الحديث من طريق أهل السنة والجماعة.

## ١ - الإجماع على خلافة أبي بكر :

أما الإجماع المدعى على انتخاب أبي بكر يوم السقيفة، ثم مبايعته بعد ذلك في المسجد فإنه دعوى بدون دليل، إذ كيف يكون الإجماع وقد تخلف عن البيعة علي والعبّاس وسائر بني هاشم، كما تخلف أسامة بن زيد، والزبير، وسلمان الفارسي، وأبو ذر الغفاري، والمقداد بن الأسود، وعمار بن ياسر، وحذيفة بن اليمان، وخزيمة بن ثابت، وأبو بريدة الأسلمي، والبراء بن عازب، وأبي بن كعب، وسهل بن حنيف، وسعد بن عباد، وقيس بن سعد، وأبو أيوب الأنصاري، وجابر بن عبد الله، وخالد ابن سعيد، وغير هؤلاء كثير<sup>(١)</sup>، فأين الإجماع المزعوم يا عباد الله؟!

➤ تاريخ دمشق ٤٢: ٢٢١ - ٢٢٢، سير أعلام النبلاء ١٩: ٣٢٨، فيض القدير للمناوي ٦: ٢٨٢، كنز العمال ١٣: ١٣٣ ح ٣٦٤٢٠، البداية والنهاية لابن كثير ٥: ٢٢٩، تذكرة الخواص لسبط ابن الجوزي: ٣٦ المناقب للخوارزمي: ١٥٦ ح ١٨٣، ذخائر العقبين: ٦٧، ينابيع المودة ٢: ٢٤٩ ح ٦٩٩، تفسير الفخر الرازي ١٢: ٥٠، تاريخ بغداد ٨: ٢٨٤، أسد الغابة ٤: ٢٨.

(١) راجع تاريخ الطبري ٢: ٤٤٤ حوادث سنة ١١ وذكر تخلف عليّ والزبير وطلحة وبني هاشم ورجال من المهاجرين، قال ابن الأثير في الكامل ٢: ٣٢٥ في حوادث



على أنه لو كان علي بن أبي طالب وحده تخلف عن البيعة لكان ذلك كافياً للظن في ذلك الإجماع، إذ إنه المرشح الوحيد للخلافة من قبل الرسول علي فرض

☛ سنة ١١ أيضاً: «والصحيح ان أمير المؤمنين ما بايع إلا بعد ستة أشهر». «وقال أيضاً: قال الزهري: بقي علي وبنو هاشم والزبير ستة أشهر لم يبايعوا أبا بكر حتى ماتت فاطمة فبايعوه»، وانظر تاريخ اليعقوبي ٢: ٨٤، «تخلف عن بيعة أبي بكر قوم من المهاجرين والأنصار ومالوا مع علي بن أبي طالب منهم...» وتاريخ أبي الفداء ١: ٢١٩، الإمامة والسياسة لابن قتيبة ١: ٢٧ وفي الطبقات لابن سعد ٣: ١٨٢ «فلما أبطأ الناس عن أبي بكر قال: من أحق بهذا الأمر مني؟... فذكر خصالاً فعلها مع النبي ﷺ».

إذاً لم يكن الأمر كما يتصور فهذا النص يدل على إبطاء الناس عنه، ويؤيده ما في تاريخ الطبري ٣: ٢٢٢ «ان أسلم أقبلت بجماعتها حتى تضايق بهم السك فبايعوا أبا بكر، فكان عمر يقول: ما هو إلا أن رأيت أسلم فأيقنت بالنصر»؟! وفي الكامل ٢: ٣٣١ «وجاءت أسلم فبايعت، فقوى أبو بكر بهم، وبايع الناس بعد». وخير شاهد على أن بيعة أبي بكر لم تكن عن مشورة واجتماع من وجوه الصحابة فضلاً عن الغالبية العظمى مقولة عمر بن الخطاب التي قال فيها كما في صحيح البخاري ٨: ٢٦ «كانت بيعة أبي بكر فلتة وتمت، ألا وأنها قد كانت كذلك، ولكن الله وقى شرّها.. من بايع رجلاً من غير مشورة من المسلمين فلا يبايع هو ولا الذي بايعه تغرّة أن يقتل...» فاعترف بكون بيعة أبي بكر فلتة - بأي معنى كانت الفلتة وإن كان معناها واضحاً - ممّا يعني أنها لم تكن عن انتخاب واعتراف جمهور المسلمين، وإنما هي أصبحت على حين غفلة، فهي خلافة غيلة وليس فيها أي بيعة اللهم إلا من حزب أبي بكر وهم عمر وأبي عبيدة ثم إن عمر نفسه أقرّ في نفس الموضوع بكونها من غير بيعة وذلك بحكمه على من فعل مثلها بالقتل وذلك ليس له معنى إلا كون خلافة أبي بكر انتزاعاً على السلطة غيلة من غير بيعة.

عدم وجود النص المباشر عليه.

وإنما كانت بيعة أبي بكر عن غير مشورة، بل وقعت على حين غفلة من الناس، وخصوصاً أولي الحل والعقد منهم - كما يسميهم علماء المسلمين - إذ كانوا مشغولين بتجهيز الرسول ودفنه، وقد فوجيء سكان المدينة المنكوبة بموت نبيهم، وحمل الناس على البيعة بعد ذلك قهراً، كما يشعروننا بذلك تهديدهم بحرق بيت فاطمة عليها السلام إن لم يخرج المتخلفون عن البيعة<sup>(١)</sup>، فكيف يجوز لنا بعد هذا أن نقول بأن البيعة كانت بالمشورة وبالإجماع؟!

وقد شهد عمر بن الخطاب نفسه بأن تلك البيعة كانت فلتة وقى الله المسلمين شرها: فقال: «ثم إنه بلغني أن قائلاً منكم يقول: والله لو مات عمر بايعت فلاناً، فلا يغترن امرء أن يقول: إنما كانت بيعة أبي بكر فلتة وتمت إلا وإنها قد كانت كذلك، ولكن الله وقى شرها.. من بايع رجلاً من غير مشورة من المسلمين فلا يبايع هو ولا الذي بايعه، تغرّة أن يقتل..»<sup>(٢)</sup>، وقال: «فمن عاد إلى مثلها فاقتلوه»<sup>(٣)</sup>، أو قال: «فمن دعا إلى مثلها فلا بيع له ولا لمن بايعه»<sup>(٤)</sup>.

(١) المصنّف لابن أبي شيبة الكوفي ٨: ٥٧٢ وسنده حسن، الاستيعاب لابن عبد البر ٢: ٢٥٥ وعبر عن كلام عمر بقوله: «لا فعلنّ ولا فعلنّ»، تاريخ الطبري ٢: ٢٣٣، الإمامة والسياسة ١: ٣٠، تاريخ أبي الفداء ١: ٢١٩، وغيرها من المصادر.

(٢) صحيح البخاري ٨: ٢٧، كتاب المحاربين من أهل الكفر والردة، باب رجم الحيلى من الزنا إذا أحصنت، مجمع الزوائد ٦: ٥، المصنّف لابن أبي شيبة ٧: ٦١٥، التمهيد ٢٢: ١٥٤.

(٣) تمهيد الأوائل: ٤٩٥، المواقف ٣: ٦٠٠، شرح المقاصد ٢: ٢٩٣، الملل والنحل ١: ٢٤، الصواعق المحرقة: ٢١، شرح النهج لابن أبي الحديد ١: ١٢٣.

(٤) مسند أحمد ١: ٥٦، المصنّف ٨: ٥٧٢، وعنه في كنز العمال ٥: ٥٤٤ ح ١٤١٣٤،

ويقول الإمام علي في حقّها: «أما والله لقد تقمّصها ابن أبي قحافة، وأنّه ليعلم أنّ محليّ منها محلّ القطب من الرّحى، ينحدر عنّي السّيل ولا يرقى إليّ الطير»<sup>(١)</sup>.

ويقول سعد بن عبادة سيّد الأنصار الذي هاجم أبا بكر وعمر يوم السقيفة، وحاول بكلّ جهوده أن يمنعهم ويبعدهم عن الخلافة، ولكنّه عجز عن مقاومتهم لأنّه كان مريضاً لا يقدر على الوقوف، وبعدما بايع الأنصار أبا بكر قال سعد:

« والله لا أبايعكم أبداً حتّى أرميكم بكلّ سهم في كنانتي من نبل، وأخضّب سناني ورمحي، وأضربكم بسيفي ما ملكته يدي، وأقاتلكم بمن معي من أهلي وعشيرتي، ولا والله لو أنّ الجنّ اجتمعت لكم مع الإنس ما بايعتكم حتّى أعرض على ربّي، فكان لا يصلّي بصلاتهم ولا يجتمع بجمعتهم، ولا يفيض بإفاضتهم، ولو يجد عليهم أعاوناً لطال بهم، ولو بايعه أحد على قتالهم لقاتلهم، ولم يزل كذلك حتّى توفيّ بالشام في خلافة عمر»<sup>(٢)</sup>.

فإذا كانت هذه البيعة فلتة وقّى الله المسلمين شرّها، على حدّ تعبير عمر الذي شيّد أركانها، وعرفت ما آلت إليه أمور المسلمين بسببها، وإذا كانت هذه الخلافة تقمّصاً من قبل أبي بكر كما وصفها الإمام علي، إذ قال بأنّه هو صاحبها الشرعي،

➤ البداية والنهاية ٥: ٢٦٧، السيرة النبويّة ٤: ٤٨٩.

(١) نهج البلاغة ١: ٣١، الخطبة الشقشقيّة.

(٢) راجعه بألفاظه المختلفة: الإمامة والسياسة ١: ٢٧، تاريخ الطبري ٢: ٤٤٠

حوادث سنة ١١ هـ الكامل في التاريخ لابن الأثير ٢: ٣٥٠ حوادث سنة ١١ هـ

الطبقات لابن سعد ٣: ٦١٦، المنتظم لابن الجوزي ٣: ٩٤٢، تاريخ الإسلام للذهبي

٣: ١٤٨، سير أعلام النبلاء ١: ٢٧٦، السيرة الحليّة ٣: ٣٨٧، تاريخ دمشق ٢٠:

وإذا كانت هذه البيعة ظلماً، كما اعتبرها سعد بن عبادة سيّد الأنصار الذي فارق الجماعة بسببها، وإذا كانت هذه البيعة غير شرعية؛ لتخلف أكابر الصحابة والعبّاس عمّ النبيّ عنها.. فما هي إذن الحجّة في صحّة خلافة أبي بكر؟  
والجواب: لا حجّة هناك عند أهل السنّة والجماعة.

فقول الشيعة إذن هو الصحيح في هذا الموضوع، لأنّه ثبت وجود النّصّ عليّ خلافة عليّ عليه السلام عند السنّة أنفسهم، وقد تأوّلوه حفاظاً على كرامة الصحابة، فالمنصف العادل لا يجد مناصاً من قبول النّصّ وبالأخصّ إذا عرف ملاسبات القضية.

## ٢- خلاف فاطمة عليها السلام مع أبي بكر :

وهذا الموضوع - أيضاً - مجمع عليّ صحّته من الفريقين، فلا يسع المنصف العاقل إلّا أن يحكم بخطأ أبي بكر، إن لم يعترف بظلمه وحيفه عليّ سيّدة النساء، لأنّ من يتتبع هذه المأساة ويطلع عليّ جوانبها يعلم علم اليقين أنّ أبا بكر تعمّد إيذاء الزهراء وتكذيبها لثلاث تحتجّ عليه بنصوص الغدير وغيرها عليّ خلافة زوجها وابن عمّها عليّ عليه السلام.

ونجد قرائن عديدة عليّ ذلك، منها ما أخرجه المؤرّخون من أنّها - سلام الله عليها - خرجت تطوف عليّ مجالس الأنصار، وتطلب منهم النصرة والبيعة لابن عمّها، فكانوا يقولون: « يا اينّة رسول الله، قد مضت بيعتنا لهذا الرجل، ولو أنّ زوجك وابن عمّك سبق إلينا قبل أبي بكر ما عدلنا به»، فيقول عليّ كرم الله وجهه: « أفكنت أدع رسول الله صلى الله عليه وآله في بيته لم أدفنه، وأخرج أنازع الناس سلطانه، فقالت فاطمة: ما صنع أبو الحسن إلّا ما كان ينبغي له، ولقد صنعوا ما الله حسيبهم

وطالبهم»<sup>(١)</sup>.

ولو كان أبو بكر مخطئاً عن حسن نيّة أو على اشتباه لأفنعته فاطمة الزهراء، ولكنها غضبت عليه ولم تكلمه حتّى ماتت، لأنّه ردّ في كلّ مرّة دعواها، ولم يقبل شهادتها، ولا شهادة زوجها، ولكلّ هذا اشتدّ غضبها عليه، حتّى إنّها لم تأذن له بحضور جنازتها حسب وصيّتها لزوجها الذي دفنها في الليل سرّاً<sup>(٢)</sup>.

وعلى ذكر دفنها - سلام الله عليها - سرّاً في الليل، فقد سافرت خلال سنوات البحث إلى المدينة المنورة لأطلع بنفسي على بعض الحقائق، واكتشفت :  
أولاً : إنّ قبر الزهراء مجهول لا يعرفه أحد، فمن قائل بأنّه في الحجرة النبويّة، ومن قائل بأنّه في بيتها مقابل الحجرة النبويّة، وثالث يقول : بأنّه في البقيع وسط قبور أهل البيت بدون تحديد.

هذه الحقيقة الأولى التي استنتجت منها - أنّها سلام الله عليها - أرادت بهذا أن يتساءل المسلمون عبر الأجيال عن السبب الذي دعاها أن تطلب من زوجها أن يدفنها في الليل سرّاً، ولا يحضر جنازتها منهم أحد!! وبذلك يمكن لأيّ مسلم أن يصل إلى بعض الحقائق المثيرة من خلال مراجعة التاريخ.

(١) الإمامة والسياسة ١: ٢٩، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٦: ١٣.

(٢) صحيح البخاري ٨٣: ٥ كتاب المغازي، باب غزوة خيبر، صحيح مسلم ١٥٤: ٥ كتاب اللقطة، باب قول النبي ﷺ «لا نورث ما تركنا فهو صدقة»، والسنن الكبرى للبيهقي ٦: ٣٠٠، المصنّف للصنعاني ٥: ٤٧٢، صحيح ابن حبان ١١: ١٥٣، نصب الراية ٢: ٣٦٠، الثقات لابن حبان ٢: ١٧٠، تاريخ الطبري ٢: ٤٤٨، حوادث سنة ١١، تاريخ الإسلام ٣: ١٤، البداية والنهاية ٥: ٣٠٧، السيرة النبويّة لابن كثير ٤: ٥٦٨.

ثانياً : اكتشفت أن الزائر الذي يريد زيارة قبر عثمان بن عفان يمشي مسافة طويلة حتى يصل إلى آخر البقيع، فيجده تحت الحائط، بينما يجد أغلب الصحابة مدفونين في بداية البقيع قرب المدخل، وحتى مالك بن أنس صاحب المذهب، وهو من تابعي التابعين مدفون قرب زوجات الرسول.

وتحقّق لديّ ما قاله المؤرّخون من أنّه دفن بحش كوكب، وهي أرض يهوديّة، لأنّ المسلمين منعوا دفنه في بقيع رسول الله ﷺ، ولما استولى معاوية بن أبي سفيان على الخلافة اشترى تلك الأرض من اليهود وأدخلها في البقيع، ليدخل بذلك قبر ابن عمّه عثمان فيها، والذي يزور البقيع حتى اليوم سيرى هذه الحقيقة بأجلى ما تكون (١).

وإنّ عجبى لكبير حين أعلم أنّ فاطمة الزهراء - سلام الله عليها - أول من لحق بأبيها، فبينها وبينه ستة أشهر على أكثر الاحتمالات، ثمّ لا تدفن إلى جانب أبيها؟!!

وإذا كانت فاطمة الزهراء هي التي أوصت بدفنها سرّاً فلم تدفن بالقرب من قبر أبيها - كما ذكرت - فما بال ما حصل مع جثمان ولدها الحسن لم يدفن قرب قبر جده؟! حيث منعت هذا (أمّ المؤمنين) عائشة، وقد فعلت ذلك عندما جاء الحسين بأخيه الحسن عليه السلام ليدفنه إلى جانب جدّه رسول الله، فركبت عائشة بغلة وخرجت تنادي وتقول: « لا تدفنوا في بيتي من لا أحبّ » واصطفّ بنو أمية وبنو هاشم للحرب، ولكن الإمام الحسين عليه السلام قال لها: بأنّه سيطوف بأخيه على قبر جدّه ثمّ يدفنه في البقيع؛ لأنّ الإمام الحسن عليه السلام أو صاه أن لا يهرقوا من أجله ولو محجمة من

(١) راجع ما تقدم في بعض الحواشي في التفصيل حول هذا الموضوع.

دم. وقال لها ابن عباس أبياتاً مشهورة :

تجمّلت (١) تبعلت (٢)  
ولو عشت تفيّلت  
لك التسع من الثمن وبالكلّ تصرفت (٣)

وهذه حقيقة أخرى من الحقائق المخيفة، فكيف تترث عائشة كل البيت من بين أزواج النبي المتعدّات، وهنّ تسع نساء حسب ما قاله ابن عباس؟! وإذا كان النبي لا يورث - كما شهد بذلك أبو بكر نفسه، ومنع ذلك ميراث الزهراء - سلام الله عليها - من أبيها - فكيف تترث عائشة؟ فهل هناك في كتاب الله آية تعطي الزوجة حق الميراث وتمنع البنت؟ أم أنّ السياسة هي التي أبدلت كل شيء فحرمت البنت من كل شيء، وأعطت الزوجة كل شيء؟ وبالمناسبة أذكر هنا قصة طريفة ذكرها بعض المؤرخين، ولها علاقة بموضوع الإرث :

جاءت عائشة وحفصة ودخلتا على عثمان أيام خلافته، وطلبتا منه أن يقسم لهما إرثهما من رسول الله ﷺ، وكان عثمان متكئاً فاستوى جالساً وقال لعائشة: أنت وهذه الجالسة جئتما بأعرابي يتطهر ببوله، وشهدتما أنّ رسول الله ﷺ قال: « نحن معشر الأنبياء لا نورث »، فإذا كان الرسول حقيقة لا يورث فماذا تطلبان بعد هذا؟! وإذا كان الرسول يورث لماذا منعتم فاطمة حقّها؟ فخرجت من عنده غاضبة

(١) إشارة إلى ركوبها الجمل في حرب الجمل المشهورة (المؤلف).

(٢) إشارة إلى ركوبها البغلة يوم منعت دفن الحسن بجانب جدّه ﷺ (المؤلف).

(٣) مناقب آل أبي طالب لابن شهرآشوب ٣: ٢٠٤، كشف الغمّة ٢: ٢٠٩، الأخبار الطوال: ٢٢١، مقاتل الطالبين: ٤٨، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٦: ٥٠، تاريخ مدينة دمشق ١٣: ٢٩٠.

وقالت: أقتلوا نعتلا فقد كفر<sup>(١)</sup>.

### ٣- علي أولى بالتباع:

ومن الأسباب التي دعنتي للاستبصار وترك سنة الآباء والأجداد الموازنة العقلية والنقلية بين علي بن أبي طالب وأبي بكر. وكما ذكرت في الأبواب السابقة من هذا البحث، أنني أعتمد على الإجماع الذي يوافق عليه أهل السنة والشيعة.

وقد فتشت في كتب الفريقين فلم أجد إجماعاً إلا على علي بن أبي طالب، فقد أجمع علي إمامته الشيعة والسنة في ما ورد من نصوص ثبتتها مصادر الطرفين، بينما لا يقول بإمامة أبي بكر إلا فريق من المسلمين، وقد كنا ذكرنا ما قاله عمر عن بيعته أبي بكر.

كما أن الكثير من الفضائل والمناقب التي يذكرها الشيعة في علي بن أبي طالب لها سند ووجود حقيقي ثابت في كتب أهل السنة المعتمدة عندهم، ومن عدة طرق لا يتطرق إليها الشك، فقد روي الحديث في فضائل الإمام علي جمع غفير من الصحابة، حتى قال أحمد بن حنبل: «ما جاء لأحد من أصحاب رسول الله ﷺ من الفضائل كما جاء لعلي بن أبي طالب»، وقال القاضي إسماعيل والنسائي وأبو علي النيسابوري: «لم يرد في حق أحد من الصحابة بالأسانيد الحسان ما جاء في علي»<sup>(٢)</sup>.

(١) الإيضاح للفضل بن شاذان: ٢٥٦، المسترشد للطبري الإمامي: ٥٠٧، باختلاف.

(٢) مستدرک الحاكم ٣: ١٠٨، شواهد التنزيل للحسكاني ١: ٢٧، الصواعق المحرقة



مع ملاحظة بأنّ الأمويين حملوا الناس في مشارق الأرض ومغاربها على سبّه ولعنه وعدم ذكر فضيلة له حتّى منعوا أن يتسمّى أحد باسمه، ومع كلّ ذلك خرجت فضائله ومناقبه - سلام الله عليه - رغم الجحود، وفي ذلك يقول الشافعي: «عجبت لرجل كتم أعداؤه فضائله حسداً، وكتّمها محبّوه خوفاً، وخرج ما بين دين ما طبّق الخافقين»<sup>(١)</sup>.

➤ ٢: ٣٥٣، تهذيب التهذيب ٧: ٣٣٩، فيض القدير للمناوي ٤: ٤٦٨، الرياض النضرة ٢: ١٦١ ذكر قول أحمد فقط، فتح الباري ٧: ٨٩ باب ٩، تحفة الأحمدي ١٠: ١٤٤. (١) الروضة في فضائل أمير المؤمنين: ١٩، وقال ابن حجر في الإصابة ٤: ٤٦٤ في ترجمة الإمام علي: «ومناقبه كثيرة حتّى قال الإمام أحمد: لم ينقل لأحد من الصحابة ما نقل لعلي. وقال غيره: وكان سبب ذلك بغض بني أمية له فكان كلّ من كان عنده علم من شيء من مناقبه من الصحابة يثبته، وكلّما أرادوا إخماده وهدّدوا من حدّث بمناقبه لا يزداد إلا انتشاراً...».

وليت ابن حجر أنصف في كلامه وتأمّل في السبب الحقيقي لكثرة فضائله، ألم تكن الدولة الأموية تحارب علي بن أبي طالب وتطلب كتمان فضائله ورواية فضائل غيره ومع ذلك لم يظهر لغيره، من الفضائل عشر معشار فضائله، فلو كان لغيره وجود من الفضائل لذكرت وبانت، إلا أنّ غيره عارٍ عن الفضائل وخال منها فلذلك لم يخلد له التاريخ أيّ فضيلة.

ثمّ لماذا الناس تروي فضائله مع منع السلطة عنه؟! أليس ذلك دليل على أنّ فضائله حقّ وحقيقة وفضائل غيره زائلة ليس لها من الحقيقة شيء فلذلك لم يروها الناس ولم تحفظ.

وفي الاستيعاب لابن عبد البرّ ٣: ١١٩: «عن عبد الله بن الزبير أنّه سمع إبناً له ينتقص عليّاً،

فقال: إيّاك والعودة إلى ذلك، فإنّ بني مروان شتموه ستّين سنة فلم يزد الله بذلك إلا

أما بالنسبة لأبي بكر فقد فتّشت - أيضاً - في كتب الفريقين فلم أجد له في كتب أهل السنّة والجماعة القائلين بتفضيله ما يوازي أو يعادل فضائل الإمام علي عليه السلام، على أن فضائل أبي بكر المذكورة في الكتب التاريخية مرويةٌ أمّا عن إبنته عائشة، وقد عرفنا موقفها من الإمام علي عليه السلام، فهي تحاول بكل جهدها دعم أبيها ولو بأحاديث موضوعة، أو عن عبد الله بن عمر، وهو - أيضاً - من البعيدين عن الإمام علي عليه السلام، وقد رفض مبايعته بعدما أجمع الناس على ذلك.

وكان يحدث أن أفضل الناس بعد النبي أبو بكر ثم عمر ثم عثمان، ثم لا تفاضل<sup>(١)</sup>، والناس بعد ذلك سواسية، يعني هذا الحديث أن عبد الله بن عمر جعل الإمام علي من سوقة الناس، كأبي شخص عادي ليس له فضل ولا فضيلة<sup>(٢)</sup>.

☞ رفعة، وإنّ الدين لم يبين شيئاً فهدمته الدنيا، وإنّ الدنيا لم تبن شيئاً إلا وعادت على ما بنت فهدمته».

وقال ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة ٤: ٧٣ نقلاً عن شيخه أبي جعفر الإسكافي قوله:

«فالأحاديث الواردة في فضله لو لم تكن في الشهرة والاستفاضة وكثرة النقل إلى غاية بعيدة لا تقطع نقلها للخوف والتقية من بني مروان مع طول المدّة، وشدة العداوة.

ولولا أنّ الله تعالى في هذا الرجل سرّاً يعلمه من يعلمه لم يرو في فضائله حديث، ولا عرفت له منقبة...».

(١) صحيح البخاري ٤: ٢٠٣، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل أبي بكر وعثمان، وفيه: «ثم نترك أصحاب النبي ﷺ لا نفاضل بينهم»، سنن أبي داود ٢: ٣٩٧، كتاب السنّة: ٥٥٣، الإصابة لابن حجر ١: ٢٤.

(٢) وكلام ابن عمر هذا صار سنداً لمن بعده في حذف عليّ حتّى إنّ أحمد بن حنبل

فأين عبد الله بن عمر من الحقائق التي ذكرها أعلام الأمة وأئمتها بأنه لم يرد في أحد من الصحابة بالأسانيد الحسان ما جاء في علي بن أبي طالب عليه السلام؟! هل أن عبد الله بن عمر لم يسمع بفضيلة واحدة لعلي؟  
بلى والله لقد سمع ووعى، ولكن السياسة - وما أدراك ما السياسة - فهي تقلب الحقائق وتصنع الأعاجيب.

كذلك يروي فضائل أبي بكر، كل من عمرو بن العاص وأبو هريرة وعروة وعكرمة، وهؤلاء كلهم يكشف التاريخ أنهم كانوا متحاملين على الإمام علي، وحاربوه أمًا بالسلاح وأمًا بالدرس واختلاق الفضائل لأعدائه وخصومه<sup>(١)</sup>.

قال الإمام أحمد بن حنبل: «إن علياً كان كثير الأعداء، ففتش أعداؤه عيباً

☞ قال - قبل أن يظهر التريب بعلي عليه السلام - لابنه: «السنة عندنا في التفضيل ما قال ابن عمر...» السنة للخلال: ٣٧ ح ٥٠٧ وفي لفظ: «نحن نقول: أبو بكر وعمر وعثمان ونسكت، على حديث ابن عمر» المصدر ح ٥٧٤.

(١) قال ابن أبي الحديد في شرح النهج ٤: ٦٣: «وذكر شيخنا أبو جعفر الإسكافي - رحمه الله تعالى - أن معاوية وضع قوماً من الصحابة وقوماً من التابعين على رواية أخبار قبيحة في علي عليه السلام، تقتضي الطعن فيه، والبراءة منه، وجعل لهم على ذلك جعلاً يرغب في مثله، فاختلفوا ما أرضاه؛ منهم أبو هريرة، وعمرو بن العاص، والمغيرة بن شعبة، ومن التابعين عروة بن الزبير.

روى الزهري أن عروة بن الزبير حدثه قال: حدثتني عائشة قالت: كنت عند رسول الله إذ أقبل العباس وعلي فقال: «يا عائشة، إن هذين يموتان على غير ملتي أو قال ديني»، وروى عبد الرزاق عن معمر قال: كان عند الزهري حديثان عن عروة عن عائشة في علي عليه السلام، فسألته عنهما يوماً، فقال: ما تصنع بهما وبحديثهما! الله أعلم بهما، إني لآتهمهما في بني هاشم...».

فلم يجدوا فعمدوا إلى رجل قد حاربه وقتله، فأطروه كيداً منهم لعلي عليه السلام» (١).  
ولكن الله يقول: ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا \* وَأَكِيدُ كَيْدًا \* فَمَهْلِ الْكَافِرِينَ  
أَمْهَلُهُمْ رُوَيْدًا﴾ (٢).

وأنه لمن معجزات الله سبحانه أن تخرج فضائل الإمام علي بعد ستة قرون من  
الحكم الجائر الظالم له ولأهل بيته، إذ لم يكن العبّاسيون أقلّ بغضاً وحسداً ونكاية  
وتقتيلاً لأهل البيت النبوي من أسلافهم الأمويين، حتّى قال أبو فراس الحمداني في  
ذلك :

ما نال منهم بنو حرب وإن عظمت      تلك الجرائر إلا دون نيلكم  
كم غدره لكم في الدين واضحة      وكم دم لرسول الله عندكم  
أنتم له شيعة في ما ترون وفي      أظفاركم من بنيه الطاهرين دم<sup>(٣)</sup>  
فإذا خلصت بعد كلّ ذلك تلكم الأحاديث وخرجت من تلكم الظلمات،  
فلتكن لله الحجّة البالغة، ولئلا يكون للناس على الله حجة بعد ذلك.

(١) فتح الباري في شرح البخاري ٧: ٨١، الصواعق المحرقة ٢: ٣٧٤، تحفة  
الأحوزي ١٠: ٢٣١، فتح الملك العلي: ١٥٥، النصائح الكافية: ١٩٩.  
(٢) سورة الطارق: ١٥ - ١٧.  
(٣) الغدير للشيخ الأميني ٣: ٤٠٠.

وقال البسامي عندما جرف المتوكل العبّاسي قبر الحسين عليه السلام:

تالله إن كانت أمية قد اتت	قتل ابن بنت نبيها مظلوماً
فلقد أتاه بنو أبيه بمثله	هذا لعمرك قبره مهدوماً
أسفوا على أن لا يكونوا شاركوا	في قتله فستبعوه رميماً

سير أعلام النبلاء ١٢: ٣٥، وفيات الأعيان ٣: ٣٦٥، تاريخ الإسلام ١٧: ١٩، الوافي  
بالوفيات ١١: ١٠٢، فوات الوفيات ١: ٢٩٠، البداية والنهاية ١١: ١٤٣.

ورغم أن أبا بكر كان هو الخليفة الأول، وله من النفوذ ما قد عرفنا، ورغم أن الدولة الأموية كانت تجعل عطاءً خاصاً ورشوة لكل من يروي في حق أبي بكر وعمر وعثمان، ورغم أنها اختلقت لأبي بكر من الفضائل والمناقب الكثير مما سوّدت بها صفحات الكتب، مع ذلك فلم يبلغ معشار عشر حقائق الإمام علي وفضائله. أضف إلى ذلك أنك إذا حلّلت الأحاديث المروية في فضائل أبي بكر وجدتها لا تتماشى مع ما سجّله له التاريخ من أعمال تناقض ما قيل فيه، ولا يقبلها عقل ولا شرع، وقد تقدّم شرح ذلك في حديث «لو وزن إيمان أبي بكر بإيمان أمتي لرجح إيمان أبي بكر».

ولو كان يعلم رسول الله بأن أبا بكر على هذه الدرجة من الإيمان ما كان ليؤمّر عليه أسامة بن زيد، ولا أن يمتنع من الشهادة له، كما شهد عليّ شهداء أحد وقال له: «إني لا أدري ماذا تحدث من بعدي» حتّى بكى أبو بكر<sup>(١)</sup>، ولا أن يرسل خلفه علي بن أبي طالب ليأخذ منه سورة براءة فيمنعه من تبليغها<sup>(٢)</sup>، ولا أن يقول يوم إعطاء الراية في خيبر: «لأعطينّ رايتي غداً رجلاً يحب الله ورسوله ويحبّه الله ورسوله كرّاراً ليس فرّاراً امتحن الله قلبه بالإيمان» فأعطاها إلى علي ولم يعطها

(١) الموطأ ٢: ١٧ باب الشهداء في سبيل الله.

(٢) كتاب السنّة لابن أبي عاصم: ٥٩٥ ح ١٣٨٣، السنن الكبرى للنسائي ٥: ١٣٩ ح ٨٤٦٢، أنساب الأشراف للبلاذري: ١٠٦، مسند أحمد ١: ٣ وقال محقق الكتاب الشيخ أحمد شاكر: «إسناده صحيح»، مسند أبي يعلى ١: ١٠٠ ح ١٠٤، مجمع الزوائد ٣: ٢٣٩ وقال: «قلت: في الصحيح بعضه رواه أحمد ورجاله ثقات»، خصائص أمير المؤمنين: ٩١، تخريج الأحاديث والآثار ٢: ٥١، المعجم الأوسط ٣: ١٦٥، والكبير ١٢: ٧٧، عمدة القاري ١٨: ٢٦٠، الكامل في التاريخ ٢: ٢٩١.

إليه<sup>(١)</sup>.

ولو علم الله أن أبا بكر على هذه الدرجة من الإيمان، وأن إيمانه يفوق إيمان أمة محمد بأسرها، فلم يكن الله سبحانه ليهدده بإحباط عمله عندما رفع صوته فوق صوت النبي<sup>(٢)</sup>.

ولو علم علي بن أبي طالب عليه السلام والصحابة الذين اتبعوه أن أبا بكر على هذه الدرجة من الإيمان ما جاز لهم أن يتخلفوا عن بيعته.

ولو علمت فاطمة الزهراء سيّدة النساء أن أبا بكر على هذه الدرجة من الإيمان ما كانت لتغضب عليه وتمتنع عن الكلام معه وعن ردّ السلام عليه، وتدعو الله عليه في كل صلاة<sup>(٣)</sup>، ثم لا تأذن له - حسب ما ورد في وصيّتها - حتى بحضور

---

(١) انظر بألفاظه المختلفة: صحيح البخاري ٤: ١٢، باب ما قيل في لواء النبي، صحيح مسلم ٥: ١٩٥، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل علي بن أبي طالب عليه السلام، مسند أحمد ١: ٩٩، ١٨٥، ٤: ٥٢، ٥: ٣٥٨، سنن ابن ماجه ١: ٤٤، سنن الترمذي ٥: ٣٠٢، السنن الكبرى للبيهقي ٦: ٣٦٢، مجمع الزوائد ٦: ١٥٠، المصنّف لابن أبي شيبة ٨: ٥٢٠، كتاب السنّة: ٥٩٤، السنن الكبرى للنسائي ٥: ٤٦، مسند أبي يعلى ١: ٢٩١، الذريّة الطاهرة: ١١٤، صحيح ابن حبان ١٥: ٣٧٧، المعجم الأوسط للطبراني ٦: ٥٩، المعجم الكبير ٦: ١٥٢، مسند الشاميين ٣: ٣٤٨، المستدرک للحاكم ٣: ٣٨، ١٠٩، ٤٣٧، الاستيعاب ٣: ١٠٩٩، التمهيد ٢: ٢١٨، الدرر: ١٩٨، درر السمط في خبر السبط: ٨٧، الطبقات الكبرى ٢: ١١١، الثقات لابن حبان ٢: ١٢، تاريخ بغداد ٨: ٥، أسد الغابة ٤: ٢٦، تهذيب الكمال ١٢: ٢٢٦، الإصابة لابن حجر ٤: ٦٨، أنساب الأشراف: ٩٣، تاريخ الإسلام ٢: ٤٠٨، البداية والنهاية ٤: ٢١١.

(٢) صحيح البخاري ٦: ٤٦، كتاب التفسير، باب سورة الحجرات.

(٣) الإمامة والسياسة ١: ٣١.

جنازتها.

ولو علم أبو بكر نفسه أنه لم يكشف بيت فاطمة عن شيء وإن كانوا قد أغلقوه على الحرب، وأنه لم يكن أحرق الفجاءة السلمي، وأنه يوم السقيفة كان قذف الأمر في عنق أحد الرجلين عمر أو أبي عبيدة<sup>(١)</sup>.

فالذي هو على هذه الدرجة من الإيمان، ويرجح إيمانه على إيمان كل الأمة، لا يندم في آخر لحظات حياته على ما فعله مع فاطمة سلام الله عليها، وعلى حرقة الفجاءة السلمي، وعلى توليه الخلافة، كما لا يتمنى أن لا يكون من البشر ويكون شعرة أو بعرة، أفيعدل إيمان مثل هذا الشخص إيمان الأمة بل يرجح عليها؟!

وإذا أخذنا حديث: «لو كنت متخذاً خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً» فهو كسابقه، فأين كان أبو بكر يوم المؤاخاة الصغرى في مكة قبل الهجرة، ويوم المؤاخاة الكبرى في المدينة بعد الهجرة، وفي كليهما أتخذ رسول الله ﷺ علياً أخاً له وقال له: «أنت أخي في الدنيا والآخرة»<sup>(٢)</sup> ولم يلتفت إلى أبي بكر فحرمه من مؤاخاة الآخرة كما حرمه من الخلّة؟!

وأنا لا أريد الإطالة في هذا الموضوع وأكتفي بهذين المثليين اللذين أوردتهما

---

(١) الإمامة والسياسة ١: ٣٦، تاريخ الطبري ٢: ٦١٩، تاريخ يعقوبي ٢: ١٣٧، تاريخ دمشق ٣: ٤١٨، المعجم الكبير للطبراني ١: ٦٢، شرح النهج لابن أبي الحديد ٢: ٤٦، كنز العمال ٥: ٦٣١ ح ١٤١١٣.

(٢) سنن الترمذي ٦: ٨٤ ح ٣٧٣٠ مناقب علي بن أبي طالب، المستدرک للحاكم ٣: ١٤، عمدة القارىء ٢: ١٤٧، تاريخ دمشق ٤٢: ٥١ - ٥٢، أسد الغابة ٤: ١٦، ٢٩، الاستيعاب ٣: ١٠٩٩، الدرر: ٩٠، رد اعتبار الجامع الصغير: ١٦، الإكمال في أسماء الرجال: ١٧٦، تهذيب الكمال ٢٠: ٤٨٤، ميزان الاعتدال ١: ٤٢١، البداية والنهاية ٧: ٣٧١.

من كتب أهل السنة والجماعة، أما عند الشيعة فلا يعترفون بتلك الأحاديث مطلقاً، ولديهم الأدلة الواضحة على أنها وضعت في زمن متأخر عن زمن أبي بكر.

هذا وإذا تركنا الفضائل وبحثنا في المساويء فإننا لا نحصي لعلي بن أبي طالب سيئة واحدة من كتب الفريقين، بينما نجد لغيره مساويء كثيرة في كتب أهل السنة كالصالح وكتب السير والتاريخ.

وبهذا يكون الإجماع من الفريقين يختص بعلي وحده، كما يؤكد التاريخ أن البيعة الصحيحة لم تكن إلا لعلي وحده، فقد امتنع هو وأصر عليها المهاجرون والأنصار، وقعد عن بيعته نفر فلم يجبرهم عليها، بينما كانت بيعة أبي بكر فلتة وقى الله المسلمين شرها - كما يقول عمر بن الخطاب - وكانت خلافة عمر بعهد عهد إليه أبو بكر.

وكانت خلافة عثمان مهزلة تاريخية، ذلك أن عمر رشح ستة للخلافة وألزمهم أن يختاروا من بينهم واحداً، وقال: إذا اتفق أربعة وخالف اثنان فاقتلوهما، وإذا انقسم الستة إلى فريقين ثلاثة في كل جهة، فخذوا برأي الثلاثة الذين يقف معهم عبد الرحمن بن عوف، وإذا مضى وقت ولم يتفق الستة فاقتلوهم، والقصة طويلة وعجيبة<sup>(١)</sup>.

والمهم أن عبد الرحمن بن عوف اختار علياً واشترط عليه أن يحكم فيهم بكتاب الله وسنة رسوله وسنة الشيخين أبي بكر وعمر، فرفض علي هذا الشرط، وقبله عثمان فكان هو الخليفة، وخرج علي عليه السلام من البيعة وهو يعلم مسبقاً النتيجة، وقد تحدث عن ذلك في خطبته المعروفة بالشقشقية.

وبعد علي عليه السلام استولى معاوية على الخلافة، فأبدلها قيصرية ملكية يتداولها

(١) راجع: تاريخ الطبري ٤: ٢٢٩، الكامل لابن الأثير ٣: ٦٧.



بنو أمية، ومن بعدهم بنو العباس أبا عن جد، ولم يكن هناك خليفة إلا بنص السابق على اللاحق، أو بقوة السيف والسيح والاستيلاء، فلم تكن هناك بيعة صحيحة<sup>(١)</sup> في التاريخ الإسلامي من عهد الخلفاء وحتى عهد كمال أتاتورك الذي قضى على الخلافة الإسلامية إلا لأمر المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام.

#### ٤- الأحاديث الواردة في علي توجب اتباعه:

من الأحاديث التي أخذت بها ودفعتني للاقتداء بالإمام علي عليه السلام تلك التي أخرجتها صحاح أهل السنة والجماعة، وأكدت صحتها، والشيعه عندهم أضعافها، ولكن - وكالعاده - سوف لا أستدل ولا أعتد إلا الأحاديث المتفق عليها من الفريقين، ومن هذه الأحاديث:

أ - حديث: «أنا مدينة العلم وعلي بابها»<sup>(٢)</sup>.

وهذا الحديث وحده كاف لتشخيص القدوة الذي ينبغي اتباعه بعد الرسول صلى الله عليه وسلم، لأن العالم أولى بالاتباع، أولى أن يقتدى به من الجاهل، قال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾<sup>(٣)</sup>، وقال - أيضاً -: ﴿أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمْ مَنْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يُهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ

(١) أي بإجماع المسلمين لم يفرضها عليهم أحد ولم تكن «فلته» (المؤلف).

(٢) المستدرک للحاكم ٣: ١٢٦ وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، المعجم الكبير ١١: ٥٥، الجامع الصغير للسيوطي ١: ٤١٥، تاريخ بغداد ١١: ٥٠ وقال: «قال القاسم: سألت يحيى بن معين عن هذا الحديث فقال: هو صحيح»، تاريخ دمشق ٤٢: ٣٨٠، الصواعق المحرقة ٢: ٣٥٨، وقال: «وصوب بعض محققي المتأخرين المطلعين من المحدثين أنه حديث حسن»، وتقدم الكلام عليه.

(٣) سورة الزمر: ٩.

تَحْكُمُونَ<sup>(١)</sup>، ومن المعلوم أن العالم هو الذي يهدي والجاهل يستحق الهداية، وهو أحوج إليها من أي أحد.

وفي هذا الصدد سجّل لنا التاريخ أن الإمام علياً عليه السلام هو أعلم الصحابة على الإطلاق، وكانوا يرجعون إليه في أمهات المسائل، ولم نعلم أنه عليه السلام رجع إلى واحد منهم أبداً، فهذا عمر يقول: «لا أبقاني الله لمعضلة ليس لها أبو الحسن»<sup>(٢)</sup>، ويقول: «لولا علي لهلك عمر»<sup>(٣)</sup>.

وهذا ابن عباس يقول: «ما علمي وعلم أصحاب محمد في علم علي إلا كقطرة في سبعة أبحر»<sup>(٤)</sup>.

(١) سورة يونس: ٣٥.

(٢) أنساب الأشراف للبلاذري: ١٠٠، المناقب للخوارزمي: ٩٧ ح ٩٨، ذخائر العقبى: ٨٢، نظم درر السمطين: ١٣٢، فيض القدير للمناوي ٤: ٤٧، شرح النهج لابن أبي الحديد ١٢: ١٠١، وقال سعيد بن المسيب: «كان عمر يتعوذ بالله من معضلة ليس لها أبو الحسن» الطبقات لابن سعد ٢: ٣٣٩، تاريخ دمشق ٤٢: ٤٠٦، أسد الغابة ٤: ٢٢، فتح الباري ١٣: ٢٨٦.

(٣) المناقب للخوارزمي: ٨١ ح ٦٥، نظم درر السمطين: ١٣٢، فيض القدير للمناوي ٤: ٤٧٠، ينابيع المودة ٢: ١٧٢، ذخائر العقبى: ٨٢، تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة: ١٥٢، شرح النهج لابن أبي الحديد ١: ١٤١.

(٤) المناقب لابن شهر آشوب ١: ٣١١ عن تفسير النقاش. وقال ابن الأثير في النهاية ١: ٢٠٧ «ومنه حديث ابن عباس: فإذا علمي بالقرآن في علم علي كالقرارة في المتخنجر. القرارة: الغدير، المتخنجر: البحر».

وقال المناوي في فيض القدير في شرح الجامع الصغير ٣: ٦٠ بعد إيراده حديث «أنا مدينة العلم وعلي بابها».

❖ قال: «.. فإنَّ المصطفى ﷺ المدينة الجامعة لمعاني الديانات كلّها، ولا بدّ للمدينة من باب فأخبر أنّ بابها هو عليّ - كرم الله وجهه - فمّن أخذ طريقه دخل المدينة، ومن أخطأه أخطأ طريق الهدى، وقد شهد له بالأعلميّة الموافق والمخالف والمعادي والمخالف، أخرج الكلاباذي أنّ رجلاً سأل معاوية عن مسألة فقال: سل عليّاً هو أعلم منّي! فقال: أريد جوابك؟

قال: ويحك كرهت رجلاً كان رسول الله ﷺ يغرّه بالعلم غرّاً، وقد كان أكابر الصحب يعترفون له بذلك، وكان عمر يسأله عمّا أشكل عليه، جاءه رجل فسأله فقال: هاهنا علي فاسأله! فقال: أريد اسمك يا أمير المؤمنين؟

قال: قم لا أقام الله رجلك، ومحي اسمه من الديوان. وصحّ عنه من طرّق أنّه كان يتعوّذ من قوم ليس هو فيهم حتّى أمسكه عنده ولم يولّه شيئاً من البعوث لمشاورته في المشكل.

وأخرج الحافظ عبد الملك بن سليمان قال: ذكر لعطاء أكان أحد من الصحب أفقه من علي؟ قال: لا والله.

قال الحرّاني: قد علم الأولون والآخرين أنّ فهم كتاب الله منحصر إلى علم علي، ومن جهل ذلك فقد ضلّ عن الباب الذي من ورائه يرفع الله عن القلوب الحجاب حتّى يتحقّق اليقين الذي لا يتغيّر بكشف الغطاء..».

وقال ملاً علي القاري في المشكاة ١١: ٢٥٢ في شرحه لحديث «أنا دار الحكمة وعلي بابها» قال: «.. وممّا يدلّ على جزالة علمه ما في الرياض عن معقل بن يسار قال: وضأت رسول الله ﷺ فقال: هل لك في فاطمة [تعودها]؟

فقلت: نعم.

فقام متوكّئاً عليّ فقال: إنّه سيحمل ثقلها غيرك ويكون أجرها لك.

قال: فكأنّه لم يكن عليّ شيء حتّى دخلنا على فاطمة فقلنا: كيف تجدينك؟

قالت: لقد اشتدّ حزني، واشتدّت فاقتي، وطال سقمي.

☞ قال عبد الله بن أحمد بن حنبل: وجدت بخط أبي هذا الحديث قال: أو ما ترضين أن زوجك أقدمهم سلماً وأكثرهم علماً وأعظمهم حلماً؟! أخرجهم أحمد.  
وعن ابن عباس وقد سأله الناس فقالوا: أي رجل كان علياً؟  
قال: كان قد مليء جوفه حكماً وعلماً وبأساً ونجدة مع قرابته من رسول الله ﷺ.  
أخرجهم أحمد في المناقب.

وعن سعيد بن المسيب قال: عمر كان يتعوذ من معضلة ليس لها أبو الحسن.  
أخرجهم أحمد.

وفي المستدرک للحاكم النيسابوري ٣: ١٢٥ بسنده قال: «... عن أبي إسحاق قال: سألت قثم بن العباس: كيف ورث علي رسول الله ﷺ دونكم؟  
قال: لأنّه كان أولنا به لحوقاً، وأشدنا به لزوقاً.

قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد. ووافقه الذهبي في التلخيص.  
ثم ذكر الحاكم في الحديث اللاحق فقال: سمعت إسماعيل بن أبي إسحاق القاضي يقول وذكر له قول قثم هذا فقال: إنّما يرث الوارث بالنسب لا بالولاء، ولا خلاف بين أهل العلم أنّ ابن العم لا يرث مع العم، فقد ظهر بهذا الإجماع أنّ علياً ورث العلم من النبي ﷺ دونهم».

وقال ابن تيمية في مجموعة الفتاوى الكبرى ٤: ٣٠٢: «وأما قوله [يعني علي]: «اسألوني عن طرق السماء فاني أعرف بها من طرق الأرض» فإنه قاله..».

وما ذكره المتأوي خير دليل على كلام الدكتور الرحيلي الذي ذكره في كتابه الانتصار للصحب والأل ١٧١ إذ إنّ الخلفاء الذين سبقوا علي بن أبي طالب عليه السلام واغتصبوا حقه من الخلافة التي كان أجدر بها وأقدر وأحقّ إلا أنّهم منعوه منها، لكنهم لم يستغنوا عنه في أمور السياسة والدين، فكانوا يرجعون إليه في المسائل التي تعرض عليهم فلذلك حبسوه عندهم ولم يولّوه شيئاً من البعوث أو المنصب، فمنعهم لعلي بن أبي طالب عليه السلام من المناصب الحكومية لا ينافي

وهذا الإمام علي نفسه يقول: « سلوني قبل أن تفقدوني، والله لا تسألوني عن شيء يكون إلى يوم القيامة إلا أخبركم به، وسلوني عن كتاب الله، فوالله ما من آية إلا وأنا أعلم أبليل نزلت أم بنهار، في سهل أم في جبل »<sup>(١)</sup>.

بينما يقول أبو بكر عندما سئل عن معنى الأب في قوله تعالى: ﴿وَقَاكِهَةً وَأَبًّا \* مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ﴾ قال أبو بكر: أي سماء تظلني وأي أرض تغلني أن أقول في كتاب الله بما لا أعلم<sup>(٢)</sup>.

وهذا عمر بن الخطاب يقول: « كلُّ النَّاسِ أْفَقَهُ مِنْ عَمْرِ حَتَّى رَبَّاتِ الْحِجَالِ »<sup>(٣)</sup>. ويسأل عن آية من كتاب الله، فينتهر السائل ويضربه بالدرّة حتّى

➤ رجوعهم إليه في أمور الدولة والدين. كما صرّح المتأوي بذلك حينما قال:

«حتّى أمسكه عنده ولم يولّه شيئاً من البعوث لمشاورته في المشكل».

(١) راجع بألفاظه المختلفة: المستدرک للحاکم ٢: ٣٥٣، المعيار والموازنة: ٨٢، دستور معالم الحكم: ١٠٤، تخريج الأحاديث والآثار ٣: ٣٦٥، كنز العمال ١٣: ١٦٥، فتح الملك العلي: ٧٦، أنساب الأشراف للبلاذري: ٩٩، الطبقات الكبرى لابن سعد ٢: ٣٣٨، تاريخ دمشق ٤٢: ٣٩٧، المناقب للخوارزمي: ٩٤ ح ٩٢، نظم درر السمطين: ١٢٦، مجموعة الفتاوى الكبرى لابن تيمية ٤: ٣٠٢ بلفظ: «أسألوني عن طرق السماء فإني أعرف بها من طرق الأرض»، الكشاف للزمخشري ٤: ١٣، جامع البيان ١٣: ٢٨٩، تفسير ابن كثير ١: ١٨٢، تهذيب الكمال ٥: ٧٩، تذكرة الحفاظ ١: ١٦٦، سير أعلام النبلاء ٦: ٢٥٧، تاريخ اليعقوبي ٢: ١٩٣، تاريخ الإسلام ٩: ٨٩، الوافي بالوفيات ١١: ٩٩.

(٢) المصنّف لابن أبي شيبة ٧: ١٨٠ ح ٩، تفسير القرطبي ١٩: ٢٢٣، تفسير ابن كثير ٤: ٥٠٤.

(٣) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١: ١٨٢، وب حذف ذيله في المجمع للنووي

يدميه ويقول: ﴿لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءٍ إِنْ تُبَدَّ لَكُمْ تَسْأَلُكُمْ﴾<sup>(١)</sup> وقد سئل عن الكلالة فلم يعلمها.

أخرج الطبري في تفسيره عن عمر أنه قال: «لئن أكون أعلم الكلالة أحب إلي من أن يكون لي مثل جزية قصور الشام»<sup>(٢)</sup>.

كما أخرج ابن ماجة في سننه عن عمر بن الخطاب قال: «ثلاث لئن يكون رسول الله ﷺ يبين أحب إلي من الدنيا وما فيها: الكلالة، والرّبا، والخلافة»<sup>(٣)</sup>.

سبحان الله! حاشى لرسول الله أن يكون سكت عن هذه الأشياء ولم يبينها.

ب - حديث: «يا علي أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبيّ

بعدي»<sup>(٤)</sup>:

---

① ٣٢٧:١٦، الميسوط للسرخسي ١٠:١٥٣، سبل السلام ٣:١٤٩، فقه السنة ٢:١٥٨،

تخريج الأحاديث والآثار ٣:١٠، كنز العمال ١٦:٥٣٧، كشف الخفاء ١:٢٦٩، إرواء

الغيل ٦:٣٤٨، فيض القدير في شرح الجامع الصغير ٢:٨، تفسير ابن كثير ١:

٤٧٨، الدر المنثور ٢:١٣٣، فتح القدير للشوكاني ١:٤٤٣، وقال: «قال ابن كثير:

إسناده جيّد قوي»، روح المعاني ٤:٢٤٤.

(١) سورة المائدة: ١٠١.

(٢) تفسير الطبري ٦:٥٨، وفيه: «مثل قصور الروم». الدر المنثور ٢:٢٥١، المحرر

الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ٢:١٤١، كنز العمال ١١:٨٠.

(٣) سنن ابن ماجة ٢:٩١١ ح ٢٧٢٧، وقال محققه: «رجال إسناده ثقات» السنن

الكبرى للبيهقي ٦:٢٢٥، تفسير القرطبي ٦:٢٩.

(٤) صحيح البخاري ٥:١٢٩، كتاب المغازي باب غزوة تبوك، صحيح مسلم ٥:٢٣،

كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب علي بن أبي طالب، سنن الترمذي ٥:٦٣٨

و ٦٤٠ و ٦٤١ ح ٣٧٢٤ و ٣٧٣٠ و ٣٧٣١ وقال في بعضها: «حديث حسن»، وفي

وهذا الحديث كما لا يخفى على أهل العقول فيه ما فيه من اختصاص أمير المؤمنين علي بالوزارة والوصاية والخلافة، فكما كان هارون وزيراً ووصياً وخليفة موسى في غيابه عندما ذهب لميقات ربّه، كذلك أيضاً منزلة الإمام علي كمنزلة هارون عليه وعلى نبينا السلام، فهو صورة طبق الأصل عنه ما عدا النبوة التي

➔ بعضها: «حديث صحيح»، سنن ابن ماجة ١: ٤٢ و ٤٥ ح ١١٥ و ١٢١، المستدرک للحاكم ٣: ١٠٩ و ١٣٣ وقال الحاكم فيهما: «حديث صحيح» ووافقه الذهبي، السنن الكبرى للبيهقي ٩: ٤٠، مجمع الزوائد للهيثمي ٩: ١٠٩ وقال: «رواه أحمد والطبراني ورجال أحمد رجال الصحيح غير فاطمة بنت علي وهي ثقة»، مسند أحمد بن حنبل ١: ١٧٠ و ١٧٣ و ١٧٥ و ١٧٧ و ١٧٩ و ١٨٢ و ١٨٤ و ١٨٥ و ٣٣٠، حلية الأولياء ٧: ١٩٤ و ١٩٦ وقال: «صحيح مشهور»، خصائص النسائي: ١١ و ١٢ و ٢٤ و ٤٤ و ٦٤ و ١٢٦، فضائل الصحابة ح ٩٥٤ و ٩٥٦ و ٩٥٧ و ٩٦٠ و ١٠٠٥ و ١٠٠٦ و ١٠٤١ و ١٠٤٥ و ١٠٧٩ و ١٠٩١ و ١١٤٣ و ١١٥٣، مسند أبي داود الطيالسي: ٢٩ ح ٢٠٩ و ٢١٣، صحيح ابن حبان ١٥: ١٥ و ٣٧٠ ح ٦٦٤٣ و ٦٩٢٦ و ٦٩٢٧، كتاب السنة: ٥٦٠ ح ١١٨٨، وقال محقق الكتاب الشيخ محمد ناصر الدين الألباني: «إسناده حسن» وح ١٣٣١ و ١٣٣٢ و ١٣٣٣ و ١٣٣٤ و ١٣٣٥ و ١٣٣٦ و ١٣٣٧ و ١٣٣٨ و ١٣٣٩ و ١٣٤٠ و ١٣٤١ و ١٣٤٢ و ١٣٤٥ و ١٣٤٦ و ١٣٤٧ و ١٣٤٨ و ١٣٤٩ و ١٣٥٠، المصنّف للصنعاني ٥: ٤٠٦، مسند الحميدي ١: ٣٨، مسند ابن الجعد: ٣٠١، المصنّف لابن أبي شيبة ٧: ٤٩٦، مسند ابن راهويه ٥: ٣٧، الآحاد والمثاني ٥: ١٧٢، السنن الكبرى للنسائي ٥: ٤٤، مسند أبي يعلي الموصلي ١: ٢٨٦ و ٨٧: ٢، أمالي المحاملي: ٢١٠، المعجم الأوسط ٢: ١٢٦ و ٣: ١٣٩ و ٤: ٢٩٦ و ٥: ٢٨٧ و ٦: ٧٧، المعجم الصغير ٢: ٢٢، المعجم الكبير ٢: ٢٤٧ و ٤: ١٧ و ٥: ٢٠٣ و ١١: ٦١ و ١٢: ١٥، موارد الضمآن للهيثمي ٧: ١٣٢، النظم المتناثر من الحديث المتواتر للكتّاني: ١٩٥، وهو حديث متواتر غني عن التخرّيج.

استثنائها نفس الحديث، وفيه أيضاً أن الإمام علياً هو أفضل الصحابة، فلا يفوقه في ذلك إلا صاحب الرسالة ﷺ.

ت - حديث : « من كنت مولاه فهذا عليّ مولاه، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه، وانصر من نصره، واخذل من خذله، وأدر الحقّ معه حيث دار. »  
 وهذا الحديث وحده كاف لردّ مزاعم تقديم أبي بكر وعمر وعثمان عليّ من نصّبه رسول الله ﷺ ولياً للمؤمنين من بعده، ولا عبرة بمن أوّل الحديث إلى معنى المحبّ والتّصير، لصرّفه عن معناه الأصلي الذي قصده الرسول، وذلك حفاظاً على كرامة الصحابة، لأنّ رسول الله ﷺ عندما قام خطيباً في ذلك الحرّ الشديد قال : أستم تشهدون بأنّي أولى المؤمنين من أنفسهم؟ قالوا: بلى يا رسول الله، فقال عندئذ : « فمن كنت مولاه فهذا عليّ مولاه... »<sup>(١)</sup>.

(١) حديث الغدير، حديث صحيح متواتر صرّح بتواتره الذهبي في تذكرة الحفاظ ٧١٣:٢، سير أعلام النبلاء ٧: ٥٧١، البدخشاني في مفتاح النجا، السيوطي في كتابيه: الأزهار المتناثرة في الأخبار المتواترة، والفوائد المتكاثرة في الأخبار المتواترة، الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة ٤: ٣٤٣ وغيرهم ممّن صرّح بصحّته وكثرة طرقه.

والحديث بهذا اللفظ ورد في الملل والنحل للشهرستاني ١: ١٦٣، الصواعق للهيتمي ١: ١٠٦ وقال: «وقول بعضهم: ان زيادة «اللهم وال من والاه...» موضوعة، مردود، فقد ورد ذلك من طرق صحيح ذهبي كثيراً منها، السيرة الحلبية ٣: ٣٨٤، ملحقات إحقاق الحقّ ٦: ٢٩٣ عن إسعاف الراغبين والعقد الفريد. لا يقال هذا الكلام خلاف الواقع لأنّ الأمة خذلته ومع هذا كانت منصوره، ومن نصره في زمانه لم يكن منصوراً».

لأنّنا نقول: ليس الملاك هو النصر أو الخذلان الدنيوي، كيف والله تعالى يخبرنا عن



➤ الأُمم السابقة بأنّها كانت تقتل الأنبياء ومع هذا قال تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾، فيدلّ على أنّ منهم من نصر في الدنيا كنبينا ﷺ، ومنهم من لم ينصر في الدنيا وسينصر في العقبى. وصدّر الحديث أي قوله ﷺ: «ألست أولى بكم من أنفسكم» يعيّن ويشخص المراد من «المولى».

مضافاً إلى أنّ معنى الحديث: إنّ النبي ﷺ دعا لمن يوالي عليّاً بالموالاة، بأنّ يكون هو الموالي لله سبحانه وتعالى، فيكون وليّه الله وعدّوه من يعاديه، وأن ينصره الله تعالى، ويخذل من خذله، وهذا الأمر قد حصل في الدنيا قبل الآخرة فإن كلّ من نصر عليّاً هو منصور ومشهود له بالكلمة الطيبة والقول الصالح، وكلّ من خذله فهو مذموم وفيه نقص من هذه الجهة.

على أنّهم يقولون بأنّ عثمان بن عفّان لما طعن كان يقرأ في المصحف، وقد وقعت قطرة دم منه على قوله تعالى: ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ مع أنّ الله سبحانه وتعالى لم يكفهم، وإّما قتلوه وتركوه ملقى في المزبلة ثلاثة أيام، ممنوع من الدفن من قبل الصحابة، ومنهم المبشّر بالجنة طلحة بن عبيد، فأين نصر الله له منهم؟ وأين منعه من الوصول إليه.

وقد ذكر صاحب كتاب كشف الجاني: ١٠٩ معترضاً على المؤلف بقوله: «وهذا الحديث بهذا اللفظ مكذوب على رسول الله ﷺ، والذي يصحّ منه قول النبي ﷺ: «من كنت مولاه فهذا مولاه» فقط.

وصحّ بعض أهل العلم زيادة: «اللهم وال من والاه وعاد من عاداه». أما زيادة: «وانصر من نصره، واخذل من خذله، وادر الحقّ معه حيث دار» فكذب محض على رسول الله ﷺ، يعجز التيجاني وغيره عن أن يأتوا بإسناد صحيح لها..

ثمّ إنّ هذا خلاف الواقع، فإنّ الأُمَّة عند الشيعة كلّها خذلته بعد موت النبي ﷺ إلى

☞ مقتل عثمان، ومع هذا كانت منصوره في عهد أبي بكر وعمر وعثمان. ولما قتل عثمان صار الناس ثلاثة أحزاب؛ حزب معه، وحزب ضده، وآخر معتزل ولم يكن الذين نصره منصورين، بل الذين حاربوهم هم الذين انتصروا عليهم بعده، وصار الأمر إليهم، وفتحوا البلاد...» هذا ما ذكره عثمان. ونبدأ بالرد عليه في النقطة الأولى: وهي تضعه لجزء من الحديث، وتكذيبه للجزء الآخر.

وقبل الرد عليه نقول: إنَّ هذا الكلام أخذه عثمان من الشيخ الناصب ابن تيمية الحراني، فإنه قال في منهاج السنة ٧: ٣١٩: «وأما الزيادة وهي قوله: «اللهم وال من والاه وعاد من عاداه..» الخ فلا ريب أنه كذب.. وأما قوله من كنت مولاه فعلي مولاه فليس هو في الصحاح، لكن هو مما رواه العلماء، وتنازع الناس في صحته، فنقل عن البخاري وإبراهيم الحربي وطائفة من أهل العلم بالحديث أنهم طعنوا فيه وضعفه..» فكلام عثمان الخميس ليس بجديد، ولم يكن من بنات أفكاره وإنما أخذه من شيخه الحراني.

وللرد على كلا الكلامين نقول:

أولاً: حديث «من كنت مولاه فهذا علي مولاه» حديث صحيح ومتواتر عن النبي ﷺ، وقد صرح بذلك كبار علماء أهل السنة كما سيأتي تصريح الشيخ الألباني بذلك ورده على ابن تيمية في تضعيفه للحديث.

وثانياً: حديث: «اللهم وال من والاه وعاد من عاداه» حديث صحيح صححه علماء كثر، نذكر قسماً منهم: فقد صحح الحديث الحاكم في المستدرک ٣: ١٠٩ وقال: «هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه بطوله»، وابن كثير في البداية والنهاية ٥: ٢٢٨ وقال: «قال شيخنا أبو عبد الله الذهبي: وهذا حديث صحيح»، والهيتمي في مجمع الزوائد ٩: ١٠٤: «رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح غير فطر بن خليفة وهو ثقة»، وقال الشيخ الداني بن منير آل زهوي:

☞

«إسناده صحيح» خصائص أمير المؤمنين: ٨٢، وابن حبان في صحيحه ٣٧٦:١٥.

وقد حَقَّق الشيخ الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة الحديث بشكل جيّد، وردّ على ابن تيميّة في تضعيفه الحديث، وننقل كلامه لما فيه من فائدة وردّ على عثمان الخميس وأمثاله قال الشيخ الألباني في صحيحته: طرق حديث: من كنت مولاه...

١٧٥٠ - (مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ، فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ، اللَّهُمَّ وَالِ مِنْ وَالَاهُ، وَعَادٍ مِنْ عَادَاهُ).

ورد من حديث زيد بن أرقم، وسعد بن أبي وقاص، وبريدة بن الحصيب، وعلي بن أبي طالب، وأبي أيوب الأنصاري، والبراء بن عازب، وعبد الله بن عباس، وأنس ابن مالك، وأبي سعيد، وأبي هريرة.

١ - حديث زيد، وله عنه طرق خمس:

الأول: عن أبي الطفيل عنه قال: لما رجع النبي ﷺ من حجّة الوداع، ونزل غدِير (حَم)، أمر بدوحاتٍ فَمُمِّن، ثمّ قال: كَأَنِّي دَعَيْتُ فَأَجَبْتُ، وَإِنِّي تَارِكُ فَيْكُمْ الثَّقَلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَكْبَرُ مِنَ الْآخَرِ: كِتَابُ اللَّهِ، وَعَتْرَتِي أَهْلُ بَيْتِي، فَانظُرُوا كَيْفَ تَخْلُقُونِي فِيهِمَا، فَإِنَّهُمَا لَنْ يَنْفَرَقَا حَتَّى يَرِدَا عَلِيَّ الْحَوْضِ، ثُمَّ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ مَوْلَايَ وَأَنَا وَلِي كُلِّ مُؤْمِنٍ». ثُمَّ إِنَّهُ أَخَذَ بِيَدِ عَلِيٍّ ﷺ فَقَالَ: «مَنْ كُنْتُ وَلِيَّهُ، فَهَذَا وَلِيَّهُ، اللَّهُمَّ وَالِ مِنْ وَالَاهُ، وَعَادٍ مِنْ عَادَاهُ».

أخرجه النسائي في «خصائص علي» (ص ١٥) والحاكم (١٠٩/٣) وأحمد (١١٨/١) وابن أبي عاصم (١٣٦٥) والطبراني (٤٩٦٩ - ٤٩٧٠) عن سليمان الأعمش قال: حدثنا حبيب بن أبي ثابت عنه وقال الحاكم: «صحيح علي شرط الشيخين».

قلت: سكت عنه الذهبي، وهو كما قال لولا أن حبيباً كان مدلساً، وقد عنعنه، لكنّه لم يتفرد به، فقد تابعه فطر بن خليفة عن أبي الطفيل قال: «جمع علي ﷺ الناس في الرحبة ثمّ قال لهم: أنشد الله كلّ امرئ مسلم سمع رسول الله ﷺ يقول يوم

➤ غدير خمّ ما سمع لَمّا قام، فقام ثلاثون من النَّاسِ، (وفي رواية: فقام ناس كثير) فشهدوا حين أخذ بيده فقال للنَّاسِ: «أتعلمون أني أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟» قالوا: نعم يا رسول الله، قال: «من كنت مولاه، فهذا مولاه، اللهم والِ من والاه، وعادِ من عاداه».

قال: فخرجت وكأَنَّ في نفسي شيئاً، فلقيت زيد بن أرقم، فقلت له: إنِّي سمعت عليّاً يقول كذا وكذا، قال: فما تنكر، قد سمعت رسول الله ﷺ يقول ذلك له». أخرجه أحمد (٣٧٠/٤) وابن حبان في «صحيحه» (٢٢٠٥ - موارد الظمان) وابن أبي عاصم (١٣٦٧ و١٣٦٨) والطبراني (٤٩٦٨) والضياء في «المختارة» (رقم - ٥٢٧ بتحقيقي).

قلت: وإسناده صحيح على شرط البخاري. وقال الهيثمي في «المجمع» (١٠٤/٩): «رواه أحمد، ورجاله رجال الصحيح غير فطر بن خليفة، وهو ثقة».

وتابعه سلمة بن كهيل قال: سمعت أبا الطفيل يحدث عن أبي سريحة أو زيد ابن أرقم - شكّ شعبة - عن النبي ﷺ به مختصراً: «من كنت مولاه، فعلي مولاه». أخرجه الترمذي (٢٩٨/٢) وقال: «حديث حسن صحيح».

قلت: وإسناده صحيح على شرط الشيخين. وأخرجه الحاكم (١٠٩/٣ - ١١٠) من طريق محمد بن سلمة بن كهيل عن أبيه عن أبي الطفيل عن ابن واثلة أنّه سمع زيد بن أرقم به مطوّلاً نحو رواية حبيب دون قوله: «اللهم والِ...».

وقال الحاكم: «صحيح على شرط الشيخين». وردّه الذهبي بقوله: «قلت: لم يخرجوا لمحمد، وقد واه السعدي». قلت: وقد خالف الثقتين السابقين فزاد في السند ابن واثلة، وهو من أوهامه. وتابعه حكيم بن جبير - وهو ضعيف - عن أبي الطفيل به.

➤ أخرجه الطبراني (٤٩٧١).

الثانية: عن ميمون أبي عبد الله به نحو حديث حبيب.

أخرجه أحمد (٣٧٢/٤) والطبراني (٥٠٩٢) من طريق أبي عبيد عنه.

ثم أخرجه من طريق شعبة، والنسائي (ص ١٦) من طريق عوف كلاهما عن ميمون به دون قوله: «اللهم وال»، إلا أن شعبة زاد: «قال ميمون: فحدثني بعض القوم عن زيد أن رسول الله ﷺ قال: اللهم...».

وقال الهيثمي: «رواه أحمد والبخاري، وفيه ميمون أبو عبد الله البصري؛ وثقه ابن حبان، وضعفه جماعة».

قلت: وصح له الحاكم (١٢٥/٣).

الثالثة: عن أبي سليمان [المؤذن] عنه قال: «استشهد علي الناس، فقال: أنشد الله رجلاً سمع النبي ﷺ يقول: «اللهم من كنت مولاه، فعلي مولاه، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه». قال: فقام ستة عشر رجلاً فشهدوا».

أخرجه أحمد (٣٧٠/٥) وأبو القاسم هبة الله البغدادي في الثاني من «الأمالي» (ق ٢/٢٠) عن أبي إسرائيل الملائي عن الحكم عنه. وقال أبو القاسم:

«هذا حديث حسن، صحيح المتن».

وقال الهيثمي (١٠٧/٩): «رواه أحمد وفيه أبو سليمان، ولم أعرفه إلا أن يكون بشير ابن سليمان، فإن كان هو فهو ثقة، وبقية رجاله ثقات».

وعلق عليه الحافظ ابن حجر بقوله: «أبو سليمان هو زيد بن وهب كما وقع عند الطبراني».

قلت: هو ثقة من رجال البخاري، لكن وقع عند أبي القاسم تلك الزيادة «المؤذن»، ولم يذكرها في ترجمة زيد هذا، فإن كانت محفوظة، فهي فائدة تلحق بترجمته.

لكن أبو إسرائيل واسمه إسماعيل بن خليفة مختلف فيه، وفي «التقريب»: «صدوق سيء الحفظ».

.....

قلت: فحديثه حسن في الشواهد.

ثم استدركت فقلت: قد أخرجه الطبراني أيضاً (٤٩٦٦) من الوجه المذكور لكن وقع عنده: «عن أبي سلمان المؤدّن» بدون المثناة بين اللام والميم، وهو الصواب فقد ترجمه المزني في «التهذيب» فقال: «أبو سلمان المؤدّن: مؤدّن الحجاج، اسمه يزيد بن عبد الله، يروي عن زيد بن أرقم، ويروي عنه الحكم بن عتيبة وعثمان ابن المغيرة الثقفي ومسعر بن كدام، ومن عوالي حديثه ما أخبرنا...».

ثم ساق الحديث من الطرق المذكورة. وقال: «ذكرناه للتمييز بينهما».

يعني: أنّ أبا سلمان المؤدّن هذا هو غير أبي سليمان المؤدّن، قيل: اسمه همام... الذي ترجمه قبل هذا، وهذه فائدة هامة لم يذكرها الذهبي في كتابه «الكاشف».

قلت: فهو إذن أبو سلمان وليس (أبو سليمان)، وبالتالي فليس هو زيد بن وهب كما ظنّ الحافظ، وإنّما يزيد بن عبد الله كما جزم المرّي، وإنّ ممّا يؤيد هذا أنّ الطبراني أورد الحديث في ترجمة (أبو سلمان المؤدّن عن زيد بن أرقم): وساق تحتها ثلاثة أحاديث هذا أحدها.

نعم وقع عنده (٤٩٨٥) من رواية إسماعيل بن عمرو البجلي: ثنا أبو إسرائيل الملائي عن الحكم عن أبي سليمان زيد بن وهب عن زيد بن أرقم... وهذه الرواية هي التي أشار إليها الحافظ واعتمد عليها في الجزم بأنّه أبو سليمان زيد ابن وهب، وخفي عليه أن فيها إسماعيل بن عمرو البجلي، وهو ضعيف، ضعفه أبو حاتم والدارقطني كما ذكر ذلك الحافظ نفسه في «اللسان».

الرابعة: عن يحيى بن جعدة عن زيد بن أرقم قال:

«خرجنا مع رسول الله ﷺ حتى انتهينا إلى غدير (خم)...». الحديث نحو الطرق الأولى، وفيه: «يا أيّها الناس إنّّه لم يبعث نبي قط إلاّ عاش نصف ما عاش الذي قبله، وإنّي أوشك أن أدعى فأجيب، وإنّي تارك فيكم ما لن تضلّوا بعده: كتاب الله...». الحديث وفيه حديث الترجمة قوله: «اللّهم وال...».

ع

➤ أخرجه الطبراني (٤٩٨٦) ورجاله ثقات.  
الخامسة: عن عطية العوفي قال: سألت زيد بن أرقم... فذكره بنحوه دون الزيادة إلا  
أنه قال:

«قال: فقلت له: هل قال: اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه؟

قال: إنما أخبرك كما سمعت».

أخرجه أحمد (٣٦٨/٤) والطبراني (٥٠٦٨ - ٥٠٧١).

ورجاله ثقات رجال مسلم غير عطية، وهو ضعيف.

وله عند الطبراني (٤٩٨٣ و ٥٠٥٨ و ٥٠٥٩) طرق أخرى لا تخلو من ضعف.

٢ - سعد بن أبي وقاص، وله عنه ثلاث طرق:

الأولى: عن عبد الرحمن بن سابط عنه مرفوعاً بالشرط الأول فقط.

أخرجه ابن ماجه (١٢١).

قلت: وإسناده صحيح.

الثانية: عن عبد الواحد بن أيمن عن أبيه به.

أخرجه النسائي في «الخصائص» (١٦) وإسناده صحيح أيضاً، رجاله ثقات رجال

البخاري غير أيمن والد عبد الواحد، وهو ثقة كما في «التقريب».

الثالثة: عن خيثمة بن عبد الرحمن عنه به وفيه الزيادة.

أخرجه الحاكم (١١٦/٣) من طريق مسلم الملائي عنه.

قال الذهبي في «تلخيصه»: «سكت الحاكم عن تصحيحه، ومسلم متروك».

٣ - حديث بريدة، وله عنه ثلاث طرق:

الأولى: عن ابن عباس عنه قال: خرجت مع علي عليه السلام إلى اليمن فرأيت منه جفوة،

فقدمت على النبي صلى الله عليه وسلم، فذكرت علياً، فتنقّصته، فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يتغير

وجهه، فقال: «يا بريدة، ألسنتُ أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟» قلت: بلى يا رسول

الله، قال: «من كنت مولاه، فعلي مولاه».

➤ أخرجه النسائي والحاكم (١١٠/٣) وأحمد (٣٤٧/٥) من طريق عبد الملك بن أبي غنينة قال: أخبرنا الحكم عن سعيد بن جبير عن ابن عباس. قلت: وهذا إسناد صحيح على شرط الشيخين، وتصحيح الحاكم على شرط مسلم وحده قصور.

وابن أبي غنينة بفتح الغين المعجمة وكسر النون وتشديد التحتانية، ووقع في المصدرين المذكورين (عيينة) وهو تصحيف، وهذا اسم جدّه، واسم أبيه حميد. الثانية: عن ابن بريدة عن أبيه: «أنّه مرّ على مجلس وهم يتناولون من علي، فوقف عليهم، فقال: إنّّه قد كان في نفسي علىّ عليّ شيء، وكان خالد بن الوليد كذلك، فبعثني رسول الله ﷺ في سرية عليها علي، وأصبنا سبياً، قال: فأخذ عليّ جارية من الخمس لنفسه، فقال خالد بن الوليد: دونك، قال: فلما قدمنا علىّ النبي ﷺ جعلت أحدثه بما كان، ثمّ قلت: إنّ عليّاً أخذ جارية من الخمس، قال: وكنت رجلاً مكاباً، قال: فرفعت رأسي، فإذا وجه رسول الله ﷺ قد تغير، فقال..» فذكر الشطر الأوّل.

أخرجه النسائي وأحمد (٣٥٠/٥ و٣٥٨ و٣٦١) والسياق له من طرق عن الأعمش عن سعد بن عبيدة عنه.

قلت: وهذا إسناد صحيح على شرط الشيخين أو مسلم، فإنّ ابن بريدة إن كان عبد الله، فهو من رجالهما، وإن كان سليمان فهو من رجال مسلم وحده: وأخرج ابن حبان (٢٢٠٤) من هذا الوجه المرفوع منه فقط.

الثالثة: عن طاووس عن بريدة به دون قوله: «اللهم...».

أخرجه الطبراني في «الصغير» (رقم - ١٧١ - الروض) و«الأوسط» (٣٤١) من طريقين عن عبد الرزاق بإسنادين له عن طاووس. ورجاله ثقات.

٤ - علي بن طالب، وله عنه تسع طرق:

الأولى: عن عمرو بن سعيد أنه سمع عليّاً ﷺ وهو ينشد في الرحبة: من سمع رسول



☞ الله ﷺ يقول: (فذكر الشطر الأول) فقام ستة نفر فشهدوا.  
أخرجه النسائي من طريق هانيء بن أيوب عن طاووس (الأصل: طلحة) عن عمرو  
ابن سعيد (الأصل: سعد).  
قلت: وهاني قال ابن سعد: فيه ضعف. وذكره ابن حبان في «الثقات»، فهو ممن  
يستشهد به في الشواهد والمتابعات.  
الثانية: عن زاذان بن عمر قال:  
«سمعت علياً في الرحبة...» الحديث مثله. وفيه أنّ الذين قاموا فشهدوا ثلاثة عشر  
رجلاً.  
أخرجه أحمد (٨٤/١) وابن أبي عاصم (١٣٧٢) من طريق أبي عبد الرحيم الكندي  
عنه.  
قلت: والكندي هذا لم أعرفه، وبيض له في «التعجيل»، وقال الهيثمي: «رواه أحمد  
وفيه من لم أعرفهم».  
والثالثة والرابعة: عن سعيد بن وهب وعن زيد بن يثيع قالاً: نشد علي الناس في  
الرحبة: من سمع رسول الله ﷺ يقول يوم غدير خم الإقام، فقام من قبل سعيد  
سته، ومن قبل زيد سته، فشهدوا أنّهم سمعوا رسول الله ﷺ يقول لعلي عليه السلام  
يوم غدير خم: «أليس الله أولى بالمؤمنين؟». قالوا: بلى، قال: «اللهم من كنت  
مولاه...» الحديث بتمامه.  
أخرجه عبد الله بن أحمد في زوائد «المسند» (١١٨/١) وعنه الضياء المقدسي في  
«المختارة» (٤٥٦ بتحقيقي) من طريق شريك عن أبي إسحاق عنهما.  
ومن هذا الوجه أخرجه النسائي (١٦)، لكنه لم يذكر سعيد بن وهب في السند، وزاد  
في آخره: «قال شريك: فقلت لأبي إسحاق: هل سمعت البراء بن عازب يحدث  
بهذا عن رسول الله ﷺ؟ قال: نعم».  
قال النسائي: عمران بن أبان الواسطي ليس بالقوي في الحديث. يعني راويه عن

### ➤ شريك.

قلت: لكنه عند ابن أبي عاصم (١٣٧٥) من طريق آخر عن شريك.  
قلت: وشريك هو ابن عبد الله القاضي وهو سيء الحفظ. وحديثه جيد في الشواهد،  
وقد تابعه شعبة عند النسائي (ص ١٦) وأحمد ببعضه (٣٦٦/٥) وعنه الضياء في  
«المختارة» (رقم ٤٥٥ - بتحقيقي).

وتابعه غيره كما سيأتي بعد الحديث (١٠).

الخامسة: عن شريك أيضاً عن أبي إسحاق عن عمرو ذي مِر بمثل حديث أبي  
إسحاق يعني عن سعيد وزيد وزاد فيه: «وانصر من نصره، واخذل من خذله».  
أخرجه عبد الله أيضاً، وقد عرفت حال شريك. وعمرو ذي مر، لم يذكر فيه ابن أبي  
حاتم (٢٣٢/١٣) شيئاً.

السادسة: عن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال: «شهدتُ علياً عليه السلام في الرحبة ينشد  
الناس...» فذكره مثله دون زيادة «وانصر...».

أخرجه عبد الله بن أحمد (١١٩/١) من طريق يزيد بن أبي زياد وسماك بن عبيد بن  
الوليد العبسي عنه.

قلت: وهو صحيح بمجموع الطريقتين عنه، وفيهما أنّ الذين قاموا اثنا عشر. زاد في  
الأولى: بدرياً.

السابعة والثامنة: عن أبي مريم ورجل من جلساء علي عن علي أنّ النبي صلى الله عليه وآله قال  
يوم غدیر خم... فذكره بدون الزيادة، وزاد: «قال: فزاد الناس بعد: وال من والاه،  
وعاد من عاداه».

أخرجه عبد الله (١٥٢/١) عن نعيم بن حكيم: حدثني أبو مريم ورجل من جلساء علي.  
وهذا سند لا بأس به في المتابعات، أبو مريم مجهول. كما في «التقريب».

التاسعة: عن طلحة بن مصرف قال: سمعت المهاجر بن عميرة أو عميرة بن المهاجر  
يقول: سمعت علياً عليه السلام ناشد الناس... الحديث مثل رواية ابن أبي ليلى.

➤ أخرجه ابن أبي عاصم (١٣٧٣) بسند ضعيف عنه، وهو المهاجر بن عميرة. كذا ذكره في «الجرح والتعديل» (٢٦١/١/٤) من رواية عدي بن ثابت الأنصاري عنه. ولم يذكر فيه جرحاً ولا تعديلاً، وكذا هو في «ثقات ابن حبان» (٢٥٦/٣).

٥ - أبو أيوب الأنصاري. يرويه رياح بن الحارث قال:

«جاء رهط إلى علي بالرحبة، فقالوا: السلام عليك يا مولانا، قال: كيف أكون مولاكم، وأنتم قوم عرب؟ قالوا: سمعنا رسول الله ﷺ يوم غدير خم يقول: (فذكره دون الزيادة) قال رياح: فلما مضوا تبعتهم فسألت: من هؤلاء؟ قالوا: نفر من الأنصار فيهم أبو أيوب الأنصاري».

أخرجه أحمد (٤١٩/٥) والطبراني (٤٠٥٢ و٤٠٥٣) من طريق حنش بن الحارث بن لقيط النخعي الأشجعي عن رياح بن الحارث.

قلت: وهذا إسناد جيد رجاله ثقات.

وقال الهيثمي: «رواه أحمد والطبراني، رجال أحمد ثقات».

٦ - البراء بن عازب. يرويه عدي بن ثابت عنه قال:

«كنا مع رسول الله ﷺ في سفر فنزلنا بغدير خم، فنودي فينا: الصلاة جامعة، وكسح لرسول الله ﷺ تحت شجرتين فصلّى الظهر، وأخذ بيد علي ﷺ، فقال: أستم تعلمون أني أولى بكل مؤمن من نفسه؟...» الحديث مثل رواية فطر بن خليفة عن زيد. وزاد: «قال فلقيه عمر بعد ذلك، فقال له: هنيئاً يا ابن أبي طالب، أصبحت وأمست مولى كل مؤمن ومؤمنة».

أخرجه أحمد وابنه في زوائده (٢٨١/٤) وابن ماجه (١١٦) مختصراً من طريق علي ابن زيد عن عدي بن ثابت.

ورجاله ثقات رجال مسلم غير علي بن زيد وهو ابن جدعان، وهو ضعيف.

وله طريق ثاني عن البراء تقدم ذكرها في الطريق الثاني والثالث عن علي.

٧ - ابن عباس. يرويه عنه عمرو بن ميمون مرفوعاً دون الزيادة:

➤ أخرجه أحمد (٣٣٠/١ - ٣٣١) وعنه الحاكم (١٣٢/٣ - ١٣٤) وقال: «صحيح الإسناد». ووافقه الذهبي. وهو كما قالاً.

٨ و ٩ و ١٠ - أنس بن مالك وأبو سعيد وأبو هريرة. يرويه عنهم عميرة بن سعد قال: «شهدت علياً عليه السلام على المنبر يناشد أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: من سمع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوم غدِير (حُم) يقول ما قال فليشهد. فقام اثنا عشر رجلاً، منهم أبو هريرة وأبو سعيد وأنس بن مالك، فشهدوا أنهم سمعوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: فذكره».

أخرجه الطبراني في «الصغير» (ص ٣٣ - هندية رقم ١١٦ - الروض) وفي «الأوسط» (رقم ٢٤٤٢) عن إسماعيل بن عمرو: ثنا مسعر عن طلحة بن مصرف عن عميرة ابن سعد به وقال: «لم يروه عن مسعر إلا إسماعيل». قلت: وهو ضعيف، ولذلك قال الهيثمي (١٠٨/٩) بعد ما عناه للمعجمين: «وفي إسناده لين».

قلت: لكن يقويه أن له طرقاً أخرى عن أبي هريرة وأبي سعيد وغيرهما من الصحابة.

أمّا حديث أبي هريرة، فيرويه عكرمة بن إبراهيم الأزدي: حدّثني إدريس بن يزيد الأودي عن أبيه عنه.

أخرجه الطبراني في «الأوسط» (١١٠٥) وقال: «لم يروه عن إدريس إلا عكرمة». قلت: وهو ضعيف.

وأما حديث أبي سعيد، فيرويه حفص بن راشد: نا فضيل بن مرزوق عن عطية عنه. أخرجه الطبراني في «الأوسط» (٨٥٩٩) وقال: «لم يروه عن فضيل إلا حفص بن راشد».

قلت: ترجمه ابن أبي حاتم (١٧٢/٢/١ - ١٧٣) فلم يذكر فيه جرحاً ولا تعديلاً. وأما غيرهما من الصحابة، فروى الطبراني في «الأوسط» (٢٣٠٢ و ٧٠٢٥) من

طريقين عن عميرة بن سعد قال: سمعت علياً ينشد الناس: من سمع رسول الله ﷺ يقول: (فذكره)، فقام ثلاث عشر فشهدوا أنّ رسول الله ﷺ قال: فذكره. وعميرة موثق.

ثمّ روى الطبراني فيه (٥٣٠١) عن عبد الله بن الأجلح عن أبيه عن أبي إسحاق عن عمرو بن ذي مَر قال: سمعت علياً.. الحديث، إلاّ أنّه قال: «... اثنا عشر». وقال: «لم يروه عن الأجلح إلاّ ابنه عبد الله».

قلت: وهو ثقة، وقد رواه حبيب بن حبيب أخو حمزة الزيات عن أبي إسحاق عن عمرو بن ذي مر وزيد بن أرقم قالوا: خطب رسول الله ﷺ يوم غدير (حُم) فقال: فذكره، وزاد: «... وانصر من نصره، وأعن من أعانه».

أخرجه الطبراني في «الكبير» (٥٠٥٩)، وحبيب هذا ضعيف كما قال الهيثمي (١٠٨/٩).

وأخرج عبد الله بن أحمد في «زوائد على المسند» (١١٨/١) عن سعيد بن وهب زيد ابن يثيع قالوا: نشد علي الناس في الرحبة: من سمع رسول الله ﷺ يقول يوم غدير (حُم) إلاّ قام، فقام من قبل سعيد سنّة، ومن قبل زيد ستة، فشهدوا... الحديث. وقد مضى في الحديث الرابع - الطريقة الثانية والثالثة. وإسناده حسن، وأخرجه البزار بنحوه وأتمّ منه.

وللحديث طرق أخرى كثيرة، جمع طائفة كبيرة منها الهيثمي في «المجمع» (١٠٣/٩) (١٠٨)، وقد ذكرت وخرّجت ما تيسر لي منها مما يقطع الواقف عليها بعد تحقيق الكلام على أسانيدنا بصحة الحديث يقيناً، وإلاّ فهي كثيرة جداً، وقد استوعبها ابن عقدة في كتاب مفرد، قال الحافظ ابن حجر: منها صحاح ومنها حسان. وجملة القول إنّ حديث الترجمة حديث صحيح بشطريه، بل الأوّل منه متواتر عنه ﷺ كما يظهر لمن تتبّع أسانيد وطرقه، وما ذكرت منها كفاية. وأما قوله في الخامسة من حديث علي ﷺ: «وانصر من نصره، وأخذل من خذله».

❦ ففي ثبوته عندي وقفة، لعدم ورود ما يجبر ضعفه، وكأنه رواية بالمعنى للشطر الآخر من الحديث: «اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه».

إذا عرفت هذا، فقد كان الدافع لتحرير الكلام على الحديث وبيان صحته أنني رأيت شيخ الإسلام ابن تيمية قد ضعف الشطر الأول من الحديث، وأما الشطر الآخر فزعم أنه كذب! وهذا من مبالغاته الناتجة في تقريره من تسرعه في تضعيف الأحاديث قبل أن يجمع طرقها ويدقق النظر فيها. والله المستعان.

وأما الزيادة التي تحدت عثمان الخميس الشيعية بها وهي قوله ﷺ: «وانصر من نصره واخذل من خذله» فلها أسانيد صحيحة لا غبار عليها، غفل عنها المدعي ولم يراجعها، وها نذكر هنا أحد طرقها، ففي وقعة صفين للحافظ الثقة إبراهيم ابن ديزل: ١٦٥ - ١٦٦.

قال: «حدثنا يحيى بن سليمان الجعفي، قال: حدثنا ابن فضيل، قال: حدثنا الحسن بن الحكم النخعي، عن رباح بن الحارث النخعي، قال: كنت جالساً عند علي عليه السلام إذ قدم عليه قوم متلثمون، فقالوا: السلام عليك يا مولانا! فقال لهم: أولستم قوماً عربياً؟

قالوا: بلى، ولكننا سمعنا رسول الله ﷺ يقول يوم غدیر خم: «من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه، وانصر من نصره، واخذل من خذله». قلت: فلقد رأيت علياً عليه السلام ضحك حتى بدت نواجذه ثم قال: اشهدوا، ثم إن القوم مضوا إلى رحالهم، فتبعتهم، فقلت لرجل منهم: من القوم؟

قال: نحن رهط من الأنصار، وذاك - يعنون رجلاً منهم - أبو أيوب، صاحب منزل رسول الله ﷺ.

قال: فأتيته فصافحته».

وهذه الرواية معتبرة سنداً؛ فإبراهيم بن ديزل قال عنه الذهبي: «الإمام الحافظ الثقة العابد...» سير أعلام النبلاء ١٣: ٢٨٤.

❦ وقال - أيضاً - «قال صالح بن أحمد الحافظ: سمعت أبي، سمعت علي بن عيسى يقول: إنَّ الإسناد الذي يأتي به إبراهيم لو كان فيه انّ لا يؤكل الخبز لوجب أن لا يؤكل لصحة إسناده» المصدر السابق.

ويحيى بن سليمان الجعفي قال عنه الذهبي: «صويلح» الكاشف ٣: ٢٤٤، ووثقه الشيخ الألباني لأنه من رجال البخاري، ارواء الغليل ٤: ١٩٤.

ومحمد بن فضيل الحافظ، وثقه الذهبي في الكاشف ٣: ٧١، وقال عنه الشيخ الألباني: «هو ثقة من رجال الشيخين» سلسلة الأحاديث الصحيحة ٢: ٨٩.

والحسن بن الحاكم النخعي قال عنه أبو حاتم: «صالح الحديث» الكاشف للذهبي ١: ١٧٥، ووثقه الهيثمي في مجمع الزوائد ٥: ٢٤٦.

ورياح بن الحارث النخعي وثقه الهيثمي في مجمع الزوائد ٩: ٨٠٤.

والشيخ الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة ٤: ٣٤٠.

فالحديث صحيح لا غبار عليه، وثابت بزيادة قوله: «وانصر من نصره واخذل من خذله».

وأما قوله ﷺ: «وادر الحقّ معه حيث دار»، فقد ورد بطرق متعددة وصحيحة، وبألفاظ مختلفة، فقد أخرجه الترمذي في سننه ٥: ٢٩٧، وأبو يعلى في مسنده ١: ٤١٩، والحاكم في المستدرک ٣: ١٢٤ وصحّحه، وأبو منصور بن عساكر الشافعي في الأربعين: ٨٦ وصحّحه، والسيوطي في الجامع الصغير كما في فيض القدير للمناوي ٤: ٢٥، وأرسله الفخر الرازي إرسال المسلمّات، فقال في تفسيره: «ومن اقتدى في دينه بعلي بن أبي طالب فقد اهتدى، والدليل عليه قوله ﷺ: «اللهم ادر الحقّ مع علي حيث دار» تفسير الفخر الرازي ١: ٢١٠.

وأخرجه الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد ٤: ٣٢٢ بسنده إلى أبي ثابت مولى أبي زر، وابن عساكر في تاريخ دمشق ٤٢: ٤٤٩، وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد ٧: ٢٣٥ وقال: «رواه البزار، وفيه سعد بن شعيب ولم أعرفه، وبقيّة رجاله رجال

### ➤ الصحيح.

ونقول لعثمان: إنّ البحث العلمي يربا عن أسلوبه الذي استخدمه من التحدي عن الإتيان للحديث بسند صحيح؛ لأنّ ذلك أقرب للمهاترات من المباحثات العلميّة، وليته أطلع على أسلوب العلماء والمتعلّمين في المحاورات والمناقشات ليعرف كيفية المحاورة والمبادلة، مع أنّ جلّ ما ذكره أخذه من غيره، ومع ذلك شمخ بأنفه شموخ البعير، فكيف إذا كان ما ذكره من عنده، فعلى الإسلام والمسلمين السلام.

وأما دلالة الحديث: فقد قال أهل السنّة أنّ المراد من المولاة هنا النصرّة وليست من الخلافة والإمامة في شيء، بينما تذهب الشيعة إلى أن المراد من الولاية هي الأولوية في التصرف في شؤون الأمة الثابتة للنبي ﷺ بنص الآية «النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ» ولهم في ذلك شواهد وقرائن من الأخبار الصحيحة الناقلة للخبر تقتصر منها على خصوص ما ذكرناه من الروايات:

١- إنّ النبي ﷺ قرن بين حديث الثقلين وحديث الغدير ووضح أنّ حديث الثقلين يدلّ على وجوب التمسك بالعترة، فما اقترانه بحديث المولاة إلا إشارة جليّة إلى أنّ أوّل من يتمسك به من العترة هو علي بن أبي طالب ﷺ وقد تقدّمت الإشارة إلى ذلك في حديث الثقلين.

٢- تأكيد النبي أولويّته من أنفس المؤمنين ثمّ إثباته الولاية لعلي فقال في بعضها «أتعلمون أنّي أولى بالمؤمنين من أنفسهم» وفي ذلك دلالة واضحة في أنّ النبي يريد نقل هذه الولاية الثابتة إلى علي ﷺ.

٣- عرفنا أنّ الصحابي أبا الطفيل «عامر بن واثلة» عندما سمع شهادة الصحابة لعليّ بالولاية صار في نفسه شيء وسأل زيد بن أرقم عمّا سمع فأخبره زيد بصحّة ذلك، ولا وجه لهذا الاستنكار لولا فهم أبي الطفيل أن المراد من الولاية هي الأولويّة في التصرف؛ لأنّه معلوم عند الكلّ أنّ عليّاً ناصر المؤمنين،



وهذا نص صريح في استخلافه على أئمة، ولا يمكن للعاقل المنصف العادل إلا قبول هذا المعنى، ورفض تأويل البعض المتكلف، والحفاظ على كرامة الرسول قبل الحفاظ على كرامة الصحابة؛ لأن في تأويلهم هذا استخفاف واستهزاء بحكمة الرسول الذي يجمع حشود الناس في الحر الهجير الذي لا يطاق ليقول لهم بأن علياً هو محب المؤمنين وناصرهم.

وبماذا يُفسر هؤلاء الذين يؤولون النصوص حفاظاً على كرامة كبرائهم وساداتهم موكب التهئة الذي عقده له رسول الله ﷺ، وبدأ بزوجاته أمهات

---

☞ فالمؤمنون بعضهم أولياء بعض، فتشكيك أبي الطفيل فيه دلالة واضحة على أن المفهوم من هذه الواقعة هو تولي علي عليه السلام الإمامة والخلافة الإسلامية. ٤ - عرفنا في آخر خبرين ذكرناهما أن قوماً من الأنصار سلّموا على علي عليه السلام بقولهم «السلام عليك يا مولانا».

فأجاب الإمام علي بشكل يلفت الناس ويذكرهم بأنه الولي والخليفة بنص الرسول فقال: «كيف أكون مولاكم وأنتم قوم عرب»، أو «أولستم قوماً عرباً» والمعنى أنتم قوم عرب أحرار ولستم عبيداً، فكيف أكون ولياً عليكم وسيداً لكم وأولى بالتصرف من أنفسكم.

فقالوا: سمعنا رسول الله يقول يوم غدير خم وذكروا الحديث. فلما سمع علي عليه السلام ذلك منهم ضحك حتى بدت نواجذه وقال: اشهدوا. ومن الواضح أنه لا معنى لأن يشهدهم على أنه ناصر المؤمنين بعد طيلة هذه السنين من جهاده عليه ومعرفته كل الناس أن المؤمنين بعضهم أولياء بعض ولم يشك أحد في أن علياً ناصر المؤمنين؛ لذا فمن سلامهم عليه بالولاية وجوابه لهم بتلك الطريقة من التساؤل، ثم إسهادهم على ذلك يتضح أن المراد من الولاية والمفهوم منها عند الصحابة هي الأولوية في التصرف من النفس وهي تعني الإمامة الإسلامية العامة.

المؤمنين، وجاء أبو بكر وعمر يقولان: «بَخَّ بَخَّ لك يا بن أبي طالب أصبحت وأمسيت مولى كل مؤمن ومؤمنة» والواقع والتاريخ يشهد أن المتأولين لكاذبون فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون، قال تعالى: ﴿وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ (١).

ث - حديث: «علي مني وأنا من علي، ولا يؤدِّي عني إلا أنا أو علي» (٢).

(١) سورة البقرة: ١٤٦.

(٢) مسند أحمد ٤: ١٦٥، سنن الترمذي ٥: ٣٠٠ وقال عنه: «حديث حسن غريب صحيح»، سنن ابن ماجه ١: ٤٤، سير أعلام النبلاء ٨: ٢١٢ وقال عنه: «هذا حديث حسن غريب رواه ابن ماجه في سننه عن سويد فوافقناه بعلو»، وخصائص النسائي: ٦٧ وصححه محقق الكتاب الجويني الأثري، مسند أحمد ٤: ١٦٤ وصححه محقق الكتاب أحمد حمزة الزين ١٣: ٣٩٤، وفي الآحاد والمثاني ٣: ١٨٣: «قال: حدَّثنا أبو بكر أخبرنا شريك عن أبي إسحاق عن حبشي بن جنادة قال شريك: قلت: يا أبا إسحاق أين رأيتَه؟»

قال: وقف علينا في مجلسنا فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: علي مني وأنا منه ولا يؤدِّي عني إلا أنا أو علي».

فقد صرَّح أبو إسحاق بالتحديث ولم يعنعن الحديث بنفس السند الذي حسَّنه الترمذي وكذلك الذي حسَّنه الشيخ الألباني، فما دام أنَّه صرَّح بالتحديث فحديثه يكون صحيح.

ورواه أحمد في فضائل الصحابة ٢: ٧٤٣، وقال محقق الكتاب: «إسناده حسن صحيح لغيره».

ونقل الحديث الطبراني في المعجم الكبير ٤: ١٦ وقال محقق الكتاب: «ورواه الترمذي وقال: حسن صحيح. فأبو إسحاق وإن كان يونس بن أبي إسحاق إنما أخذ عنه في حالة الاختلاط فقد تابعه شريك فالحقُّ أنَّه حسن كما قال الترمذي»، تهذيب

وهذا الحديث الشريف هو الآخر صريح في أنّ الإمام علي هو الشخص الوحيد الذي أهله صاحب الرسالة ليؤدّي عنه، وقد قاله عندما بعثه بسورة براءة يوم الحجّ الأكبر عوضاً عن أبي بكر، ورجع أبو بكر يبكي ويقول: يا رسول الله أنزل فيّ شيء؟ فقال: إنّ الله أمرني أن لا يؤدّي عنّي إلا أنا أو علي<sup>(١)</sup>. وهذا نظير ما قاله رسول الله ﷺ لعليّ في مناسبة أخرى عندما قال له:

➤ الكمال للمزي ٥: ٣٥٠ وقال: «رواه ابن ماجّة عن سويد بن سعيد فوافقناه بعلو، ورواه الترمذي عن إسماعيل بن موسى عن شريك فوقع لنا بدلاً، ورواه النسائي عن أحمد بن سليمان بن يحيى بن آدم عن إسرائيل عن أبي إسحاق فكأن شيخ شيخنا حدّث به عن أصحابه».

وبهذا تعرف بطلان كلام عثمان الخميس في كتابه كشف الجاني: ١١٢ في تضعيفه للحديث وتوهم أنّ الحديث رواه أبو إسحاق السبيعي فقط، فقد تابعه شريك كما رأيت في التخرجات المتقدّمة.

المصنّف لابن أبي شيبة ٧: ٤٩٥ ح ٨، كتاب السنّة لابن أبي عاصم: ٥٩٥ ح ١٢٢٠، السنن الكبرى للنسائي ٥: ٤٥ ح ٨١٤٧ و ٨٤٥٩، الجامع الصغير للسيوطي ٢: ١٧٧ ح ٥٥٩٥، وصحيح الجامع الصغير للألباني ٢: ٧٥٣ ح ٤٠٩١، وفي صحيح سنن ابن ماجّة للألباني ١: ٢٦ ح ٩٧، كشف الخفاء ١: ٢٠٥، البداية والنهاية ٥: ٣٢٢، السيرة النبويّة لابن كثير ٤: ٤٢٤، سبل الهدى والرشاد ١١: ٢٩٧.

(١) في كتاب السنّة لابن أبي عاصم: ٥٩٥ ح ١٣٨٤ «بعث أبا بكر بالبراءة ثمّ بعث عليّاً فأخذها منه، فرجع أبو بكر باكياً...»، وفي السنن الكبرى للسيهقي ٥: ١٢٩ «فوجد أبو بكر في نفسه» وفي مسند أحمد ١: ٣، ومسند أبي يعلى ١: ١٠٠ ح ١٠٤، وتاريخ دمشق ٤٢: ٣٤٨، وكنز العمال ٢: ٤١٧، ح ٤٣٨٩ هكذا: «فلما قدم على النبي ﷺ أبو بكر بكى...»، عمدة القارىء ١٨: ٢٦٠، تفسير الألووسي ٩: ١٦٢، الكامل في التاريخ ٢: ٢٩١.

« أنت يا علي تبين لأمتي ما اختلفوا فيه بعدي »<sup>(١)</sup>.

فإذا كان لا يؤدّي عن رسول الله إلا علي، وهو الذي يبين للأمة ما اختلفوا فيه بعده، فكيف يتقدّم عليه من لا يعرف معنى الأب<sup>(٢)</sup>، ومن لا يعرف معنى الكلاله<sup>(٣)</sup>، وهذا لعمرى من المصائب التي أصابت هذه الأمة، وأعاقبتها عن أداء المهمة التي رشّحها الله لها.

وليست الحجّة على الله ولا على رسول الله، ولا على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، وإنما الحجّة البالغة على الذين عصوا وبدّلوا، قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَىٰ الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾<sup>(٤)</sup>.

(١) المستدرک للحاکم ٣: ١٢٢ وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخّرجاه، المناقب للخوارزمي: ٨٥ ح ٧٥، تاريخ دمشق ٤٢: ٣٨٧، حلية الأولياء ١: ١٠٣، كنز العمال ١١: ٦١٥ ح ٣٢٩٨٣.

(٢) فتح الباري ١٣: ٢٢٩ قال: «وذكر الحميدي أنّه جاء في رواية أخرى عن ثابت عن أنس أن عمر قرأ: (فاكهة وأبًا) فقال: ما الأب؟ ثمّ قال: ما كلّفنا أو قال: ما أمرنا بهذا»، وراجع النهاية في غريب الحديث ١: ١٣، المستدرک للحاکم النيسابوري ٢: ٥١٤، المصنّف لابن أبي شيبة الكوفي ٧: ١٨٠، مسند الشاميين ٤: ١٥٦، تخريج الأحاديث والآثار ٤: ١٥٨، سير أعلام النبلاء ١١: ٥٥ وغيرها من مصادر الحديث والتفسير.

(٣) ارجع إلى جهل الخليفة أبي بكر وعمر بن الخطّاب بحكم الكلاله إلى المصادر التالية: سنن الدارمي ٢: ٣٦٦، صحيح مسلم ٢: ٨١، باب نهى من أدخل ثوماً أو بصلاً تأويل مختلف الحديث: ٢٥، معرفة السنن والآثار ٥: ٤٩، تخريج الأحاديث والآثار ١: ٢٩١، الفتح السماوي ٢: ٤٦٥، السنن الكبرى ٦: ٢٢٣، مجمع الزوائد ٧: ١٣، فتح الباري ١٠: ٤٣، جامع البيان ٤: ٣٧٦، تفسير البغوي ١: ٤٠٣.

(٤) سورة المائدة: ١٠٤.

ج - حديث: «الدار يوم الإندار».

قال رسول الله ﷺ مشيراً إلى علي: «إن هذا أخي، ووصيي، وخليفتي من بعدي فاسمعوا له وأطيعوا»<sup>(١)</sup>.

(١) حديث الدار من الأحاديث الثابتة الصحيحة، وأصل الخبر ذكره ابن جرير الطبري في تاريخه ٢: ٦٢ وفيه نقل كلام الإمام علي عليه السلام لقول رسول الله حينما خاطب عشيرته فقال: «وقد أمرني الله تعالى أن أدعوكم إليه، فأياكم يؤازرنى على هذا الأمر على أن يكون أخي ووصيي وخليفتي فيكم. قال: فأحجم القوم عنها جميعاً.

وقلت: وإني لأحدثهم سنناً، وأرمصهم عيناً، وأعظمهم بطناً، وأحمشهم ساقاً: أنا يا نبي الله، أكون وزيرك عليه، فأخذ برقبتي ثم قال: إن هذا أخي ووصيي وخليفتي فيكم فاسمعوا له وأطيعوا».

ونقله في تفسيره ١١: ١٤٨ بنفس السند عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ ولكن أيد عبارته السابقة بقوله: «على أن يكون أخي وكذا وكذا...» مما يدل على أمانته العلمية وتحريه الدقيق.

فنقول: أصل الحادثة واقعة لورودها في عدة مصادر ففي مسند أحمد ٢: ٢٢٥: «عن علي قال: لما نزلت هذه الآية ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ قال: جمع النبي من أهل بيته، فاجتمع ثلاثون فأكلوا وشربوا...» من دون ذكر لشيء آخر. وفي السنن الكبرى للنسائي ٥: ١٢٥ أن رجلاً سأل علياً عليه السلام: لم ورثت ابن عمك دون عمك؟

قال: «جمع رسول الله ﷺ أو قال: دعا رسول الله ﷺ بني عبد المطلب، فصنع لهم مداً من طعام.

قال: فأكلوا حتى شبعوا وبقي الطعام كما هو كأنه لم يمس، ثم دعا بغمر فشرّبوا حتى رووا وبقي الشراب كأنه لم يمس أو لم يشرب، فقال: يا بني عبد المطلب

وهذا الحديث هو أيضاً من الأحاديث الصحيحة التي نقلها المؤرخون لبداية البعثة النبوية وعدوها من معجزات النبي، ولكن السياسة هي التي أبدلت وزيّفت الحقائق والوقائع.

ولا عجب من ذلك؛ لأنّ ما وقع في ذلك الزمان المظلم يتكرّر اليوم في عصر النور، فهذا محمّد حسنين هيكل أخرج الحديث بكامله في كتابه « حياة محمّد » في صفحة ١٠٤ من الطبعة الأولى سنة ١٣٥٤ هجرية وفي الطبعة الثانية وما بعدها حذف من الحديث قوله ﷺ: « وصيّ وخليفتي من بعدي ».

كذلك حذفوا من تفسير الطبري الجزء ١٩ صفحة ١٢١ قوله: « وصيّ وخليفتي » وأبدلوا بقوله: « إن هذا أخي وكذا وكذا..!! » وغفلوا عن أن الطبري ذكر الحديث بكامله في تاريخه الجزء ٢ صفحة ٣١٩، انظر كيف يحرفون الكلم عن مواضعه ويقلبون الأمور ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ

---

﴿إني بعثت إليكم بخاصة وإلى الناس بعامة، وقد رأيتم من هذه الآية ما قد رأيتم، فأيتكم بيباعني على يكون أخي وصاحبي ووارثي! فلم يبق لي أحد، ففقت إليه وكنت أصغر القوم، فقال: اجلس، ثم قال ثلاث مرات كل ذلك أقوم إليه فيقول: اجلس، حتّى كان في الثالثة ضرب بيده على يدي ثم قال: أنت أخي وصاحبي ووارثي ووزيرني فبذلك ورثت ابن عمّي دون عمّي» والحديث صحيح السند لوثاقه رجاله.

وأخرج الحديث أحمد في مسنده ٢: ٥٦٤، بدون زيادة: «وزيرني»، والهيتمي في مجمع الزوائد ٨: ٢٠٣.

وكان الإمام علي يردّد دائماً قوله: «والله لا تنقلب على أعقابنا بعد إن هدانا الله، والله لن مات أو قتل لأقاتلن على ما قاتل عليه حتّى أموت، والله إنّي لأخوه وليّه وابن عمّه ووارث علمه فمن أحقّ به منّي» مستدرک الحاكم ٣: ١٢٦، السنن الكبرى ٥: ١٢٥، مجمع الزوائد ٩: ١٣٤، وقال: «رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح».

نُورِهِ... ﴿١﴾؟!!

وخلال البحث الذي قمت به أردت الوقوف على جلية الحال، فبحثت عن الطبعة الأولى لكتاب « حياة محمد »، وحصلت عليه بحمد الله بعد عناء ومشقة، وقد كلفني ذلك كثيراً، والمهم أنني اطلعت على ذلك التحريف، وزادني ذلك يقيناً بأن أهل السوء يحاولون جهدهم أن يمحو الحقائق الثابتة؛ لأنها حجة قوية لدى خصومهم!

ولكن الباحث المنصف عندما يقف على شيء من هذا التحريف والتزييف يزداد عنهم بعداً، ويعرف بلا شك أنهم لا حجة لديهم غير التضليل والدس، وتقليب الحقائق بأيّ ثمن، ولقد استأجروا كتّاباً كثيرين، وأغدقوا عليهم الأموال كما أغدقوا عليهم الألقاب والشهادات الجامعية المزيفة؛ ليكتبوا لهم ما يريدون من الكتب والمقالات التي تشتم الشيعة وتكفرهم، وتدافع بكلّ جهد وإن كان باطلاً عن كرامة بعض الصحابة المنقليين على أعقابهم، والذين بدّلوا بعد رسول الله الحقّ بالباطل: ﴿ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ (٢) صدق الله العلي العظيم.

(١) سورة الصف: ٨

(٢) سورة البقرة: ١١٨.





الأحاديث الصحيحة  
التي توجب اتّباع أهل البيت

---

---

---



## (١) حديث الثقلين

قال رسول الله ﷺ: « يا أيها الناس! إنني تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلوا، كتاب الله، وعترتي أهل بيتي»، وقال - أيضاً -: « يوشك أن يأتي رسول ربي فأجيب، وإنني تارك فيكم الثقلين: أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور وأهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي»<sup>(١)</sup>.

(١) حديث الثقلين بلفظ القرآن والعترة أو أهل البيت، وعصمة المتمسك بهما عن الضلال وعدم افتراقهما من الأحاديث الصحيحة المتفق عليها، وورد بألفاظ وأسانيد مختلفة وكثيرة منها:

١ - أخرج مسلم في صحيحه بسنده عن زيد بن أرقم - في حديث طويل - أن النبي ﷺ قال: «أما بعد، ألا أيها الناس، فإنما أنا بشر، يوشك أن يأتي رسول ربي فأجيب، وأنا تارك فيك ثقلين: أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور، فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به. فحث على كتاب الله ورغب فيه، ثم قال: وأهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي» صحيح مسلم ٤: ١٨٧٣ كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل علي بن أبي طالب عليه السلام.

٢ - وأخرج الترمذي وغيره عن جابر بن عبد الله، قال: رأيت رسول الله ﷺ في حجته يوم عرفة، وهو على ناقته القصواء يخطب، فسمعتة يقول: «يا أيها الناس، إنني قد تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلوا: كتاب الله وعترتي أهل بيتي» سنن

➤ الترمذي ٦٢٢:٥ كتاب المناقب، باب مناقب أهل بيت النبي. وقال الترمذي: «هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه». وذكر في مشكاة المصابيح ١٧٣٥/٣، سلسلة الأحاديث الصحيحة ٣٥٦:٤ وقال الشيخ محمد ناصر الدين الألباني: الحديث صحيح.

٣- وأخرج أيضاً عن زيد بن أرقم وأبي سعيد، قالوا: قال رسول الله ﷺ: «إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي، أحدهما أعظم من الآخر، كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي، ولن يتفرقا حتى يردا عليّ الحوض، فانظروا كيف تخلّفوني فيهم» سنن الترمذي ٦٦٣:٥ قال الترمذي: «هذا حديث حسن غريب». وذكر في مشكاة المصابيح ١٧٣٥:٣، صحيح الجامع الصغير ١:٤٨٢ ح ٢٤٥٨ وصححه الشيخ محمد ناصر الدين الألباني أيضاً:

٤- وأخرج أحمد في المسند، والحاكم في المستدرک، وابن أبي عاصم في كتاب السنّة، وابن كثير في البداية والنهاية وغيرهم عن زيد بن أرقم، قال: لما رجع رسول الله ﷺ من حجّة الوداع ونزل غدیر خم، أمر بدوحات فقممن (الدوحات: الأشجار العظيمة. وقممن: أي كنس ما تحتهن)، فقال: «كأنّي دُعيتُ فأجبتُ، إني قد تركت فيكم الثقلين، أحدهما أكبر من الآخر: كتاب الله وعترتي، فانظروا كيف تخلّفوني فيهما، فإنّهما لن يتفرقا حتى يردا عليّ الحوض...» مسند أحمد بن حنبل ٣:١٤، ٢٦. المستدرک على الصحيحين ٣:١٠٩، قال «الحاكم»: «هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرّجاه بطوله، شاهده حديث سلمة بن كهيل، عن أبي الطفيل، وهو أيضاً صحيح على شرطهما»، ووافقه الذهبي. كتاب السنّة ٢:٦٣٠، البداية والنهاية ٥:١٨٤، وقال: «قال شيخنا أبو عبد الله الذهبي: هذا حديث صحيح».

٥- وأخرج الحاكم في المستدرک أيضاً عن زيد بن أرقم، قال: نزل رسول الله بين مكة والمدينة عند شجرات خمس دوحات عظام، فكنس الناس ما تحت

☉ الشجرات، ثُمَّ راح رسول الله ﷺ عشيةً فصلّى، ثُمَّ قام خطيباً، فحمد الله وأثنى عليه وذكر ووعظ ما شاء الله أن يقول، ثُمَّ قال: أَيُّهَا النَّاسُ، إِنِّي تارك فيكم أمرين لن تضلّوا إن اتّبعتموهما، وهما كتاب الله وأهل بيتي عترتي...» المستدرک على الصحيحين ٣: ١٠٩ - ١١٠.

٦- وأخرج الحاكم في المستدرک، وابن أبي عاصم في كتاب السنّة وغيرهما عن زيد ابن أرقم أيضاً، قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنِّي تارك فيكم الثقلين: كتاب الله وعترتي أهل بيتي، وإِنَّهُمَا لَنْ يَتَفَرَّقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الْحَوْضَ» المستدرک على الصحيحين ٣: ١٤٨، قال الحاكم: «هذا حديث صحيح الإسناد على شرط الشيخين ولم يخرجاه»، ووافقه الذهبي، كتاب السنّة ٢: ٦٣٠.

٧- وأخرج أحمد بن حنبل في المسند، والهيثم في مجمع الزوائد، والسيوطي في الجامع الصغير، وابن أبي عاصم في كتاب السنّة، والمتقي الهندي في كنز العمال وغيرهم، عن زيد بن ثابت، قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنِّي تارك فيكم خليفتين: كتاب الله وعترتي أهل بيتي، وإِنَّهُمَا لَنْ يَتَفَرَّقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الْحَوْضَ» مسند أحمد بن حنبل ٥: ١٨٩، ١٨١. مجمع الزوائد ٩: ١٦٢ قال الهيثمي: «رواه أحمد وإسناده جيّد»، ٢: ١٧٠ وقال: «رواه الطبراني في الكبير ورجاله ثقات»، الجامع الصغير ١: ٤٠٢ حديث ٢٦٣١ ورمز له السيوطي بالصحة. وصححه الشيخ محمّد ناصر الدين الألباني في صحيح الجامع الصغير ١: ٤٨٢ ح ٤٨٥٧.

٨- وأخرج أحمد بن حنبل في المسند، وابن أبي عاصم في كتاب السنّة، والبيهقي في شرح السنّة وغيرهم، عن أبي سعيد الخدري، قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنِّي تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلّوا بعدي الثقلين: أحدهما أكبر من الآخر، كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي، ألا وإِنَّهُمَا لَنْ يَفْتَرَقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الْحَوْضَ» مسند أحمد بن حنبل ٣: ٥٩، وراجع: ١٤، ١٧، ٢٦، كتاب السنّة: ٦٢٩. شرح السنّة ١٤: ١١٩ وقال: «حسن غريب».

٩ - وأخرج أحمد في المسند، وابن سعد في الطبقات، والمتقي الهندي في كنز العمال وغيرهم، عن أبي سعيد أيضاً، عن النبي ﷺ، قال: «إني أوشك أن أدعى فأجيب، وإني تارك فيكم الثقلين: كتاب الله عز وجل وعترتي، كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي، وإن اللطيف الخبير أخبرني أنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض، فانظروني بمّ تخلفوني فيهما» مسند أحمد بن حنبل ٣: ١٧. الطبقات الكبرى ٢: ١٩٤، كنز العمال ١: ١٨٥. قال الشيخ محمد ناصر الدين الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة ٤: ٣٥٧: «وهو إسناد حسن في الشواهد».

١٠ - وأخرج ابن حجر في المطالب العالية، والبوصيري في مختصر إتحاف السادة المهرة، والطحاوي في مشكل الآثار وغيرهم، عن عليّ عليه السلام، عن النبي ﷺ - في حديث - قال: «وقد تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلّوا: كتاب الله، سبب بيد الله وسبب بأيديكم، وأهل بيتي» المطالب العالية ٤: ٦٥ وقال: «هذا إسناد صحيح»، مختصر إتحاف السادة المهرة ٩: ١٩٤، وقال: رواه إسحاق بسند صحيح. مشكل الآثار ٢: ٣٠٧.

١١ - وأخرج البوصيري في مختصر الإتحاف عن زيد بن ثابت، قال: قال رسول الله ﷺ: «إني تارك معكم ما إن تمسّكتم به لن تضلّوا: كتاب الله عزّ وجلّ وعترتي، وإنيهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض»، مختصر إتحاف السادة المهرة ٨: ٤٦١، وقال: «رواه أبو بكر بن أبي شيبة وعبد بن حميد، ورواه ثقات». وأخرج هذا الحديث بنحو ما تقدّم وبألفاظ أخرى متقاربة: أحمد بن حنبل في المسند ٣: ١٤، وفي فضائل الصحابة ١: ١٧٢، ٢: ٥٧٢، ٥٨٥، ٦٠٣، ٧٧٩، ٧٨٦، والهيتمي في مجمع الزوائد ٩: ١٦٢ وما بعدها، والسيوطي في تفسيره الدر المنثور ٧: ٣٤٩ في تفسير الآية ٢٣ من سورة الشورى، وفي إحياء الميت ٢٨، ٢٩، ٣٩، ٤٠، ٤٨، ٥٥، ٥٦، والمتقي الهندي في كنز العمال ١: ١٧٢ وما بعدها، وأبو

➤ نعيم الأصفهاني في حلية الأولياء ١: ٣٥٥، والنسائي في خصائص أمير المؤمنين عليه السلام: ٩٦، والدلمي في الفردوس بمأثور الخطاب ١: ٦٦، وأبو بكر بن أبي شيبة في مصنّفه ١: ١٠٨، والدارمي في السنن ٢: ٤٣٢، والبيهقي في السنن الكبرى ٢: ١٤٨، ١٠: ١١٤، وابن الأثير في جامع الأصول ١: ١٨٧، والطبراني في المعجم الكبير والصغير ٣: ٦٢ - ٦٥ ح ٢٦٧٨ - ٢٦٨١، ٢٦٣٨، ٥: ١٥٤ وما بعدها ح ٤٩٢٢، ٤٩٢٣، ٤٩٨٠ - ٤٩٨٢، ٥٠٢٥ - ٥٠٢٨، ٥٠٤٠، المعجم الصغير ١: ١٣٥، وغيرهم. وذكره كثير من الأعلام في مصنّفاتهم: كالسيوطي في الخصائص الكبرى ٢: ٢٦٦، وابن تيمية في منهاج السنة ٢: ٢٥٠، ٤: ١٠٤، والنووي في رياض الصالحين ١: ٢٦٤، والقاضي عياض في الشفا ٢: ٨٢، والطبري في ذخائر العقبى: ٤٧ - ٤٨، وابن الأثير في أسد الغابة ٢: ١٧، والذهبي في سير أعلام النبلاء ٩: ٣٦٥، وابن حجر في الصواعق المحرقة ٢: ٤٣٧، ٤٣٨، ٦٥٢، ٦٥٣، والدولابي في الذرية الطاهرة: ١٦٦، والتفتازاني في شرح المقاصد ٥: ٣٠٢، وابن حزم في الإحكام ٦: ٢٦٧، وابن المغازلي في المناقب ١٥٦ - ١٥٧، ط أخرى: ٢١٤، وغيرهم. وذكره من أصحاب المعاجم اللغوية ابن منظور في لسان العرب ١١: ٨٨، والفيروزآبادي في القاموس المحيط ٣: ٣٥٣، (ثقل)، والزمخشري في الفائق في غريب الحديث ١: ١٥٠، النهاية في غريب الحديث ١: ٢١٦، وغيرهم.

صحة سند الحديث:

صحّ هذا الحديث جمع من أعلام أهل السنّة: منهم الحاكم النيسابوري في المستدرک، والذهبي في التلخيص، والسيوطي في الجامع الصغير، والهيثمي في مجمع الزوائد، والذهبي كما في البداية والنهاية، وابن حجر العسقلاني في المطالب العالية، والبوصيري في مختصر إتحاف السادة المهرة، والألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة وصحيح الجامع الصغير، وحسنه الترمذي في سننه، والبعغوي في شرح السنة، وقد مرّ ذلك كلّّه.

➤ مضافاً إلى ذلك فقد صحَّحه أيضاً ابن حجر الهيتمي في الصواعق المحرقة، وابن كثير في البداية والنهاية وتفسير القرآن العظيم، والمنأوي في فيض القدير وغيرهم.

قال ابن حجر: «ومن ثمَّ صحَّ أنَّه ﷺ قال: إني تارك فيكم ما إن تمسَّكتم به لن تضلُّوا: كتاب الله وعترتي» الصواعق المحرقة: ١٤٥.

وقال: «وفي رواية صحيحة: كأني دُعيت فأجبت، إني قد تركت فيكم الثقلين، أحدهما أكد من الآخر: كتاب الله عز وجل وعترتي، فانظروا كيف تخلَّفوني فيهما، فإنَّهما لن يتفرَّقا حتى يردا علي الحوض... ولهذا الحديث طرق كثيرة عن بضع وعشرين صحابياً، لا حاجة لنا ببسطها» المصدر السابق: ٢٢٨.

وقال المنأوي: «قال الهيتمي: (رجاله موثِّقون)، ورواه أبو يعلى بسند لا بأس به... ووهم من زعم وضعه كابن الجوزي» فيض القدير ٣: ١٥.

وقال ابن كثير بعد أن ساق رواية النسائي المتقدمة: «قال شيخنا الذهبي: هذا حديث صحيح» البداية والنهاية ٥: ١٨٤.

وقال في تفسيره: «وقد ثبت في الصحيح أنَّ رسول الله ﷺ قال في خطبته بغدير خم: إني تارك فيكم الثقلين: كتاب الله وعترتي، وإِنَّهما لن يفترقا حتَّى يردا عليَّ الحوض» تفسير القرآن العظيم ٤: ١١٣.

وقد ذكر الألباني هذا الحديث ضمن أحاديث سلسلته الصحيحة، وخرَّج بعض طرقه وأسانيده الصحيحة والحسنة، وذكر بعض شواهد وحسنها، ووصف من ضعَّف هذا الحديث بأنَّه حديث عهد بصناعة الحديث، وأنَّه قصَّر تقصيراً فاحشاً في تحقيق الكلام عليه، وأنَّه فاته كثير من الطرق والأسانيد التي هي بذاتها صحيحة أو حسنة، فضلاً عن الشواهد والمتابعات، وأنَّه لم يلتفت إلى أقوال المصحِّحين للحديث من العلماء، إذ اقتصر في تخريجه على بعض المصادر المطبوعة المتداولة دون غيرها، فوقع في هذا الخطأ الفادح في تضعيف الحديث



وإذا تمعنا في هذا الحديث الشريف الذي أخرجه صحاح أهل السنة والجماعة، وجدنا أن الشيعة وحدهم هم الذين اتبعوا الثقلين: «كتاب الله والعترة النبوية الطاهرة» بينما أتبع أهل السنة والجماعة قول عمر: «حسبنا كتاب الله».

➤ الصحيح. سلسلة الأحاديث الصحيحة ٤: ٣٥٥، ح ١٧٦١.

قال الدكتور السلفي محمد علي البار في كتابه الإمام علي الرضا ورسالته الطيبة تحت عنوان (حديث الثقلين): «وقد أخرج مسلم في صحيحه حديث زيد بن أرقم رضي الله عنه قال: قام رسول الله ﷺ فينا خطيباً بماءٍ يدعى خمأً، بين مكة والمدينة، فحمد الله وأثنى عليه ووعظ وذكر ثم قال: «أما بعد؛ ألا أيها الناس فإنما أنا بشرٌ يوشك أن يأتي رسول ربي فأجيب، وأنا تارك فيكم ثقلين؛ أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور، فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به»، فحث على كتاب الله ورغب فيه، ثم قال: «وأهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي».

وحديث الثقلين قد ورد في سنن الترمذي عن زيد بن أرقم قال: قال رسول الله ﷺ: «إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي، أحدهما أثقل من الآخر، كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي، ولن يفترقا حتى يردا علي الحوض؛ فانظروا كيف تخلفوني فيهما».

وعلق الشيخ البار على ذلك بقوله: «والغريب حقاً أنّ حديث الثقلين هذا، رغم وروده في مسلم وفي سنن الترمذي، وحسنه الحاكم النيسابوري في المستدرک، ومسند الإمام أحمد إلا أنّ معظم المعاصرين من العلماء والخطباء يجهله أو يتجاهله، ويوردون بدلاً عنه، حديث: «إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي: كتاب الله وسنتي»، وهو في موطأ الإمام مالك، وفي سننه ضعف وانقطاع، وإن كان متنه ومعناه صحيحاً. وكان من الواجب إيراد الحديثين كلاهما معاً، لاهميتهما في الباب، أمّا كتمان هذا الحديث الشريف الصحيح فهو من كتمان العلم الذي هدّد الله ورسوله فاعله...».

وليتهم اتبعوا كتاب الله بغير تأويل حسب أهوائهم، فإذا كان عمر نفسه لم يفهم منه معنى الكلاله، ولا عرف منه آية التيمم وعدة أحكام أخرى، فكيف بمن جاء بعده وقلده بدون اجتهاد، أو اجتهد برأيه في النصوص القرآنية؟! وبطبيعة الحال سوف يردون عليّ بالحديث المروي عندهم وهو: «تركتم فيكم كتاب الله وسنتي»<sup>(١)</sup>.

وهذا الحديث إن صحّ وهو صحيح في معناه، لأنّ معنى العترة بقوله ﷺ في حديث الثقلين المتقدم هو الرجوع إلى أهل بيتي ليعلموكم أولاً سنتي، أو لينقلون إليكم الأحاديث الصحيحة؛ لأنهم منزّهون عن الكذب، وإن الله سبحانه عصمهم بآية التطهير.

وثانياً: لكي يفسروا لكم معانيها ومقاصدها؛ لأنّ كتاب الله وحده لا يكفي للهداية، فكم من فرقة تحتجّ بكتاب الله وهي في الضلالة، كما ورد ذلك عن رسول

---

(١) حديث الكتاب والسنة رواه مالك في الموطأ: ٧٨٥ ح ٣ كتاب القدر مرسلأ، وأخرجه الحاكم في المستدرک ١: ٩٣، كتاب العلم، باب خطبته في حجة الوداع، وأسنده ابن عبد البرّ في التمهيد ٢٤: ٣٣١ - ٣٣٢ ح ٣٢، قال السيوطي في اللآليء المصنوعة ١: ٨٦ «أسنده ابن عبد البرّ في التمهيد من طريق كثير عن أبيه عن جدّه. قال الحافظ ابن حجر في أطرافه: فالظاهر أنّ مالكا أخذته عن ابن كثير، والأشبه ابن كثيراً في درجة الضعفاء الذين لا يحطّ حديثهم إلى درجة الوضع». وأورده أيضاً العقيلي في الضعفاء الكبير ٢: ٢٥١ رقم ٨٠٤ ترجمة عبدالله بن زاهر، وابن عديّ في الكامل في الضعفاء ٥: ١٠٦ رقم ٩١٨ ترجمة صالح بن موسى الطلحي، وقال فيه: «ثنا العباس عن يحيى قال: صالح الطلحي حديثه ليس بشيء». زاد ابن حمّاد وقال في موضع آخر قال: صالح بن موسى، إسحاق بن يحيى بن طلحة ليس بشيء ولا يكتب حديثهما. ثنا الجنيد، ثنا البخاري قال: صالح بن موسى من ولد طلحة بن عبيدالله منكر الحديث...».

الله عندما قال : « كم من قارئ للقرآن والقرآن يلعنه »<sup>(١)</sup>.

فكتاب الله صامت، وحمّال أوجه، وفيه المحكم والمتشابه، ولا بدّ لفهمه من الرجوع إلى الرّاسخين في العلم حسب التعبير القرآني، وإلى أهل البيت حسب التفسير النبوي<sup>(٢)</sup>.

(١) جامع الأخبار: ١٣٠ ح ٢٥٥، عنه البحار ٩٢: ١٨٤ ح ١٩ وفيه: «ربّ تال للقرآن والقرآن يلعنه»، تفسير الأكوبي ١٩٢: ٢٢.

(٢) علّق الدكتور ابراهيم الرحيلي في كتابه (الانتصار للصحب والآل ص ٢٠٦) بقوله: «فهل من يعتقد هذا الاعتقاد في كتاب الله من المهتدين أمّ من الضالين المكذّبين؟! إلى قوله: وإذا كان هذا الرجل يصرّح بأنّ القرآن وحده لا يكفي لهداية الخلق فهذا أكبر دليل على ضلاله، بل كفره وإلحاده...». والمؤلّف ذكر كلامه بشكل واضح لا غبش عليه، وبيّن مراده منه من أنّ القرآن الكريم وحده لا يسدّ حاجة الرسالة التي جاء بها النبي ﷺ؛ لأنّ فيه المجمل والمتشابه والعام وغير ذلك.

ومن جانب آخر فالأحكام الصريحة التي طرحها القرآن الكريم ذكرها بنحو كليّ وعام وأوكل شرحها وبيان تفاصيلها إلى النبي ﷺ، فالله سبحانه وتعالى ذكر الصلوات لكنّه أوكل تفصيلها إلى النبي ﷺ، فهو الذي بيّن عدد الصلوات المطلوبة وعدد الركعات والسجّات وما يذكر فيها، وكذلك بيّن الزكاة والخمس وأوكل تفصيل المقادير التي تجب فيها إلى النبي ﷺ...، وهناك الكثير من القواعد الكليّة المرتبطة بالتشريع سواء من ناحية عباديّة أو معاملة أوكل بيانها إلى النبي ﷺ، ولم يذكر في القرآن إلاّ الإشارة إليها بنحو كليّ وعام ومجمل. وهذا معنى احتياج القرآن إلى السنة - مع أنّهما شيء واحد لا غير -؛ لأنّ السنّة النبويّة مفسّرة للقرآن الكريم فهي تخصّص مطلقه، وتبيّن مجمله، وتقيد عامّه، وتوجّه حكمه بالجهة المقصودة لله سبحانه وتعالى، ولأجل ذلك قال النبي ﷺ:

﴿إِلَّا إِنِّي أُوتِيتُ الْكِتَابَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ، أَلَا يَوْشِكُ رَجُلٌ شَبَعَانٌ عَلَىٰ أُرْيُكْتِهِ فَيَقُولُ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ كِتَابُ اللَّهِ فَمَا وَجَدْنَا فِيهِ حَلَالًا اسْتَحْلَلْنَاهُ وَمَا وَجَدْنَا فِيهِ حَرَامًا حَرَّمْنَاهُ﴾  
سنن أبي داود ٢: ٣٩٢، مسند الشاميين ٢: ١٣٧، لسان الميزان لابن حجر ١: ٣  
وقال: «حسنه الترمذي وصححه الحاكم والبيهقي».

وفي المستدرک من حديث الحسن قال: «بيننا عمران بن حصين يحدث عن سنة النبي ﷺ إذ قال له رجل: يا نجيد حدثنا القرآن! فقال: أنت وأصحابك تقرؤون القرآن! أكنت محدثي عن الصلاة وما فيها وحدودها؟! أكنت محدثي عن الزكاة في الذهب والإبل والبقر وأصناف المال؟! فقال له الرجل: أحييتني أحياك الله، المستدرک ١: ١٠٩، الثقات لابن حبان ٧: ٢٤٨، المعجم الكبير للطبراني ١٨: ١٦٦.  
فالقرآن يحتاج إلى السنة النبوية الشريفة لأنها الشارحة له والمبيّنة لمقاصده، وهذا ما أطبق عليه علماء السنة والشيعة معاً قال ابن حزم في الأحكام ١: ٢٠٠ في معرض رده على من يأخذ بالقرآن دون السنة: «ونسأل قائل هذا القول الفاسد: في أيّ قرآن وجد أن الظهر أربع ركعات، وأن المغرب ثلاث ركعات، وأن الركوع على صفة كذا، والسجود على صفة كذا، وصفة القراءة فيها والسلام، وبيان ما يتجنّب في الصوم، وبيان كيفية زكاة الذهب والفضة، والغنم والإبل والبقر، ومقدار الأعداد المأخوذ منها الزكاة، ومقدار الزكاة المأخوذة، وبيان أعمال الحجّ من وقت الوقوف بعرفة، وصفة الصلاة بها وبمزدلفة ورمي الجمرات وصفة الإحرام، وما يتجنّب فيه، وقطع يد السارق، وصفة الرضاع المحرم، وما يحرم من المأكل، وصفة الذبائح والضحايا وأحكام الحدود وصفة وقوع الطلاق، وأحكام البيوع، وبيان الربا، والأفضية والتداعي والأيمان والأحباس، والعمرى، والصدقات وسائر أنواع الفقه؟»

وإنما في القرآن جمل لو تركنا وإياها لم ندر كيف نعمل فيها، وإنما المرجوع إليه في كلّ ذلك لنقل النبي ﷺ.

❖ ففي عبارته الأخيرة تصريح بأن القرآن فيه جمل لا يمكن معرفتها وفهمها إلا من خلال بيان النبي ﷺ، وهذا بعينه ما قصده المؤلف في كلامه. وذهب ابن حزم إلى أبعد من ذلك حيث كَفَّرَ من اقتصر على الأخذ بالقرآن الكريم فقال: «ولو أنَّ امرءاً قال: لا نأخذ إلا ما وجدنا في القرآن لكان كافراً بإجماع الأمة، وكان لا يلزمه إلا ركعة ما بين دلوك الشمس إلى غسق الليل، وأخرى عند الفجر؛ لأنَّ ذلك هو أقل ما يقع عليه اسم صلاة، ولا حدَّ للأكثر في ذلك. وقائل هذا كافر مشرك حلال الدَّم والمال...».

وقال الشيخ محمد الجامي في كتابه منزلة السنَّة في التشريع الإسلامي ١٩: «...إنَّ ملَّخص معنى السنَّة ما أُضيف إلى النبي ﷺ من قولٍ أو فعلٍ أو تقرير، وأنَّ السنَّة من الوحي الإلهي: ﴿إِنَّهُ هُوَ الْوَحْيِيُّ يُوحَىٰ \* عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ﴾، كما يدلُّ على ذلك من السنَّة قوله عليه الصلاة والسلام: «الائتني أوتيت القرآن ومثله معه».

فالسنة - اذاً - صنو القرآن، وهي وحي مثله، وملازمة له ولا تكاد تفارقه، ولا يكاد القرآن يفهم كما يجب أن يفهم إلا بالرجوع إلى السنَّة في كثير من آياته، ولاسيما آيات الأحكام».

وقال الإمام أبو بكر الهمداني في كتابه الاعتبار في النسخ والمنسوخ من الآثار: ٢٢ وهو يبيِّن منزلة السنَّة النبويَّة من الكتاب، ونقله للحديث المتقدِّم (بيننا وبينكم كتاب الله) قال: «.. قلت والمذهب عندنا أنَّ السنَّة ميِّنة للكتاب، مفسِّرة له، هذا أمر مجمع عليه. وقد اختلف النَّاس بعد ذلك في مسألتين: أحدهما: جواز نسخ الكتاب بالسنَّة. والثانية: نسخ السنَّة بالكتاب... أمَّا المسألة الأولى في نسخ الكتاب بالسنَّة فأكثر المتأخريين ذهبوا إلى الجواز وقالوا: لا استحالة في وقوعه عقلاً، وقد دلَّ السمع على وقوعه فيجب المصير إليه.

أخبرني أبو موسى الحافظ أنا أبو علي أنا أبو نعيم.. عن يحيى بن أبي كثير قال:

➤ السنّة قاضية على الكتاب، وليس الكتاب بقاضٍ على السنّة..  
ثنا أبو إسحاق الكسائي ثنا عيسى بن يونس عن الأوزاعي عن مكحول قال: القرآن أحوج إلى السنّة من السنّة إلى القرآن». فهذا يحيى بن أبي كثير يصرّح بأنّ السنّة قاضية على القرآن الكريم وهي التي تحكمه وتبيّنه وتفسّر مقاصده.

وابن مكحول يصرّح بأنّ القرآن محتاج إلى السنّة النبويّة؛ لأنّها شرح لما أجمله الله سبحانه وتعالى في كتابه، وبيان تفاصيل الأحكام العامة التي وردت في القرآن الكريم، وبدونها لا يمكن فهم القرآن أو الوصول إلى مراده، ولذلك ذهب العلماء إلى تضليل من تعلل بظاهر القرآن وترك السنن النبويّة، وحكموا بضلاله وغوايته قال القرطبي في تفسيره ١: ٣٨ في تفسيره للحديث النبوي «أوتيت الكتاب ومثله معه»... وقوله: «يوشك برجل شبعان» الحديث. يحذّر بهذا القول من مخالفة السنن التي سنّها مما ليس له في القرآن ذكر على ما ذهب إليه الخوارج والروافض، فإنّهم تعلقوا بظاهر القرآن وتركوا السنن التي قد ضمنت بيان الكتاب. قال: فتحثّروا وضلّوا.

إلى أن يقول: عن عمران بن حصين قال لرجل أحمق: أتجد الظهر في كتاب الله أربعاً لا يجهر فيها بالقراءة؟! ثمّ عدّد عليه الصلاة والزكاة ونحو هذا، ثمّ قال: أتجد هذا في كتاب الله مفسّراً؟! إن كتاب الله تعالى أبهم هذا وأنّ السنّة تفسره».

وفي جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر: ٥١٧: «قال الأوزاعي الكتاب أحوج إلى السنّة من السنّة إلى الكتاب».

وقال محمّد أبو زهو في كتابه الحديث والمحدّثون في معرض ردّه على من ينكر الاحتجاج بالسنّة قال: ٢٠: «هؤلاء القوم محجوجون بالأدلة السابقة وبغيرها مثل قوله تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾، فلو كان القرآن في

❦ غنى عن السنة لما كان لهذه الآية معنى، ونحن اذ نتمسك بالسنة ونعمل بما جاء فيها إنما نعمل بكتاب الله قيل لمطرف بن عبد الله بن الشخير: لا تحدثونا إلا بالقرآن؟ فقال: والله ما ينبغي بالقرآن بدلاً، ولكن نريد من هو أعلم منا بالقرآن وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: «لعن الله الواشمات والمتوشمات والمتنمصات والمتفلجات للحسن المغيرات خلق الله»، فبلغ ذلك امرأة من بني أسد فقالت: يا أبا عبد الرحمن، بلغني أنك لعنت كيت وكيت! فقال: وما لي لا ألعن من لعنه رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو في كتاب الله! فقالت المرأة: لقد قرأت ما بين لحي المصحف فما وجدته! فقال: لئن كنت قرأتيه لقد وجدته أما قرأت: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمُ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾؟ قالت: بلى! قال: فإنه قد نهى عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم...».

ومما يدل على أن القرآن بحاجة إلى مفسر ومبين وشارح لحديث الرسول والذي تواتر عند الطرفين وهو قوله: «إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي، وإنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض».

وقال الأستاذ علي حسيب الله في مقدمته لكتاب السنة قبل التدوين: ٦: «... ولا خفاء بعد هذا في أن كتاب الله هو أصل دينه، وأن سنة نبيه - قولية كانت أو فعلية - هي الموضحة لأحكامه، والمفضلة لإجماله، والهادية إلى طريق تطبيقه، فهما صنوان لا يفترقان ومنبعان للشريف متعاضان... وقد ابتلى المسلمون في كل عصر من العصور بمن يحاول صرفهم عن الإسلام، تارة بالطعن في كتابه، وأخرى بمحاولة انتقاصه من أطرافه، بالطعن في السنة التي تفصل ما أجمل منه، وتوضح ما خفي، وكأنهم حين وقفوا من القرآن أمام جبل شامخ لا يلبين ورجعوا بعد العناء طرقاتاً، وتكلفوا شططاً، فمنهم من تجتئ على الرواة وطعن في عدالتهم وصدقهم، ومنهم من طعن في متن الحديث فأنكر منه ما لم يوافق هواه، ومنهم من ادعى انقطاع الصلاة بين الرسول وما يروى عنه، وتعدّر تمييز الصحيح منه من السقيم لإهمال تدوينه نحو قرنين من الزمان، وانتشار وضع

➤ الحديث انتصاراً لرأي أو إبطالاً لمذهب فدعا إلى إهمال الحديث جملة والاكْتفاء بالقرآن الكريم، ومن المؤسف حقاً أن يقول بهذا الرأي من يزعم أنه من المسلمين».

وقال الشيخ سليمان الندوي: «إن الذين أرادوا أو يريدوا أن يفرّقوا بين القرآن والسنة، فيقبلوا القرآن، ويردّوا السنة قد ابتعدوا عن الصراط المستقيم أو يبتعدون.

فإنهم يحاولون أن يفهموا من القرآن حسب ما يدركونه بعقولهم ويجعلوا استنباطهم من القرآن كلّ ما للإسلام من تعاليم صحيحة ويكتفوا بذلك دون غيره.

هيات فإنهم مبتدعون ضالّون» مقدّمة كتاب تدوين حديث: ٥.  
وقال الشيخ المحدّث محمّد أبو شهيد أستاذ الأزهر: «قد ظهرت فئة في القديم والحديث تدعوا إلى هذه الدعوى الخبيثة (وهي الاكتفاء بالقرآن) وغرضهم هدم نصف الدين، أو أن شئت قلت: تقويض الدين كلّهُ.  
لأنّه إذا أهملت الأحاديث فسيؤدّي ذلك ولا ريب إلى استعجام معظم القرآن على الأمة، وعدم معرفة المراد منه.

وإذا أهملت الأحاديث واستعجم القرآن فقل على الإسلام العفا» في رحاب السنة: ١٣.  
فإنّ السنة النبويّة مفسّرة للقرآن الكريم، والموضّحة لأحكامه، والمفصّلة لما أجمل فيه، وهي الشارحة لقواعده الكلّيّة العامّة، والمخصّصة لمطلّقه، والمقيّدة لعامّه، والمبيّنة لناسخه ومنسوخه، والهادية إلى طريق تطبيقه، فهي والقرآن الكريم صنوان لا يمكن التفريق بينهما، وبعضهما مكمل للبعض وكلاهما من عند الله سبحانه وتعالى، والعمل بالقرآن على غير نهج سنة النبي ﷺ لا يكون عملاً به، بل هو عمل ناقص وغير صحيح، ويكون فاعله متمسكاً ببعض وتاركاً للبعض الآخر.



➤ والمؤلف رام في كلامه ما تقدّم في كلمات علماء السنّة من أن العمل بالقرآن وحده غير صحيح بل هو ضلال وكفر كما قال ابن حزم وغيره بذلك؛ لأنّ عمله يكون ناقصاً وغير تام، بل لا يكون مطابقاً للشريعة الإسلامية التي نزل بها القرآن الكريم والتي أمر فيها باتّباع الرسول واقتفاء أثره والاهتداء بهديه. وهذا ما أطبق عليه علماء المسلمون المتزنون.

ومن الأدلّة الصريحة على أنّ القرآن يحتاج إلى مفسّر ومبين وأنّه لو حده لا يستطيع الانسان أن يسلك المنهج الصحيح حديث الثقلين المتواتر عن النبي ﷺ والذي قال فيه: «إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي وأنهما لن يفترقا حتّى يرده عليّ الحوض» راجع مصادره في سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني المجلد الرابع: ٣٥٥.

ومن الغرائب المضحكة التي ينبغي أن تكتب مع عجائب الدنيا أن ابن حزم الأندلسي والقرطبي كما تقدّم عنهم يقولون بأن الشيعة تؤمن بالقرآن فقط وتنكر السنّة النبويّة، فهي مارقة عن الدين وخارجة عن الصراط المستقيم!!  
بينما الدكتور الرحيلي في كتابه ينعى على المؤلف - وهو شيعي - أنّه يتمسك بالسنّة النبويّة الشريفة ويطرح القرآن الكريم؟!!

وهذا لعمرو الحق من العجب العجاب فمن من القائلين نطق صدقاً ومن منهما قال حقاً؟!!

والحقّ الذي لا يجادل فيه اثنان أنّ الشيعة تؤمن بالقرآن الكريم والسنّة النبويّة المرويّة عن أهل البيت ﷺ، وذلك طبقاً لحديث النبي ﷺ المتواتر والذي قال فيه: «إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي وأنهما لن يفترقا حتّى يرده عليّ الحوض»، فتؤمن بهذا الحديث وتعمل على طبقه وتتمسك بالقرآن وسنّة النبي التي نقلها أهل البيت ﷺ. وبذلك يبطل كلام ابن حزم والقرطبي اللذان ادّعى زوراً وبهتاناً أنّ الشيعة تؤمن بالقرآن فقط، وكلام الدكتور الرحيلي

فالشيعه يرجعون كل شيء إلى الأئمة المعصومين من أهل البيت النبوي، ولا يجتهدون إلا في ما لا نص فيه.

ونحن نرجع في كل شيء إلى الصحابة، سواء في تفسير القرآن، أو في إثبات السنة وتفسيرها، وقد علمنا أحوال الصحابة وما فعلوه وما استنبطوه واجتهدوا فيه بأرائهم مقابل النصوص الصريحة وهي تعد بالمئات، فلا يمكن الركون إلى مثلهم بعد ما حصل منهم ما حصل.

وإذا سألنا علماءنا: أي سنة تتبعون؟

لأجابوا قطعاً: سنة رسول الله ﷺ!

والواقع التاريخي لا ينسجم مع ذلك؛ فقد رووا بأن الرسول نفسه قال: «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي عصوا عليها بالتواجد»<sup>(١)</sup>.

إذن فالسنة التي يتبعونها هي في أغلب الأحيان سنة الخلفاء الراشدين، وحتى سنة الرسول التي يقولون بها فهي المروية عن طريق هؤلاء.

على أننا نروي في صحاحنا أن الرسول منعهم من كتابة سننه لئلا تختلط بالقرآن، وكذلك فعل أبو بكر وعمر إبان خلافتهما، فلا يبقى بعد هذا حجة في قولنا «تركت فيكم سنتي»<sup>(٢)</sup>.

☞ الذي ادعى أن المؤلف يتمسك بالسنة ويترك القرآن الكريم.

وتخبط القوم في تهافتهم في النقل عن الشيعة ليس بغريب إذا ما راجع القاريء ورأى بأم عينيه كم لهؤلاء القوم من دعاوي باطلة واقتراءات مفتعله ضد أهل البيت ﷺ ومذهبهم.

(١) سنن أبي داود ٤: ٢٨٠، وغيره من المصادر، لكن الحديث ضعيف سنداً ودلالة، راجع نفاحات الأزهار ٢: ٣٠٩، والرسائل العشر كلاهما للسيد الميلاني.

(٢) فالحديث المروي عن النبي ﷺ: «لا تكتبوا عني، ومن كتب عني غير القرآن

والذي ذكرته في هذا البحث من الأمثلة - وما لم أذكره هو أضعاف ذلك -  
كاف لردّ هذا الحديث؛ لأنّ من سنّة أبي بكر وعمر وعثمان ما يناقض سنّة النبي  
ويبطلها، كما لا يخفى.

---

☞ فليمح، وحدثوا عني ولا حرج..» صحيح مسلم ٨: ٢٢٩، المستدرک للحاکم ١:  
١٢٧ وغيرها من المصادر.

وأما أبو بكر فقد جمع الأحاديث المكتوبة وحرّقها، فعن عائشة قالت: «جمع أبي  
الحديث عن رسول الله ﷺ، وكانت خمسمائة حديث، فبات ليلة يتقلب كثيراً.

قالت: فغمّني فقلت: أنتقلب لشكوى أو لشيء بلغك؟

فلما أصبح قال: أي بنتي هلمّي الأحاديث التي عندك، فجنّته بها، فدعا بنار فحرّقها.  
فقلت: لم حرقتها؟

قال: خشيت أن أموت وهي عندي، فيكون فيها أحاديث عن رجل قد ائتمنته ووثقت  
به ولم يكن كما حدّثني فاكون قد نقلت ذلك» تذكرة الحفاظ ١: ٥.

وأما عمر بن الخطّاب فقد روى صاحب الكنز ١٠: ٢٩١: «عن الزهري عن عروة: إنّ  
عمر بن الخطّاب أراد أن يكتب السنن، فاستفتى أصحاب رسول الله ﷺ في

ذلك، فأشاروا عليه أن يكتبها، فظنّ عمر ﷺ يستخير الله فيها شهراً، ثمّ أصبح  
يوماً وقد عزم الله له فقال: إني كنت أريد أن أكتب السنن وإني ذكرت قوماً فيكم

كتبوا كتباً فاكبوا عليها وتركوا كتاب الله، والله إني لا أشوب كتاب الله بشيء أبداً -  
ابن عبد البرّ في العلم.

عن الزهري قال: أراد عمر بن الخطّاب أن يكتب السنن، فاستخار الله شهراً، ثمّ  
أصبح فقد عزم له فقال: ذكرت قوماً كتبوا كتباً فاقبلوا عليه وتركوا كتاب الله - ابن

سعد».

## [ منع الزهراء عليها السلام حقها ]

وإذا كانت أوّل حادثة وقعت بعد وفاة رسول الله مباشرة، وسجّلها أهل السنّة والجماعة والمؤرّخون، هي : مخاصمة فاطمة الزهراء لأبي بكر الذي احتجّ بحديث « نحن معشر الأنبياء لا نورث ما تركناه صدقة ».

هذا الحديث الذي كذّبه فاطمة الزهراء عليها السلام وأبطلته بكتاب الله، واحتجّت على أبي بكر بأن أباه رسول الله صلى الله عليه وآله لا يمكنه أن يناقض كتاب الله الذي أنزل عليه، إذ يقول سبحانه وتعالى: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثِيَيْنِ﴾<sup>(١)</sup>، وهي عامّة تشمل الأنبياء وغير الأنبياء.

واحتجّت عليه بقوله تعالى: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ﴾<sup>(٢)</sup>، وكلاهما نبيّ، وقوله عزّ من قائل: ﴿فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا \* يَرِثُنِي وَيَرِثْ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا﴾<sup>(٣)</sup>.

(١) سورة النساء: ١١.

(٢) سورة النمل: ١٦.

(٣) سورة مريم: ٥ - ٦.

وراجع مخاصمة فاطمة - سلام الله عليها - لأبي بكر في المصادر التالية:  
المسائل الصاغانية للشيخ المفيد: ٩٩، شرح أصول الكافي للمازندراني ٧: ٢١٨،  
السقيفة وفدك للجوهري: ٧٤، حديث «نحن معشر الأنبياء» للشيخ المفيد: ٤،

## [ قتال مانعي الزكاة ]

والحادثة الثانية التي وقعت لأبي بكر في أيام خلافته، وسجلها المؤرّخون من أهل السنّة والجماعة، اختلف فيها مع أقرب الناس إليه وهو عمر ابن الخطّاب، تلك الحادثة التي تتلخّص في قراره بمحاربة مانعي الزكاة وقتلهم، فكان عمر يعارضه ويقول له: لا تقاتلهم لأنّي سمعت رسول الله ﷺ يقول: «أمرت أن أقاتل الناس حتّى يقولوا: لا إله إلاّ الله محمّد رسول الله، فمن قالها عصم منّي ماله ودمه وحسابه على الله».

وهذا نصّ أخرجه مسلم في صحيحه جاء فيه: «إنّ رسول الله ﷺ أعطى الراية إلى عليّ عليه السلام يوم خيبر فقال عليّ: يا رسول الله على ماذا أقاتل الناس؟ فقال ﷺ: قاتلهم حتّى يشهدوا أن لا إله إلاّ الله وأنّ محمّداً رسول الله، فإذا فعلوا ذلك فقد منعوا منك دماءهم وأموالهم إلاّ بحقّها وحسابهم على الله»<sup>(١)</sup>.

➤ التعجّب للكراچكي: ٥٦، العمدة لابن البطريق: ٣٩٠، الطرائف لابن طاووس: ٢٥٨، الصراط المستقيم ٢: ٢٨٣، خلاصة عبقات الأنوار ١: ٦٥، النصّ والاجتهاد: ٥٩، الغدير ٦: ١٩٠، فدك في التاريخ للصدر: ١٥٢، إفحام الأعداء والخصوم: ٨٧، عبد الله بن سبأ للسيد مرتضى العسكري ١: ١٣٨، معالم المدرستين للسيد مرتضى العسكري ٢: ١٤٥، صحيح ابن حبان ١١: ١٥٣، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٦: ٤٠٦، نصب الراية للزيلعي ٢: ٣٦٠، كنز العمال ٥: ٦٢٥ وغيرها من المصادر.

(١) صحيح مسلم ٧: ١٢١، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل عليّ بن أبي طالب،

ولكن أبا بكر لم يقتنع بهذا الحديث وقال: والله لأقاتلن من فرّق بين الصلاة والزكاة فإن الزكاة حق المال، أو قال: « والله لو منعوني عقلاً كانوا يؤدّونه إلى رسول الله لقاتلتهم على منعه »<sup>(١)</sup>.

واقتنع عمر بن الخطّاب بعد ذلك وقال: « ما أن رأيت أبا بكر مصمماً على ذلك حتّى شرح الله صدري »

ولست أدري كيف يشرح الله صدور قوم بمخالفتهم سنّة نبيهم!

وهذا التأويل منهم لتبرير قتال المسلمين الذين حرّم الله قتلهم إذ قال في كتابه العزيز: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمٌ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِّن قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾<sup>(٢)</sup> صدق الله العلي العظيم.

على أنّ هؤلاء الذين منعوا إعطاء أبي بكر زكاتهم لم ينكروا وجوبها، ولكنهم تأخروا ليتبينوا الأمر، ويقول الشيعة بأن هؤلاء فوجئوا بخلافة أبي بكر، وفيهم من حضر مع رسول الله حجّة الوداع، وسمع منه النصّ على علي بن أبي طالب، فتريثوا حتى يفهموا الحقيقة، ولكن أبا بكر أراد إسكاتهم عن تلك الحقيقة، وبما أنّني لا

➤ فتح الباري ٣٦٦:٧، السنن الكبرى للنسائي ١١١:٥، صحيح ابن حبان ٣٨٠:١٥،

أنساب الأشراف: ٩٣، تاريخ الإسلام ٤٠٧:٢، البداية والنهاية ٢١١:٤، السيرة النبويّة لابن كثير ٣٥٢:٣، السيرة الحليّة ٧٣٦:٢.

(١) صحيح البخاري ١٤١:٨، كتاب الاعتصام، صحيح مسلم ٣٨:١ كتاب الناس، باب الأمر بقتال الناس، سنن أبي داود ٣٤٧:١، سنن الترمذي ١١٧:٤، المصنّف للصنعاني ٤٤:٤، مسند أبي يعلى ٦٩:١، صحيح ابن حبان ٤٥١:١.

(٢) سورة النساء: ٩٤.

استدلّ ولا أحتجّ بما يقوله الشيعة، فسأترك هذه القضية لمن يهّمه الأمر لبحث فيها. على أنني لا يفوتني أن أسجّل هنا أن صاحب الرسالة ﷺ وقعت له في حياته قصّة ثعلبة الذي طلب منه أن يدعو له بالغنى، وألحّ في ذلك وعاهد الله أنه يتصدّق، ودعا له رسول الله وأغناه الله من فضله، وضاقت عليه المدينة وأرجاؤها من كثرة إبله وغنمه حتى ابتعد ولم يعد يحضر صلاة الجمعة.

ولما أرسل إليه رسول الله ﷺ العاملين على الزكاة رفض أن يعطيهم شيئاً منها قائلاً: «إِنَّمَا هَذِهِ جَزِيَةٌ أَوْ أَخْتِ الْجَزِيَّةِ»، ولم يقاّته رسول الله ولا أمر بقتاله وأنزل فيه قوله: ﴿ وَمِنْهُمْ مَّنْ عَاهَدَ اللَّهُ لَئِنِ آتَيْنَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ فَلَمَّا آتَاهُمْ مِّنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُّعْرِضُونَ ﴿١﴾.

وجاء ثعلبة بعد نزول الآية وهو يبكي، وطلب من رسول الله قبول زكاته، وامتنع الرسول حسب ما تقول الرواية.

فإذا كان أبو بكر وعمر يتبعان سنة الرسول، فلماذا هذه المخالفة وإباحة دماء المسلمين الأبرياء لمجرّد منع الزكاة؟!

على أن المعتذرين لأبي بكر والذين يريدون تصحيح خطئه بتأويله بأنّ الزكاة هي حق المال لا يبقى لهم ولا له عذر بعد قصّة ثعلبة الذي أنكر الزكاة

(١) التوبة: ٧٥-٧٦، راجع في قصّة ثعلبة بن حاطب فتح الباري ٣: ٢١١، عمدة القارىء ٨: ٢٥٥، تخريج الأحاديث والآثار ٢: ٨٥، تفسير جامع البيان ١٠: ٢٤١، أسباب النزول للواحيدي: ١٧١، زاد المسير لابن القيم ٣: ٣٢١، تفسير القرطبي ٨: ٢٠٩، تفسير ابن كثير ٢: ٣٨٨، تفسير الجلالين: ٤٦١، تفسير الثعالبي ٣: ١٩٩، تفسير ابن أبي حاتم ٦: ١٨٤٨، تفسير السمعاني ٢: ٣٣١، أحكام القرآن ٢: ٥٤٧، تفسير البيضاوي ٣: ١٥٩، تفسير الثعلبي ٥: ٧٢، أسد الغابة ١: ٢٣٨، لباب النقول للسيوطي: ١٠٨.

واعتبرها جزية.

ومن يدري لعلّ أبا بكر أقنع صاحبه عمر بوجوب قتل من منعه الزكاة أن تسري دعوتهم في البلاد الإسلامية لإحياء نصوص الغدير التي نصبت علياً للخلافة، ولذلك شرح الله صدر عمر بن الخطّاب لقتالهم، وهو الذي هدّد بقتل المتخلّفين في بيت فاطمة وحرّقهم بالنار من أجل أخذ البيعة لصاحبه.



## [ أبو بكر و خالد بن الوليد ]

أما الحادثة الثالثة التي وقعت لأبي بكر في أول خلافته، واختلف فيها عمر بن الخطاب، وقد تأول فيها النصوص القرآنية والنبوية : تلك هي قصة خالد بن الوليد الذي قتل مالك بن نويرة صبراً، ونزا على زوجته فدخل بها في نفس الليلة. وكان عمر يقول لخالد : « يا عدو الله قتلت امرءاً مسلماً ثم تزوت على امرأته، والله لأرجمنك بالأحجار »<sup>(١)</sup>.

ولكنّ أبا بكر دافع عنه وقال : « هبه يا عمر، تأول فأخطأ فارفع لسانك عن خالد »<sup>(٢)</sup>.

وهذه فضيحة أخرى سجّلها التاريخ لصحابي من الأكابر، إذا ذكرناه ذكرناه بكلّ احترام وقداسة، بل ولقّبناه بـ « سيف الله المسلول »!!

ماذا عساني أن أقول في صحابي يفعل مثل تلك الأفعال، يقتل مالك بن نويرة الصحابي الجليل سيّد بني تميم وبني يربوع، وهو مضرب الأمثال في الفتوة والكرم والشجاعة، وقد حدّث المؤرّخون أنّ خالداً غدر بمالك وأصحابه، بعد أن وضعوا السلاح وصلّوا جماعة وأوثقوهم بالحبال، وفيهم ليلى بنت المنهال زوجة

---

(١) تاريخ الطبري ٢: ٥٠٤، الكامل لابن الأثير ٢: ٣٥٨، البداية والنهاية ٦: ٣٥٥، أسد

الغابة ٤: ٢٩٥، شرح النهج لابن أبي الحديد ١٧: ٢٠٦ بألفاظ متقاربة.

(٢) تاريخ الطبري ٢: ٥٠٣، شرح النهج لابن أبي الحديد ١: ١٧٩، تاريخ أبي الفداء ١:

مالك، وكانت من أشهر نساء العرب بالجمال، ويقال إنه لم ير أجمل منها وفتن خالد بجمالها.

وقال له مالك : يا خالد أبعثنا إلى أبي بكر فيكون هو الذي يحكم فينا، وتدخّل عبد الله بن عمر وأبو قتادة الأنصاري، وألحّا على خالد أن يبعثهم إلى أبي بكر، فرفض خالد وقال : لا أقالني الله إن لم أقتله، فالتفت مالك إلى زوجته ليلى وقال لخالد : هذه التي قتلنتني، فأمر خالد بضرب عنقه وقبض على ليلى زوجته ودخل فيها في تلك الليلة<sup>(١)</sup>.

(١) تاريخ الطبري ٢: ٥٠٣، تاريخ اليعقوبي ٢: ٨٩، تاريخ أبي الفداء ١: ٢٢١، وللاطلاع أكثر نورد ما ذكره العلامة الأميني في الغدير ٧: ١٥٨ - ١٦٥: رأي الخليفة في قصة مالك:

سار خالد بن الوليد يريد البطاح حتى قدمها فلم يجد بها أحداً، وكان مالك بن نويرة قد فرّقهم ونهاهم عن الاجتماع وقال: يا بني يربوع، إنّنا دُعينا إلى هذا الأمر فأبطأنا عنه فلم نفلح، وقد نظرت فيه فرأيت الأمر يتأتى لهم بغير سياسة، وإذا الأمر لا يسوسه الناس، فإياكم ومناوأة قوم صنع لهم فتقرّقوا وادخلوا في هذا الأمر، فتفرّقوا على ذلك، ولما قدم خالد البطاح بتّ السرايا وأمرهم بداعية الإسلام وأن يأتوه بكلّ من لم يُجب، وإن امتنع أن يقتلوه، وكان قد أوصاهم أبو بكر أن يأتّوا ويقيموا إذا نزلوا منزلاً فإن أذن القوم وأقاموا فكفّوا عنهم، وإن لم يفعلوا فلا شيء إلا الغارة ثم تقتلوا كلّ قتلة الحرق فما سواه، وإن أجابوكم إلى داعية الإسلام فسائلوهم فإن أقرّوا بالزكاة فاقبلوا منهم وإن أبوها فلا شيء إلا الغارة، ولا كلمة، فجاءته الخيل بمالك بن نويرة في نفر معه من بني ثعلبة بن يربوع من عاصم وعبيد وعرين وجعفر فاختلفت السيرة فيهم، وكان فيهم أبو قتادة فكان فيمن شهد أنّهم قد أدّنوا وأقاموا و صلّوا، فلما اختلفوا فيهم أمر بهم فحبسوا في ليلة باردة لا يقوم لها شيء وجعلت تزداد برداً، فأمر خالد منادياً

﴿ فنأدى: أذفئوا أسراكم وكانت في لغة كنانة القتل فظنَّ القوم أنه أراد القتل ولم يرد إلاّ الدفء فقتلوهم، فقتل ضرار بن الأزور مالكاُ وسمع خالد الواعية فخرج وقد فرغوا منهم فقال: إذا أراد أَمراً أصابه، وتزوج خالد أمّ تميم امرأة مالك، فقال أبو قتادة: هذا عملك؟ فزبره خالد فغضب ومضى. وفي تاريخ أبي الفداء: كان عبد الله بن عمرو أبو قتادة الأنصاري حاضرين فكلمّا خالداً في أمره فكره كلامهما. فقال مالك: يا خالد إبعثنا إلى أبي بكر فيكون هو الذي يحكم فينا. فقال خالد: لا أقالني الله إن أقتلك وتقدّم إلى ضرار بن الأزور بضرب عنقه.

فقال عمر لأبي بكر: إنَّ سيف خالد فيه رَهَق وأكثر عليه في ذلك فقال: يا عمر! تأوّل فأخطأ فارفع لسانك عن خالد فإنّي لا أشيم سيفاً سلّه الله على الكافرين.

وفي لفظ الطبري وغيره: إنَّ أبا بكر كان من عهده إلى جيوشه أن إذا غشيتم داراً من دور الناس فسمعتم فيها أذاناً للصلاة فأمسكوا عن أهلها حتّى تسألوهم ما الذي نقموا، وإن لم تسمعوا أذاناً فشنّوا الغارة فاقتلوا وحرّقوا، وكان ممّن شهد لمالك بالإسلام أبو قتادة الحارث بن ربيعي، وقد كان عاهد الله أن لا يشهد مع خالد بن الوليد حرباً أبداً بعدها، وكان يحدث أنّهم لما غشّوا لقوم راعوهم تحت الليل فأخذ القوم السلاح، قال: فقلنا: إنّنا المسلمون. فقالوا: ونحن المسلمون، قلنا: فما بال السلاح معكم؟ قالوا لنا: فما بال السلاح معكم؟ قلنا: فإن كنتم كما تقولون؟ فضعوا السلاح. قال: فوضعوها ثمّ صلّينا وصلّوا، وكان خالد يعتذر في قتله: أنّه قال وهو يراجع: ما أخال صاحبكم إلاّ وقد كان يقول كذا وكذا. قال: أو ما تعدّه لك صاحباً. ثمّ قدّمه فضرب عنقه وعنق أصحابه.

فلما بلغ قتلهم عمر بن الخطّاب تكلم فيه عند أبي بكر فأكثر وقال: عدوّ الله عدا على امرئ مسلم فقتله ثمّ نزا على امرأته، وأقبل خالد بن الوليد قافلاً حتّى دخل المسجد وعليه قباءٌ له عليه صدأ الحديد، معتجراً بعمامة له قد غرز في عمامته أسهماً فلما أن دخل المسجد قام إليه عمر فانتزع الأسهم من رأسه فحطّمها ثمّ

☞ قال: أرتاء؟ قتلت امرءاً مسلماً ثم نزوت على امرأته، والله لأرجمنك بأحجارك ولا يكلمه خالد بن الوليد ولا يظنُّ إلا أن رأي أبي بكر على مثل رأي عمر فيه، حتى دخل على أبي بكر فلما أن دخل عليه أخبره الخبر واعتذر إليه فعذره أبو بكر وتجاوز عنه ما كان في حربه تلك. قال فخرج خالد حين رضي عنه أبو بكر، وعمر جالسٌ في المسجد فقال خالد: هلمَّ إليَّ يا بن أمِّ شملة؟ قال فعرف عمر أن أبا بكر قد رضي عنه، فلم يكلمه ودخل بيته.

وقال سويد: كان مالك بن نويرة من أكثر الناس شعراً وإنَّ أهل العسكر أثفوا برؤسهم القدور فما منهم رأس إلا وصلت النار إلى بشرته ما خلا مالكاً فإنَّ القدر نضجت وما نضج رأسه من كثرة شعره، وقى الشعر البشر حرَّها أن يبلغ منه ذلك.

وقال ابن شهاب: إنَّ مالك بن نويرة كان كثير شعر الرأس، فلما قتل أمر خالد برأسه فنصب أثفية لقدر فنضج ما فيها قبل أن يخلص النار إلى شؤون رأسه. وقال عروة: قدم أخو مالك متمم بن نويرة ينشد أبا بكر دمه ويطلب إليه في سببهم فكتب له برد السبي، وألح عليه عمر في خالد أن يعزله، وقال: إنَّ في سيفه رهقاً. فقال: لا يا عمر! لم أكن لأشيم سيفاً سلَّه الله على الكافرين.

وروى ثابت في الدلائل: إنَّ خالداً رأى امرأة مالك وكانت فائقة في الجمال فقال مالك بعد ذلك لامرأته: قتلتيني. يعني سأقتل من أجلك (تاريخ الطبري ٣: ٢٤١، تاريخ ابن الأثير ٣: ١٤٩، أسد الغابة ٤: ٢٩٥، تاريخ ابن عساكر ٥: ١٠٥، ١١٢، خزنة الأدب ١: ٢٣٧، تاريخ ابن كثير ٦: ٣٢١، تاريخ الخميس ٢: ٢٣٣، الإصابة ١: ٤١٤ و٣: ٣٥٧).

وقال الزمخشري وابن الأثير وأبو الفدا والزبيدي: إنَّ مالك بن نويرة رضي الله عنه قال لامرأته يوم قتله خالد بن الوليد: أقتلتني. أي عرَّضتني بحسن وجهك للقتل لوجوب الدفع عنك، والمحاماة عليك، وكانت جميلة حسناء تزوجها خالد بعد قتله

☞ فأنكر ذلك عبد الله بن عمر. وقيل فيه:

أفي الحق أنا لم تجفّ دماؤنا وهذا عروساً باليمامة خالد؟

(الفائق ٢: ١٥٤، النهاية ٣: ٢٥٧، تاريخ أبي الفدا ١: ١٥٨، تاج العروس ٨: ٧٥).

وفي تاريخ ابن شحنة هامش الكامل ٧ ص ١٦٥: أمر خالد ضراراً بضرب عنق مالك فالتفت مالك إلى زوجته وقال لخالد: هذه التي قتلتني. وكانت في غاية الجمال، فقال خالد: بل قتلك رجوعك عن الإسلام. فقال مالك: أنا مسلم. فقال خالد: يا ضرار! إضرب عنقه فضرب عنقه وفي ذلك يقول أبو نمير السعدي:

ألا قل لحَيّ أوطؤا بالسناكب	تطاول هذا الليل من بعد مالك
قضى خالد بغياً عليه بعرسه	وكان له فيها هوى قبل ذلك
فأمضى هواه خالد غير عاطفٍ	عنان الهوى عنها ولا متمالكٍ
وأصبح ذا أهل وأصبح مالك	إلى غير أهل هالكاً في الهواك

فلما بلغ ذلك أبا بكر وعمر قال عمر لأبي بكر: إن خالداً قد زنى فاجلده. قال أبو بكر: لا، لأنه تأوّل فأخطأ قال: فإنه قتل مسلماً فاقتله. قال: لا، لأنه تأوّل فأخطأ. ثم قال: يا عمر! ما كنت لأغمد سيفاً سلّه الله عليهم، ورثي مالكا أخوه متمم بقصائد عديدة. وهذا التفصيل ذكره أبو الفداء أيضاً في تاريخه ١: ١٥٨.

وفي تاريخ الخميس ٢: ٢٣٣: اشتدّ في ذلك عمر وقال لأبي بكر: ارجم خالداً فإنه قد استحلّ ذلك، فقال أبو بكر: والله لا أفعل، إن كان خالد تأوّل أمراً فأخطأ وفي شرح المواقف: فأشار عمر على أبي بكر بقتل خالد قصاصاً، فقال أبو بكر: لا أغمد سيفاً شهره الله على الكفار. وقال عمر لخالد: لئن وليت الأمر لأقيدنك به.

وفي تاريخ ابن عساكر ٥: ١١٢: قال عمر: إنني ما عتبت على خالد إلا في تقدّمه وما كان يصنع في المال. وكان خالد إذا صار إليه شيء قسّمه في أهل الغنى ولم يرفع إلى أبي بكر حسابه، وكان فيه تقدّم على أبي بكر يفعل الأشياء التي لا يراها أبو بكر، وأقدم على قتل مالك بن نويرة ونكح امرأته، وصالح أهل اليمامة

👉 ونكح ابنة مجاعة بن مرارة، فكره ذلك أبو بكر، وعرض الديّة على متمم بن نويرة وأمر خالداً بطلاق امرأة مالك ولم ير أن يعزله وكان عمر ينكر هذا وشبهه على خالد.

[نظرة في القضية] قال الأميني: يحقُّ على الباحث أن يمعن النظرة في القضية من ناحيتين. الأولى: ما ارتكبه خالد بن الوليد من الطامات والجرائم الكبيرة التي تُنزه عنها ساحة كلِّ معتنق بالاسلام، وتضادُّ نداء القرآن الكريم والسنة الشريفة، ويتبرأ منها وممن اقتترفها من آمن بالله ورسوله واليوم الآخر.

﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى﴾؟ (سورة القيامة آية: ٣٦).  
 ﴿أَيَحْسَبُ أَنْ لَنْ يُقَدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ﴾؟ (سورة البلد آية: ٥). ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَنْ يَسْفُتُونَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾؟ (سورة العنكبوت آية: ٤).  
 بأيّ كتاب أم بأيّة سنة ساغ للرجل سفك تلكم الدماء الزكيّة من الذين آمنوا بالله ورسوله واتبعوا سبيل الحقِّ وصدّقوا بالحسنى، وأدّنوا وأقاموا وصلّوا وقد علت عقيرتهم: بأنّ مسلمون، فما بال السلاح معكم؟ ﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبْنَهُمْ بِمَقَازَةٍ مِّنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (سورة آل عمران آية: ١٨٨).

ما عذر الرّجل في قتل مثل مالك الذي عاشر النبيّ الأعظم، وأحسن صحبته، واستعمله ﷺ على صدقات قومه، وقد عدّ من أشراف الجاهليّة والإسلام، ومن أرداف الملوك. ﴿مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا﴾ (سورة المائدة آية: ٣٢). ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاءُ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا﴾ (النساء: ٩٣).

وماذا أحلّ للرجل شنّ الغارة على أهل أولئك المقتولين وذويهم الأبرياء وإيذائهم وسبيهم بغير ما اكتسبوا إثمًا، أو اقترفوا سيّئة، أو ظهر منهم فساد في المألّ الدينيّ؟ ﴿الَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغَيْرِ مَا كَتَبْنَا فَتَنًا

﴿ وَإِنَّمَا مُّبِينًا ﴾ (سورة الأحزاب آية: ٥٨).

ما هذه القسوة والعنف والفظاظة والتزحزح عن طقوس الإسلام، وتعذيب رؤوس أمة مسلمة، وجعلها أذيةً للقدر وإحراقها بالنار؟ فويل للقاسية قلوبهم، فويل للذين ظلموا من عذاب يوم أليم.

ما خالد وما خطره بعد ما اتخذ إلهه هواه، وسوّلت له نفسه، وأصلّته شهوته، وأسكره شبقه؟ فهتك حرّات الله، وشوّه سمعة الإسلام المقدّس، ونزى على زوجة مالك قتيل غيّه في ليلته (الصواعق ص ٢١، تاريخ الخميس ٢: ٣٣٣) أنّه كان فاحشاً ومقتاً وساء سبيلاً، ولم يكن قتل الرجل إلّا لذلك السفاح، وكان أمراً مشهوداً وسرّاً غير مستسرّ، وكان يعلمه نفس مالك ويخبر زوجته بذلك قبل وقوع الواقعة بقوله إيّاها: أقتلنتني. فقتل الرجل مظلوماً غيراً و محاماةً على ناموسه. وفي المتواتر: من قتل دون أهله فهو شهيداً (مسند أحمد ١ ص ١٩١، نص على تواتره المناوي في الفيض القدير ٦ ص ١٩٥). وفي الصحيحة من قتل دون مظلمته فهو شهيداً (أخرجه النسائي والضياء المقدسي كما في الجامع الصغير، وصححه السيوطي راجع الفيض القدير ٦ ص ١٩٥).

والعذر المقتل من منع مالك الزكاة لا يُبرئ خالداً من تلكم الجنايات، أيصدق جحد الرجل فرض الزكاة ومكابرتة عليها وهو مؤمن بالله وكتابه ورسوله ومصدق بما جاء به نبيّه الأقدس، يقيم الصلّاة ويأتي بالفرائض بأذانها وإقامتها، وينادي بأعلى صوته: نحن المسلمون، وقد استعمله النبيّ الأعظم على الصدقات رداً من الزمن؟ لا ها الله.

أوجب الردّة مجرد امتناع الرجل المسلم الموحد المؤمن بالله وكتابه عن أداء الزكاة لهذا الإنسان بخصوصه وهو غير منكر أصل الفريضة؟ أو يُحكم عليه بالقتل عندئذ؟ وقد صحّ عن المشرّع الأعظم قوله: لا يحلُّ دم رجل يشهد أن لا إله إلّا الله، وإنّي رسول الله إلّا باحدى ثلاثة: النفس بالنفس، والثيب الزاني، والتارك لدينه

➤ المفارق للجماعة (صحيح البخاري ١٠: ٦٣، كتاب المحاربيين. باب: قول الله تعالى ان النفس بالنفس، صحيح مسلم ٢: ٣٧، الدييات لابن أبي عاصم الضحّاك ص ١٠، سنن أبي داود ٢: ٢١٩، سنن ابن ماجه ٢: ١١٠، مصباح السنّة ٢: ٥٠، مشكاة المصابيح ص ٢٩١).

وقوله ﷺ: لا يحلُّ دم امرئٍ مسلمٍ إلّا باحدى ثلاث: رجل كفر بعد إسلامه، أو زنى بعد إحصانه، أو قتل نفساً بغير نفس (الدييات لابن أبي عاصم الضحّاك ص ٩، سنن ابن ماجه ٢: ١١٠، سنن البيهقي ٨: ١٩).

وقوله ﷺ: أمرت أن أقاتل الناس حتّى يقولوا: لا إله إلّا الله، فإذا قالوها منعوا منّي دماؤهم وأموالهم، وحسابهم على الله (صحيح مسلم ١: ٣٠، الدييات لابن أبي عاصم الضحّاك ص ١٧، ١٨، سنن ابن ماجه ٢: ٤٥٧، خصائص النسائي ص ٧، سنن البيهقي ٨: ١٩، ١٩٦).

وعهد أبو بكر نفسه لسلمان بقوله: من صلّى الصلوات الخمس فأبّه يصبح في ذمّة الله ويمسي في ذمّة الله تعالى فلا تقتلنّ أحداً من أهل ذمّة الله فتخفر الله في ذمّته فيكبّك الله في النار على وجهك (أخرجه أحمد في الزهد كما في تاريخ الخلفاء للسيوطي ص ٧٠).

أيسلب امتناع الرجل المسلم عن أداء الزكاة حرمة الإسلام عن أهله وماله وذويه ويجعلهم أعدال أولئك الكفرة الفجرة الذين حقّ على النبيّ الطاهر شنُّ الغارة عليهم؟ ويحكم عليهم بالسبي والقتل الذريع وغارة ما يملكون، والنزو على تلکم الحرائر المأسورات؟

وأما ما مرّ من الاعتذار بأنّ خالداً قال: ادفنوا أسراكم وأراد الدفء وكانت في لغة كنانة: القتل. فقتلوهم فخرج خالد وقد فرغوا منهم. فلا يفوه به إلّا معتوه استأسر هواه عقله، وسفه في مقاله، لِمَ اذًا قتل ضرار مالكاً بتلك الكلمة وهو لم يكن من كنانة ولا من أهل لغتها؟ بل هو أسديٌّ من بني ثعلبة، ولم يكن أميره يتكلّم قبل



➤ ذلك اليوم بلغة كنانة.

وإن صحَّت المزعمة فلماذا غضب أبو قتادة الأنصاري على خالد وخالفه وتركه يوم ذاك وهو ينظر إليه من كئيب، والحاضر يرى ما لا يراه الغائب؟  
ولماذا اعتذر خالد بأنَّ مالكاً قال: ما أخال صاحبكم إلا قال كذا وكذا؟ وهذا اعترافٌ منه بأنَّه قتله غير أنَّه نحت على الرجل مقالاً، وهو من التعريض الذي لا يجوِّز القتل «بعد تسليم صدره منه» عند الأُمَّة الإسلامية جمعاء، والحدود تُدرأ بالشبهات.

ولماذا رآه عمر عدوًّا لله، وقذفه بالقتل والزنا؟ وإن لم يقتل ذلك ذؤابة (مثل يضرب يقال: قتل ذؤابة فلان. أي أزاله عن رأيه) أبي بكر.  
ولماذا هنكه عمر في ملاء من الصحابة بقوله إيَّاه: قتلت امرءاً مسلماً ثمَّ نزوت على امرأته، والله لأرجمنَّك بأحجارك؟  
ولماذا رأى عمر رَهَقاً في سيف خالد وهو لم يقتل مالكاً وصحبه وإنما قتلته لغة كنانة؟

ولماذا سكت خالد عن جوابه؟ وما أخرسه إلا عمله، إنَّ الانسان على نفسه بصيرة ولو ألقى معاذيره.  
ولماذا صدَّق أبو بكر عمر بن الخطَّاب في مقاله ووقيعته على خالد وما أنكر عليه غير أنَّه رآه متأوِّلاً تارةً، ونَحَت له فضيلة أخرى؟  
ولماذا أمر خالد بالرووس فنصبت أثفيةً للقدور، وزاد وصمة على لغة كنانة؟  
ولماذا نزي على امرأة مالك، وسبى أهله، وفرَّق جمعه، وشتت شمله، وأباد قومه، ونهب ماله؟ أكلُّ هذه معرَّة لغة كنانة؟

ولماذا ذكر المؤرِّخون أنَّ مالكاً قُتل دون أهله محاماتاً عليها؟  
ولماذا أثبت المترجمون ذلك القتل الذريع على خالد دون لغة كنانة، وقالوا في ترجمة ضرار وعبد بن الأزور: إنَّه هو الذي أمره خالد بقتل مالك بن نويرة

ماذا عساني أن أقول في هؤلاء الصحابة الذين يستبيحون حرّات الله، ويقتلون النفوس المسلمة من أجل هوى النفس، ويستبيحون الفروج التي حرّمها الله، ففي الإسلام لا تنكح المرأة المتوفى زوجها إلا بعد العدة التي حدّها الله في كتابه العزيز، ولكنّ خالدًا اتخذ إليه هواه فتردّي، وأيّ قيمة للعدة عنده بعد أن قتل زوجها صبراً وظلماً، وقتل قومه أيضاً وهم مسلمون بشهادة عبد الله بن عمر وأبي

➤ (الاستيعاب ١: ٣٣٨، أسد الغابة ٣: ٣٩، خزنة الأدب للبغدادي ٢: ٩، الإصابة ٢: ٢٠٩) وقالوا في ترجمة مالك: إنّه قتله خالد. أو: قتله ضرارٌ صبراً بأمر خالد؟ (الإصابة ٣: ٣٥٧، مرآة الجنان ١: ٦٢) هذه أسئلة توقف المعتذر موقف السدّ، ولم يحر جواباً.

ما شأن أبناء السلف وقد غرّرت بهم سكرة الشبق، وغالتهم داعية الهوى، وجاؤا لا يرقبون في مؤمن إلا ولا ذمّة واولئك هم المعتدون؟ فترى هذا يقتل مثل مالك ويأتي بالطامات رغبةً في نكاح أمّ تميم.

وهذا يقتل سيّد العترة أمير المؤمنين شهوةً في زواج قظام.

وآخر (هو ضرار بن الأزور زميل خالد بن الوليد وشاكلته في النزو على الحرائر) شنّ الغارة على حيّ من بني أسد فأخذ امرأة جميلة فوطئها بهبة من أصحابه، ثمّ ذكر ذلك لخالد فقال: قد طيّبتها لك «كأنّ تلکم الجنود كانت مجنّدة لوطىء النساء وفضّ ناموس الحرائر» فكتب إلى عمر فأجاب برضخه بالحجارة (تاريخ ابن عساكر ٧: ٣١، خزنة الادب ٢: ٨، الإصابة ٢: ٢٠٩).

وهذا يزيد بن معاوية يدسّ إلى زوجة ريحانة رسول الله الحسن السبط الزكيّ السمّ النقيع لتقتله ويتزوّجها (تاريخ ابن عساكر ٤: ٢٢٦) أو فعله معاوية لغاية له كما يأتي.

ووراء هؤلاء المعتدين قومٌ ينزّه ساحتهم بأعذار مفتعلة كالتأويل والاجتهاد - وليتهدما لم يكونا - وتخطأة لغة كنانة، والله يعلم ما تكنّ صدورهم وما يعلنون، وإن حكمت فاحكم بينهم بالقسط إن الله يحبّ المقسطين.

قتادة الذي غضب غضباً شديداً ممّا فعله خالد، وانصرف راجعاً إلى المدينة، وأقسم أن لا يكون أبداً في لواءٍ عليه خالد بن الوليد<sup>(١)</sup>.

وحسبنا في هذه القضية المشهورة أن نقل اعتراف الأستاذ هيكل في كتابه «الصدّيق أبو بكر» إذ قال تحت عنوان: (رأي عمر وحجته في الأمر):  
«أما عمر، وكان مثال العدل الصارم، فكان يرى أن خالدًا عدا عليّ امرئ مسلم، ونزاع عليّ امرأته قبل انقضاء عدّتها، فلا يصحّ بقاؤه في قيادة الجيش حتّى لا يعود لمثلها فيفسد أمر المسلمين، ويسيء إلى مكائنتهم بين العرب، قال: ولا يصحّ أن يترك بغير عقاب عليّ ما أتمّ مع ليلي.

ولو صحّ أنّه تأوّل فأخطأ في أمر مالك، وهذا ما لا يجيزه عمر، وحسبه ما صنع مع زوجته ليقام عليه الحدّ، فليس ينهض عذراً له إنه سيف الله، وأنّه القائد الذي يسير النصر في ركابه، فلو أن مثل هذا العذر يقبل لأبيحت لخالد وأمّثاله المحارم، ولكان أسوأ مثل يضرب للمسلمين في احترام كتاب الله، لذلك لم يفتأ عمر يعيد عليّ أبي بكر، ويلحّ عليه، حتّى استدعى خالدًا وعنّفه...»<sup>(٢)</sup>.

وهل لنا أن نسأل الأستاذ هيكل وأمّثاله من علمائنا الذين يراوغون حفاظاً عليّ كرامة الصحابة، هل لنا أن نسألهم: لماذا لم يقم أبو بكر الحدّ عليّ خالد؟ وإذا كان عمر كما يقول هيكل مثال العدل الصارم، فلماذا اكتفى بعزله عن قيادة الجيش، ولم يقم عليه الحدّ الشرعي حتّى لا يكون ذلك أسوأ مثل يضرب للمسلمين في احترام كتاب الله كما ذكر؟

وهل احترمو كتاب الله وأقاموا حدود الله؟

(١) المصادر نفسها.

(٢) كتاب (الصدّيق أبو بكر) للأستاذ هيكل: ١٣٩.

كلا إنها السياسة وما أدراك ما السياسة؟ تصنع الأعاجيب وتقلب الحقائق، وتضرب بالنصوص القرآنية عرض الجدار.

وهل لنا أن نسأل بعض علمائنا الذين يروون في كتبهم أن رسول الله ﷺ غضب غضباً شديداً عندما جاء أسامة ليشفع لامرأة شريفة سرقته، فقال ﷺ: «ويحك أتشفع في حد من حدود الله، والله لو كانت فاطمة بنت محمد سرقته لقطعت يدها، إنما أهلك من كان قبلكم إذا سرق الشريف تركوه، وإذا سرق الضعيف أقاموا عليه الحد»<sup>(١)</sup>.

فكيف يسكتون عن قتل المسلمين الأبرياء، والدخول بنسائهم في نفس الليلة، وهن منكوبات بموت أزواجهن؟!

ويا ليتهم يسكتون! ولكنهم يحاولون تبرير فعل خالد باختلاق الأكاذيب، وبخلق الفضائل والمحاسن له حتى لقبوه بسيف الله المسلول!!

ولقد أدهشني بعض أصدقائي، وكان مشهوراً بالمزح وقلب المعاني، فكنت أذكر له مزايا خالد بن الوليد في أيام جهالتي، وقلت له: إنه سيف الله المسلول، فأجابني: إنه سيف الشيطان المشلول، واستغربت يومها، ولكن بعد البحث فتح الله بصيرتي، وعرفني قيمة هؤلاء الذين استولوا على الخلافة، وبدلوا أحكام الله وعطلوها، وتعذوا حدود الله واخترقوها.

وخالد بن الوليد له في حياة النبي قصة مشهورة، إذ بعثه النبي إلى بني جذيمة ليدعوهم إلى الإسلام ولم يأمره بقتالهم، فلم يحسنوا أن يقولوا أسلمنا، فقالوا: صباناً صباناً، فجعل خالد يقتل ويأسر بهم، ودفع الأسرى إلى أصحابه وأمرهم بقتلهم،

(١) صحيح البخاري ٨: ١٧ كتاب الحدود، صحيح مسلم ٥: ١١٤، كتاب الحدود،

باب قطع السارق، سنن النسائي ٨: ٧٣، سنن الدارمي ٢: ١٧٢، سنن أبي داود ٢:

٣٣٢، سنن الترمذي ٢: ٤٤٢، سنن البيهقي ٨: ٢٥٤، مجمع الزوائد ٦: ٢٥٩.

وامتنع البعض من قتلهم لما تبين لهم أنهم أسلموا، ولما رجعوا وذكروا ذلك للنبي ﷺ قال: «اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد بن الوليد - قالها مرتين -»<sup>(١)</sup>.

وبعث علي بن أبي طالب إلى بني جذيمة ومعه مال، فودى لهم الدماء وما أصيبت لهم من أموال حتى ودى لهم ميلغة الكلب، وقام رسول الله ﷺ فاستقبل القبلة قائماً شاهراً يديه إلى السماء حتى إنه ليرى ما تحت منكبیه، يقول: «اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد بن الوليد - ثلاث مرات -»<sup>(٢)</sup>.

فهل لنا أن نسأل: أين هي عدالة الصحابة المزعومة التي يدعونها؟! وإذا كان خالد بن الوليد وهو عندنا من عظمائنا حتى لقبناه بسيف الله، أفكان ربنا يسل سيفه ويسلّطه على المسلمين والأبرياء وعلى المحارم فيهتكها، ففي ذلك تناقض لأن الله ينهى عن قتل النفس، وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي. ولكنّه -أي خالد- في نفس الوقت يسل سيف البغي ليفتك بالمسلمين، ويهدر دماءهم وأمواهم، ويسبي نساءهم وذرايرهم، إن هذا زور من القول وبهتان مبین، سبحانه ربنا وبحمدك تباركت وتعاليت عن ذلك علواً كبيراً، سبحانه ما خلقت السماوات والأرض وما بينهما باطلاً، ذلك ظن الذين كفروا، فويل للذين كفروا من النار.

كيف جاز لأبي بكر وهو خليفة المسلمين أن يسمع بتلكم الجرائم الموبقة

(١) صحيح البخاري ٤: ١٧١، كتاب الأحكام، باب ٣٦، مسند أحمد ٢: ١٥١، سنن النسائي ٨: ٢٣٧، المصنّف للصنعاني ٥: ٢٢٢، صحيح ابن حبان ١١: ٥٤، الاستيعاب لابن عبد البر ٢: ٤٢٨، تغليق التعليق لابن حجر ٣: ٤٨٢.

(٢) شرح السير الكبير للسرخسي ١: ١٦٧، تاريخ الطبري ٢: ٣٤٢، البداية والنهاية ٤: ٣٥٨، السيرة النبوية لابن هشام ٤: ٨٨٤.

ويستكت عنها، بل ويدعو عمر بن الخطاب بأن يكفّ لسانه عن خالد، ويغضب عليّ أبي قتادة لإنكاره فعل خالد؟!

أكان مقتنعاً حقاً بأن خالد تأوّل فأخطأ؟ فأبيّ حجة بعد هذا عليّ المجرمين والفاسقين في هتكهم الحرمات وادّعائهم التأويل.

أما أنا فلا أعتقد بأنّ أبا بكر كان متأوِّلاً في أمر خالد الذي سمّاه عمر بن الخطاب بـ «عدو الله»، وكان من رأيه أن يقتل خالد لأنّه قتل امرءاً مسلماً، ويرجمه بالحجارة لأنّه زنى بزوجة مالك (ليلي)، ولم يكن شيء من ذلك قد وقع لخالد، بل خرج منها منتصراً عليّ عمر بن الخطاب؛ لأنّ أبا بكر وقف إلى جانبه، وهو يعلم حقيقة خالد أكثر من أيّ أحد.

فقد سجّل المؤرّخون بأنّه بعثه بعد تلك الواقعة المشينة إلى اليمامة التي خرج منها منتصراً، وتزوَّج في أعقابها بنتاً كما فعل مع ليلي، ولما تجفّ دماء المسلمين بعدُ ولا دماء أتباع مسيلمة، وقد عنّفه أبو بكر عليّ فعلته هذه بأشدّ ممّا عنّفه عليّ فعلته مع ليلي<sup>(١)</sup>.

ولا شك أن هذه البنت هي الأخرى ذات بعل، فقتله خالد ونزا عليها كما فعل بليلى زوجة مالك، وإلّا لما استحق أن يعنّفه أبو بكر بأشدّ ممّا عنّفه عليّ فعلته الأولى. عليّ أنّ المؤرّخين يذكرون نصّ الرسالة التي بعث بها أبو بكر إلى خالد بن الوليد، وفيها يقول: «لعمري يا بن أم خالد إنك لفارغ تنكح النساء، وبفناء بيتك دم ألف ومائتي رجل من المسلمين لم يجفّ بعد»<sup>(٢)</sup>.

ولما قرأ خالد هذا الكتاب قال: «هذا عمل الأعسر»، يقصد بذلك عمر بن

(١) الأستاذ هيكل في كتابه «الصدّيق أبو بكر»: ١٤٠.

(٢) تاريخ الطبري ٢: ٥١٩، الفتوح لابن أعمش ١: ٣٧.

## الخطاب!

فهذه من الأسباب القويّة التي جعلتني أنفر من أمثال هؤلاء الصحابة، ومن تابعيهم الذين يترضون عنهم، والذين يدافعون عنهم بكل حماس، ويتأولون النصوص، ويختلقون الروايات الخياليّة لتبرير أعمال أبي بكر، وعمر، وعثمان، وخالد بن الوليد، ومعاوية، وعمر وبن العاص وإخوانهم.

اللّهم إنّني أستغفرك وأتوب إليك..

اللّهم إنّني أبرأ إليك من أفعال هؤلاء وأقوالهم التي خالفت أحكامك، واستباححت حرمتك، وتعدّدت حدودك.

وأبرأ إليك من أتباعهم وأشياعهم ومن والاهم على بصيرة وعلم بكلّ ذلك، وأغفر لي ما سبق من موالاتهم إذ كنت من الجاهلين، وقد قال رسولك: « لا يعذر الجاهل بجهله ».

اللّهم إنّ ساداتنا وكبراءنا قد أضلّونا السبيل، وحجبوا عنّا الحقيقة، وصوّروا لنا الصحابة المنقليين بأنهم أفضل الخلق بعد رسولك، ولا شك إن آباءنا وأجدادنا كانوا ضحيّة الدّس والغشّ الذي توخّاه الأمويون ومن بعدهم العباسيون.

اللّهم فاغفر لهم ولنا فأنّ تعلم السرائر وما تخفي الصدور، وما كان حبّهم وتقديرهم واحترامهم لأولئك الصحابة إلّا عن حسن نيّة على أنهم أنصار رسولك محمّد صلواتك وسلامك عليه وأحباؤه.. وأنت تعلم - يا سيّدي - حبّهم وحبّنا للعترة الطاهرة، الأئمة الذين أذهبت عنهم الرّجس وطهّرتهم تطهيراً، وعلى رأسهم سيّد المسلمين، وأمير المؤمنين، وقائد الغرّ المحجّلين، وإمام المتّقين، سيّدنا علي بن أبي طالب.

واجعلني اللّهم من شيعتهم، ومن المتمسّكين بحبل ولائهم، والسائرين على

منها جهم، والراكبين في سفينتهم، والمستمسكين بعروتهم الوثقى، والداخلين من أبوابهم، والدائنين في محبتهم ومودّتهم، العاملين بأقوالهم وأفعالهم، والشاكرين لفضلهم ونوالهم.

اللهم واحشرنني في زمرةهم، فقد قال نبيك صلواتك عليه وعلى آله: « يحشر المرء مع من أحبَّ »<sup>(١)</sup>.

## ٢ - حديث السفينة:

قال رسول الله ﷺ: «إنما مثل أهل بيتي فيكم مثل سفينة نوح في قومه، من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق»<sup>(٢)</sup>.

(١) بحار الأنوار ٦٦: ٨١، العهود المحمدية للشعراني: ٤٢.

(٢) هذا الحديث رواه عدّة من الصحابة منهم: علي بن أبي طالب عليه السلام، وأبو ذر الغفاري، وأبو سعيد الخدري، وابن عباس، وعبد الله بن الزبير، وأنس بن مالك. وطرق الحديث إلى هؤلاء الصحب مستفيضة، وفقنا على سنّة طرق مختلفة في طبقاتها، وعدّة طرق تتداخل في بعض طبقاتها فراجع فضائل الصحابة لأحمد ابن حنبل ٢: ٧٨٥، المصنّف لابن أبي شيبة ٧: ٥٠٣، المعجم الكبير للطبراني ٣: ٤٤ - ٤٥، والمعجم الأوسط ٤: ١٠ و ٥ - ٣٠٦ - ٣٥٥ و ٦: ٨٥، المعجم الصغير ١: ١٩٣ و ٢: ٢٢، مستدرک الحاكم ٢: ٣٤٣ و ٣: ١٥١، تاريخ بغداد ١٢: ٩٠١، الحلية لأبي نعيم ٤: ٣٠٦، تاريخ الخلفاء للسيوطي: ٢٠٩، مجمع الزوائد للهيثمى ٩: ١٦٨، الجامع الصغير للسيوطي ٢: ٥٣٣. قال الحاكم في المستدرک ٢: ٣٤٣: «صحيح على شرط مسلم ولم يخّرجاه». وقال الحافظ السخاوي في استجلاب ارتقاء الغرف ٢: ٤٨٤ بعد ان ذكر عدّة طرق: «وبعض هذه الطرق يقوّي بعضها بعضاً». وقال ابن حجر الهيتمي في الصواعق: ٣٥٢: «وجاء من طرق كثيرة يقوّي بعضها



« وإِنَّمَا مِثْلُ أَهْلِ بَيْتِي فِيكُمْ مِثْلُ بَابِ حِطَّةٍ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ دَخَلَهُ غُفْرٌ لَهُ »<sup>(١)</sup>.

وقد أورد ابن حجر في كتابه الصواعق المحرقة هذا الحديث ثم قال: « ووجه تشبيههم بالسفينة أن من أحبهم وعظّمهم شكراً لنعمة مشرفهم، وأخذ بهدي علماءهم نجا من ظلمة المخالفات، ومن تخلف عن ذلك غرق في بحر كفر النعم، وهلك في مفاوز الطغيان.

➤ بعضاً مثل: أهل بيتي»، وفي رواية: «إِنَّمَا مِثْلُ أَهْلِ بَيْتِي، وَفِي أُخْرَى: إِنَّ مِثْلَ أَهْلِ بَيْتِي»، وفي رواية: «أَلَا إِنَّ مِثْلَ أَهْلِ بَيْتِي فِيكُمْ مِثْلُ سَفِينَةِ نُوحٍ فِي قَوْمِهِ مِنْ رَكِبَهَا نَجَا وَمَنْ تَخَلَّفَ عَنْهَا غَرِقَ»، وفي رواية: «مَنْ رَكِبَهَا سَلَّمَ وَمَنْ تَرَكَهَا غَرِقَ، وَإِنْ مِثْلَ أَهْلِ بَيْتِي فِيكُمْ مِثْلُ بَابِ حِطَّةٍ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ دَخَلَهُ غُفْرٌ لَهُ».

وفي جواهر العقدين: ٢٥٩ للسهمودي باباً باسم «ذكر أنهم أمان الأمة وأنهم كسفينة نوح عليه الصلاة والسلام، من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق».

فإذن الحديث صحيح لوجود طرق متعددة له يقوي بعضها الآخر، ولأجل ذلك حكم قسم من العلماء بصحته كما تقدّم ذكرهم، وطرق الحديث كالتالي عن عمرو بن ثابت عن سمّك بن حرب عن حنش عن الطبري في الأوسط ٥: ٣٥٥.

عن عطية عن أبي سعيد عن الطبراني في الأوسط ٦: ٨٥، وعن ابن عباس كما في حلية الأولياء ٤: ٣٠٦، وعن أنس بن مالك كما في تاريخ بغداد ١٢: ٩١، وعن عامر ابن واثلة كما في الكنى للدولابي ١: ٧٦، وعليه فما ذكره عثمان الخميس في كشف الجاني: ١١٦ غير صحيح لجهله بالطرق الأخرى للحديث، فهو ليس له طريق واحد حتى يحكم بضعفه وإتّما له طرق متعددة.

(١) الفضائل لأحمد ٢: ٧٨٥ ح ١٤٠٢، المعجم الصغير للطبراني ٢: ٢٢، الأوسط ٦: ٨٥، فرائد السمطين ٢: ٢٤٢ ح ٥١٦، جواهر العقدين ٢: ١٩٠، المناقب لابن المغازلي: ح ١٧٤ - ١٧٧، الصواعق المحرقة ٢: ٤٤٥، وقال: «وجاء من طرق عديدة يقوي بعضها بعضاً».

ووجه تشبيهِهم بباب حطّة، أنّ الله تعالى جعل دخول ذلك الباب الذي هو باب أريحا، أو بيت المقدس مع التواضع والاستغفار سبباً للمغفرة، وجعل لهذه الأئمة مودّة أهل البيت سبباً لهم<sup>(١)</sup>.

ويا ليتني أسأل ابن حجر هل كان من الذين ركبوا السفينة، ودخلوا الباب وأخذوا بهدي العلماء، أم أنّه من الذين يقولون ما لا يفعلون ويخالفون ما يعتقدون؟! وكثيرون هم أولئك الجهلة الذين عندما أسألهم واحتجّ عليهم يقولون لي: نحن أولى بأهل البيت وبالإمام عليّ من غيرنا، نحن نحترم أهل البيت ونقدّرهم، وليس هناك من ينكر فضلهم وفضائلهم!

نعم، يقولون بالسنتهم ما ليس في قلوبهم، أو أنّهم يحترمونهم ويقدّرونهم ولكن يقتدون ويقلّدون أعداءهم ومن قاتلهم وخالفهم، أو أنّهم في أغلب الأحيان لا يعرفون من هم أهل البيت، وإذا سألتهم: من هم أهل البيت؟ يجيبون على الفور: هم نساء النبي اللاتي أذهب الله عنهم الرّجس وطهّرهم تطهيراً.

وقد كشف لي أحدهم عن هذا اللّغز عندما سألته وأجابني قائلاً: أهل السنّة والجماعة كلّهم يقتدون بأهل البيت.

وتعجّبت وقلت: كيف ذلك؟

فقال: قال رسول الله: «خذوا نصف دينكم عن هذه الحميراء»<sup>(٢)</sup> يعني

(١) الصواعق المحرقة ٢: ٤٤٦، الآيات الواردة فيهم، الآية السابعة.

(٢) ورد بلفظ: «خذوا شطر دينكم...» في كلّ من: المبسوط للسرخسي ١٠: ١٦٣ تحفة الأحوذني ١٠: ٢٥٩، تذكرة الموضوعات: ١٠٠، كشف الخفاء ١: ٣٧٤، إرواء الغليل ١: ١٠، الأحكام للآمدي ١: ٢٤٨، البداية والنهاية ٣: ١٥٩، السيرة النبويّة لابن كثير ٢: ١٣٧، النهاية في غريب الحديث ١: ٤٣٨، لسان العرب ٤: ٢٠٩، تاج العروس ٦: ٣٠١.

عائشة، فنحن أخذنا نصف الدين عن أهل البيت!!

وعلى هذا الأساس يفهم كلامهم حول احترام وتقدير أهل البيت، أمّا إذا سألتهم عن الأئمة الاثني عشر فلا يعرفون منهم غير علي والحسن والحسين، مع أنّهم لا يقولون بإمامة الحسين، وهم يحترمون معاوية بن أبي سفيان الذي دس السم للحسن فقتله ويسمونه « كاتب الوحي » وعمرو بن العاص كاحترامهم الإمام علي عليه السلام!!

إنّ التناقض والخلط والتلبس، تلبس الحقّ بالباطل، وتغليف الضياء بالظلام، والإكيف يجتمع في قلب المؤمن حبّ الله والشيطان، قال الله في كتابه المجيد: ﴿ لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾<sup>(١)</sup>.

وقال أيضاً عزّ من قائل: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ ﴾<sup>(٢)</sup>.

### ٣- حديث من سرّه أن يحيا حياتي:

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: « من سرّه أن يحيا حياتي، ويموت مماتي، ويسكن جنّة عدن غرسها ربّي، فليوال عليّاً من بعدي وليوال وليّه، وليقتد بأهل بيتي من بعدي، فإنّهم عترتي خلقوا من طينتي، ورزقوا فهمي وعلمي، فويل للمكذّبين بفضلهم من

(١) سورة المجادلة: ٢٢.

(٢) سورة الممتحنة: ١.

أمتي، القاطعين فيهم صلتني، لا أنالهم الله شفاعتي»<sup>(١)</sup>.

وهذا الحديث هو كما نرى من الأحاديث الصريحة التي لا تقبل التأويل، ولا تترك للمسلم أي اختيار بل تقطع عليه كل حجة، وإذا لم يُوال علياً ويقنَد بأهل البيت عترة الرسول، فهو محروم من شفاعته جدّهم رسول الله ﷺ.

وتجدد الإشارة هنا بأنه خلال البحث الذي قمت به شكّكت في البدء في صحّة هذا الحديث واستعظمته، لما فيه من تهديد ووعيد لمن كان على خلاف مع علي وأهل البيت، وخصوصاً أن هذا الحديث لا يقبل التأويل، وخفت الوطأة عندما قرأت في كتاب الإصابة لابن حجر العسقلاني بعدما أخرج الحديث قوله: «قلت في إسناده يحيى بن يعلى المحاربي وهو واه»<sup>(٢)</sup>.

وأزال ابن حجر بهذا القول بعض الإشكال الذي علق بذهني إذ تصوّرت أن يحيى بن يعلى المحاربي هو واضع الحديث وهو ليس بثقة، ولكن الله سبحانه وتعالى أراد أن يوقفني على الحقيقة بكاملها.

(١) أخرجه الحاكم في المستدرک ٣: ١٢٨، وقال: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرّجاه»، وأبو نعيم في الحلية ٤: ٣٨٧، والطبراني في المعجم الكبير ٥: ١٩٤، وابن عساكر في تاريخ دمشق ٤٢: ٢٤٢ من طريق يحيى بن يعلى الأسلمي، مع تفاوت في بعض الألفاظ من حيث الزيادة والنقصان، رواه الرافعي في كتاب تدوين أخبار قزوين ٢: ٤٨٥.

والحديث سنده حسن، لأن طرق الحديث متعدّدة وليس الطريق منحصرّاً بيحيى بن يعلى الأسلمي الذي ضعّفوه، وإن أخرج له ابن حبان في صحيحه ١٥: ٣٩٣، وحسن له الألباني في سنن الترمذي حديثه ٢: ٢٦٩.

(٢) الإصابة ٢: ٤٨٥ رقم ٢٨٧٢، وهو غفلة منه؛ لأنّ في السند الأسلمي وليس المحاربي.

وقرأت يوماً كتاب « مناقشات عقائدية في مقالات إبراهيم الجبهان »<sup>(١)</sup>، وأوقفني هذا الكتاب على جليّة الحال، إذ تبين أن يحيى بن يعلى المحاربي هو من الثقات الذين اعتمدتهم الشيخان مسلم والبخاري.

وتتبعت بنفسني فوجدت البخاري يخرج له أحاديث في باب غزوة الحديبية من جزئه الثالث في صفحة عدد ٣١، كما أخرج له مسلم في صحيحه في باب الحدود من جزئه الخامس في صفحة عدد ١١٩، والذهبي نفسه - على تشدده - أرسل توثيقة إرسال المسلمات، وقد عدّه أئمة الجرح والتعديل من الثقات واحتجّ به الشيخان. فلماذا هذا الدسّ والتزوير، وتقليب الحقائق، والطعن في رجل ثقة احتجّ به أهل الصحاح؟ لأنه ذكر الحقيقة الناصعة في وجوب الاقتداء بأهل البيت عليهم السلام، فكان جزاؤه من ابن حجر التوهين والتضعيف، وقد فات ابن حجر أن من ورائه علماء جهابذة يحاسبونه على كل صغيرة وكبيرة، ويكشفون تعصّبه وجهله؛ لأنهم يستضيئون بنور النبوة، ويهتدون بهدي أهل البيت عليهم السلام.

وعرفت بعد ذلك أن بعض علمائنا يحاولون جهدهم تغطية الحقيقة؛ لئلا ينكشف أمر الصحابة والخلفاء الذين كانوا أمراءهم وقدوتهم، فتجدهم مرّة يتأولون الأحاديث الصحيحة الثابتة ويحملونها غير معانيها، ومرّة يكذبون الأحاديث التي تناقض مذهبهم وإن وردت في صحاحهم وأسانيدهم، ومرّة يحذفون من الحديث نصفه أو ثلثيه ليبدلوه بكذا وكذا!! ومرّة يشككون في الرواة الثقات لأنهم حدّثوا بما لا تهوى أنفسهم، ومرّة يخرجون الحديث في الطبعة الأولى ويحذفونه في الطبعات الأخرى بدون أيّ إشارة إلى مبرّر الحذف، رغم أن المطلّعين يدركون سبب ذلك!!

(١) مناقشات عقائدية في مقالات إبراهيم الجبهان: ٢٨.

وقد تحقّق لديّ كلّ هذا بعد البحث والتمحيص، وعندني أدلّة قاطعة على ما أقول: فليتّهم إذ يحاولون عبثاً كلّ هذه المحاولات لتبرير أعمال الصحابة الذين انقلبوا على الأعقاب، فجاءت أقوالهم متناقضة بعضها مع بعض ومتناقضة مع التاريخ، ليتّهم اتّبّعوا الحقّ ولو كان مرّاً إذ الأراحووا واستراحووا، ولكنوا سبباً في جمع شمل هذه الأُمَّة المتمزّقة والمتناحرة لا لشيء إلا لتأييد أقوالهم أو تنفيذها.

وإذا كان بعض الصحابة الأوّلين غير ثقات في نقل الأحاديث النبويّة الشريفة، فيبطلون منها ما لا يتماشى وأهواءهم، وخصوصاً إذا كانت هذه الأحاديث من الوصايا التي أوصى بها رسول الله ﷺ عند وفاته، فقد أخرج البخاري ومسلم بأن رسول الله أوصى عند موته بثلاث:

✽ أخرجوا المشركين من جزيرة العرب.

✽ أجيروا الوفد بنحو ما كنت أجيروهم...

ثمّ يقول الراوي: ونسيت الثالثة<sup>(١)</sup>.

فهل يعقل أن الصحابة الحاضرين الذين سمعوا وصايا الرسول الثلاث عند موته ينسون الوصية الثالثة، وهم الذين كانوا يحفظون القصائد الشعريّة الطويلة بعد سماعها مرّة واحدة؟ كلا ولكن السياسة هي التي أجبرتهم على نسيانها وعدم ذكرها، إنّها مهزلة أخرى من مهازل هؤلاء الصحابة، ولأنّ الوصية الأولى لرسول الله كانت بلا شك استخلاف علي بن أبي طالب فلم يذكرها الراوي.

(١) صحيح البخاري ٤: ٣١، باب ١٧٦ جوائز الوفد من كتاب الجهاد والسير،

صحيح مسلم ٥: ٧٥، كتاب الوصيّة، باب ترك الوصيّة لمن ليس له شيء يوصي

فيه، سنن أبي داود ٢: ٤١، السنن الكبرى ٩: ٢٠٧، المصنّف للصنعاني ٦: ٥٧،

مسند أبي يعلى الموصلي ٤: ٢٩٨، نصب الراية للزيلعي ٤: ٣٤٣.

مع أن الباحث في هذه المسألة يجد رائحة الوصية لعلي تفوح رغم كتمانها وعدم ذكرها، فقد أخرج البخاري في صحيحه في كتاب الوصايا، كما أخرج مسلم أيضاً في صحيحه في كتاب الوصية أنه ذكر عند عائشة أن النبي أوصى إلى علي<sup>(١)</sup>. أنظر كيف يظهر الله نوره ولو ستره الظالمون.

أعود فأقول: إذا كان هؤلاء الصحابة غير ثقات في نقل وصايا رسول الله، فلا لوم بعد ذلك على التابعين وتابعي التابعين.

وإذا كانت عائشة أم المؤمنين لا تطيق ذكر اسم علي<sup>عليه السلام</sup>، ولا تطيب لها نفساً بخير - كما ذكر ذلك ابن سعد في طبقاته والبخاري في صحيحه (باب مرض النبي ووفاته)<sup>(٢)</sup>، وإذا كانت تسجد لله شكراً عندما سمعت بموته، فكيف يرجى منها ذكر الوصية لعلي، وهي من عرفت لدى الخاص والعام بعدائها وبغضها لعلي وأولاده ولأهل بيت المصطفى.

فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

(١) صحيح البخاري ٣: ١٨٦، كتاب الوصايا، باب ١، صحيح مسلم ٥: ٧٥، كتاب الوصية، باب ترك الوصية، مسند أحمد ٦: ٣٢.

(٢) الطبقات الكبرى ٢: ٢٣٢ في ذكر مرض النبي ﷺ قال: «قالت عائشة: ... فخرج بين رجلين تخط رجلاه في الأرض بين ابن عباس - تعني الفضل - ورجل آخر، قال عبيد الله: فأخبرت ابن عباس بما قالت، قال: فهل تدري من الرجل الآخر الذي لم تسمّ عائشة؟ قال: قلت: لا، قال ابن عباس: هو علي، إن عائشة لا تطيب له نفساً بخير...»، وفي مسند أحمد ٦: ٢٢٨، وإرواء الغليل ١: ١٧٨ بتحقيق الشيخ الألباني وقال عنه: «وسنده صحيح».

وفي صحيح البخاري ٧: ١٨ كتاب الطب، لكن بترها ولم يورد: «إن عائشة لا تطيب له نفساً بخير»، وكذلك مسلم في صحيحه ٢: ٢٢، كتاب الأذان، باب استخلاف الإمام إذا عرض له عذر.





مصيبتنا في  
الاجتهاد مقابل النصوص

---

---

---



## مصيبتنا في الاجتهاد مقابل النصوص

استنتجت من خلال البحث أن مصيبة الأمة الإسلامية انجرت عليها من الاجتهاد الذي دأب عليه الصحابة مقابل النصوص الصريحة، فاخرقت بذلك حدود الله، ومحقت السنة النبوية، وأصبح العلماء والأئمة بعد الصحابة يقيسون على اجتهادات الصحابة، ويرفضون بعض الأحيان النص النبوي إذا تعارض مع ما فعله أحد الصحابة، أو حتى النص القرآني، ولست مبالغاً.

وقد قدّمت كيف أنهم رغم وجود النص على التيمم في كتاب الله وسنة الرسول الثابتة.. رغم كل ذلك اجتهدوا، فقالوا بترك الصلاة مع فقد الماء، وقد علّل عبد الله بن عمر اجتهاده بالتحو الذي أشرنا إليه في مكان آخر من بحثنا.

ومن أوائل الصحابة الذين فتحوا هذا الباب على مصراعيه هو الخليفة الثاني الذي استعمل رأيه مقابل النصوص القرآنية بعد وفاة الرسول ﷺ، فعطل سهم المؤلف قلوبهم الذين فرض الله لهم سهماً من الزكاة، وقال: « لا حاجة لنا فيكم ». أما اجتهاده في النصوص النبوية فلا يحصى، وقد اجتهد في حياة الرسول نفسه وعارضه عدّة مرّات، وقد أشرنا في ما سبق إلى معارضته في صلح الحديبية، وفي منع كتابة الكتاب وقوله: « حسينا كتاب الله ».

وقد وقعت له حادثة أخرى مع رسول الله ﷺ لعلها تعطينا صورة أوضح لنفسية عمر، الذي أباح لنفسه أن يناقش ويجادل ويعارض صاحب الرسالة، تلك هي حادثة التبشير بالجنة، إذ بعث رسول الله ﷺ أبا هريرة وقال له: « من لقيته من وراء هذا الحائط يشهد أن لا إله إلا الله مستيقناً بها قلبه فبشره بالجنة »، فخرج

ليبشر فلقية عمر ومنعه من ذلك وضربه حتى سقط على أسته.

فرجع أبو هريرة إلى رسول الله وهو يبكي، وأخبره بما فعل عمر، فقال رسول الله لعمر: « ما حملك على ما فعلت »؟

قال: هل أنت بعثته ليبشر بالجنة من قال لا إله إلا الله مستيقناً بها قلبه؟

قال رسول الله: « نعم ».

قال عمر: لا تفعل فإنني أخشى أن يتكل الناس على لا إله إلا الله<sup>(١)</sup>!

وهذا ابنه عبد الله بن عمر يخشى أن يتكل الناس على التيمم فيأمرهم بترك الصلاة! وباليتهم تركوا النصوص كما هي، ولم يبدلوا باجتهاداتهم العقيمة التي تؤدّي إلى محو الشريعة، وانتهاك حرّامات الله، وتشيت الأئمة في متاهات المذاهب المتعدّدة، والآراء المتشعبة، والفرق المتناحرة.

ومن مواقف عمر المتعدّدة اتّجاه النبي وسنته نفهم بأنّه ما كان يعتقد يوماً بعصمة الرسول، بل كان يرى أنه بشر يخطئ ويصيب.

ومن هنا جاءت الفكرة لعلماء السنّة والجماعة بأنّ رسول الله معصوم في تبليغ القرآن فقط، وما عدا ذلك فهو يخطيء كغيره من البشر، ويستدلّون على ذلك بأن عمر صوّب رأيه في العديد من القضايا.

وإذا كان رسول الله ﷺ - كما يروي البعض من الجهلة - يقبل مزمارة الشيطان في بيته، وهو مستلق على ظهره، والنسوة يضربن الدفوف، والشيطان يلعب ويمرح إلى جانبه، حتى إذا دخل عمر بن الخطّاب هرب الشيطان، وأسرع

(١) صحيح مسلم ١: ٤٤، كتاب الإيمان، باب من لقي الله بالإيمان، فتح الباري ١:

٢٠٢، صحيح ابن حبان ١٠: ٤٠٩، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٢: ٥٦،

رياض الصالحين: ٣٥٦، تفسير الألوسي ٢٦: ٦٠.

النسوة فخبأن الدفوف تحت أستهن، وقال رسول الله لعمر: « ما رأك الشيطان سالكاً فجاً حتى سلك فجاً غير فجك »<sup>(١)</sup>. فلا غرابة إذاً أن يكون لعمر بن الخطاب رأي في الدين، وأن يسمح لنفسه بمعارضة النبي في الأمور السياسيّة، وحتى في الأمور الدينيّة، كما تقدّم في تبشير المؤمنين بالجنّة.

ومن فكرة الاجتهاد واستعمال الرأي مقابل النصوص، نشأت أو تكوّنت مجموعة من الصحابة وعلى رأسهم عمر بن الخطاب، وقد رأيناهم يوم الرزيّة كيف ساندوا وعضدوا رأي عمر مقابل النصّ الصريح.

ومن ذلك أيضاً نستنتج بأنّ هؤلاء لم يقبلوا يوماً نصوص الغدير التي نصّب بها النبي ﷺ عليّاً خليفة له على المسلمين، وتحيّوا الفرصة السانحة لرفضها عند وفاة النبي، فكان اجتماع السقيفة وانتخاب أبي بكر من نتيجة هذا الاجتهاد.

ولما استتبّ لهم الأمر وتناسى الناس نصوص النبي في خصوص الخلافة، بدأوا يجتهدون في كلّ شيء، حتى استطالوا على كتاب الله فعطلّوا الحدود، وأبدلوا الأحكام.

فكانت مأساة فاطمة الزهراء بعد مأساة زوجها وإبعاده عن منصّة الخلافة، ثمّ كانت مأساة قتل مانعي الزكاة، وكل ذلك من الاجتهاد مقابل النصوص، ثمّ كانت خلافة عمر بن الخطاب نتيجة حتميّة لذلك الاجتهاد، إذ إنّ أبا بكر اجتهد برأيه وأسقط الشورى التي كان يستدل بها هو نفسه على صحّة خلافته، وزاد عمر في

(١) صحيح البخاري ٧: ٩٣، كتاب الأدب، باب الإخاء والحلف، صحيح مسلم ٧: ١١٥، كتاب فضائل الصحابة، باب فضل عمر، مسند أحمد ١: ١٧١، السنن الكبرى ٦: ٦٠، مسند أبي يعلى ٢: ١٣٣، صحيح ابن حبان ١٥: ٣١٦ وغيرها من المصادر.

الطَّيْنُ بَلَّةٌ عندما ولي أمور المسلمين، فأحلَّ ما حرَّم الله ورسوله<sup>(١)</sup>، وحرَّم ما أحلَّ الله ورسوله<sup>(٢)</sup>.

ولما جاء عثمان بعده ذهب شوطاً بعيداً في الاجتهاد، فبالغ أكثر ممَّن سبقوه، حتَّى أثر اجتهاده في الحياة السياسيَّة والدينيَّة بوجه عام، فقامت الثورة ودفع حياته ثمن اجتهاده.

ولما ولي الإمام عليُّ أمور المسلمين وجد صعوبة كبيرة في إرجاع النَّاسِ إلى السُّنَّةِ النّبويَّةِ الشريفة وحظيرة القرآن، وحاول جهده أن يزيل البدع التي أدخلت في الدِّين، ولكن بعضهم صاح: «واسنَّة عمراه»<sup>(٣)</sup>!

وأكاد اعتقد وأجزم بأنَّ الذين حاربوا الإمام عليّاً وخالفوه إنَّما فعلوا ذلك لأنَّه - سلام الله عليه - حملهم على الجادَّة، وأرجعهم إلى النَّصوص الصحيحة، مميتاً بذلك كل البدع والاجتهادات التي ألصقت بالدِّين طوال ربع قرن، وقد ألفها الناس وخاصَّة منهم أصحاب الأهواء والأطماع الدنيويَّة، الذين اتخذوا مال الله دولاً وعباد الله خولاً، وكدَّسوا الذَّهَبَ والفضَّة، وحرَموا المستضعفين من أبسط الحقوق التي شرَّعها الإسلام.

وقد نجد أن المستكبرين في كلِّ عصر يميلون إلى الاجتهاد ويطبِّلون له؛ لأنَّه يفسح لهم المجال للوصول إلى ما ربه من كلِّ طريق، أمَّا النَّصوص فتقطع عليهم وجهتهم، وتحول بينهم وبين ما يرومون.

(١) كقضية إمضاءه الطَّلاق الثلاث صحيح مسلم ٤: ٨٤، باب الطَّلاق الثلاث من كتاب الطَّلاق، سنن أبي داود ١: ٣٤٤ (المؤلَّف).

(٢) كتحريمه متعة الحجِّ ومتعة النساء صحيح مسلم كتاب الحجِّ، صحيح البخاري كتاب الحجِّ باب التمتع (المؤلَّف).

(٣) الشافعي للمرئضى ٤: ٢١٩، وتلخيص الشافعي للطوسي ٤: ٥٢.

ثم إنَّ الاجتهاد وجد له أنصاراً في كلِّ عصرٍ ومصرٍ حتَّى من المستضعفين أنفسهم لما فيه من سهولة التطبيق وعدم الالتزام.

ولأنَّ النَّصَّ فيه التزام وعدم حرّية، وقد يسمّى عند رجال السياسة الحكم الثيوقراطي، يعني (حكم الله)، ولأنَّ الاجتهاد فيه حرّية وعدم الالتزام بالقيود، فيسمّونه الحكم الديمقراطي، يعني (حكم الشعب) فالذين اجتمعوا في السقيفة بعد وفاة النبي ﷺ ألغوا الحكومة الثيوقراطية التي أسسها رسول الله على مبدأ النَّصوص القرآنية، وأبدلوها بحكومة ديمقراطية يختار الشعب فيها من يراه صالحاً لقيادته، على أن أولئك الصحابة لم يكونوا يعرفوا كلمة «الديمقراطية» لأنها ليست عربيّة، ولكنهم يعرفون نظام الشورى<sup>(١)</sup>.

فالذين لا يقبلون النَّصَّ على الخلافة اليوم هم أنصار «الديمقراطية»، ويفتخرون بذلك، مدّعين أن الإسلام هو أوّل من ارتأى هذا النّظام، وهم أنصار الاجتهاد والتجديد، وهم اليوم أقرب ما يكونون من النظم الغربيّة، ولذلك نسمع اليوم من الحكومات الغربيّة تمجيداً لهؤلاء، وتسميتهم بالمسلمين المتطوّرين والمتسامحين.

أما الشّيعّة أنصار «الثيوقراطية» أو حكومة الله يرفضون الاجتهاد مقابل النَّصِّ، ويفرّقون بين حكم الله والشورى، فالشورى عندهم لا علاقة لها بالنّصوص، وإنّما الاجتهاد والشورى في ما لا نصّ فيه.

أفلا ترى أن الله سبحانه هو الذي اختار رسوله محمّداً، ومع ذلك قال له: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾<sup>(٢)</sup>.

(١) رغم أنّه في الواقع لم يحصل حتّى هذا النوع من الانتخاب إذ إنّ الذين انتخبوا لا يملكون حقّ تمثيل الأمّة بأيّ وجه من الوجوه (المؤلّف).

(٢) سورة آل عمران: ١٥٩.

أما فيما يتعلق باختيار القادة الذين يقودون البشرية قال: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ﴾<sup>(١)</sup>.

فالشَّيعة عندما يقولون بخلافة الإمام عليّ بعد رسول الله إنّما يتمسكون بالنّص، وهم عندما يطعنون في بعض الصحابة إنّما يطعنون في الذين أبدلوا النّص بالاجتهاد، فضيّعوا بذلك حكم الله ورسوله، وفتحوا في الإسلام رتقاً لم يلتئم حتّى اليوم.

ومن أجل هذا أيضاً نجد الحكومات الغربيّة ومفكرّهم ينبذون الشَّيعة، ويسمّونهم بالتعصّب الدّيني، ويسمّونهم رجعيّين؛ لأنّهم يريدون الرجوع إلى القرآن الذي يقطع يد السارق، ويرجم الزاني، ويأمر بالجهاد في سبيل الله، وكلّ ذلك عندهم عنجهيّة بربريّة.

وفهمت خلال هذا البحث لماذا أغلق بعض علماء أهل السنّة والجماعة باب الاجتهاد منذ فقهاء القرن الثاني للهجرة، فربما كان ذلك لما جرّه هذا الاجتهاد على الأئمة من ويلات ومصائب وخطوب وحروب دامية أكلت الأخضر واليابس، وقد أبدل الاجتهاد خير أئمة أخرجت للناس أئمة متناحرة متقاتلة، تسودها الفوضى، وتحكم فيها القبليّة، وتنقلب من الإسلام إلى الجاهليّة.

أمّا الشَّيعة الذين بقي عندهم باب الاجتهاد مفتوحاً ما دامت النصوص قائمة، ولا يمكن لأيّ أحد تبديلها، وأعانهم على ذلك وجود الأئمة الاثني عشر الذين ورثوا علم جدّهم، فكانوا يقولون: ليس هناك مسألة إلاّ والله حكم فيها، وقد بيّنه رسول الله ﷺ.

ونفهم أيضاً بأنّ أهل السنّة والجماعة لما اقتدوا بالصحابة المجتهدين الذين منعوا كتابة السنّة النبويّة، وجدوا أنفسهم مضطّرين أمام غياب النصوص للاجتهاد

(١) سورة القصص: ٦٨.



بالرأي والقياس، والاستصحاب، وسدّ باب الذرائع إلى غير ذلك.  
ونفهم أيضاً من كلّ ذلك بأنّ الشيعة التفّوا حول الإمام علي، وهو باب مدينة العلم، والذي كان يقول لهم: « سلوني عن كلّ شيء، فقد علّمني رسول الله ألف باب من العلم يفتح لكلّ باب ألف باب »<sup>(١)</sup>. وغير الشيعة التفّوا حول معاوية بن أبي سفيان الذي لم يكن يعرف من سنّة النبي إلا قليلاً.

وأصبح إمام الفئة الباغية، أميراً للمؤمنين، بعد وفاة الإمام علي، فعمل في دين الله برأيه أكثر من الذين سبقوه، وأهل السنّة والجماعة يقولون بأنّه كاتب الوحي، وأنّه من العلماء المجتهدين!

كيف يحكمون باجتهاده وقد دسّ السم للحسن بن علي سيّد شباب أهل الجنّة فقتله؟ ولعلّهم يقولون: هذا أيضاً من اجتهاده فقد اجتهد وأخطأ!

كيف يحكمون باجتهاده وقد أخذ البيعة من الأئمة بالقوّة والقهر لنفسه، ثمّ لابنه يزيد من بعده، وحوّل نظام الشورى إلى الملكيّة القيصريّة؟

كيف يحكمون باجتهاده ويعطوه أجراً، وقد حمل النّاس على لعن علي وأهل البيت ذريّة المصطفى من فوق المنابر، وأصبحت سنّة متبّعة لستين عاماً؟!

وكيف يسمّونه (كاتب الوحي) وقد نزل الوحي على رسول الله ﷺ طيلة ثلاثة وعشرين عاماً، كان معاوية لأحد عشر عاماً منها مشركاً بالله ولمّا أسلم بعد الفتح لم نعثر على رواية تقول بأنه سكن المدينة، في حين أن رسول الله ﷺ لم يسكن مكة بعد الفتح.. فكيف تسنّى لمعاوية كتابة الوحي يا ترى؟!

فلا حول ولا قوّة إلا بالله العلي العظيم، والسؤال يعود دائماً: أيّ الفريقين على الحقّ وأيّهما على الباطل؟ فأما أن يكون عليّ وشيعته ظالمين وعلى غير الحقّ، وأما

(١) ينابيع المودّة ١: ٢٢٢ ح ٤٣ عن فرائد السمطين ١: ١٠١ ح ٧٠، بحذف أوّله.

أن يكون معاوية وأتباعه ظالمين وعلى غير الحق.  
وقد أوضح رسول الله ﷺ كل شيء، غير أن بعض مدعي أتباع السنة  
يبغونها عوجاً.

وقد أتضح لي من خلال البحث ومن خلال الوقوف على الدفاع عن معاوية  
أنهم (المدافعين) أتباع معاوية وبني أمية، وليسوا كما يدعون أتباع السنة النبوية،  
وخصوصاً إذا تتبعت مواقفهم، فهم يكرهون شيعة علي، ويحتفلون بيوم عاشوراء  
عيداً، ويدافعون عن الصحابة الذين آذوا رسول الله في حياته وبعد وفاته،  
ويصححون أخطاءهم، ويبررون أعمالهم.

تُرى كيف تحبّون علياً وأهل البيت وتترضّون في نفس الوقت على أعدائهم  
وقاتليهم؟!

كيف تحبّون الله ورسوله، وتدافعون عن من بدّل أحكام الله ورسوله، واجتهد  
وتأول برأيه في أحكام الله؟!

كيف تحترمون من لم يحترم رسول الله، بل يرميه بالهجر ويطعن في إمارته؟!  
كيف تقلّدون أئمة نصبتهم الدولة الأموية أو الدولة العباسية لأمر سياسية،  
وتتركون الأئمة الذين نصّ عليهم رسول الله بعددهم<sup>(١)</sup> وبأسمائهم<sup>(٢)</sup>؟!

كيف تقلّدون من لم يعرف النبي حق معرفته، وتتركون باب مدينة العلم، ومن  
كان منه بمنزلة هارون من موسى؟!

(١) مسند أحمد ٨٧:٥، صحيح البخاري ٨:١٢٧، كتاب الأحكام، صحيح مسلم ٦:٣،  
كتاب الأمانة، باب الناس تبع لقريش، سنن أبي داود ٢:٣٠٩، المستدرک على  
الصحيحين ٣:٦١٧، مجمع الزوائد ٥:١٧٨، المصنّف لابن أبي شيبة ٧:٤٩٢.

(٢) ينابيع المودة للقندوزي الحنفي ٣:٢٨١.

من الذي أطلق

مصطلح أهل السنّة والجماعة!؟

---

---

---



## من الذي أطلق

### مصطلح أهل السنة والجماعة!؟

لقد بحثت في التاريخ فلم أجد إلا أنهم اتفقوا على تسمية العام الذي استولى فيه معاوية على الحكم بعام الجماعة، وذلك أن الأمة انقسمت بعد مقتل عثمان إلى قسمين: شيعة علي وأتباع معاوية، ولما استشهد الإمام علي واستولى معاوية على الحكم بعد الصلح الذي أبرمه مع الإمام الحسن، وأصبح معاوية هو أمير المؤمنين، سُمِّي ذلك العام بعام الجماعة.

إذن فالتسمية بأهل السنة والجماعة دالة على اتباع سنة معاوية والاجتماع عليه، وليست تعني اتباع سنة رسول الله.

فالأئمة من ذريته وأهل بيته أدرى وأعلم بسنة جدّهم من الطلقاء، وأهل البيت أدرى بما فيه، وأهل مكة أدرى بشعابها، ولكننا خالفنا الأئمة الاثني عشر الذين نصّ عليهم رسول الله ﷺ واتبعنا أعداءهم.

ورغم اعترافنا بالحديث الذي ذكر فيه رسول الله اثني عشر خليفة كلهم من قريش<sup>(١)</sup>، إلا أننا نتوقف دائماً عند الخلفاء الأربعة.

---

(١) ولا يخفى أن الحديث لا يدلّ على لزوم تصدّي هؤلاء الاثني عشر للحكم

الظاهري، فلا يقدح فيه عدم جريان أحكام بعض الأئمة عليهم السلام في الظاهر، ولهذا قال عليه السلام مشيراً إلى الحسنين: «إبناي هذان إمامان قاما أو قعدا»، فالحديث يدل على أن أمر الناس سيكون ماضياً والإسلام سيكون عزيزاً إذ وليهم اثنا عشر خليفة، فما دام لم يليهم هؤلاء لم يكونوا أعزاً بل أصيبوا طيلة حياتهم منذ وفاة الرسول الأكرم عليه السلام إلى يومنا هذا بأنواع الفتن والمحن، وهذا نظير قوله تعالى: «وَأَلَّوْا اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَهُمْ مَاءً غَدَقًا» فيما أنهم لم يستقيموا لم يسقوا، وبما إن المسلمين لم يتمسكوا بهؤلاء الاثني عشر لم يكونوا أعزاً. ثم إن هذا الحديث من المعاجز النبوية ومن الأمور الغيبية التي أخبر بها نبي الرحمة عليه السلام، وقد أثبتتها الرواة ورووها قبل اكتمال عدد الأئمة عليهم السلام فلا يحتمل فيها الوضع من قبل الشيعة، ولا يقدح في تمسكنا به افتراق بعض الشيعة، فإن الضلال له أسباب ودوافع مختلفة منها المعاندة، قال تعالى: «وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ»، فافتراق بعض الشيعة وانحرافهم عن الصراط المستقيم لا يدل على عدم صحة تمسكنا بهذا الحديث.

ثم إنه لا يقال: «إن النبي عليه السلام أبلغ الناس ولا يذكر الأعم وهو قوله: كلهم من قريش، ويريد الأخص وهو علي وأولاده، فهذا خلاف البلاغة».

لأننا نقول:

أولاً: ذكر العام وإرادة الخاص يكون قبيحاً فيما إذا لم تكن هناك قرائن متصلة أو منفصلة تعين المراد، وهذه القرائن بحمد الله موجودة سواء كانت متصلة أو منفصلة، أما القرائن المتصلة فيدل على وجودها النظر في متن الحديث وما وقع الضحيج والغوغاء بعد تكلم الرسول عليه السلام بحيث لم يسمع الراوي تمام الحديث ولذا اضطرر بالسؤال من أبيه أو عمه أو غيرهما - كما ورد في الأحاديث - فقد جاء في مسند أحمد ٥: ٩٣: «ثم تكلم بكلمة لم أفهمها وضج الناس»، وفي لفظ الطبراني ٢: ١٩٦: «ثم لغط الناس وتكلموا فلم أفهم قوله بعد كلهم»، وفي المعجم

ولعلّ معاوية الذي سمّانا بأهل السنّة والجماعة كان يقصد الاجتماع على السنّة التي سنّها بسبّ عليّ وأهل البيت، والتي استمرّت ستّين عاماً، ولم يقدر على إزالتها

☞ أيضاً ٢: ٢٤٩: «ثمّ تكلم بشيء لم أسمعه فزعم القوم أنّه قال: كلّهم من قريش» فهذه النصوص وغيرها، تدلّ على وجود قرائن في الكلام حاول البعض إخفاءها كما فعلوا فيما بعد عند مرضه صلى الله عليه وآله من لغتهم واختلافهم. وفي لفظ كفاية الأثر للخزّاز القمي ص ١٠٦ هكذا جاء: «الأئمّة بعدي اثنا عشر كلّهم من قريش تسعة من صلب الحسين والمهدي منهم» وهذا هو المعوّل عندنا. وأما القرائن المنفصلة فهي كثيرة منها: حديث الثقلين، ومنها: ما ورد عن عليّ عليه السلام كما في النهج الخطبة ١٤٢ حيث قال: «إنّ الأئمّة من قريش في هذا البطن من هاشم لا تصلح على سواهم ولا يصلح الولاية من غيرهم».

ثانياً: لو فرضنا أنّ القرائن اللفظيّة انعدمت لكن العقل هو الحاكم هنا وهو الذي يخصّص هذا العموم، قال الأمدي في الأحكام ٢: ٣٣٩: «مذهب الجمهور من العلماء جواز تخصيص العموم بالدليل العقلي... ودليل ذلك قوله تعالى: ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ متناول بعموم لفظه لغة كلّ شيء مع أنّ ذاته وصفاته أشياء حقيقية وليس خالقاً لها... وكذلك قوله: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ...﴾ فإنّ الصبّيّ والمجنون من النّاس حقيقة وهما غير مرادين من العموم بدلالة نظر العقل على امتناع تكليف من لا يفهم».

فما نحن فيه من هذا القبيل أي ننصرف عن عموم اللفظ في الحديث بدلالة نظر العقل على امتناع تولّي من لا أهلية له بهذا المنصب، لأنّ الإمامة تلو النبوة واستمراراً لها ولا ينالها إلا من كان بمرتبة النبيّ وبمنزلته علماً وورعاً وشجاعة وغيرها من الصفات، فيخرج من العموم بضرورة العقل كلّ من لم يكن بمنزلة النبيّ في جميع صفاته وأحواله سوى نزول الوحي، وإن كان قرشياً، فلا بدّ من أن يحمل هذا الحديث على الأئمّة الاثني عشر من عترته، لأنّهم كانوا أعلم أهل زمانهم وأجلّهم وأورعهم وأتقاهم وأعلاهم نسباً وأفضلهم حسباً وأكرمهم عند الله، وكان علمهم متصلاً برسول الله صلى الله عليه وآله بالوراثة واللدنيّة.

الإمام عمر بن عبد العزيز...

وقد يحدثنا بعض المؤرخين أنّ الأمويين تأمروا على قتل عمر بن عبد العزيز وهو منهم؛ لأنه أَمَات السنّة وهي لعن علي بن أبي طالب!!

يا أهلي ويا عشيرتي لتنتجّه - على هدى الله تعالى - إلى البحث عن الحقّ، ونبذ التعصّب جانباً، فحن ضحايا بني العباس، وضحايا التاريخ المظلم، وضحايا الجمود الفكري الذي ضربه علينا الأوائل.. إنّنا لا شكّ ضحايا الدهاء والمكر الذي اشتهر به معاوية، وعمرو بن العاص، والمغيرة بن شعبة وأضرابهم.

ابحثوا في واقع تاريخنا الإسلامي لتبلغوا الحقائق الناصعة، وسيؤتيكم الله أجركم مرّتين، فعسى أن يجمع الله بكم هذه الأمة التي نكبت بعد موت نبيّها، وتمزّقت إلى ثلاث وسبعين فرقة، هلمّوا لتوحيدها تحت راية لا إله إلا الله محمّد رسول الله والافتداء بأهل البيت النبويّ الذين أمرنا رسول الله ﷺ باتباعهم فقال: « لا تتقدّموهم فتهلكوا، ولا تتخلّفوا عنهم فتهلكوا، ولا تعلّموهم فإنّهم أعلم منكم »<sup>(١)</sup>.

لو فعلنا ذلك، لرفع الله مقتته وغضبه عنّا، ولأبدلنا من بعد خوفنا أمناً، ولمكننا في الأرض واستخلفنا فيها، ولأظهر لنا وليّه الإمام المهديّ عليه السلام، الذي وعدنا به رسول الله ليملأ أرضنا قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً، وليتمّ به الله نوره في كلّ المعمورة.

(١) المعجم الكبير ٥: ١٦٧، مجمع الزوائد ٩: ١٦٤، كنز العمال ١: ١٨٨ ح ٩٥٧، الصواعق المحرقة ٢: ٤٣٩ الآية الرابعة من الآيات النازلة فيهم، الدرّ المنتثور ٢: ٦٠، أسد الغابة ٣: ١٣٧، باختلاف يسير في الألفاظ.



دعوة

أصدقاء للبحث

---

---

---



## دعوة أصدقاء للبحث

كان التحوّل بداية السعادة الروحية، إذ أحسست راحة الضمير، وانشرح صدري للمذهب الحقّ الذي اكتشفته، أو قل للإسلام الحقيقي الذي لا شكّ فيه، وغمرتني فرحة كبيرة واعتزاز بما أنعم الله تعالى عليّ من هداية وارشاد.

ولم يسعني السكوت والتكتم على ما يختلج في صدري، وقلت في نفسي: لا بدّ لي من إفشاء هذه الحقيقة على الناس، ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾<sup>(١)</sup>، وهي من أكبر النعم، أو هي النعمة الكبرى في الدنيا وفي الآخرة، و«الساكت عن الحقّ شيطان أخرس»، ﴿فَمَاذَا بَعَدَ الْحَقُّ إِلَّا الضَّلَالُ﴾<sup>(٢)</sup>.

والذي زاد شعوري يقيناً بوجوب نشر هذه الحقيقة هو: براءة أهل السنة والجماعة الذين يحبّون رسول الله وأهل بيته، ويكفي أن يزول الغشاء الذي نسجه التاريخ حتّى يتبعوا الحقّ، وهذا ما وقع لي شخصياً، قال تعالى: ﴿كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِّن قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾<sup>(٣)</sup>.

ودعوت أربعة أصدقاء من الأساتذة العاملين معي في المعهد، كان اثنان منهم يدرّسون التربية الدينية، والثالث يدرّس مادّة العربيّة، والرابع كان أستاذ الفلسفة الإسلامية، لم يكن أربعتهم من قفصة بل كانوا من تونس ومن جمال وسوسة. دعوتهم إلى البحث معي في هذا الموضوع الخطير، وأشعرتهم بأنّي قاصر عن

---

(١) سورة الضحى: ١١.

(٢) سورة يونس: ٣٢.

(٣) سورة النساء: ٩٤.

إدراك بعض المعاني، وقد اضطربت وتشككت في بعض الأمور، وقبلوا المجيء إلى بيتي بعد إنهاء العمل، وتركهم يقرأون كتاب المراجعات على أن مؤلفه يدعي أشياء عجيبة وغريبة في الدين، وقد استهوى الكتاب ثلاثة منهم، أمّا الرابع الذي يدرس اللغة العربيّة فقد قاطعنا بعد أربع جلسات أو خمس قائلًا: «إنّ الغرب الآن يغزو القمر وأنتم ما زلتم تبحثون عن الخلافة الإسلاميّة».

وما أن أتممنا الكتاب خلال شهر واحد حتّى استبصر ثلاثتهم، وقد أعنتهم كثيراً للوصول إلى الحقيقة من أقرب الطرق، بما تكون عندي من سعة الاطلاع خلال سنوات البحث.

وذقت حلاوة الهداية، واستبشرت بالمستقبل، وأخذت أدعو في كلّ مرّة بعض الأصدقاء من قفصة، والذين كانت تربطني بهم حلقات الدرس في المسجد، أو العلاقات المنجزة من الطرق الصوفيّة، وبعض تلاميذي الذين كانوا يلازمونني، وما مرّت سنة واحدة حتّى أصبحنا بحمد الله عدداً كبيراً نوالي أهل البيت، نوالي من والاهم، ونعادي من عاداهم، نفرح في أعيادهم، ونحزن في عاشوراء، ونعقد مجالس تعزية.

وكانت أولى رسائلي التي تحمل خبر استبصاري إلى السيّد الخوئي والسيّد محمّد باقر الصدر بمناسبة عيد الغدير، إذ احتفلنا به لأول مرّة في قفصة، وقد اشتهر أمري لدى الخاصّ والعام بأنّي تشييعت، وأنّي أدعو إلى التشييع لآل بيت الرسول ﷺ، وبدأت الاتهامات والإشاعات تروّج في البلاد، على أنّي جاسوس لإسرائيل، أعمل على تشكيك النّاس في دينهم، وبأنّي أسبّ الصحابة، وبأنّي صاحب فتنة.. إلى غير ذلك.

وفي تونس العاصمة اتّصلت بالصدّيقين راشد الغنوشي وعبد الفتّاح مورو، وكانت معارضتهما لي عنيفة جداً، وفي حديث دار بيننا في بيت عبد الفتّاح، قلت:

يجب علينا كمسلمين مراجعة كتبنا ومراجعة تاريخنا، وضربت لذلك مثلاً صحيح البخاري الذي فيه أشياء لا يقبلها عقل ولا دين.

وثارت ثائرتهما قائلين لي : من أنت حتى تنتقد البخاري.

وحاولت كلَّ جهدي لإقناعهما للدخول في البحث، فرفضاً قائلين : إذا تشيَّعت أنت فلا تشيَّعنا نحن، وعندنا ما هو أهم من ذلك، مقاومة الحكومة التي لا تعمل بالإسلام.

قلت : ما الفائدة إذا وصلتكم إلى الحكم، فستعملون أكثر منهم ما دمتم لا تعرفون حقيقة الإسلام، وانتهى لقاؤنا بنفور بيننا.

ازدادت على أثره حملة الإشاعات ضدنا من قبل بعض الإخوان المسلمين الذين لم يكونوا وقتها يعرفون بحركة الاتجاه الإسلامي، فبثوا في أوساطهم بأنني عميل للحكومة، وأنني أشكك المسلمين في دينهم، حتى ألهمهم عن قضيتهم المتمثلة في مقاومة الحكومة.

وبدأت العزلة من الشبان الذين يعملون في صفوف الإخوان المسلمين، ومن الشيوخ الذين يتبعون الطرق الصوفيَّة، وعشنا فترات قاسية غرباء في ديارنا وبين إخواننا وعشيرتنا، ولكنَّ الله سبحانه أبدلنا خيراً منهم.

فكان بعض الشبان يأتون من مدن أخرى يسألون عن الحقيقة، فكنت أبدأ قصارى ما في وسعي لإقناعهم، فاستبصر عدد من الشباب في العاصمة، وفي القيروان وفي سوسة، وسيدي بو زيد، وكنت خلال رحلتي الصيفية إلى العراق مررت بأوروبا حيث التقيت بعض الأصدقاء في فرنسا وفي هولندا، وتحدثت معهم في الموضوع، فاستبصروا والحمد لله.

وكم كانت فرحتي عظيمة عندما قابلت السيّد محمّد باقر الصدر في النجف الأشرف، وكان في بيته نخبة من العلماء، وأخذ السيّد يقدمني إليهم بأنني بذرة التشيع

لآل بيت النبي ﷺ في تونس، كما أعلمهم بأنه بكى تأثراً عندما وصلته رسالتي مهتمة  
تحمل إليه بشرى احتفالنا لأول مرة بعيد الغدير السعيد، وشكوت إليه ما نلاقه من  
مقاومة، ومن بث الإشاعات ضدنا، والعزلة التي نواجهها.

وقال السيد في معرض كلامه: «لابد من تحمّل المشاق؛ لأنّ طريق أهل  
البيت صعب ووعر، وقد جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال له: إني أحبك يا رسول الله!  
فقال له: «أبشر بكثرة الابتلاء».

فقال: وأحبّ ابن عمّك عليّاً!

فقال: «أبشر بكثرة الأعداء»، فقال: «وأحبّ الحسن والحسين»!

فقال له: «فاستعدّ للفقر وكثرة البلاء».

وماذا قدّمنا نحن في سبيل دعوة الحقّ التي دفع ثمنها أبو عبد الله الحسين ﷺ  
بنفسه وأهله وذريته وأصحابه، كما دفع ثمنها الشيعة على مرّ التاريخ، وما زالوا حتّى  
اليوم يدفعون ثمن ولائهم لأهل البيت، فلا بدّ يا أخي من تحمّل بعض الأتعاب،  
والتضحية في سبيل الحقّ، فلئن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من الدنيا وما  
فيها».

كما نصحني السيد الصدر بعدم الانزواء، وأمرني بأن أتقرّب أكثر من إخواني  
أهل السنّة كلّما حاولوا الابتعاد عني، وأمرني أن أصلي خلفهم حتّى لا تكون القطيعة  
واعتبارهم أبرياء، فهم ضحايا الإعلام والتاريخ المزيف، والناس أعداء ما جهلوا.  
وقد نصحني السيد الخوئي بالشيء نفسه تقريباً، كما كان السيد محمّد علي  
الطباطبائي الحكيم يبعث لنا دائماً بنصائحه في رسائل متعدّدة، كان لها أثر كبير في  
سيرة الإخوة المستبصرين على الهدى.

هذا وقد تعدّدت زياراتي للنجف الأشرف، ولعلماء النجف في مناسبات  
كثيرة، وقد آليت على نفسي أن أفضي العطلة الصيفيّة من كلّ عام في رحاب الإمام

عليّ، أحضر دروس السيّد محمّد باقر الصدر التي استفدت منها كثيراً ونفعتني أيّما نفع، كما آليت على نفسي أن أزور مقامات الأئمّة الاثني عشر، وقد حقّق الله أمنيّتي بأنّ وقّفتني حتّى لزيارة الإمام الرضا الذي يوجد مرقدّه في مشهد، وهي مدينة قرب الحدود الروسية في إيران، وهناك تعرّفت على أبرز العلماء، واستفدت منهم كثيراً. كما أعطاني السيّد الخوئي - الذي كنّا نقلده - وكالة للتصرّف في الخمس والزكاة، وإفادة المجموعة المستبصرة عندنا بما تحتاجه من كتب وإعانات وغير ذلك، وقد كوّنت مكتبة مفيدة بها أهم المصادر التي تخصّ البحث، وتجمع كتب الفريقين، وتحمل اسم مكتبة أهل البيت عليهم السلام، وقد أفادت الكثيرين والحمد لله.

وزاد الله فرحتنا فرحتين وسعادتنا سعادتين، فقبل حوالي خمسة عشر عاماً إذ سخرّ لنا الله الكاتب العام لبلدية قفصة، فوافق على تسمية الشارع الذي أسكن فيه باسم شارع الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، فلا يفوتني هنا أن أشكر له هذه اللقطة المشرفّة، فهو من المسلمين العاملين، وله ميل كبير ومحبة فائقة لشخص الإمام علي، وقد أهديته كتاب المراجعات، وهو يبادل مجموعتنا حبّاً وتقديراً واحتراماً، فجزاه الله خيراً، وأعطاه ما يتمنّى.

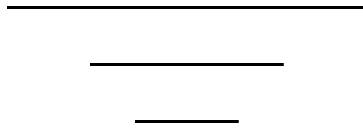
وقد عمل بعض الحاقدين على إزالة اللوحة وأعيّتهم الحيل، وشاء الله تشيبتها، وأصبحت الرّسائل ترد علينا من كلّ أنحاء العالم، وعليها اسم شارع الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام؛ الذي بارك اسمه الشريف مدينتنا الطيّبة العريقة.

وعملاً بنصائح الأئمّة من أهل البيت عليهم السلام، وكذلك بنصائح علماء النجف الأشرف، عمدنا إلى التقرب من إخوتنا من المذاهب الأخرى ولازمنا الجماعة فكنا نصليّ معاً، وخفّت بذلك حدّة التوتر، وتمكّنا من إقناع بعض الشباب من خلال تساؤلهم عن كيفية صلاتنا ووضوئنا وعقائدنا.





هدى الحق





## هدى الحق

في إحدى قرى الجنوب التونسي وخلال حفل زفاف، كانت النساء يتحدثن عن فلانة زوجة فلان، واستغربت العجوز الكبيرة التي كانت تجلس وسطهنّ وتسمع حديثهنّ أن تكون فلانة قد تزوّجت فلاناً، ولما سألتها عن سبب استغرابها أخبرتهنّ بأنّها أرضعت الاثنتين فهما أخوان من الرّضاعة.

ونقل النّسوة هذا النّبأ العظيم إلى أزواجهن وتثبّت الرجال، فشهد والد المرأة بأنّ ابنته أرضعتها تلك العجوز المعروفة لدى الجميع بأنّها مرضعة، كما شهد والد الزوج بأنّ ابنه أرضعته نفس المرضعة.

وقامت قيامة العشيرتين وتقاتلوا بالعصي، كلّ منهما تتّهم الأخرى بأنّها سبب الكارثة التي سوف تجرّهم إلى سخط الله وعقابه، وخصوصاً أنّ هذا الزواج مرّ عليه عشرة أعوام، وأنجبت المرأة خلالها ثلاثة أطفال، وقد هربت عند سماعها الخبر إلى بيت أبيها، وامتنعت عن الأكل والشراب، وأرادت الانتحار لأنّها لم تتحمّل الصدمة وكيف أنّها تزوجت من أخيها وولدت منه وهي لا تعلم، وسقط عدد من الجرحى من العشيرتين، وتدخل أحد الشيوخ الكبار وأوقف المعارك، ونصحهم بأن يطوفوا على العلماء ليستفتوهم في هذه القضية عسى أن يجدوا حلاً.

فصاروا يتجولون في المدن الكبرى المجاورة يسألون علماءها عن حلّ لقضيّتهم، وكلّما اتّصلوا بعالم وأطلعوه على الأمر أخبرهم بحرمة الزواج، وضرورة تفريق الزوجين إلى الأبد، وتحرير رقبة أو صيام شهرين، إلى غير ذلك من الفتاوى.

ووصلوا إلى قصة وسألوا علماءها فكان الجواب نفسه، لأن المالكية كلهم يحرمون الرضاعة، ولو من قطرة واحدة، اقتداءً بمالك الذي قاس الحليب على الخمر، إذ إن: «ما أسكر كثيره فقليله حرام»<sup>(١)</sup>، فتحرم الرضاعة ولو من قطرة واحدة من الحليب.

والذي وقع أن أحد الحاضرين اختلى بهم، ودلهم على بيتي قائلاً لهم: أسألوا التيجاني في مثل هذه القضايا فإنه يعرف كل المذاهب، وقد رأيتَه يجادل هؤلاء العلماء عدة مرّات، فيبزيهم بالحجّة البالغة.

هذا ما نقله إليّ زوج المرأة حرقياً عندما أدخلته إلى المكتبة، وحكى لي كلّ القضية بالتفصيل من أولها إلى آخرها، وقال: «يا سيدي أن زوجتي تريد الانتحار وأولادي مهملون، ونحن لا نعرف حلاً لهذه المشكلة، وقد دلّونا عليك، وقد استبشرت خيراً لما رأيت عندك هذه الكتب التي لم أشهد في حياتي مثلها، فعسى أن يكون الحلّ عندك».

أحضرت له قهوة وفكرت قليلاً ثمّ سألته عن عدد الرضعات التي رضعها هو من المرأة فقال: لا أدري، غير أن زوجتي رضعت منها مرّتين أو ثلاث، وقد شهد أبوها بأنه حملها مرّتين أو ثلاث مرات إلى تلك العجوز المرضعة.

فقلت: إذا كان هذا صحيحاً، فليس عليكما شيء والزواج صحيح وحلال محلّل، وارتمى المسكين عليّ يقبل رأسي ويديّ ويقول: بشرك الله بالخير، لقد فتحت أبواب السكينة أمامي، ونهض مسرعاً ولم يكمل قهوته ولا استفسر منّي ولا طلب

(١) كتاب الأمّ ٦: ١٥٦، سبل السلام ٤: ٣٥، نيل الأوطار ٩: ٥٨، مسند أحمد ٢: ٩١ سنن

ابن ماجه ٢: ١١٢٤، سنن الترمذي ٣: ١٩٤، سنن النسائي ٨: ٣٠٠، مسند أبي يعلى

٥٠: ٧، فتح الباري لابن حجر ١٠: ٣٦ وغيره من المصادر.

الدليل، غير أنه استأذن للخروج حتى يسرع فيبشّر زوجته وأولاده وأهله وعشيرته.

لكنّه رجع في اليوم التالي ومعه سبعة رجال، وقدّمهم إليّ قائلاً: هذا والدي، وهذا والد زوجتي، والثالث هو عمدة القرية، والرابع إمام الجمعة والجماعة، والخامس هو المرشد الديني، والسادس شيخ العشيرة، والسابع هو مدير المدرسة، وقد جاؤوا يستفسرون عن قضية الرّضاعة، وبماذا حلّلتها؟

وأدخلت الجميع إلى المكتبة، وكنت أتوقّع جدالهم، وأحضرت لهم القهوة، ورحّبت بهم، قالوا: إنّما جئناك لناقشك في تحليلك الرّضاعة، وقد حرّمها الله في القرآن، وحرّمها رسوله بقوله: « يحرم بالرّضاعة ما يحرم بالنّسب »، وكذلك حرّمها الإمام مالك.

قلت: يا سادتي أنتم ما شاء الله ثمانية وأنا واحد، فإذا تكلمت مع الجميع فسوف لن أقنعكم، وتضيع المناقشة في الهامشيّات، وإنّما اقترح عليكم اختيار أحدكم حتى أتناقش معه، وأنتم تكونون حكماً بيني وبينه!

وأعجبته الفكرة واستحسنوها، وسلّموا أمرهم إلى المرشد الديني قائلين بأنّه أعلمهم وأقدرهم، وبدأ السيّد يسألني: كيف أحلّل ما حرّم الله ورسوله والأئمّة؟!

قلت: أعوذ بالله أن أفعل ذلك! ولكنّ الله حرّم الرّضاعة بآية مجمّلة، ولم يبيّن تفصيل ذلك، وإنّما أوكل ذلك إلى رسوله فأوضح مقصود الآية بالكيف والكم.

قال: فإن الإمام مالك يحرم الرّضاعة من قطرة واحدة.

قلت: أعرف ذلك، ولكن الإمام مالك ليس حجّة على المسلمين، وإلاّ فما هو قولك بالأئمّة الآخرين؟

أجاب : رضي الله عنهم وأرضاهم، فكلهم من رسول الله ملتمس.  
قلت : فما هي إذن حجَّتك عند الله في تقليدك الإمام مالك الذي يخالف رأيه  
نصّ الرسول ﷺ؟

قال محتاراً : سبحان الله، أنا لا أعلم بأنّ الإمام مالكا إمام دار الهجرة يخالف  
النصوص النبويّة، وتحير الحاضرون من هذا القول، واستغربوا منّي هذه الجرأة على  
الإمام مالك، والتي لم يعهدوها من قبل في غيري.  
واستدركت قائلاً : هل كان الإمام مالك من الصحابة؟  
قال : لا.

قلت : هل كان من التابعين؟  
قال : لا، وإنما هو من تابعي التابعين.  
قلت : فأيهما أقرب هو أم الإمام علي بن أبي طالب؟  
قال : الإمام عليّ أقرب فهو من الخلفاء الراشدين، وتكلّم أحد الحاضرين  
قائلاً : سيّدنا عليّ كرم الله وجهه هو باب مدينة العلم.

فقلت : فلماذا تركتم باب مدينة العلم واتّبعتم رجلا ليس من الصحابة ولا من  
التابعين، وإنما ولد بعد الفتنة وبعدهما أبيحت مدينة رسول الله لجيش يزيد، وفعلوا  
فيها ما فعلوا، وقتلوا خيار الصحابة وانتهكوا فيها المحارم، وغيروا سنّة الرّسول  
بيدع ابتدعوها، فكيف يطمئنّ الإنسان بعد ذلك إلى هؤلاء الأئمّة الذين رضيت  
عنهم السلطة الحاكمة؛ لأنهم أفتوها بما يلائم أهواءهم؟!

وتكلّم أحدهم وقال : سمعنا أنك شيعي تعبد الإمام عليّاً، فلكره صاحبه  
الذي كان بجانبه لكزة أو جعته وقال له : أسكت أما تستحي أن تقول مثل هذا القول  
لرجل فاضل مثل هذا، وقد عرفت العلماء وحتى الآن لم تر عيني مكتبة مثل هذه

المكتبة، وهذا الرجل يتكلم عن معرفة ووثوق مما يقول!  
أجبتة قائلاً: أنا شيعي هذا صحيح، ولكن الشيعة لا يعبدون علياً، وإنما  
عوض أن يقلدوا الإمام مالكا فهم يقلدون الإمام علياً؛ لأنه باب مدينة العلم  
حسب شهادتكم.

قال المرشد الديني: وهل حلل الإمام علي زواج الرضيعين؟  
قلت: لا، ولكنه يحرم ذلك إذا بلغت الرضاعة خمس عشرة رضعة مشبعات  
ومتواليات، أو ما أنبت لحماً وعظماً.  
وتهلل وجه والد الزوجة وقال: الحمد لله فابنتي لم ترضع إلا مرتين أو ثلاث  
مرات فقط، وإن في قول الإمام علي هذا مخرجاً لنا من هذه الورطة ورحمة لنا من الله  
بعد أن يسنا.

فقال المرشد: أعطنا الدليل على هذا القول حتى نقتنع، فأعطيتهم كتاب  
منهاج الصالحين للسيّد الخوئي، وقرأ هو بنفسه عليهم باب الرضاعة، وفرحوا بذلك  
فرحاً عظيماً وخصوصاً الزوج الذي كان خائفاً أن لا يكون لديّ الدليل المقنع،  
وطلبوا مني إعارتهم الكتاب حتى يحتجوا به في قريتهم، فسلمته إليهم وخرجوا  
مودعين داعين معتذرين.

وبمجرد خروجهم من بيتي التقى بهم أحد المناوئين، وحملهم إلى بعض علماء  
السوء، فخوفوهم وحذروهم بأنني عميل لإسرائيل، وأن كتاب منهاج الصالحين  
الذي أعطيتهم إياه كله ضلالة، وأن أهل العراق هم أهل الكفر والتفاق، وأن الشيعة  
مجوس يبيحون نكاح الأخوات، فلا غرابة إذن في إباحتي لهم نكاح الأخت من  
الرضاعة.. إلى غير ذلك من التهم والأراجيف! وما زال بهم يحذروهم حتى ارتدوا  
على أعقابهم وانقلبوا بعد اقتناعهم، وأجبروا الزوج علي أن يتقدم بدعوى عدلية

للطلاق لدى المحكمة الابتدائية في قفصة، وطلب منهم رئيس المحكمة أن يذهبوا إلى العاصمة ويتصلوا بمفتي الجمهورية ليحلّ هذا الإشكال.

وسافر الزوج وبقي هناك شهراً كاملاً حتى تمكّن من مقابلته، وقصّ عليه قصّته من أولها لآخرها، وسأله مفتي الجمهورية عن العلماء الذين قالوا بحلّية الزواج وصحّته، فأجاب الزوج بأنّه ليس هناك من قال بحلّيته غير شخص واحد هو التيجاني السماوي، وسجّل المفتي اسمي وقال للزوج: إرجع أنت وسوف أبعث أنا برسالة إلى رئيس المحكمة في قفصة، وبالفعل جاءت الرّسالة من مفتي الجمهورية وأطلع عليها وكيل الزوج، وأعلمه بأنّ مفتي الجمهورية حرّم ذلك الزواج.

هذا ما قصّه عليّ زوج المرأة الذي بدأ عليه الضعف والإرهاق من كثرة التعب، وهو يعتذر إليّ ممّا سببه لي من إزعاج وحرّج، فشكرته عليّ عواطفه، متعجباً! كيف يُبطل مفتي الجمهورية الزواج القائم في مثل هذه القضية، وطلبت منه أن يأتيني برسالته التي بعثها إلى المحكمة حتى أنشرها في الصحف التونسية، وأبيّن أن مفتي الجمهورية يجهل المذاهب الإسلامية، ولا يعرف اختلافهم الفقهي في مسألة الرّضاة.

فقال الزوج بأنّه لا يمكنه أن يطلع عليّ ملفّ قضيته فضلاً عن أن يأتيني برسالة منه، وافترقنا.

وبعد بضعة أيام جاءتني دعوة من رئيس المحكمة، يأمرني فيها بإحضار الكتاب والأدلة عليّ عدم بطلان ذلك الزواج بين الرضيعين؟!، وذهبت محمّلاً بعدّة مصادر انتقيتها مسبقاً، ووضعت في كلّ منها بطاقة في باب الرّضاة ليسهل تخريجه في لحظة واحدة.

وذهبت في اليوم والساعة المذكورة، واستقبلني كاتب المحكمة وأدخلني إلى مكتب الرّئيس، وفوجئت برئيس المحكمة الابتدائية، ورئيس محكمة الناحية، ووكيل



الجمهورية، ومعهم ثلاثة أعضاء، وكلهم يرتدون لباسهم الخاص للقضاء، وكانهم في جلسة رسمية، ولاحظت أيضاً أن زوج المرأة يجلس في آخر القاعة قبالهم، وسلّمت على الجميع فكانوا كلهم ينظرون إليّ باشمئزاز واحتقار، ولما جلست خاطبني الرئيس بلهجة خشنة قائلاً: أنت هو التيجاني السماوي؟

قلت : نعم.

قال : أنت الذي أفتيت بصحة الزواج في هذه القضية؟

قلت : لا لست أنا بمفتٍ، ولكن الأئمة وعلماء المسلمين هم الذين أفتوا بحليته

وصحته!

قال : ومن أجل ذلك دعوناك، وأنت الآن في قفص الاتهام، فإذا لم تثبت دعواك بالدليل فسوف نحكم بسجنك، وسوف لن تخرج من هنا إلا إلى السجن.

وعرفت وقتها أنني بالفعل في قفص الاتهام، لا لأنني أفتيت في هذه القضية، ولكن لأن بعض علماء السوء حدّث هؤلاء الحكّام بأنني صاحب فتنة، وأني أسبّ الصحابة، وأبثّ التشيع لآل البيت النبوي، وقد قال له رئيس المحكمة، إذا أتيتني بشاهدين ضده فسوف ألقيه في السجن.

أضف إلى ذلك أن جماعة من الإخوان المسلمين استغلّوا هذه الفتوى، وروّجوا لدى الخاص والعام بأنني أبيع نكاح الأخوات، وهو قول الشيعة على زعمهم!

كلّ ذلك عرفته من قبل وتيقنته عندما هدّديني رئيس المحكمة بالسجن، فلم يبق أمامي إلا التحدي وال دفاع عن نفسي بكلّ شجاعة، فقلت للرئيس : هل لي أن أتكلّم بصراحة وبدون خوف؟

قال : نعم تكلم فأنت ليس لك محام.

قلت : قبل كل شيء أنا لم أنصّب نفسي للإفتاء، ولكن ها هو زوج المرأة أمامكم فاسألوه، فهو الذي جاءني إلى بيتي يطرق بابي ويسألني، فكان واجباً عليّ أن أجيبه بما أعلم، وقد سألته بدوري عن عدد الرضعات، ولما أعلمني بأن زوجته لم ترضع غير مرتين أعطيته وقتها حكم الإسلام فيها، فلست أنا من المجتهدين ولا من المشرّعين.

قال الرئيس : عجباً! أنت الآن تدّعي أنك تعرف الإسلام ونحن نجهله!؟

قلت : أستغفر الله أنا لم أقصد هذا، ولكن كل الناس هنا يعرفون مذهب الإمام مالك ويتوقفون عنده، وأنا فتّشت في كل المذاهب ووجدت حلاً لهذه القضية.

قال الرئيس : أين وجدت الحلّ؟

قلت : قبل كل شيء هل لي أن أسألكم سؤالاً يا سيّدي الرئيس؟

قال : اسأل ما تريد.

قلت : ما قولكم في المذاهب الإسلامية؟

قال : كلّها صحيحة، فكّلهم من رسول الله ملتمس، وفي اختلافهم رحمة.

قلت : فارحموا إذن هذا المسكين - مشيراً إلى زوج المرأة - الذي قضى الآن أكثر من شهرين وهو مفارق لزوجته وولده، بينما هناك من المذاهب الإسلامية من حلّ مشكلته.

فقال الرئيس مغضباً : هات الدليل وكفاك تهريجاً، نحن سمحنا لك بالدّفاع عن نفسك فأصبحت محامياً لغيرك.

فأخرجت له من حقيبتي كتاب منهاج الصالحين للسيّد الخوئي، وقلت : هذا مذهب أهل البيت وفيه الدليل.

وقاطعني قائلاً : دعنا من مذهب أهل البيت فنحن لا نعرفه ولا نؤمن به.

كنت متوقّفاً هذا، ولذلك أحضرت معي بعد البحث والتنقيب عدّة مصادر لأهل السنّة والجماعة، كنت رتبتها حسب علمي، فوضعت البخاري في المرتبة الأولى، ثمّ صحيح مسلم، وبعده كتاب الفتاوى لمحمود شلتوت، وكتاب بداية المجتهد ونهاية المقتصد لابن رشد، وكتاب زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي، وعدّة مصادر أخرى من كتب أهل السنّة.

ولمّا رفض الرّئيس أن ينظر في كتاب السيّد الخوئي سألته عن الكتب التي يثق بها؟ قال: البخاري ومسلم.

وأخرجت صحيح البخاري وفتحته على الصفحة المعينة وقلت: تفضّل يا سيدي اقرأ.

قال: اقرأ أنت؟

وقرأت: حدّثنا فلان عن فلان عن عائشة أمّ المؤمنين قالت: توفي رسول الله ﷺ ولم يحرم من الرضعات إلاّ خمساً فما فوق<sup>(١)</sup>.

وأخذ الرّئيس منّي الكتاب وقرأ بنفسه، وأعطاه إلى وكيل الجمهوريّة بجانبه، وقرأ هو الآخر، وناوله لمن بعده في حين أخرجت صحيح مسلم وأطلعته على نفس الأحاديث، ثمّ فتحت كتاب الفتاوى لشيخ الأزهر شلتوت، وقد ذكر هو الآخر اختلافات الأئمّة في مسألة الرضاعة، فمنهم من ذهب إلى القول بأن المحرّم ما بلغ خمس عشرة رضعة، ومنهم من قال بسبعة، ومنهم من حرّم فوق الخمسة عدا مالك

---

(١) ورد في صحيح مسلم ٤: ١٦٧، كتاب الرضاعة، باب التحريم بهذا اللفظ: «كان فيما أنزل من القرآن: عشر رضعات معلومات يحرم من، ثمّ نسخن: بخمس معلومات. فتوقّى رسول الله ﷺ وهنّ فيما يُقرأ من القرآن» والمؤلّف نقله بالمشمون.

الذي خالف النصّ وحرّم قطرة واحدة، ثمّ قال شلتوت : وأنا أميل إلى أوسط الآراء فأقول خمساً فما فوق.

وبعد ما اطّلع رئيس المحكمة على ذلك قال : يكفي ثمّ التفت إلى زوج المرأة وقال له : اذهب الآن واتي بوالد زوجتك ليشهد أمامي بأنّها وضعت مرّتين أو ثلاثة، وسوف تأخذ زوجتك معك هذا اليوم.

وطار المسكين فرحاً، واعتذر وكيل الجمهوريّة وبقية الأعضاء الحاضرين للالتحاق بأعمالهم وأذن لهم الرّئيس، ولما خلا بنا المجلس التفت إليّ معتذراً وقال : سامحني يا أستاذ لقد غلّطوني فيك وقالوا فيك أشياء غريبة، وأنا الآن عرفت بأنّهم حاسدون ومغرضون يريدون بك شراً.

وطار قلبي فرحاً بهذا التحوّل السّريع، وقلت : الحمد لله الذي جعل نصري على يديك يا سيّدي الرّئيس.

فقال : سمعت بأنّ عندك مكتبة عظيمة، فهل يوجد فيها كتاب حياة الحيوان الكبرى للدميري؟

قلت : نعم،

فقال : هل تعيرني إيّاه، فقد مضى عامان وأنا أبحث عنه.

قلت : هو لك يا سيّدي متى أردت.

قال : هل عندك وقت يسمح لك بالمجيء إلى مكتبي لتتحدث وأستفيد منك.

قلت : أستغفر الله فأنا الذي أستفيد منك، فأنت أكبر مني سنّاً وقدرّاً، وعندي

أربعة أيّام راحة في الأسبوع وأنا رهن إشارة.

واتّفقنا على يوم السّبت من كلّ أسبوع؛ لأنّه ليس له جلسات للمحكمة في

ذلك اليوم، وبعدما طلب مني أن أترك له كتابي البخاري ومسلم وكتاب الفتاوى

لمحمود شلتوت لكي يحرّر منها النص، قام بنفسه وأخرجني من مكتبه مودّعاً.  
وخرجت فرحاً أحمد الله سبحانه على هذا النص، وقد دخلت خائفاً مهدداً  
بالسجن، وخرجت وقد انقلب رئيس المحكمة إلى صديق حميم، يحترمني ويطلب  
مئي مجالسته ليستفيد مئي، إنَّها بركات طريق أهل البيت الذين لا يخيب من تمسك  
بهم ويأمن من لجأ إليهم.

وتحدّثت زوج المرأة في قريته، وشاع الخبر في كل القرى المجاورة بعد ما  
رجعت المرأة إلى بيت زوجها، وانتهت القضية بحلّية الزواج، فأصبح الناس يقولون  
بأنّي أعلم من الجميع، وأعلم حتّى من مفتي الجمهورية.

وقد جاء زوج المرأة إلى البيت ومعه سيارة كبيرة، ودعاني إلى القرية أنا  
وكلّ عائلتي، وأعلمني أن كلّ الأهالي ينتظرون قدومي، وسيذبون ثلاثة عجول  
لإقامة الفرح، واعتذرت إليه بسبب انشغالي في قفصة وقلت له: سوف أزورك مرّة  
أخرى إن شاء الله.

وتحدّثت رئيس المحكمة إلى أصدقائه واشتهرت القضية، وردّ الله كيد  
الكائدين، وجاء بعضهم معتذرين، وقد فتح الله بصيرة البعض منهم، فاستبصروا  
وأصبحوا من المخلصين، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم.

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين  
وصلّى الله على سيّدنا محمّد  
وعلى آله الطيّبين  
الطاهرين



## مصادر التّحقيق

- ١- الإتحاف بحبّ الأشراف : عبد الله بن محمّد بن عامر الشبرواي، تحقيق سامي الغربي، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ، مؤسسة الكتاب الإسلامي.
- ٢- الأخبار الطوال : أحمد بن داود الدينوري ٢٨٢هـ، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ، ٢٠٠١م، دار الكتب العلمية - بيروت.
- ٣- إحقاق الحقّ وازهاق الباطل : نور الله الحسيني المرعشي التستري ١٠١٩هـ، مع تعليقات السيّد شهاب الدين المرعشي، قم - طهران.
- ٤- الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان : علاء الدّين بن علي بن بلبان الفارسي ٧٣٩هـ، تقديم كمال الحوف، الطبعة الثانية ١٤١٧هـ، ١٩٩٦م، دار الكتب العلميّة - بيروت.
- ٥- الاجتهاد في الشريعة الإسلامية : محمّد صالح موسى حسين، دمشق - سوريا.
- ٦- الأنساب : عبد الكريم بن محمّد بن منصور السمعاني ٥٦٢هـ، تعليق عبد الله عمر البارودي، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م، دار الجنان - بيروت.
- ٧- الإكمال : علي بن هبة الله بن ماكولا ٤٧٥هـ، الطبعة الأولى ١٤١١هـ، ١٩٩٠م دار الكتب العلميّة - بيروت.
- ٨- الاستذكار الجامع لمذهب فقهاء الأمصار : يوسف بن عبد الله بن عبد البرّ النمري ٤٦٣هـ، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ، ٢٠٠١م، دار إحياء التراث العربي - بيروت.

- ٩- اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم : أحمد بن عبد الحلیم بن تیمیة الحرّاني، تحقيق محمد حامد الفقي، الطبعة الثانية ١٣٦٩م، السنة المحمّدية - القاهرة.
- ١٠- استجلاب إرتقاء الغرف بحب أقرباء الرّسول وذوي الشرف : محمّد السخاوي، الطبعة الأولى عام ١٤٢١هـ، مؤسسة المعارف الإسلامية - بيروت.
- ١١- أعيان الشّيعة : محسن الأمين ١٣٧١هـ، تحقيق حسن الأمين، دار التّعارف - بيروت.
- ١٢- اعتقاد أئمّة الحديث : أحمد بن إبراهيم الإسماعيلي، تحقيق محمّد بن عبد الرحمن الخميس، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ، دار العاصمة - الرياض.
- ١٣- إثبات الحقّ على الخلق في ردّ الخلافات إلى المذهب الحقّ من أصول التوحيد : محمّد ابن إبراهيم بن علي القاسمي، الطبعة الثانية ١٩٨٧م، دار الكتب العلميّة - بيروت.
- ١٤- الأعلام : خير الدين الزركلي، الطبعة الرابعة عشر ١٩٩٩م، دار العلم للملايين - بيروت - لبنان.
- ١٥- الإمامة والسياسة : عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري ٢٧٦هـ، تحقيق محمّد الزيني، مؤسسة الحلبي - مصر.
- ١٦- الإمام جعفر الصادق : عبد الحلیم الخيري، دار المعارف - القاهرة.
- ١٧- الإمام الصادق حياته وعصره : محمّد أبو زهرة، طبع سنة ١٩٩٣م، دار الفكر العربي - بيروت.
- ١٨- الأدب المفرد : محمّد بن إسماعيل البخاري ٢٥٦هـ، طبع سنة ١٤١٧هـ، ١٩٩٦م، دار الكتب العلميّة - بيروت.
- ١٩- أسد الغابة في معرفة الصحابة : أبي الحسن علي بن محمّد الجزري ٦٣٠هـ، تحقيق علي محمّد معوّض وعادل أحمد عبد الموجود، الطبعة الثانية ١٤٢٣هـ، ٢٠٠٣م، دار الكتب العلميّة - بيروت.



- ٢٠- الاستيعاب في معرفة الأصحاب : يوسف بن عبد الله بن محمد القرطبي ٤٦٣ هـ، تحقيق علي معوض وعادل عبد الموجود الطبعة الأولى ١٤١٥ هـ، ١٩٩٥ م، دار الكتب العلميّة - بيروت.
- ٢١- الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد : محمد العكبري البغدادي الشيخ المفيد مؤسسة آل البيت عليه السلام.
- ٢٢- الإصابة في تمييز الصحابة : أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ٨٥٢ هـ، تحقيق عادل أحمد وعلي معوض، الطبعة الأولى ١٤١٥ هـ، دار الكتب العلميّة - بيروت.
- ٢٣- أمالي المحاملي : الحسين بن إسماعيل المحاملي ٣٣٠ هـ، تحقيق إبراهيم القيسي، الطبعة الأولى ١٤١٢ هـ، المكتب الإسلامي - الأردن.
- ٢٤- الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث لابن كثير : تحقيق أحمد محمد شاكر، الطبعة الثانية ١٤١٩ هـ، ١٩٩٩ م، جمعيّة إحياء التراث الإسلامي.
- ٢٥- بين الإمامين مسلم والدارقطني : تأليف ربيع بن هادي المدخلي، الطبعة الأولى ١٤٢٠ هـ، ٢٠٠٠ م، الرياض - السعودية.
- ٢٦- بشارة المصطفى لشيعه المرتضى : محمد بن أبي القاسم الطبري، تحقيق جواد القيومي، الطبعة الأولى ١٤٢٠ هـ، مؤسسة النشر الإسلامي.
- ٢٧- البداية والنهاية : إسماعيل بن كثير الدمشقي ٧٧٤ هـ، تحقيق علي شيري، الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ، ١٩٨٨ م، دار إحياء التراث العربي - بيروت.
- ٢٨- البرهان في علوم القرآن : محمد بن عبد الله الزركشي ٧٩٤ هـ، تحقيق محمد أبو الفضل، الطبعة الأولى ١٣٧٦ هـ، ١٩٥٧ م، دار إحياء الكتب العربيّة - بيروت.
- ٢٩- بصائر الدرجات : محمد بن الحسن الصفار ٢٩٠ هـ، طبع سنة ١٤٠٤ هـ، ١٣٦٢ ش، منشورات الأعلمي - طهران.

- ٣٠- بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث : الحارث بن أبي أسامة نور الدين الهيثمي، تحقيق حسين الباكري، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ، ١٩٩٢م، دار السيرة - المدينة.
- ٣١- تاريخ مدينة دمشق : علي بن الحسن بن هبة الله الدمشقي المعروف بابن عساكر ٥٧١هـ، تحقيق علي شيري، طبع سنة ١٤٢١هـ، ٢٠٠٠م، دار الفكر - بيروت.
- ٣٢- تاريخ المدينة : عمر بن شبة النميري البصري ٢٦٢هـ، تحقيق محمد شلتوت، طبع سنة ١٤١٠هـ، ١٣٦٨ش، دار الفكر - إيران.
- ٣٣- تاريخ الإسلام : محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ٧٤٨هـ، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ، ١٩٨٧م، دار الكتاب العربي - بيروت.
- ٣٤- التاريخ الصغير : محمد بن إسماعيل البخاري ٢٥٦هـ، تحقيق محمود إبراهيم زايد، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ، دار المعرفة - بيروت.
- ٣٥- تاريخ بغداد أو مدينة السلام : أحمد بن علي الخطيب البغدادي ٤٦٣هـ، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ، ١٩٩٧م، دار الكتب العلمية - بيروت.
- ٣٦- تاريخ خليفة بن خياط : خليفة بن خياط العصفري ٣٤٠هـ، تحقيق سهيل زكار، طبع سنة ١٤١٤هـ، ١٩٩٣م، دار الفكر - بيروت.
- ٣٧- تاريخ أصبهان : أحمد بن عبد الله بن أحمد الأصبهاني، تحقيق سيدكسروي، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ، ١٩٩٠م، دار الكتب العلمية - بيروت.
- ٣٨- تفسير البغوي المسمّى التذليل : الحسين بن مسعود الفراء البغوي ٥١٦هـ، الطبعة الخامسة ١٤٢٣هـ، ٢٠٠٢م، دار المعرفة - بيروت.
- ٣٩- تفسير ابن أبي حاتم الرازي المسمّى التفسير بالمأثور : عبد الرحمن بن أبي حاتم الحنظلي الرازي ٣٢٧هـ، الطبعة الثانية ١٤٢٧هـ، ٢٠٠٦م، دار الكتب العلمية - بيروت.

- ٤٠- تفسير البحر المحيط : محمد بن يوسف الأندلسي ٧٤٥هـ، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ، ٢٠٠١م، دار الكتب العلميّة - بيروت.
- ٤١- تفسير القرآن العظيم : إسماعيل بن كثير الدمشقي ٧٧٤هـ، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ، ٢٠٠٠م، دار إحياء التراث العربي - بيروت.
- ٤٢- تخريج الأحاديث والآثار : الزيلعي ٧٦٢هـ، تحقيق عبد الله السعد، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ، دار ابن خزيمة - الرياض.
- ٤٣- تأويل مختلف الحديث : عبد الله بن مسلم بن قتيبة ٢٧٦هـ، دار الكتب العلميّة - بيروت.
- ٤٤- تنوير الحوالك شرح عليّ موطأ مالك : جلال الدين عبد الرحمن السيوطي ٩١١هـ، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ، ١٩٩٧م، دار الكتب العلميّة - بيروت.
- ٤٥- تحفة الأحوذى في شرح الترمذي : محمد عبد الرحمن المباركفوري ١٤١٠هـ، دار الكتب العلميّة - بيروت.
- ٤٦- التدوين في أخبار قزوين : عبد الكريم بن محمد الرافعي القزويني، من أعلام القرن السادس، تحقيق عزيز الله العطاردي، دار الكتب العلميّة - بيروت.
- ٤٧- تغليق التعليق : أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ٨٥٢هـ، تحقيق سعيد عبد الرحمن، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ، بيروت - عمان.
- ٤٨- تهذيب التهذيب : أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ٨٥٢هـ، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ، ١٩٨٤م، دار الفكر - بيروت.
- ٤٩- تهذيب الأسماء واللغات : محيي الدين بن شرف الثوري الدمشقي ٦٧٦هـ، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ، ٢٠٠١م، دار الفكر - بيروت.
- ٥٠- تذكرة الخواص من الأئمة بذكر خصائص الأئمة : يوسف بن علي البغدادي ٦٥٤هـ، تحقيق حسن تقي زاده، طبع سنة ١٤٢٦هـ، المجمع العالمي لأهل البيت - قم المقدّسة.

- ٥١- تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل : محمد بن الطيب الباقلائي ٤٠٣ هـ، تحقيق عادل أحمد صدر، الطبعة الثالثة ١٤١٤ هـ، ١٩٩٣، مؤسسة الثقافة - بيروت.
- ٥٢- تناقضات الألباني الواضحات : حسن بن علي السقاف معاصر، الطبعة الرابعة ١٤١٢ هـ، ١٩٩٢ م دار الإمام التوي - الأردن.
- ٥٣- الثاقب في المناقب : محمد بن علي الطوسي المعروف بابن حمزة من أعلام القرن السادس، تحقيق نبيل رضا علوان الطبعة الثالثة ١٤١٩ هـ، ١٣٧٧ ش، أنصاريان - قم المقدسة.
- ٥٤- الجرح والتعديل : عبد الرحمن بن أبي حاتم محمد بن إدريس الرّازي ٣٢٧ هـ، الطبعة الأولى ١٣٧٣ هـ، ١٩٥٣ م، درا إحياء التراث العربي - بيروت.
- ٥٥- الجامع لأحكام القرآن : محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي ٦٧١ هـ، تحقيق سالم مصطفى البدري، الطبعة الأولى ١٤٢٠ هـ، ٢٠٠٠ م، دار الكتب العلمية - بيروت.
- ٥٦- جامع بيان العلم وفضله : يوسف بن عبد البرّ ٤٦٣ هـ، الطبعة الثانية ١٤٢١ هـ، ٢٠٠٠ م، جمعية إحياء التراث الإسلامي.
- ٥٧- جامع البيان عن تأويل أي القرآن : محمد بن جرير الطبري ٣١٠ هـ، الطبعة الأولى ١٤٢١ هـ، ٢٠٠١ م دار الفكر - بيروت.
- ٥٨- جامع كرامات الأولياء : يوسف بن إسماعيل البهاني ١٣٥٠ هـ، تحقيق إبراهيم عطوة عوض، طبع سنة ١٤١٤ هـ، ١٩٩٤ م، دار المعرفة - بيروت.
- ٥٩- حاشية إعانة الطالبين : السيّد البكري بن محمد شطا الدميّاطي ١٣١٠ هـ، الطبعة الأولى ١٤١٨ هـ، ١٩٩٧ م، دار الفكر - بيروت.
- ٦٠- حاشية ردّ المختار على الدرّ المختار : محمد أمين بن عابد بن ١٢٥٣ هـ، تحقيق مكتب البحوث والدراسات، طبع سنة ١٤١٥ هـ، ١٩٩٥ م، دار الفكر - بيروت.

- ٦١- خلاصة البدر المنير في تخريج الأحاديث الواقعة في الشرح الكبير : عمر بن علي الملّث ٨٠٤هـ، تحقيق حمدي بن عبد المجيد السلفي، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ، ١٩٨٩م، مكتبة ابن رشد.
- ٦٢- خلاصة تذهيب تهذيب الكمال : أحمد بن عبد الله الخزرجي اليمني ٩٢٣هـ، تحقيق عبد الفتّاح أبو عزّة، الطبعة الرابعة ١٤١١هـ، دار البشائر الإسلامية.
- ٦٣- الخرائج والجرائح : قطب الدّين الراوندي، الطبعة الثانية ١٤١١هـ، ١٩٩١م، مؤسسة الثّور - بيروت.
- ٦٤- الخصال : محمّد بن علي بن الحسين بن بابوية القمي ٣٨١هـ، طبع سنة ١٤١٠هـ، ١٩٩٠م، مؤسسة الأعلمي - بيروت.
- ٦٥- الدرّ المنثور في التفسير بالمأثور : عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ٩١١هـ، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ، ٢٠٠٠م، دار الكتب العلميّة - بيروت.
- ٦٦- الدرر في اختصار المغازي والسير : يوسف بن عبد البرّ النميري ٦٣٤هـ، تحقيق شوقي ضيف، الطبعة الثالثة - دار المعارف.
- ٦٧- دفع شبه التشبيه بأكف التنزيه : عبد الرحمن بن الجوزي الحنبلي ٥٩٧هـ، تحقيق حسن السقّاف، الطبعة الثانية ١٤١٣هـ، ١٩٩٣م، عمان - الأردن.
- ٦٨- دلائل النبوة : أحمد بن الحسين البيهقي ٤٥٨هـ، تعليق عبد المعطي قلعي، الطبعة الثانية ١٤٢٣هـ، ٢٠٠٢م، دار الكتب العلميّة - بيروت.
- ٦٩- دراسات في ولاية الفقيه وفقه الدولة الإسلامية الشيخ المنتظري، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ، المركز العالمي للدراسات الإسلامية - قم المقدّسة - إيران.
- ٧٠- ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى : أحمد بن عبد الله الطبري ٦٩٤هـ، طبع سنة ١٣٥٦هـ - القدس - القاهرة.

- ٧١- ذكر أخبار أصفهان : أبو نعيم الأصفهاني، طبع سنة ١٩٣١م، مطبعة بريل.
- ٧٢- رياض الصالحين : محيي الدين التّووي ٦٧٦هـ، تحقيق زكريا عميرات، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ، ٢٠٠٠م، دار الكتب العلميّة - بيروت.
- ٧٣- روح المعاني : محمود شكري الآلوسي، الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ، ١٩٩٤م، دارالكتب العلميّة - بيروت.
- ٧٤- سبائك الذهب في معرفة قبائل العرب : محمّد بن البغدادي السويدي، طبع سنة ١٤١٥هـ، ١٩٩٥م، دار الكتب العلميّة - بيروت.
- ٧٥- سنن الدّارمي : عبد الله بن عبد الرحمن الدّارمي ٢٥٥هـ، تحقيق فؤاد حمد و خالد العلمي، الطبعة الثانية ١٤١٧هـ، ١٩٩٧م دار الكتاب العربي - بيروت.
- ٧٦- سنن ابن ماجة : ابن ماجة القزويني بشرح الإمام السندي والبوصيري والشيخ خليل شيحا، الطبعة الثالثة ١٤٢٠هـ، ٢٠٠٠م، دار المعرفة - بيروت.
- ٧٧- السنن الكبرى : أحمد بن الحسين البيهقي ٤٥٨هـ، تحقيق محمد عبد القادر عطا، طبع سنة ١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م، دار الكتب العلميّة - بيروت.
- ٧٨- سبل السلام شرح بلوغ المرام : محمّد بن إسماعيل الصنعاني ١١٨٢هـ، الطبعة الثانية ١٤٢٠هـ، ٢٠٠٠م، جمعيّة إحياء التراث العربي.
- ٧٩- سلسلة الأحاديث الصحيحة : محمّد ناصر الدين الألباني طبع سنة ١٤١٥هـ، ١٩٩٥م، المكتب الإسلامي - الرياض.
- ٨٠- سبل الهدى والرّشاد في سيرة خير العباد : محمّد بن يوسف الصالح الشامي ٩٤٢هـ، تحقيق عادل عبد الموجود وعلي محمّد معوض الطبعة الأولى ١٤١٤هـ، ١٩٩٣م دار الكتاب العربي - بيروت.
- ٨١- سير أعلام النبلاء : محمّد بن أحمد بن عثمان الذهبي ٧٤٨هـ، تحقيق شعيب الأرناؤوط، الطبعة التاسعة ١٤١٣هـ، ١٩٩٣م، مؤسسة الرسالة - بيروت.

- ٨٢- السنّة: أحمد بن محمّد الخلال، الطبعة الثانية ١٩٩٤م، دار الراية.
- ٨٣- السنن الكبرى: أحمد بن الحسين البيهقي ٤٥٨هـ، تحقيق محمّد عبد القادر عطا، طبع سنة ١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م دار الكتب العلميّة - بيروت.
- ٨٤- السيرة الحليّة: علي بن إبراهيم الحلبي ١٠٤٤هـ، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ، ٢٠٠٢م، دار الكتب العلميّة - بيروت.
- ٨٥- السيرة النبويّة: إسماعيل بن كثير الدمشقي ٧٧٤هـ، تحقيق مصطفى عبد الواحد، طبع سنة ١٣٩٦هـ، ١٩٧٦م، دار المعرفة - لبنان.
- ٨٦- شفاء السقام في زيارة خير الأنام: علي بن عبد الكافي السبكي ٧٥٧هـ، الطبعة الرابعة ١٤١٩هـ.
- ٨٧- الشفا بتعريف حقوق المصطفى: أبي الفضل عياض اليحصبي ٥٤٤هـ، طبع سنة ١٤٠٩هـ، ١٩٨٨م، دار الفكر - بيروت.
- ٨٨- شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد المعتزلي ٦٥٦هـ، تحقيق محمّد إبراهيم، الطبعة الأولى ١٣٧٨هـ، ١٩٥٩م إسماعيليان - قم المقدّسة.
- ٨٩- شرح أصول اعتقاد أهل السنّة والجماعة: هبة الله اللالكائي، الطبعة الخامسة ١٤١٨هـ، دار الطيبة - بيروت.
- ٩٠- شذرات الذهب في أخبار من ذهب: شهاب الدين عبد الحلبي بن أحمد بن العماد الحنبلي ١٠٨٩هـ، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ، ١٩٩٨م، دار الكتب العلميّة - بيروت.
- ٩١- شعب الإيمان: أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق محمّد السعيد زغلول، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ، دار الكتب العلميّة - بيروت.
- ٩٢- صحيح البخاري: محمّد بن اسماعيل ٢٥٦هـ، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ، ١٩٩٨م، دار الكتب العلميّة - بيروت.

٦٣٢..... ثم اهتديت

٩٣- صحيح مسلم: مسلم بن حجاج النيسابوري ٢٦١هـ الطبعة الأولى ١٤١٦هـ،  
١٩٩٥م، دار ابن حزم - بيروت.

٩٤- صحيح الجامع الصغير وزياداته: محمد ناصر الدين الألباني، الطبعة الثالثة  
١٤٢١هـ، المكتب الإسلامي - بيروت.

٩٥- صحيح ابن خزيمة: محمد بن إسحاق بن خزيمة السلمي النيسابوري ٣١١هـ، تحقيق  
محمد مصطفى الأعظمي، ١٤١٢هـ، ١٩٩٢م.

٩٦- الصواعق المحرقة على أهل الرافض والضلال والزندقة: أحمد بن حجر الهيتمي،  
الطبعة الأولى ١٤١٧هـ، مؤسسة الرسالة - بيروت.

٩٧- صفة المنافق: جعفر بن محمد بن الحسن الفريابي تحقيق بدر الله، الطبعة الأولى  
١٤٠٥هـ، دار الخلفاء - الكويت.

٩٨- ضعيف سنن الترمذي: محمد ناصر الدين الألباني معاصر، الطبعة الأولى ١٤١١هـ،  
١٩٩١م، المكتب الإسلامي - الرياض.

٩٩- الطرائف في معرفة مذاهب الطوائف: علي بن موسى بن جعفر بن طاووس الحسيني  
٦٦٤هـ، تحقيق علي عاشور، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م، مؤسسة الأعلمي -  
بيروت.

١٠٠- الطبقات الصغرى: عبد الوهاب بن أحمد بن علي المعروف بالشعراني ٩٧٣هـ، علق  
عليه محمد عبد الله شاهين الطبعة الأولى ١٤١٩هـ، ١٩٩٩م، دار الكتب العلميّة -  
بيروت.

١٠١- عمدة القارىء شرح صحيح البخاري: أبي محمد محمود بن أحمد العيني ٨٥٥هـ،  
الطبعة الأولى ١٤٢١هـ، ٢٠٠١م دار الكتب العلميّة - بيروت.

١٠٢- عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير: محمد بن عبد الله بن يحيى ٧٣٤هـ،  
طبع سنة ١٤٠٦هـ، ١٩٨٦م، مؤسسة عز الدين - بيروت.



- ١٠٣- الغرباء الأولون : سلمان بن فهد العودة معاصر، الطبعة الرابعة ١٤٢١هـ، ٢٠٠٠م، اليمن - صنعاء.
- ١٠٤- الغدير في الكتاب والسنة : عبد الحسين أحمد الاميني ١٣٩٢هـ، الطبعة الرابعة ١٣٩٧هـ، ١٩٧٧م، دار الكتاب العربي - بيروت.
- ١٠٥- فتح المجيد شرح كتاب التوحيد : عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ، الطبعة الثانية ١٤١٧هـ، ١٩٩٧م، دار الكتاب العربي - بيروت.
- ١٠٦- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير : محمّد بن علي الشوكاني ١٢٥٠هـ، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ، ١٩٩٤م، دار ابن كثير ودار الكلم الطيب - دمشق وبيروت.
- ١٠٧- الفتح السماوي : محمّد عبد الرؤوف المناوي ١٠٣١هـ، تحقيق أحمد مجتبى، دار العاصمة - الرياض.
- ١٠٨- فتنة الوهايبية : أحمد زيني دحلان ١٣٠٤هـ، الطبعة الأولى - اسطنبول - تركيا.
- ١٠٩- الفصول المهمة في معرفة الأئمة : علي بن محمّد بن أحمد المعروف بابن الصبّاغ ٨٥٥هـ، تحقيق سامي الغريزي الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ، دار الحديث - بيروت.
- ١١٠- الفصول في الأصول : أحمد بن علي الرازي الجصاص ٣٧٠هـ، تحقيق عجيل جاسم النمشي، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م.
- ١١١- الفوائد الرجالية : محمّد مهدي بحر العلوم ١٢١٢هـ، تحقيق محمّد صادق بحر العلوم وحسين بحر العلوم، الطبعة الأولى ١٣٦٣ش، مكتبة الصادق - طهران.
- ١١٢- فيض القدير شرح الجامع الصغير : عبد الرؤوف المناوي الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ، ٢٠٠١م، دار الكتب العلمية - بيروت.
- ١١٣- الفايق في غريب الحديث : جار الله الزمخشري ٥٣٨هـ، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ، ١٩٩٦م، دار الكتب العلمية - بيروت.

١١٤- فتح الملك العلي بصحة حديث باب مدينة العلم علي: أحمد بن الصديق الغماري ١٣٨٠هـ، تحقيق محمد هادي الأميني، الطبعة الثالثة ١٤٠٣هـ، ١٣٦٢ش، أمير المؤمنين - إيران.

١١٥- فقه السنة: السيّد سابق، معاصر، دار الكتاب العربي - بيروت.

١١٦- القول البديع في الصلاة على الحبيب الشفيق: محمد بن عبد الرحمن السخاوي ٩٠٢هـ، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ، ٢٠٠٢م، مؤسسة الريان.

١١٧- كتاب الفتوح: أحمد بن أعثم الكوفي ٣١٤هـ، تحقيق علي شيري، الطبعة الأولى ١٤١١هـ، دار الأضواء - بيروت.

١١٨- كتاب السنة: عمرو بن أبي عاصم، الطبعة الثالثة ١٤١٣هـ، المكتب الإسلامي.

١١٩- كتاب التعجب: محمد بن علي الكراجكي، الطبعة الثانية ١٤١٠هـ، مكتبة مصطفى.

١٢٠- كشف الخفاء ومزيل الالباس عما اشتهر من الأحاديث على السنة الناس: إسماعيل ابن محمد العجلوني ١١٦٢هـ، ١٩٩٧م، دار الكتب العلميّة - بيروت.

١٢١- كشف الارتياح عن اتباع محمد بن عبد الوهاب: السيّد محسن الأمين، الطبعة الثانية ١٣٨٢هـ، دار الكتب الإسلامية - بيروت.

١٢٢- كشف الغطاء عن مبهات الشريعة الغراء: شيخ جعفر كاشف الغطاء ١٢٢٨هـ، انتشارات مهدويّة - أصفهان.

١٢٣- الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب السنة: محمد بن أحمد الذهبي ٨٤١هـ، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ، ١٩٩٢م مؤسسة علوم القرآن - جدة.

١٢٤- الكشف والبيان المعروف بتفسير الثعلبي: أحمد المعروف بالثعلبي الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ، ٢٠٠٢م، دار إحياء التراث العربي - بيروت.

١٢٥- الكامل في ضعفاء الرجال: أحمد بن عبد الله بن عدي الجرجاني ٣٦٥هـ، تحقيق سهيل زكار، الطبعة الثالثة ١٤٠٩هـ، ١٩٨٨م، دار الفكر - بيروت.

- ١٢٦- الكامل في التاريخ: علي بن أبي الكرام محمد بن محمد الشيباني المعروف بابن الأثير ٦٣٠هـ، طبع سنة ١٣٨٦هـ، ١٩٦٦م، دار صادر - بيروت.
- ١٢٧- كتاب الضعفاء: محمد بن عمرو بن موسى العقيلي ٣٢٢هـ، طبع سنة ١٤٢٠هـ، ٢٠٠٠م، دار الصميعي.
- ١٢٨- كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال: علي بن مثنى بن حسام الهندي ٩٧٥هـ، ١٩٨٩م، مؤسسة الرسالة - بيروت.
- ١٢٩- كلمة التقوى: محمد أمين زين الدين ١٤١٩هـ، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ، إسماعيليان - قم المقدسة.
- ١٣٠- لسان العرب: محمد بن مكرم بن منظور المصري ٧١١هـ، طبع سنة ١٤٠٥هـ، أدب الحوزة - قم المقدسة.
- ١٣١- لسان الميزان: أحمد بن علي بن حجر ٨٥٢هـ، الطبعة الثانية ١٣٩٠هـ، ١٩٧١م، مؤسسة الأعلمي - بيروت.
- ١٣٢- لوائح الأنوار القدسيّة في بيان العهود المحمديّة: عبد الوهاب الشعراني ٩٧٣هـ، الطبعة الثانية ١٣٩٣هـ، ١٩٧٣م، الحلبي - مصر.
- ١٣٣- لوائح الأشجان: السيّد محسن الأمين: تحقيق حسن الأمين، الطبعة الأولى ١٩٩٦م، دار الأمير - بيروت.
- ١٣٤- مسند أحمد: أحمد بن حنبل ٢٤١هـ، تحقيق الشيخ شعيب الارنؤوط، الطبعة الثانية ١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م، مؤسسة الرسالة - بيروت.
- ١٣٥- مسند الشاميين من مسند أحمد بن حنبل: علي محمد جماز، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ، ١٩٩٠م، دار الثقافة.
- ١٣٦- مسند أبي يعلى الموصلي: أحمد بن علي بن المثنى الموصلي ٣٠٧هـ، دراسة عبد القادر عطا، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ، ١٩٩٨م، دار الكتب العلميّة - بيروت.

١٣٧- مستند الشيعة: محمد مهدي التراقي، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ، مؤسسة آل البيت عليه السلام.

١٣٨- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد: علي بن أبي بكر الهيثمي ٨٠٧هـ، تحقيق محمد عبد القادر عطا، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ، ٢٠٠١م، دار الكتب العلمية - بيروت.

١٣٩- المستدرک علی الصحیحین: محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري ٤٠٥هـ، تلخيص المستدرک، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ، ٢٠٠٢م، دار الفكر - بيروت.

١٤٠- المعارف: عبد الله بن مسلم بن قتيبة ٢٧٦هـ، تحقيق ثروت عكاشة، دار المعارف - القاهرة.

١٤١- مشكاة المصابيح: محمد بن عبد الله الخطيب التبريزي تحقيق محمد ناصر الدين الألباني، الطبعة الثالثة ١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م المكتب الإسلامي - بيروت.

١٤٢- مصباح المتجّد: الشيخ الطوسي، الطبعة الأولى ١٤١١هـ، مؤسسة فقه الشيعة.

١٤٣- المصنّف في الأحاديث والآثار: عبد الله بن محمد بن أبي شيبة ٢٣٥هـ، تحقيق سعيد اللحام طبع سنة ١٤٢٠هـ، ٢٠٠٠م، دار الفكر - بيروت.

١٤٤- المعجم الصغير: سليمان بن أحمد الطبراني ٣٦٠هـ، دار الكتب العلمية - بيروت.

١٤٥- مطالب السؤل في مناقت آل الرسول: محمد بن طلحة الشافعي ٦٥٢هـ، تحقيق ماجد أحمد العطية.

١٤٦- المعجم الكبير: سليمان بن أحمد الطبراني ٣٦٠هـ، تحقيق حمدي السلفي دار إحياء التراث العربي - بيروت.

١٤٧- مجموعة الفتاوى الكبرى: أحمد بن عبد الحلیم بن تیمیة الحرّاني ٧٢٨هـ، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ، ١٩٩٧م دار الوفاء - بيروت.

١٤٨- معرفة السنن والآثار عن محمد بن إدريس الشافعي: أحمد بن الحسين البيهقي ٤٥٨هـ، تحقيق سيّد كسروي، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ، ٢٠٠١م، دار الكتب العلمية - بيروت.

- ١٤٩- معرفة الثقات: أحمد بن عبد الله بن صالح العجلي، تحقيق عبد العليم التّشوي، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م، مكتبة الدار - المدينة المنورة.
- ١٥٠- موسوعة الإمام الشافعي كتاب الأمّ ٢٠٤هـ، تحقيق علي محمّد وعادل أحمد، طبع سنة ١٤٢٢هـ، ٢٠٠١م دار إحياء التراث العربي - بيروت.
- ١٥١- الموطأ: مالك بن أنس، تحقيق السيّد العلوي المالكي، الطبعة الثانية ١٤٢٣هـ، ٢٠٠٣م.
- ١٥٢- ميزان الاعتدال في نقد الرّجال: محمّد بن أحمد بن عثمان ٧٤٨هـ، تحقيق علي محمّد البجاوي، الطبعة الأولى ١٣٨٢هـ، ١٩٦٣، دار المعرفة - بيروت.
- ١٥٣- مسائل فقهية: عبد الحسين شرف الدين الموسوي ١٣٧٧هـ، طبع سنة ١٤٠٧هـ، ١٩٨٧م، سبهر - طهران.
- ١٥٤- مقاتل الطالبين: أبو الفرج الأصفهاني ٣٥٦هـ، تحقيق كاظم المطرّ، الطبعة الثانية ١٤٨٥هـ، ١٩٦٥م، قم المقدّسة - إيران.
- ١٥٥- الملل والنحل: محمّد بن عبد الكريم بن أحمد الشهرستاني ٥٤٨هـ، تحقيق محمّد سيّد كيلاني، دار المعرفة - بيروت.
- ١٥٦- مجموع الفتاوى: أحمد بن عبد الحلّيم بن تيمية الحرّاني، مكتبة السنّة - القاهرة.
- ١٥٧- معارج القبول بشرح مسلم الوصول إلى علم الأصول: حافظ بن أحمد مكي، تحقيق عمر بن محمود، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ، ١٩٩٠م، دار ابن القيم - الدمام.
- ١٥٨- نظم درر السمطين في فضائل المصطفى والمرضى والبتول والسبطين: محمّد بن يوسف الزرندي الحنفي ٧٥٠هـ، تحقيق محمّد هادي الأميني.
- ١٥٩- النفيس في بيان رزية الخميس: عبد الله دشتي معاصر، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ، ١٣٨١ش، دار الفقه للطباعة والنشر.

١٦٠- النصّ والاجتهاد: عبد الحسين شرف الدين ١٣٧٧هـ، تحقيق أبو مجتبى، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ، سيّد الشهداء - قم المقدّسة.

١٦١- نحو إنقاذ التاريخ الإسلامي: حسن بن فرحان المالكي معاصر، طبع سنة ١٤١٨هـ، مؤسسة الإمامة - الرياض.

١٦٢- النهاية في غريب الحديث والأثر: مبارك بن محمّد بن الأثير الجزري ٦٠٦هـ، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ، ١٩٩٧م، دار الكتب العلميّة - بيروت.

١٦٣- النصائح الكافية: محمد بن عقيل الشافعي العلوي ١٣٥٠هـ، دار الثقافة - بيروت.

١٦٤- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان: أحمد بن خلّكان ٦٨١هـ، تحقيق إحسان عبّاس، دار الثقافة - لبنان.

١٦٥- هل المسلم ملزم بالتّباع مذهب معيّن من المذاهب الأربعة: محمّد سلطان المعصومي

الخجندي ١٣٨٠هـ، تحقيق سليم بن عبد الهاللي، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ، ١٩٨٤م، مكتبة العمرين - الإمارات.

## فهرس المواضيع

٥	مقدمة المؤلف لهذه الطبعة .....
٩	مقدمة المركز .....
١٣	الإهداء .....
١٥	ديباجة .....
١٧	لمحة وجيزة عن حياتي .....
٢٠	الحجّ إلى بيت الله الحرام .....
٣٧	الرحلة الموفقة .....
٣٩	في مصر .....
٤٣	لقاء في الباخرة .....
٥٧	زيارة العراق لأول مرّة .....
٥٩	عبد القادر الجيلاني وموسى الكاظم <small>عليه السلام</small> .....
١٠٠	الشكّ والتساؤل .....
١٠٧	السفر إلى النجف .....
١١٠	لقاء العلماء .....
١٢٩	لقاء مع السيّد محمّد باقر الصدر .....
١٣٤	الشهادة الثالثة في الأذان .....
١٣٦	التفضيل بين الخلفاء .....

١٣٨	السجود على التربة .....
١٤٦	المأتم الحسيني .....
١٦١	الشكّ والحيرة .....
١٦٦	الذهاب إلى كربلاء .....
١٩٩	السفر إلى الحجاز .....
٢٢٧	بداية البحث .....
٢٣٠	بداية الدراسة العميقة .....
٢٤١	الصحابة في صلح الحديبية .....
٢٥١	الصحابة ورزية يوم الخميس .....
٣٢٥	الصحابة في سرية أسامة .....
٣٤٥	اولاً رأي القرآن في الصحابة .....
٣٥٧	ثانياً رأي الرسول في الصحابة .....
٣٦٥	ثالثاً رأي الصحابة بعضهم في بعض .....
٣٩٢	الصحابة غيروا حتّى في الصلاة .....
٣٩٥	الصحابة يشهدون على أنفسهم .....
٣٩٦	شهادة الشيخين على نفسيهما .....
٤٣٥	حرب الجمل .....
٤٥٩	بداية التحول .....
٤٦١	محاورة مع عالم .....
٤٨٧	أسباب الاستبصار .....



٦٤١	فهرس المواضيع .....
٤٨٧	النصّ على الخلافة .....
٤٨٨	الإجماع على خلافة أبي بكر .....
٤٩٢	خلاف فاطمة <small>عليها السلام</small> مع أبي بكر .....
٤٩٦	علي أولى بالاتباع .....
٥٠٥	الأحاديث الواردة في علي توجب اتباعه .....
٥٣٧	الأحاديث الصحيحة .....
٥٣٩	حديث الثقلين .....
٥٣٦	التي توجب اتباع أهل البيت .....
٥٥٦	منع الزهراء <small>عليها السلام</small> حقّها .....
٥٥٧	قتال مانعي الزكاة .....
٥٦١	أبو بكر و خالد بن الوليد .....
٥٧٦	حديث السفينة .....
٥٧٩	حديث من سرّه أن يحيا حياتي .....
٥٨٧	مصيبتنا في الاجتهاد مقابل النصّوص .....
٥٩٧	من الذي أطلق مصطلح أهل السنّة والجماعة .....
٦٠٣	دعوة أصدقاء للبحث .....
٦١١	هدى الحقّ .....
٦٢٣	مصادر التّحقيق .....
٦٣٩	فهرس المواضيع .....